

هو

۱۲۱

كشف المحجوب

علی بن عثمان هُجویری

به کوشش: فریدون آسیابی عشقی زنجانی

فهرست

٧	بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.....
١٢	بَابُ اثْبَاتِ الْعِلْمِ.....
١٦	بَابُ الْفَقْرِ.....
٢٢	بَابُ التَّصَوُّفِ.....
٢٩	بَابُ أُبْسِ الْمَرْقَعَاتِ.....
٣٦	بَابُ اخْتِلَافِهِمْ فِي الْفَقْرِ وَالصَّفْوَةِ.....
٣٧	بَابُ الْمَلَامَةِ.....
٤١	بَابُ فِي ذِكْرِ أُمَّتِهِمْ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَ مُتَابِعِيهِمْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.....
٤٢	ابوبكر عبدالله بن عثمان، الصديق، رضى الله عنه.....
٤٣	ابوحفص عمر بن الخطاب، رضى الله عنه.....
٤٤	ابوعمر و عثمان بن عفان، رضى الله عنه.....
٤٤	ابوالحسن على بن ابى طالب، كرم الله وجهه.....
٤٥	بَابُ فِي ذِكْرِ أُمَّتِهِمْ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ.....
٤٥	ابومحمد الحسن بن على، كرم الله وجهه.....
٤٦	ابوعبدالله الحسين بن على بن ابى طالب، رضى الله عنهما.....
٤٧	ابوالحسن على بن الحسين بن على بن ابى طالب، رضى الله عنهم.....
٤٩	ابوجعفر محمد بن على بن احلسين بن على بن ابى طالب، كرم الله وجهه و رضى عنهم.....
٥٠	ابومحمد جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على، الصادق، رضوان الله عليهم اجمعين.....
٥١	بَابُ ذِكْرِ أَهْلِ الصَّفَةِ.....
٥٢	بَابُ فِي ذِكْرِ أُمَّتِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ.....
٥٢	اويس قرنى، رضى الله عنه.....
٥٣	هَرَمِ بْنِ حَيَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.....
٥٤	ابوعلى الحسن بن ابى الحسن البصرى، رحمة الله عليه.....
٥٥	سعيد بن مسيب، رحمة الله عليه.....
٥٦	بَابُ ذِكْرِ أُمَّتِهِمْ مِنْ أَتْبَاعِ التَّابِعِينَ.....
٥٦	حبيب العجمى، رضى الله عنه.....
٥٦	مالك بن دينار، رضى الله عنه.....
٥٧	ابوحليم حبيب بن سُلَيْمِ الرَّاعِي، رضى الله عنه.....
٥٧	ابوحازم المدنى، رحمة الله عليه.....
٥٨	محمد بن واسع، رضى الله عنه.....
٥٨	ابوحنيف نُعْمَانِ بْنِ ثَابِتِ الْخَزَّازِ، رضى الله عنه.....

- ٦٠.....عبدالله بن المبارك المروزي، رضى الله عنه.....
- ٦١ابوعلى فضيل بن عياض، رضى الله عنه.....
- ٦٤.....ابوالفيض ذوالنون بن ابراهيم المصرى، رضى الله عنه.....
- ٦٥.....ابواسحاق ابراهيم بن ادهم بن منصور، رضى الله عنه.....
- ٦٦بشر بن الحارث الحافى، رضى الله عنه.....
- ٦٧.....ابوزيد طيفور بن عيسى البسطامى، رضى الله عنه.....
- ٦٨.....ابوعبدالله الحارث بن اسد المحاسبى، رضى الله عنه.....
- ٦٩ابوسليمان داود بن نصير الطائى، رضى الله عنه.....
- ٧٠ابوالحسن سرى بن المعلّس السقطى، رحمة الله عليه.....
- ٧٠.....ابوعلى شقيق بن ابراهيم الأزدى، رضى الله عنه.....
- ٧١ابوسليمان عبدالرحمان بن عطية الداراني، رضى الله عنه.....
- ٧١ابومحفوظ معروف بن فيروز الكرخى، رضى الله عنه.....
- ٧٢.....ابوعبدالرحمان حاتم بن عنوان الأصبم، رضى الله عنه.....
- ٧٣ابوعبدالله محمد بن ادريس الشافعى، رضى الله عنه.....
- ٧٣ابوعبدالله احمد بن حنبل، رضى الله عنه.....
- ٧٤.....ابوالحسن احمد بن ابى الحوارى، رضى الله عنه.....
- ٧٥.....ابوحامد احمد بن خضرويه البلخى، رضى الله عنه.....
- ٧٧ابوتراب عسكر بن الحصين النسقى، رضى الله عنه.....
- ٧٧ابو زكريا يحيى بن معاذ الرازى، رضى الله عنه.....
- ٧٨ابوحفص عمر بن سالم النيسابورى رضى الله عنها الحداد.....
- ٧٩.....ابوصالح حمدون بن احمد بن عمارة القصار، رضى الله عنه.....
- ٧٩.....ابوالسرى منصور بن عمّار، رضى الله عنه.....
- ٨٠ابوعبدالله احمد بن عاصم الانطاكى، رضى الله عنه.....
- ٨١.....ابومحمد عبدالله بن خبيق، رضى الله عنه.....
- ٨١.....ابوالقاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد القواريرى، رضى الله عنه.....
- ٨٣ابوالحسن احمد بن محمد النورى، رضى الله عنه.....
- ٨٤.....ابوعثمان سعيد بن اسماعيل الحيرى، رضى الله عنه.....
- ٨٥.....ابوعبدالله احمد بن يحيى بن الجلاء، رضى الله عنه.....
- ٨٥.....ابومحمد زويم بن احمد، رضى الله عنه.....
- ٨٦.....ابوعقوب يوسف بن حسين الرازى، رضى الله عنه.....
- ٨٦.....ابوالحسين سمنون بن عبدالله الخواص، رضى الله عنه.....
- ٨٧ابوالفوارس شاه بن شجاع الكرمانى، رضى الله عنه.....
- ٨٨عمرو بن عثمان المكى، رضى الله عنه.....
- ٨٨ابومحمد سهل بن عبدالله التستري، رضى الله عنه.....
- ٨٩.....ابوعبدالله محمد بن الفضل البلخى، رضى الله عنه.....

- ٨٩..... ابو عبد الله محمد بن علي الترمذى، رضى الله عنه
- ٩٠..... ابوبكر محمد بن عمر الوراق، رضى الله عنه
- ٩٠..... ابوسعيد احمد بن عيسى الخراز، رضى الله عنه
- ٩١..... ابوالحسن علي بن محمد الاصفهاني، رضى الله عنه
- ٩١..... ابوالحسن محمد بن اسماعيل، خير النساج، رضى الله عنه
- ٩٢..... ابو حمزة خراساني، رضى الله عنه
- ٩٢..... ابوالعباس احمد بن مسروق، رضى الله عنه
- ٩٣..... ابو عبد الله محمد بن اسماعيل المغربي، رضى الله عنه
- ٩٣..... ابو علي الحسن بن علي الجوزجاني، رضى الله عنه
- ٩٣..... ابو محمد احمد بن الحسين الجريري، رضى الله عنه
- ٩٤..... ابوالعباس احمد بن محمد بن سهل الأدمي، رضى الله عنه
- ٩٤..... ابوالمغيث الحسين بن منصور الحلاج، رضى الله عنه
- ٩٦..... ابواسحاق ابراهيم بن احمد الخواص، رضى الله عنه
- ٩٧..... ابو حمزة البغدادي البزاز، رضى الله عنه
- ٩٧..... ابوبكر محمد بن موسى الواسطي، رضى الله عنه
- ٩٧..... ابوبكر دلف بن جحدر الشبلي، رضى الله عنه
- ٩٨..... ابو محمد جعفر بن نصير الخلدی، رضى الله عنه
- ٩٨..... ابو علي احمد بن محمد بن القاسم الرودباري، رضى الله عنه
- ٩٩..... ابوالعباس القاسم بن مهدي السيارى، رضى الله عنه
- ٩٩..... ابو عبد الله محمد بن خفيف، رضى الله عنه
- ٩٩..... ابو عثمان سعيد بن سلام المغربي، رضى الله عنه
- ١٠٠..... ابوالقاسم ابراهيم بن محمد بن محمود النصرآبادي، رضى الله عنه
- ١٠٠..... ابوالحسن علي بن ابراهيم الحصرى، رحمة الله عليه
- ١٠١..... باب في ذكر أئمتهم من المتأخرين، رضوان الله عليهم اجمعين
- ١٠١..... ابوالعباس احمد بن محمد القصاب، رضى الله عنه
- ١٠٢..... ابو علي الحسن بن علي بن محمد الدقاق، رضى الله عنه
- ١٠٢..... ابوالحسن علي بن احمد الخرقاني، رضى الله عنه
- ١٠٣..... ابو عبد الله محمد بن علي، المعروف بالداستاني، رضى الله عنه
- ١٠٣..... ابوسعيد فضل الله بن محمد الميهني، رضى الله عنه
- ١٠٤..... ابوالفضل محمد بن الحسن الختلي، رضى الله عنه
- ١٠٤..... ابوالقاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، رضى الله عنه
- ١٠٥..... ابوالعباس احمد بن محمد الشقاني، رضى الله عنه
- ١٠٥..... ابوالقاسم علي الكركاني، رضى الله عنه
- ١٠٦..... ابواحمد المظفر بن احمد بن حمدان، رضى الله عنه
- ١٠٧..... باب في ذكر رجال الصوفية من المتأخرين على الاختصار من أهل البلدان

١٠٨	بابُ في فرقِ فِرَقِهِمْ و مَذَاهِبِهِمْ و آيَاتِهِمْ و مَقَامَاتِهِمْ و حِكَايَاتِهِمْ
١٠٩	اما المحاسبيّة
١٠٩	الكلام في حقيقة الرضا
١١١	الفرقُ بينَ المقامِ و الحالِ
١١٣	اما القصارية
١١٣	اما الطيفورية
١١٤	الكلام في السكر و الصحو
١١٦	اما الجنيدية
١١٧	اما النورية
١١٧	الكلام في حقيقة الايثار
١٢٠	و اما السهلية
١٢١	الكلام في حقيقة النفس و معنى الهوى
١٢٣	الكلام في مجاهدات النفس
١٢٧	الكلام في حقيقة الهوى
١٣٠	اما الحكيمية
١٣٠	الكلام في اثبات الولاية
١٣٤	الكلام في اثبات الكرامات
١٣٥	الكلام في الفرق بين المعجزات و الكرامات
١٣٧	الكلام في اظهار جنس المعجزة على يدى مَنْ يدعى الالهية
١٤٠	الكلام في ذكر كراماتهم
١٤٥	الكلام في تفضيل الانبياء على الاولياء
١٤٦	الكلام في تفضيل الانبياء و الاولياء على الملائكة و المؤمنين أيضاً
١٤٨	اما الخرازية
١٤٨	الكلام في الفناء و البقاء
١٥١	و اما الخفيفة
١٥١	الكلام في الغيبة و الحضور
١٥٣	اما السيارية
١٥٤	الكلام في الجمع و التفرقة
١٥٧	اما الحلوليه، لعنهم الله
١٥٨	الكلام في الروح
١٦١	كشف الحجاب الأول في معرفة الله، تعالى
١٦٧	كشف الحجاب الثاني في التوحيد
١٧١	كشف الحجاب الثالث في الايمان
١٧٤	كشف الحجاب الرابع في الطهارة
١٧٦	باب التوبة و ما يتعلّق بها

١٧٩.....	كشفتُ الحجاب الخامس في الصلوة.....
١٨٢.....	باب المحبة وما يتعلّق بها.....
١٨٤.....	كيفية المحبة من الله تعالى بأوليائه ومن أوليائه إلى حضرته.....
١٨٨.....	كشفتُ الحجاب السادس في الزكوة.....
١٨٩.....	باب الجود والسّخاء.....
١٩١.....	كشفتُ الحجاب السابع في الصوم.....
١٩٣.....	باب الجوع.....
١٩٥.....	كشفتُ الحجاب الثامن في الحج.....
١٩٧.....	باب المشاهدات.....
١٩٩.....	كشفتُ الحجاب التاسع في الصّحبة مع آدابها وأحكامها.....
٢٠١.....	باب الصّحبة وما يتعلّق بها.....
٢٠٣.....	باب آدابهم في الصّحبة.....
٢٠٥.....	باب آداب الإقامة في الصّحبة.....
٢٠٧.....	باب الصّحبة في السّفر وآدابه.....
٢٠٨.....	باب آدابهم في الأكل.....
٢٠٩.....	باب آدابهم في المشي.....
٢١٠.....	باب نومهم في السّفر والحضر.....
٢١٢.....	باب آدابهم في الكلام والسكوت.....
٢١٤.....	باب آدابهم في السّؤال وتركه.....
٢١٦.....	باب آدابهم في التّزويج والتّجريد.....
٢١٩.....	كشفتُ الحجاب العاشر في بيان منطقتهم وحدود ألفاظهم وحقائق معانيهم.....
٢٣٢.....	كشفتُ الحجاب الحادي عشر في السّماع وبيان أنواعه.....
٢٣٣.....	باب سماع القرآن وما يتعلّق به.....
٢٣٦.....	باب سماع الشّعْر وما يتعلّق به.....
٢٣٧.....	باب سماع الاصوات والالحان.....
٢٣٩.....	باب أحكام السّماع.....
٢٤١.....	باب اختلافهم في السّماع.....
٢٤٢.....	باب مراتبهم في السّماع.....
٢٤٥.....	باب الوجد والوجود والتّواجد ومراتبه.....
٢٤٧.....	باب الرّقص.....
٢٤٧.....	النّظر في الاحداث.....
٢٤٧.....	باب الخرق.....
٢٤٨.....	باب آداب السّماع.....

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي كَشَفَ لِأَوْلِيَائِهِ بَوَاطِنَ مَلَكُوتِهِ، وَقَشَعَ لِأَصْفِيَائِهِ سَرَائِرَ جَبْرُوتِهِ، وَأَرَاقَ دَمِ الْمُحِبِّينَ بِسَيْفِ جَلَالِهِ، وَأَذَاقَ سِرِّ الْمُشْتَاقِينَ رَوْحَ وَصَالِهِ. هُوَ الْمُحْيِي لِمَوَاتِ الْقُلُوبِ بِأَنْوَارِ إِدْرَاكِهِ، وَالْمُنْعِشُ لَهَا بِرَاحَةِ رَوْحِ الْمَعْرِفَةِ بِنَشْرِ أَسْمَائِهِ. وَالصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ.

من بعده، قال الشيخ ابوالحسن علي بن عثمان بن ابي علي الجلابي، ثم الهجویری، رضی الله عنه: طریق استخارت سپردم و اغراضی که به نفس می بازگشت از دل ستردم و به حکم استدعای تو اسعدک الله قیام کردم و بر تمام کردن مراد تو از این کتاب عزمی تمام کردم، و مر این را کشف المحجوب نام کردم، و مقصود تو معلوم گشت و سخن اندر غرض تو در این کتاب مقسوم گشت و من از خداوند تعالی استعانت خواهم و توفیق اندر اتمام این کتاب، و از حول و قوت خود تبراکم اندر گفتم و کردار و بالله العون و التوفیق.

فصل

آنچه به ابتدای کتاب نام خود اثبات کردم، مراد اندر آن دو چیز بود: یکی نصیب خاص، دیگر نصیب عام. آنچه نصیب عام بود آن است که چون جهله این علم کتابی نو بیند که نام مصنف آن به چند جای بر آن مثبت نباشد، نسبت آن کتاب به خود کنند، و مقصود مصنف از آن بر نیاید؛ که مراد از جمع و تألیف و تصنیف بجز آن نباشد که نام مصنف بدان کتاب زنده باشد و خوانندگان و متعلمان وی را دعای خیر گویند. و مرا این حادثه افتاد به دو بار: یکی آن که دیوان شعرم کسی بخواست و بازگرفت و حاصل کار جز آن نبود که جمله را بگردانید و نام من از سر آن بیفکند و رنج من ضایع کرد، تاب الله علیه؛ و دیگر کتابی کردم اندر تصوف، نام آن منهاج الدین، یکی از مدعیان رکیک که کرای گفتار او نکند نام من از سر آن پاک کرد و به نزدیک عوام چنان نمود که آن وی کرده است، هر چند خواص بر آن قول بر وی خندیدندی. تا خداوند تعالی بی برکتی آن بدو در رسانید و نامش از دیوان طلاب درگاه خود پاک گردانید.

اما آنچه نصیب خاص بود آن است که چون کتابی بیند و دانند که مؤلف آن بدین فن علم، عالم بوده است و محقق، رعایت حقوق آن بهتر کنند و بر خواندن آن و یاد گرفتن آن بجدرتر باشند و مراد خواننده و صاحب کتاب از آن بهتر بر آید والله اعلم بالصواب.

فصل

و آنچه گفتم که: «طریق استخاره سپردم»، مراد از آن حفظ آداب خداوند بود عزوجل که مر پیغامبر خود را - صلی الله علیه و سلم و متابعان وی را بدین فرمود و گفت: «فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ (۹۸/نحل)». و استعادت و استخارت و استعانت جمله به معنی طلب کردن و تسلیم امور خود به خداوند سبحانه و تعالی باشد و نجات از آفتهای گوناگون و صحابه پیغامبر صلی الله علیه و سلم و رضی الله عنهم روایت آوردند که پیغامبر - صلی الله علیه و سلم ما را استخاره اندر آموختی، چنانکه قرآن. پس چون بنده بدانند که خیریت امور اندر کسب و تدبیر وی بسته نیست؛ که صلاح بندگان، خداوند تعالی بهتر داند و خیر و شری که به بنده رسد مقدر است، جز تسلیم چه روی باشد مر قضا را و یاری خواستن از وی؟ تا شر نفس و امارگی آن از بنده دفع کند اندر کل احوال وی، و خیریت و صلاح وی را بدو ارزانی دارد. پس باید که اندر بدو همه اشغال، بنده استخاره

کند تا خداوند تعالی وی را از خطا و خلل و آفت آن نگاه دارد. و بالله التوفیق.

فصل

و آنچه گفتم که: «اغراضی که به نفس بازمی گشت از دل ستردم»، مراد آن بود که اندر هرکاری که غرض نفسانی اندرآید برکت از آن کار برخیزد، و دل از طریق مستقیم به محل اعوجاج و مشغولی اندر افتد، و آن از دو بیرون نباشد: یا غرضش برآید و یا برنیاید. اگر غرضش برآید، هلاک وی اندر آن بود، و در دوزخ را کلید بجز حصول مراد نفس نیست و اگر غرض برنیاید، باری وی بیشتر آن از دل بسترده باشد که نجات وی اندر آن بود و کلید در بهشت را بجز منع نفس از اغراض وی نیست؛ چنانکه خداوند تعالی گفت: «وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَاِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ (۴۰ و ۴۱/النازعات)». و اغراض نفسانی اندر امور آن بود که بنده اندر کاری که میکند بجز خشنودی خدای تعالی باشد و نجات نفس خود از عقوبت، طلب نکند و در جمله رعونات نفس را حدی پیدا نباشد و تعبیه‌های وی اندر آن ظاهر نبود؛ و اندر این کتاب، به جایگاه خود، بابی اندر این معنی بیاید. ان شاء الله، تعالی.

فصل

و آنچه گفتم که: «به حکم استدعای تو قیام کردم و بر تمام کردن مرادت از این کتاب عزمی تمام کردم»، مراد از آن این بود که مرا اهل سؤال دیدی و واقعه خود از من پرسیدی و این کتاب از من اندر خواستی، و مرادت از آن فایده بود؛ لامحاله بر من واجب شد حق سؤال تو گزاردن. و چون اندر حال به تمامی حق سؤالت نرسیدم، عزمی تمام ببايست و نیتی که تمام کنم تا اندر حال ابتدای کتاب و نیت تمام کردن آن، حکم جواب آن را ادا کرده باشم. و قصد بنده چون به ابتدای عمل وی به نیت مقرون بود، اگرچه وی را اندر آن عمل خلل پدیدار آید، بنده بر آن معذور باشد؛ و از آن بود که پیغامبر صلی الله علیه و سلم گفت: «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ. نیت کردن به ابتدای عمل بهتر از ابتدا کردن بی نیت.»

و نیت را اندر کارها سلطان عظیم است و برهان صادق؛ که بنده به یک نیت از حکمی به حکم دیگر شود، بی از آن که بر ظاهرش هیچ تأثیر پدیدار آید، چنانکه یک چندی بی نیت روزه کسی گرسنه باشد، وی را بدان هیچ ثواب نباشد، و چون به دل نیت روزه کند از مقربان گردد بی از آن که بر ظاهرش اثری پدیدار آید. و نیز چون مسافری که به شهری درآید و مدتی بباشد، مقیم نگردد تا نیت اقامت نکند و چون نیت اقامت کرد مقیم گردد و مانند این بسیار است. پس نیت خیرات اندر ابتدای عمل، گزاردن حق آن باشد. والله اعلم.

فصل

و آنچه گفتم که: «مر این کتاب را کشف المحجوب نام کردم»، مراد آن بود که تا نام کتاب ناطق باشد بر آنچه اندر کتاب است مرگروهی را که بصیرت بود، چون نام کتاب بشنوند، دانند که مراد از آن چه بوده است و بدان که همه عالم از لطیفه تحقیق محجوب اند بجز اولیای خدای عز و جل و عزیزان درگاهش، و چون این کتاب اندر بیان راه حق بود و شرح کلمات تحقیق و کشف حجب بشریت، جز این نام او را اندر خور نبود. و بحقیقت کشف، هلاک محجوب باشد، همچنان که حجاب هلاک مکاشف؛ یعنی چنانکه نزدیک طاقت دوری ندارد، دور طاقت نزدیکی ندارد؛ چون جانوری که از سرکه خیزد اندر هر چه افتد بمیرد، و آنچه از چیزهای دیگر خیزد اندر سرکه هلاک شود و سپردن طریق معانی دشوار باشد جز بر آن که وی را از برای آن آفریده بود، و پیغامبر گفت، صلی الله علیه و سلم: «كُلُّ مَيْسَرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ، خدای عز و جل هرکسی را برای چیزی آفریده است و

طریق آن بر وی سهل گردانیده.»

اما حجاب دو است: یکی حجاب رینی نعوذ بالله من ذلک و این هرگز برنخیزد، و دیگر حجاب غینی، و این زود برخیزد و بیان این آن بود که بنده‌ای باشد که ذات وی حجاب حق باشد؛ تا یکسان باشد به نزدیک وی حق و باطل و بنده‌ای بود که صفت وی حجاب حق باشد و پیوسته طبع و سرش حق می‌طلبد و از باطل می‌گریزد.

پس حجاب ذاتی که آن رینی است هرگز برنخیزد و معنی «رین» و «ختم» و «طبع» یکی بود؛ چنانکه خدای تعالی گفت: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (۱۴/المطففين)»؛ آنگاه حکم این ظاهر کرد و گفت: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (۶/البقره)»، آنگاه علتش بیان کرد: «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ (۷/البقره)»، و نیز گفت: «طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ (۱۰۸/النحل)».

و حجاب صفتی که آن غینی بود روا باشد که وقتی دون وقتی برخیزد؛ که تبدیل ذات اندر حکم غریب و بدیع باشد، و اندر عین ناممکن؛ اما تبدیل صفت، چنانکه هست، روا باشد.

و مشایخ این قصه را در معنی رین و غین اشارت لطیف است؛ چنانکه جنید گوید، رحمة الله عليه: «الرَّيْنُ مِنَ جُمْلَةِ الْوَطَنَاتِ وَالْغَيْنُ مِنْ جُمْلَةِ الْخَطَرَاتِ. رَيْنٌ مِنْ جُمْلَةِ وَطَنَاتٍ اسْتِ وَغَيْنٌ مِنْ جُمْلَةِ خَطَرَاتٍ.» وطن پایدار بود و خطر طاری؛ چنانکه از هیچ سنگ آینه نتوان کرد، اگرچه صقالان بسیار مجتمع گردند، و باز چون آینه زنگ گیرد به مصقله صافی شود؛ از آنچه تاریکی اندر سنگ اصلی است و روشنایی اندر آینه اصلی، چون اصل پایدار بود، آن صفت عاریتی را بقا نباشد.

پس من این کتاب مر آن را ساختم که صقال دلها بود که کاندرا حجاب غین گرفتار باشند و مایه نور حق اندر دلشان موجود باشد تا به برکت خواندن این کتاب آن حجاب برخیزد و به حقیقت معنی راه یابند؛ و باز آنان که هستی ایشان را عَجَنَتْ از انکار حق و ارتکاب باطل بود، هرگز راه نیابند به شواهد حق، و از این کتاب مر ایشان را هیچ فایده نباشد. و الحمد لله على نعمة العرفان.

فصل

اما آنچه گفتم: «مقصود معلوم شد و سخن اندر غرضت اندر این کتاب مقسوم شد». مراد از این قول آن بود که تا مسؤل را مقصود سائل معلوم نگردد، مراد سائل محصول نگردد؛ که سؤال از اشکال کنند و چون به جواب، اشکال حل نشود فایده ندهد و حل اشکال جز به معرفت اشکال نتوان کرد. و آنچه گفتم: «سخن اندر غرضت مقسوم شد»، یعنی سؤال بر جمله را جواب بر جمله باشد، چون سائل بر جمله درجات و اخوات سؤال خود عالم بود؛ و باز مبتدی را به تفصیل حاجت باشد و اقسام حدود و بیان آن، خاصه که غرض تو اسعدک الله اندر این آن بوده است که تا تفصیل دهم و کتابی سازم از سؤال تو. و بالله التوفيق.

فصل

و آنچه گفتم که: «من از خداوند تعالی توفیق واستعانت خواهم»، مراد آن بود که بنده راناصر، بجز خداوند نباشد که وی را بر خیرات نصرت کند و توفیق زیادت دهدش و حقیقت توفیق، «موافقت تأیید خداوند بود با فعل بنده اندر اعمال صواب.» و کتاب و سنت بر وجود صحت توفیق ناطقه است و امت مجتمع، بجز گروهی از معتزله و قدریان که لفظ توفیق را از کل معانی خالی گویند. و گروهی از مشایخ طریقت گفته‌اند که: «التَّوْفِيقُ هُوَ الْقُدْرَةُ عَلَى الطَّاعَةِ عِنْدَ الْإِسْتِعْمَالِ.» چون بنده خداوند را مطیع باشد، از خداوند بدو نیرو زیادت بود و قوت افزون از آنچه پیش از آن بوده باشد.

و در جمله، حالا بعد حال، آنچه می‌باشد از سکون و حرکات بنده، جمله فعل و خلق خدای است، تعالی. پس

آن قوتی را که بنده بدان طاعت کند توفیق خوانند و این کتاب جایگاه این مسأله نیست؛ که مراد از این چیزی دیگر است.

و بازگشتم به سر مقصود تو، إن شاء الله، عزّ و جلّ. و پیش از آن که بر سر سخن شوم، نخست سؤال تو را بعینه بیارم، و از آنجا به ابتدای کتاب پیوندم. و بالله التوفیق.

صورة السؤال: قال السائل، و هو ابوسعید الهجویری: «بیان کن مرا اندر تحقیق طریقت تصوّف و کیفیت مقامات ایشان، و بیان مذاهب و مقالات آن و اظهارکن مرا رموز و اشارت ایشان، و چگونگی محبت خداوند عزّ و جلّ و کیفیت اظهار آن بر دلها، و سبب حجاب عقول ازکنه ماهیت آن و نفرت نفس از حقیقت آن، و آرام روح با صفوت آن، و آنچه بدین تعلق دارد از معاملات آن.»

قال المسؤل، و هو علی بن عثمان الجلابی، و فقه الله تعالی؛ بدان که اندر این زمانه ما این علم بحقیقت مندرس گشته است، خاصه اندر این دیار که خلق جمله مشغول هوی گشته‌اند و معرض از طریق رضا و علمای روزگار و مدعیان وقت را از این طریقت صورت بر خلاف اصل آن بسته است. پس نیارند همت به چیزی که دست اهل زمانه، بأسرها، از آن کوتاه بود بجز خواص حضرت حق و مراد همه اهل ارادت از آن منقطع و معرفت همه اهل معرفت از وجود آن معزول. خاص و عام خلق از آن به عبارت آن بسنده کارگشته و کار از تحقیق به تقلید افتاده و تحقیق روی خود از روزگار ایشان پوشیده. عوام بدان بسنده کرده گویند که: «ما حق را همی شناسیم»، و خواص بدان خرسند شده که اندر دل تمنایی یابند و اندر نفس هاجسی و اندر صدر میلی بدان سرای؛ از سر مشغولی گویند «این شوق رؤیت است و حرقت محبت.» و مدعیان به دعوی خود از کل معانی بازمانده و مریدان از مجاهده دست بازداشته و ظن معلول خود را مشاهده نام کرده.

و من پیش از این، کتب ساختم اندر این معنی، جمله ضایع شد و مدعیان کاذب بعضی سخن از آن مرصید خلق را برچیدند و دیگر را بشستند و ناپدیدار کردند؛ از آنچه صاحب طبع را سرمایه حسد و انکار نعمت خداوند باشد، و گروهی دیگر نشستند، اما برنخواندند و گروهی دیگر بخواندند و معنی ندانستند و به عبارت آن بسنده کردند که تا بنویسند و یادگیرند و گویند که: «ما علم تصوّف و معرفت می گوئیم.» و ایشان اندر عین نکرت‌اند. و این جمله از آن بود که این معنی کبریت احمر است و آن عزیز باشد، و چون بیابندش کیمیا بود و دانگ سنگی از وی بسیار مس و روی را زر سرخ گرداند. و فی الجملة هرکسی آن دارو طلبد که موافق درد وی باشد و بجز آن نبایدش، چنان که یکی گوید از بزرگان:

فَكُلُّ مَنْ فِي فُؤَادِهِ وَجَعٌ يَطْلُبُ شَيْئاً يُوفِقُ الْوَجَعَا

کسی را که داروی علت وی حقیرترین چیزها بود، وی را در و مرجان نباید تا به شلیثا و دواء المسک آمیزندش. و این معنی عزیزتر از آن است که هرکسی را از آن نصیب باشد.

و پیش از این، جهال این علم برکتب مشایخ همین کردند. چون آن خزانه‌های اسرار خداوند به دست ایشان افتاد، معنی آن ندانستند، به دست کلاه‌دوزان جاهل فکندند و به مجلّدان ناباک دادند تا آن را آسترکلاه و جلد دواوین شعر ابونواس و هزل جاحظ گردانیدند و لامحاله چون باز ملک بر دیوار سرای پیرزنی نشیند پر و بالش ببرند.

و خداوند عزّ و جلّ ما را اندر زمانه‌ای پدیدار آورده است که اهل آن هوی را شریعت نام کرده‌اند، و طلب جاه و ریاست و تکبر را عزّ و علم، و ریای خلق را خشیت، و نهان داشتن کینه را اندر دل حلم، و مجادله را مناظره و محاربت و سفاهت را عزّت، و نفاق را زهد و تمنا را ارادت، و هذیان طبع را معرفت و حرکات دل و حدیث

نفس را محبت و الحاد را فقر و جحود را صفوت و زندقه را فنا و ترک شریعت پیغامبر را صلی الله علیه و سلم طریقت و آفت اهل زمانه را معاملت نام کرده‌اند تا ارباب معانی اندر میان ایشان مهجور گشته‌اند و ایشان غلبه گرفته، چون اندر فترت اول اهل بیت رسول صلی الله علیه و سلم با آل مروان. چگونه نیکوگفته است آن شاه اهل حقایق و برهان تحقیق و دقایق، ابوبکر الواسطی، رحمة الله علیه: «أُبْتَلِينَا بِزَمَانٍ لَيْسَ فِيهِ آدَابُ الْإِسْلَامِ وَلَا اخْلَاقُ الْجَاهِلِيَّةِ وَلَا أَحْكَامُ ذَوِي الْمَرْوَةِ.» و شبلی گوید موافق این:

لَحَا اللَّهُ ذِي الدُّنْيَا مَنَاحِيًّا لِرَاكِبٍ فَكُلُّ بَعِيدٍ أَلْهَمٌ فِيهَا مُعَذِّبٌ

فصل

بدان قوایک الله که یافتیم این عالم را محل بعضی اسرار خداوند، و مکونات را موضع ودایع وی، و مثبتات را جایگاه لطایف آن اندر حق دوستانش و جواهر و اعراض و عناصر و اجرام و اشباح و طبایع جمله حجاب آن اسرارند، و اندر محل توحید اثبات این هر یک شرک باشد. پس خداوند تعالی این عالم را اندر محل حجاب بداشته است، تا طبایع هر یک در عالم خود به فرمان وی طمأنینت یافته‌اند و به وجود خود از توحید حق محجوب گشته و ارواح اندر عالم به مزاج وی مشغول گشته و به مقارنت آن از محل خلاص خود دور مانده، تا اسرار ربانی اندر حق عقول مشکل شده است و لطایف قرب اندر حق ارواح پوشیده گشته، تا آدمی اندر مظله غفلت به هستی خود محجوب گشته است و در محل خصوصیت به حجاب خود معیوب گشته؛ چنانکه خداوند تعالی گفت: «وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ (۱ و ۲/العصر)»، و نیز گفت: «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (۷۲/الأحزاب)»، و رسول گفت، صلی الله علیه و سلم: «خَلَقَ اللَّهُ الْخَلْقَ فِي ظِلْمَةٍ ثُمَّ أَلْقَى عَلَيْهِ نُورًا.» پس این حجاب وی را در عالم مزاجش افتاده است به تعلق طبایع بدو و به تصرف عقل اندر او، تا لاجرم به جهلی بسنده کار شده است و مر حجاب خود را از حق به جان خریدار شده؛ از آنچه از جمال کشف بیخبر است و از تحقیق سریرت ربانی معرض، و بر محل ستوران آرمیده، و از محل نجات خود رمیده و بوی توحید ناشنیده و جمال احدیت نادیده و ذوق توحید ناچشیده. به ترکیب از تحقیق مشاهده بازمانده، و به حرص دنیا از ارادت خداوند رجوع کرده. و نفس حیوانیت بی حیات ربانی مر ناطقه را مقهور کرده تا حرکات و طلبش جمله اندر نصیب حیوانیت مقرر شده است و جز خوردن و خفتن و متابع شهوات بودن هیچ چیز نداند. و خداوند عزو جل مر دوستان خود را از این جمله اعراض فرمود و گفت: «ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهَهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ (۳/الحجر)»؛ از آنچه سلطان طبع ایشان سر حق را بر ایشان بیوشیده بود و به جای عنایت و توفیق اندر حق ایشان خذلان و حرمان آمده؛ تا جمله متابع نفس اماره گشتند که این حجاب اعظم است و منبع سوء و شر؛ چنانکه خدای تعالی گفت: «إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ (۵۳/یوسف).»

اکنون من ابتدا کنم و مقصود تو را اندر مقامات و حجب پیدا کنم و بیانی لطیف مر آنرا بگسترانم، و عبارات اهل صنایع را شرح دهم، و لختی از کلام مشایخ بدان پیوندم و از غرر حکایات مر آن را مددی دهم تا مراد تو برآید و آن کسان که در این نگرند از علمای ظاهر و غیرهم، بدانند که طریق تصوف را اصلی قوی است و فرعی مثمر؛ و جمله مشایخ که از اهل علم بودند جمله مریدان را بر آموختن علم باعث بودند و بر مداومت کردن، تا ایشان حریص گردند و هرگز متابع لهو و هزل نبوده‌اند و طریق لغو نسرده‌اند. از پس آن که بسیاری از مشایخ معرفت و علمای ایشان اندر این معانی تصانیف ساخته‌اند و به عبارات لطیف از خواطر ربانی براهین نموده. و بالله العون و التوفیق و حسبنا الله و نعم الرفیق.

باب اثبات العلم

قوله تعالى في صفة العلماء: «أَنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ (۲۸/فاطر)». و پیغمبر گفت، صلی الله علیه و سلم: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ». و نیز گفت، علیه السلام: «أَطْلُبُوا الْعِلْمَ وَلَوْ بِالصَّيْنِ».

و بدان که علم بسیار است و عمر کوتاه، و آموختن جمله علوم بر مردم فریضه نه، چون علم نجوم و طب و علم حساب و صنعت‌های بدیع و آنچه بدین ماند، بجز از این هر یک بدان مقدار که به شریعت تعلق دارد: نجوم مر شناخت وقت را اندر شب، و طب مر احتما را، و حساب مر فرایض و مدت عدت را، و آنچه بدین ماند. پس فرایض علم چندان است که عمل بدان درست آید و خدای عزّ و جلّ ذمّ کرد آنان را که علوم بی منفعت آموزند؛ لقلوله، تعالی: «وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ (۱۰۲/البقره)» و رسول علیه السلام زینهار خواست و گفت: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ».

پس بدان که از علم اندک عمل بسیار توان گرفت، و باید که علم مقرون عمل باشد؛ کما قال، علیه السلام: «الْمُتَعَبِدُ بِلَا فِقْهٍ كَالْحِمَارِ فِي الطَّاحُونَةِ» متعبدان بی فقه را به خر خرآس مانند کرده که هر چند می‌گردد بر پی نخستین باشد و هیچ راهشان رفته نشود.

و از عوام گروهی دیدم که علم را بر عمل فضل نهادند، و گروهی عمل را بر علم و این هر دو باطل است؛ از آن که عمل بی علم عمل نباشد. عمل آنگاه عمل گردد که موصول علم باشد تا بنده بدان مر ثواب حق را متوجه گردد. چون نماز که تا نخست علم ارکان طهارت و شناخت آب و معرفت قبله و کیفیت نیت و ارکان نماز نبود، نماز نماز نبود. پس چون عمل به عین علم عمل گردد، چگونه جاهل آن را از این جدا گوید؟ و آنان که علم را بر عمل فضل نهادند هم محال باشد؛ که علم بی عمل عمل نباشد؛ از آن که آموختن و یادداشتن و یادگرفتن وی جمله عمل باشد، از آن است که بنده بدان مثاب است. و اگر علم عالم به فعل و کسب وی نبودی، وی را بدان هیچ ثواب نبودی.

و این سخون دو گروه است: یکی آنان که نسبت به علم کنند مر جاه خلق را و طاقت معاملت آن ندارند و به تحقیق علم نرسیده باشند، عمل را از آن جدا کنند؛ که نه علم دانند نه عمل، تا جاهلی گوید: «قال نباید، حال باید»، و دیگری گوید: «علم باید، عمل نباید».

و از ابراهیم ادهم رحمة الله علیه می‌آید که: سنگی دیدم بر راه افکنده، و بر آن سنگ نبشته که: «مرا بگردان و بخوان» گفتا: بگردانیدمش. بر آن نبشته بود که: «أَنْتَ لَا تَعْمَلُ بِمَا تَعْلَمُ، كَيْفَ تَطَلَّبُ مَا لَا تَعْلَمُ». تو به علم خود عمل می‌نیاری، محال باشد که نادانسته طلب کنی. «یعنی کار بند آن باش که دانی تا به برکات آن نادانسته نیز بدانی».

و انس بن مالک گوید، رضی الله عنه: «هِمَّةُ الْعُلَمَاءِ الدَّرَائِيَّةُ وَهَمَّةُ السُّفَهَاءِ الرَّوَايَةُ»؛ از آنچه اخوات جهل از علما منفی باشد. آن که از علم، جاه و عزّ دنیا طلبد نه عالم بود؛ زیرا که طلب جاه و عزّ از اخوات جهل بود. و هیچ درجه نیست اندر مرتبه علم؛ که چون آن نباشد هیچ لطیفه خداوند را تعالی نشناسد، و چون آن موجود باشد همه مقامات و شواهد و مراتب را سزاوار باشد.

فصل

بدان که علم دو است: یکی علم خداوند تعالی و دیگر علم خلق و علم بنده اندر جنب علم خداوند تعالی متلاشی بود، زیرا که علم وی صفت وی است و بدو قایم، و اوصاف وی را نهایت نیست؛ و علم ما صفت

ماست و به ما قایم، و اوصاف ما متناهی باشد؛ لقوله، تعالی: «وَمَا أَوْتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (۸۵/الإسراء)». و در جمله علم از صفات مدح است و حدش احاطهٔ المعلوم و تبیین المعلوم و نیکوترین حدود وی این است که: «العلمُ صفةٌ یصیرُ الحیُّ بها عالمًا.» و خدای عزّ و جلّ گفت: «واللهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ (۱۹/البقره)»، و نیز گفت: «واللهُ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِيمٌ (۲۸۲/البقره)». و علم او یک علم است که بدان همی داند جملهٔ موجودات و معدومات را، و خلق را با وی مشارکت نیست و متجزی نیست و ازوی جدا نیست. و دلیل بر علمش ترتیب فعلش؛ که فعل محکم، علم فاعل اقتضا کند. پس علم وی به اسرار لاحق است و به اظهار محیط. طالب را باید که اعمال اندر مشاهدهٔ وی کند؛ چنانکه داند که او بدو و به افعال او بیناست.

همی آید که اندر بصره رئیس بود، به باغی از آن خود رفته بود، چشمش به جمال زن برزگر افتاد. مرد را به شغلی بفرستاد و زن را گفت: «درها دربند.» گفتا: «همه درها بستم، الا یک در؛ که آن نمی توانم در بست.» گفت: «کدام در است آن؟» گفت: «آن در که میان ما و میان خداوند است، جل جلاله.» مرد پشیمان شد و استغفار کرد.

حاتم الاصم گفت، رضی الله عنه: «چهار علم اختیار کردم، از همه عالم برستم.» گفتند: «کدام است آن؟» گفت: «یکی آن که بدانستم خدای را تعالی بر من حقی است که جز من نتواند گزارد کسی آن را، به ادای آن مشغول گشتم. دُئِمَ آن که بدانستم که مرا رزقی است مقسوم که به حرص من زیادت نشود، از طلب زیادتی برآسودم. سیم آن که بدانستم که مرا طالبی است یعنی مرگ که ازوی نتوانم گریخت، او را بساختم. چهارم آن که بدانستم که مرا خدای است جلّ جلالهٔ مطلع بر من، از وی شرم داشتم و ناکردنی را دست برداشتم؛ که چون بنده عالم بود که خداوند تعالی بدو ناظر است چیزی نکند که به قیامت شرم دارد.»

فصل

اما علم بنده باید که در امور خداوند تعالی باشد و معرفت وی، و فریضه بر بنده علم وقت باشد و آنچه بر موجب وقت به کار آید ظاهر و باطن. و این به دو قسم است: یکی اصول و دیگر فروع ظاهر اصول قول شهادت و باطنش تحقیق معرفت و ظاهر فروع برزش معاملت و باطن تصحیح نیت. و قیام هر یک از این بی دیگر محال باشد. ظاهر حقیقت بی باطن نفاق، و باطن حقیقت بی ظاهر زندقه ظاهر شریعت بی باطن نفس و باطن بی ظاهر هوس.

پس علم حقیقت را سه رکن است: یکی علم به ذات خداوند عزو جل و وحدانیت وی و نفی تشبیه از ذات پاک وی جل جلاله و دیگر علم به صفات وی و احکام آن و سدیگر علم به افعال و حکمت وی.

و علم شریعت را سه رکن است: یکی کتاب و دیگر سنت و سیم اجماع امت. و دلیل بر علم به اثبات ذات و صفات پاک و افعال خدای تعالی قوله، تعالی: «فَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (۱۹/محمد)»، و نیز گفت: «فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلِيكُمْ (۴۰/الأنفال)»، و نیز گفت: «أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ (۴۵/الفرقان)»، و نیز گفت: «أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (۱۷/الغاشیه)». و مانند این آیات بسیار است که جمله دلایل اند بر نظر کردن اندر افعال وی تعالی و تقدس تا بدان افعال، فاعل را به صفات وی بشناسند.

و پیغمبر گفت، صلی الله علیه و سلم: «مَنْ عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَبُّهُ وَ أَنِّي نَبِيُّهُ حَرَّمَ اللَّهُ تَعَالَى لِحَمِهِ وَ دَمَهُ عَلَى النَّارِ.»

اما شرط علم به ذات خداوند تعالی آن است که وی بدانند که خداوند تعالی موجود است اندر قدم ذات خود و بی حد و بی حدود است و اندر مکان و جهت نیست، و ذاتش موجب آفت نیست. از خلش کسی مانند نیست.

وی را زن و فرزند نیست هرچه اندر وهم صورت گیرد و اندر خرد اندازه بندد، وی جلّ جلاله آفریدگار آن است و دارنده و پروردگار آن؛ لقله، تعالی: «لِيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (۱۱/الشوری)».

و اما علم به صفات وی آن است که بدانی که صفات وی تعالی بدو موجود است که آن نه وی است و نه جز وی، بدو قایم است و او به خود قایم و دایم، چون علم و قدرت و حیات و ارادت و سمع و بصر و کلام و بقا؛ لقله، تعالی: «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (۴۳/الأنفال)»، و نیز گفت: «وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (۲۸۴/البقره)، و نیز گفت: «هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ (۶۵/الغافر)» و نیز گفت: «وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ (۱۱/الشوری)»، و نیز گفت: «فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ (۱۰۷/هود)»، و نیز گفت: «قَوْلُهُ الْحَقُّ (۷۳/الأنعام)».

اما علم به اثبات افعال وی آن است که بدانی که وی تعالی و تقدس آفریدگار خلقان است و خالق افعال ایشان است و عالم نابوده، هست به فعل وی شده است، مقدر خیر و شر است، خالق نفع و ضرر است؛ لقله، تعالی: «اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ (۶۲/الزّمر)».

و دلیل بر اثبات احکام شریعت آن است که بدانی که از خداوند تعالی به ما رسولان آمدند با معجزهای ناقص عادت، و رسول ما، محمد مصطفی صلی الله علیه و سلم حق است و وی را معجزات بسیار است و آنچه ما را خبر داده است از غیب و عین، جمله حق است. رکن اول از شریعت کتاب است؛ لقله، تعالی: «منه آیاتٌ محکماتٌ (۷/آل عمران)»، و دیگر سنت است؛ لقله، تعالی: «وَمَا آتَيْكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَيْكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا (۷/الحشر)»، و سدیکر اجماع امت است؛ لقله، علیه السلام: «لَا يَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى الضَّلَالَةِ، عَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْعَظِيمِ.» و در جمله احکام شریعت بسیار است، و اگر کسی خواهد تا جمله را جمع کند نتواند؛ از آن که لطایف خداوند تعالی رانهایت نیست.

فصل

بدان که گروهی اند از ملاحده لعنهم الله که مر ایشان را سوفسطائیان خوانند و مذهب ایشان آن است که: «به هیچ چیز علم درست ناید و علم خود نیست.» با ایشان گوئیم که: «این دانش که می دانید که به هیچ چیز علم درست نیاید، درست هست یا نی؟» اگر گویند: «هست»، علم اثبات کردند و اگر گویند: «نیست»، پس چیزی که درست نیاید، آن را معارضه کردن محال باشد و با آن کس سخن گفتن از خرد نبود.

و گروهی از ملاحده که تعلق بدین طریق دارند، همین گویند که: «علم ما به هیچ چیز درست نیاید. پس ترک علم، ما را تمام تر از اثبات آن باشد.» و این از حُقم و ضلالت و جهالت ایشان بود؛ که ترک علم از دو بیرون نباشد: یا به علمی بود یا به جهلی. پس علم مر علم را نفی نکنند و ضد نیاید، و به علم ترک علم محال باشد، مانند اینجا جهل؛ و چون درست شد که نفی علم جهل باشد و ترک آن به جهل بود و جاهل مذموم باشد و جهل قرینه کفر، باطل باشد که حق را به جهل تعلق بود و این خلاف جمله مشایخ است و چون این قول را مردمان بشنیدند و بر این ارتکاب کردند، گفتند که مذهب جمله اهل تصوّف این است و روششان چنین؛ تا اعتقاد ایشان مشوش شد و از تمیز کردن حق از باطل باز ماندند.

و ما امور جمله به خداوند تعالی تسلیم کردیم تا دربار ضلالت خود همی باشند. اگر دین گریبانگیر ایشان گرددی تصرف بهتر از این کنند و حکم رعایت را دست بندارند و اندر دوستان خدای عزّ و جلّ بدین چشم ننگرندی و احتیاط روزگار خود نکوترکنندی. و اگر قومی از ملاحده تعلق به احرار کردند تا به جمال ایشان خود از آفتها رستگار گردند و اندر سایه عزّ ایشان زندگانی کنند، چرا باید که همگنان را بر ایشان قیاس گیرند و اندر معاملات ایشان مکابره عیان بر دست گیرند و قدر ایشان در زیر پای آرند؟

و مرا با یکی از متلبسان علم که کلاه رعونت را عز علم نام کرده است و متابعت هوی را سنت رسول علیه السلام و موافقت شیطان را سیرت امام، مناظره همی رفت. اندر آن میان گفت: «ملاحظه دوازده گروه‌اند. یک گروه اندر میان متصوفه‌اند.» گفتیم: «اگر یک گروه در میان ایشان‌اند، یازده گروه اندر میان شمایند. ایشان خود را از یک گروه بهتر نگاه توانند داشت که شما از یازده گروه.»

اما این جمله از نتیجه فتور زمانه است و آفتیایی که پدیدار آمده است و خداوند تعالی پیوسته اولیای خود را اندر میان قومی مستور داشته است و آن قوم را از جهت ایشان اندر میان خلق مهجور داشته و نیکوگشته است آن پیر پیران، و آفتاب مریدان، علی بن بندار الصیرفی، رحمة الله علیه: «فَسَادُ الْقُلُوبِ عَلَى حَسَبِ فَسَادِ الزَّمَانِ وَ أَهْلِهِ».

اکنون من فصلی اندر اقاویل ایشان بیارم تا تنبیهی باشد مر آن را که از حق تعالی عنایتی اندر کار وی صادق است از منکران بدین طایفه و بالله التوفیق.

فصل

محمد بن الفضل البلخی گوید، رحمة الله: «الْعُلُومُ ثَلَاثَةٌ: عِلْمٌ مِنَ اللَّهِ، وَ عِلْمٌ مَعَ اللَّهِ، وَ عِلْمٌ بِاللَّهِ». علم بالله علم معرفت است که همه اولیای او، او را بدو دانسته‌اند و تاتعریف و تعرف او نبود ایشان وی را ندانستند؛ از آنچه همه اسباب اکتساب مطلق از حقتعالی منقطع است و علم بنده مر معرفت حق را علت نگردد؛ که علت معرفت وی تعالی و تقدس هم هدایت و اعلام وی بود و علم من الله علم شریعت بود که آن از وی به ما فرمان و تکلیف است و علم مع الله علم مقامات طریق حق و بیان درجت اولیا بود. پس معرفت بی پذیرفت شریعت درست نیاید و برزش شریعت بی اظهار مقامات راست نیاید.

و ابوعلی ثقفی رحمة الله علیه گوید: «الْعِلْمُ حَيَاةُ الْقَلْبِ مِنَ الْجَهْلِ وَ نُورُ الْعَيْنِ مِنَ الظُّلْمَةِ». علم زندگی دل است از مرگ جهل و نور چشم یقین از ظلمت کفر و هرکه را علم معرفت نیست دلش به جهل مرده است و هرکه را علم شریعت نیست دلش به نادانی بیمار است. پس دل کفار مرده باشد که به خداوند تعالی جاهل‌اند و دل اهل غفلت بیمار؛ که به فرمانهای وی جاهل‌اند.

ابوبکر وراق ترمذی گوید، رحمة الله علیه: «مَنْ اِكْتَفَى بِالْكَلامِ مِنَ الْعِلْمِ دُونَ الزُّهْدِ تَزَنَّدَقَ وَ مَنْ اِكْتَفَى بِالْفِقْهِ دُونَ الْوَرَعِ تَفَسَّقَ».

هرکه از علم توحید به عبارت بسنده کند و از اضداد آن روی نگرداند زندیق شود و هرکه به علم شریعت وفقه بی ورع بسنده کند فاسق گردد و مراد اندر این آن است که بی معاملت و مجاهدت تجرید توحید جبر باشد، و موحد جبری قول و قدری فعل باشد تا روش وی اندر میان جبر و قدر درست آید و این حقیقت آن است که آن پیرگفت، رحمة الله علیه: «التَّوْحِيدُ دُونَ الْجَبْرِ وَ فَوْقَ الْقَدَرِ». پس هرکه بی معاملت به عبارت آن بسنده کند زندیق شود و اما فقه را شرط احتیاط و تقوی باشد. هرکه به رُخْص و تأویلات و تعلق شُبُهات مشغول گردد و بدون مذهب به گرد مجتهدان گردد مر آسانی را، زودکه به فسق درافتد و این جمله از غفلت پدیدار آید.

و نیکوگفته است شیخ المشایخ، یحیی بن مُعَاذِ الرَّازِي، رحمة الله علیه: «اِجْتَنِبْ صُحْبَةَ ثَلَاثَةِ اَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ: الْعُلَمَاءِ الْغَافِلِينَ، وَ الْقُرَّاءِ الْمُدَاهِنِينَ وَ الْمُتَصَوِّفَةَ الْجَاهِلِينَ».

اما علمای غافل آنان باشند که دنیا را قبله دل خود گردانیده باشند، و از شرع آسانی اختیار کرده و پرستش سلاطین بر دست گرفته و درگاه ایشان را طوافگاه خود گردانیده و جاه خلق را محراب خود کرده و به غرور زیرکی خود فریفته گشته و به دقت کلام خود مشغول دل شده و اندر ائمه و استادان زبان طعن برگشاده و به قهر کردن

بزرگان دین به سخنی که بروی زیادت آوردن بود مشغول گشته؛ آنگاه اگر کونین اندر پله ترازوی وی نهند پدیدار نیاید؛ آنگاه حقد و حسد را مذهب گردانیده در جمله این همه علم نباشد، و علم صفتی بود که انواع جهل از موصوف آن بدان منفی باشد.

اما قرّای مداهنین آنان باشند که چون فعل کسی بر موافقت هوای وی باشد، اگرچه باطل بود بر آن فعل وی را مدح گویند و چون بر مخالفت هوای ایشان کاری کنند، اگرچه حق بود وی را بر آن ذم کنند و از خلق به معاملت خود جاه بیوسند و بر باطل مر خلق را مداهنت کنند.

اما متصوّف جاهل آن بود که صحبت پیری نکرده باشد، و از بزرگی ادب نیافته، و گوشمال زمانه نچشیده، و به نابینایی کبودی اندر پوشیده و خود را در میان ایشان انداخته و در بی حرمتی طریق انبساطی می سپرد اندر صحبت ایشان و حقم وی، وی را بر آن داشته که جمله را چون خود پندارد؛ و آنگاه طریق حق و باطل بر وی مشکل بود.

پس این سه گروه را که آن موفق یادکرد و مرید را از صحبت ایشان اعراض فرمود، مراد آن بود که ایشان اندر دعاوی خود کاذب بودند و اندر روش ناتمام.

و ابویزید بسطامی رحمة الله علیه گوید: «عَمِلْتُ فِي الْمَجَاهِدَةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً، فَمَا وَجَدْتُ شَيْئاً أَشَدَّ عَلَيَّ مِنَ الْعِلْمِ وَ مُتَابَعَتِهِ. سَيِّئٌ سَالٍ مَجَاهِدَتِ كَرْدَمِ بَرِّ مَن هَيْجَ حَيْجِ شَيْءٍ سَخْتِ تَرِزِزِ عِلْمِ وَ مُتَابَعَتِ أَنْ نِيَامِد.»

و در جمله قدم بر آتش نهادن بر طبع آسان تر از آن که بر موافقت علم رفتن، و بر صراط هزار بارگذشتن بر دل جاهل آسان تر از آن آید که یک مسأله از علم آموختن، و اندر دوزخ خیمه زدند نزدیک فاسق دوست تر که یک مسأله از علم کار بستن. پس بر تو بادا علم آموختن و اندر آن کمال طلبیدن و کمال علم بنده جهل بود به علم خداوند، عز اسمّه. باید که چندان بدانی که بدانی که ندانی. و این آن معنی بود که بنده جز علم بندگی نتواند دانست و بندگی حجاب اعظم است از خداوندی؛ تا یکی اندر این معنی گوید:

العجـزُ عـنْ دَرِكِ الإِدْرَاكِ إِدْرَاكٌ وَالْوَقْفُ فِي طُرُقِ الْأَخْيَارِ إِشْرَاكٌ

آن که نیاموزد و بر جهل مصر باشد مشرک بود، و آن که بیاموزد و اندر کمال علم خود منفی گردد، پندار علمش برخیزد و بدانند که علم وی بجز عجز اندر علم عاقبت وی نیست؛ که تسمیات را اندر حق معانی تأثیری نباشد. والله اعلم.

باب الفقر

بدان که درویشی را اندر راه خداوند عزّ و جلّ مرتبتی عظیم است، و درویشان را خطری بزرگ؛ کما قال الله، تعالی: «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ (۲۷۳/البقره)». و نیز گفت: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ (۷۵/النحل)». و نیز گفت: «تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَ طَمَعًا (۱۶/السجده)».

و رسول صلی الله علیه و سلم فقر را اختیار کرد و گفت: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَسْكِينًا وَ أَمِتْنِي مَسْكِينًا وَ احْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ.» و نیز گفت: در روز قیامت خداوند تعالی گوید: «أَدْنُوا مِنِّي أَحْبَائِي. يَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مَنْ أَحْبَابُكَ؟» فيقول: فقراء المسلمين.

و مانند این آیات و اخبار بسیار است، تا حدی که از مشهوری به اثبات آن حاجت نیاید مر صحت دلایل را. و اندر وقت پیغمبر علیه السلام فقرای مهاجرین بودند آنان که اندر حکم ادای عبودیت و صحبت پیغمبر علیه

السَّلام نشسته بودند اندر مسجد وی و از اشغال بکلی اعراض کرده و به ترک معارضه بگفته، و خداوند تعالی را به روزی خود استوار داشته و توکل بر وی کرده، تا رسول صلی الله علیه و سلم مأمور بود به صحبت و قیام کردن به حق ایشان؛ چنانکه فرمود، عزمن قائل: «وَلَا تَطْرُدُ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ» (۵۲/الأنعام)، و نیز گفت: «وَلَا تُعَدُّ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطْعَمَنَّ مَنْ أَعْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا» (۲۸/الکھف)، تا رسول علیه السَّلام هرکجا یکی از ایشان بدیدی گفتی: «مادر و پدرم فدای آنان باد که خداوند تعالی بر من از برای ایشان عتاب کرد.»

پس خداوند تعالی مر فقرا را مرتبتی و درجتی بزرگ داده است و مر فقرا را بدان مخصوص گردانیده تا به ترک اسباب ظاهری و باطنی گفته‌اند و بکلّیت به مسبب رجوع کرده؛ تا فقر ایشان فخر ایشان گشت، تا به رفتن آن نالان شدند و به آمدن آن شادمان گشتند و مر آن رادر کنار گرفتند و بجز اخوات آن را جمله خوار گرفتند.

اما فقر را رسمی و حقیقتی است. رسمش افلاس اضطراری است، و حقیقتش اقبال اختیاری. آن که رسم دید به اسم بیارامید، و چون مراد نیافت از حقیقت برمید. و آن که حقیقت یافت روی از موجودات برتافت، و به فنای کل، اندر رؤیت کل، به بقای کلی بشتافت. «مَنْ لَمْ يَعْرِفْ سِوَى رِسْمِهِ لَمْ يَسْمَعْ سِوَى اسْمِهِ.» پس فقیر آن بود که هیچ چیزش نباشد و اندر هیچ چیز خلل نه. به هستی اسباب غنی نگردد، و به نیستی آن محتاج سبب نه. وجود و عدم اسباب به نزدیک فقرش یکسان بود، و اگر اندر نیستی خرم تر بود نیز روا بود؛ از آنچه مشایخ گفته اند که: «هر چند درویش دست تنگ تر بود، حال بروی گشاده تر بود.» ازیرا چه وجود معلوم مر درویش را شوم بود؛ تا حدی که هیچ چیز را در بند نکند، الا هم بدان مقدار اندر بند شود. پس زندگانی دوستان حق به الطاف خفی و اسرار بهی است با حق، نه به آلات دنیای غدار و سرای فجار. پس متاع متاع باشد از راه رضا. همی آید که درویشی را با ملکی ملاقات افتاد. ملک گفت: «حاجتی بخواه.» گفت: «من از بنده بندگان خود حاجت نخواهم.» گفت: «این چگونه باشد؟» گفت: «مرا دو بنده اند که هر دو خداوندان تواند: یکی حرص و دیگر امل.» و رسول گفت، صلی الله علیه و سلم: «الْفَقْرُ عَزٌّ لِأَهْلِهِ.»

پس چیزی که اهل را عز بود مر نا اهل را ذل بود و عزش آن است که فقیر محفوظ الجوارح بود از زلل و محفوظ الحال از خلل. نه بر تنش معصیت و زلت رود و نه بر حالش خلل و آفت صورت گیرد؛ از آنچه ظاهرش مستغرق نعم ظاهره بود و باطنش منبع نعم باطنه، تا تنش روحانی بود و دلش ربانی. خلق را بدو حواله نماند و آدم را بدو نسبت نه، تا از حواله خلق و نسبت آدم فقیر بود و به ملک این عالم غنی نگردد اندر این عالم و به ملک آن عالم غنی نگردد اندر آن عالم. و کونین اندر پله ترازوی فقرش به پریشه‌ای نسنجد و یک نفس وی اندر هر دو عالم نگنجد.

فصل

و خلاف کرده‌اند مشایخ این قصه رحمهم الله اندر فقر و غنا تا کدام فاضل ترند اندر صفات خلق؛ از آنچه خداوند تعالی غنی بر حقیقت است و کمال اندر جمله اوصاف وی است، جل جلاله. یحیی بن معاذ الرازی و احمد ابن ابی الحواری و حارث المحاسبی و ابوالعباس عطا و رویم و ابوالحسن بن سمعون، و از متأخران شیخ المشایخ ابوسعید فضل الله بن محمد المیهنی رحمة الله علیهم اجمعین بر آن اند که: «غنا فاضل تر که فقرو» و دلیل آرند که: «غنا صفت حق تعالی است و فقر بر وی روا نیست. پس اندر دوستی، صفتی که مشترک باشد میان بنده و خداوند تعالی تمام تر بود از آن صفت که بر وی تعالی و تقدس روا نباشد.»

گوییم: این شرکت اندر اسم است نه در معنی؛ که شرکت معنی را مماثلت باید. چون صفات وی قدیم است و از

آن خلق محدث، این دلیل باطل بود.

و من همی گویم که علی بن عثمان الجلابی ام وَفَّقَنِي اللَّهُ بِالْخَيْرِ كَه: غنا مر حق را نامی است بسزا و خلق مستحق این نام نباشد، و فقر مر خلق را نامی است بسزا و بر حق آن نام روا نباشد و آن که به مجاز مرکسی را غنی خوانند نه چنان بود که غنی بر حقیقت بود و نیز دلیل واضح‌ترین آن که غنای ما به وجود اسباب بود و ما مسبب باشیم اندر حال قبول اسباب، و وی مسبب الأسباب است و غنای وی را سبب نیست. پس شرکت اندر این صفت باطل بود و نیز چون اندر عین، شرکت روا نیست کس را با وی اندر صفت هم روا نباشد، و چون اندر صفت روا نبود، اندر اسم هم روا نبود. ماند اینجا تسمیه و تسمیه نشانی است میان خلق و آن را حدی. پس غنا مر خدای تعالی را آن است که وی را به هیچ کس و هیچ چیز نیاز نیست و هر چه خواهد کند. مرادش را دافعی نی، و قدرتش را مانعی نی، و بر قلب اعیان و آفرینش ضدین توانا، و همیشه بدین صفت بود و باشد. و غنای خلق، منال معیشتی و یا وجود مسرتی یا رستن از آفتی، و یا آرام به مشاهدتی، و این جمله محدث و متغیر بود و مایه طلب و تحسر و موضع عجز و تدلل. پس این اسم بنده را مجاز بود و حق را تعالی حقیقت؛ لقله، تعالی: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ (۱۵/فاطر)»، و نیز گفت: «وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ (۳۸/محمد)». و نیز گروهی از عوام گویند: «توانگر را فضل نهیم بر درویش؛ ازیرا چه خداوند تعالی او را اندر دو جهان سعید آفریده است و منت به توانگری بر وی نهاده»، و آن گروه اینجا غنا کثرت دنیا و یافتن کام و راندن شهوت خواهند و بر این دلیل کنند که: «بر غنا شکر فرمود و اندر فقر صبر. پس صبر اندر بلا بود و شکر اندر نعم، و بحقیقت نعماً فاضل تر از بلد بود.»

گوییم: بر نعمت شکر فرمود و شکر را علت زیادت نعمت گردانید و بر فقر صبر فرمود و صبر را علت زیادت قربت گردانید؛ لقله، تعالی: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ (۷/ابراهیم)»، و نیز گفت: «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ (۱۵۳/البقره)». هر که اندر نعمتی که اصل آن غفلت است شکر کند، غفلتش بر غفلت زیادت کنیم، و هر که اندر فقری که اصل آن بلیت است صبر کند، قربتش بر قربت زیادت کنیم.

اما غنایی که مشایخ مر آن را فضل نهند بر فقر، مرادشان نه آن بود که عوام مر آن را غنا خوانند؛ که این غنا یافت نعم بود و آن یافت منعم، پس یافت وصلت چیزی دیگر بود و یافت غفلت چیزی دیگر. شیخ بوسعید رحمة الله علیه گوید: «الْفَقْرُ هُوَ الْغِنَى بِاللَّهِ»، و مراد از این، کشف ابدی باشد به مشاهده حق. گوییم: مکاشف ممکن الحجاب باشد. پس اگر این صاحب مشاهدت را محجوب گرداند از مشاهدت، محتاج آن گردد، یا نه؟ اگر گوید: «نگردد»، محال باشد؛ و اگر گوید: «گردد»، گوییم: چون احتیاج آمد اسم غنا ساقط شد و نیز غنا به خداوند قائم الصفة و ثابت المراد باشد، و به اقامت مراد و اثبات اوصاف آدمیت غنا درست نیاید؛ که عین این خود مر غنا را قابل نیست؛ از آنچه وجود بشریت عین نیاز باشد و علامت حدث عین احتیاج. پس باقی الصفة غنی باشد و فانی الصفة مر هیچ اسم را شایسته نباشد. پس «الْغِنَى مَنْ أَعْنَاهُ اللَّهُ»؛ از آنچه غنی بالله فاعل بود و أَعْنَاهُ اللَّهُ مفعول و فاعل به خود قایم بود و مفعول به فاعل قایم بود. پس اقامت به خود صفت بشریت بود و اقامت به حق محو صفت.

و من که علی بن عثمان الجلابی ام وَفَّقَنِي اللَّهُ چنین گویم که: چون درست شد که غنای بر حقیقت بر بقای صفت درست نیاید؛ که بقای صفت محل علت بود به دلایل مذکور و موجب آفت، و فنای صفت خود غنا نباشد؛ ازیرا که هر چه به خود باقی نباشد آن را نامی نهند، پس غنا را فنا صفت بود و چون صفت فانی شد محل اسم ساقط گشت، بر این کس نه اسم فقر افتد و نه اسم غنا.

و باز جمله مشایخ و بیشتری از عوام فضل نهند فقر را بر غنا؛ از آن که کتاب و سنت به فضل آن ناطق است و

بیشتری از امت بر آن مجتمع‌اند.

و اندر حکایات یافتیم که: روزی جنید و ابن عطا رحمهما الله را در این مسأله سخن همی رفت. ابن عطا دلیل آورد بر آن که: «اغنیا فاضل‌ترند؛ که با ایشان به قیامت حساب کنند و حساب شنوایدن کلام بی واسطه باشد اندر محل عتاب، و عتاب از دوست به دوست باشد.» جنید گفت: «اگر با اغنیا حساب کنند، از درویشان عذر خواهند و عذر فاضل‌تر از عتاب حساب.»

و اینجا لطیفه‌ای عجب است. گوییم که: اندر تحقیق محبت، عذر بیگانگی باشد و عتاب مخالفت و دوستان اندر محلی باشند که این هر دو اندر احوال ایشان آفت نماید؛ از آن که عذر بر موجب تقصیری بود که اندر حق دوست کرده باشد. چون دوست حق خود از وی طلب کند، او از وی عذر خواهد و عتاب بر موجب تقصیری که رفته باشد اندر فرمان دوست؛ آنگاه دوست بدان تقصیر وی را عتاب کند و این هر دو نیز محال باشد.

و در جمله مُطالب باشند فقرا به صبر و اغنیا به شکر، و اندر تحقیق دوستی نه دوست از دوست چیزی طلبد و نه دوست فرمان دوست ضایع کند. پس «ظَلَمَ مَنْ سَمَىٰ ابْنَ آدَمَ أَمِيرًا وَ قَدْ سَمَاهُ رَبُّهُ فَقِيرًا.» آن را که نامش از حق فقیر است، اگرچه امیر است، فقیر است. هلاک گشت آن که پندارد که وی نه اسیر است، اگرچه جایگاهش تخت و سریر است؛ ازیرا که اغنیا صاحب صدقه بوند و فقرا صاحب صدق و هرگز صدق چون صدقه نباشد. پس اندر حقیقت فقر سلیمان چون غنای سلیمان بود؛ از آنچه ایوب را اندر شدت صبرش گفت: «نِعْمَ الْعَبْدُ (ص/۴۴)»، و سلیمان را اندر استقامت ملکش، گفت: «نِعْمَ الْعَبْدُ (ص/۳۰)». چون رضای رحمان حاصل شد فقر سلیمان را چون غنای سلیمان گردانید.

و از استاد ابوالقاسم قشیری رضی الله عنه شنیدم که گفت: «مردمان اندر فقر و غنا، هرکسی سخن گفته‌اند و خود را چیزی اختیار کرده و من آن اختیار کنم که حق مرا اختیار کند و مرا اندر آن نگاه دارد. اگر توانگر دارم غافل و گذشته نباشم و اگر درویش دارم حریص و معرض نباشم.»

پس غنا نعمت و اعراض اندر وی آفت، و فقر نعمت و حرص اندر وی آفت. معانی جمله نیکو، روش اندر او مختلف و فقر فراغت دل از مادون و غنا مشغولی دل به غیر؛ چون فراغت آمد، فقر از غنا اولی‌تر نه و غنا از فقر اولی‌تر نه. غنا کثرت متاع و فقر قلت آن و متاع بجمله از آن خداوند؛ چون طالب به ترک ملکیت بگفت، شرکت از میان برخاست و از هر دو اسم فارغ شد.

فصل

و مشایخ این طریقت را، اندر این معنی، هر یکی را رمزی است و من به مقدار امکان اقاویل ایشان بیارم اندر این کتاب، ان شاء الله، عزّ و جلّ.

یکی از متأخران گوید: «لَيْسَ الْفَقِيرُ مَنْ خَلَا مِنَ الزَّادِ، اِنَّمَا الْفَقِيرُ مَنْ خَلَا مِنَ الْمُرَادِ.» فقیر نه آن بود که دستش از متاع و زاد خالی بود، فقیر آن بود که طبعش از مراد خالی بود؛ چنانکه خداوند تعالی وی را مالی دهد، اگر مراد حفظ مال باشدش غنی بود و اگر مراد ترک مال باشد هم غنی بود؛ که هر دو تصرف است اندر ملک غیر، و فقر ترک تصرف بود.

یحیی بن مُعَاذ گوید، رضی الله عنه: «عَلَامَةُ الْفَقْرِ خَوْفُ الْفَقْرِ.» علامت صحت فقر آن است که بنده اندر کمال ولایت و قیام مشاهدت و فنای صفت، می‌ترسد از زوال و قطعیت. پس به کمال آن رسید که از قطعیت بترسد.

رُؤِيم گوید، رحمة الله علیه: «مِنْ نَعْتِ الْفَقِيرِ حِفْظُ سِرِّهِ وَ صِيَانَةُ نَفْسِهِ وَ اَدَاءُ فَرَائِضِهِ.»

آن که سرش از اغراض محفوظ باشد و تنش از آفات مصون و احکام فرایض بر وی جاری؛ چنانکه آنچه بر اسرارگذرد اظهار را مشغول نگرداند، و آنچه بر اظهارگذرد اسرار را مشغول نگرداند و غلبه آن از گزارد امر بازندارد و این علامت ازالت بشریت بود که کل بنده موافق حق گردد، و این هم به حق گردد.

بشر حافی گوید، رحمة الله علیه: «أَفْضَلُ الْمَقَامَاتِ إِعْتِقَادُ الصَّبْرِ عَلَى الْفَقْرِ إِلَى الْقَبْرِ.»
اعتقادکردن بر مداومت صبر بر درویشی، و این صبرکردن و اعتقادکردن از جمله مقامات بنده بود و فقر فنای مقامات بود. پس اعتقاد صبر بر فقر علامت رؤیت آفت اعمال بود و سَمَتِ فَنَاءِ اَوْصَافٍ؛ اما معنی ظاهر این قول تفضیل فقر است بر غنا و اعتقادکردن که هرگز روی نگردانم از طریق فقر.

شبلی گوید، رحمة الله علیه: «الْفَقِيرُ لَا يَسْتَعْنِي بِشَيْءٍ دُونَ اللَّهِ.»
درویش دون حق به هیچ آرام نیابد؛ از آنچه چیزی مراد و کامشان نباشد. و ظاهر لفظ آن است که جز بدو توانگری نیابی، چون او را یافتی توانگر شدی. پس هستی تو دون وی است چون توانگری به دون وی نیابی، تو حجاب توانگری گشتی و چون تو از راه برخی توانگر که باشد؛ و این معنی سخت غامض و لطیف است به نزدیک اهل این معنی و حقیقت معنی این آن بود که: «الْفَقْرُ لَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ.» یعنی فقر آن بود که هرگز مر آن را غنا نباشد.

و این آن معنی است که آن پیرگفت رضی الله عنه که: «اندوه ما ابدی است. نه هرگز همت ما مقصود را بیابد و نه کلیت ما نیست گردد اندر دنیا و آخرت»؛ از آنچه یافتن چیزی را مجانست باید و وی جنس نه، و اعراض از حدیث وی را غفلت باید و درویش غافل نه. پس گرفتاری است فتاده همیشگی، و راهی پیش آمده مشکل و آن دوستی است با آن که کس را به دیدار وی راه نه و وصال وی از جنس مقدور خلق نه و بر فنا تبدیل صورت نه و بر بقا تغییر روا نه. هرگز فانی باقی شود تا وصلت بود و یا باقی فانی شود تا قربت بود؛ کار دوستان وی از سر به سر. تسلی دل را عبارتی مزخرف ساخته و آرام جان را مقامات و منازل و طریق هویدا گردانیده. عبارتشان از خود به خود، مقاماتشان از جنس به جنس و حق تعالی منزّه از اوصاف و احوال خلق.

و ابوالحسن نوری رحمة الله علیه گوید: «نَعْتُ الْفَقِيرَ السُّكُونَ عِنْدَ الْعَدَمِ وَ الْبَدْلُ عِنْدَ الْوُجُودِ.»
چون نیابند خاموش باشند و چون بیابند دیگری را بدان اولی تر از خود دانند و بذل کنند. پس آن را که مراد لقمه ای باشد چون از مراد بازماند دلش ساکن بود و چون آن لقمه پدیدار آید آن را که اولی تر از خود داند بدان آن را بدو دهد. و اندر این قول دو معنی است: سکونش در حال عدم رضا بود و بذلش در حال وجود محبت؛ از آنچه راضی قابل خلعت بود و اندر خلعت نشان قربت بود و محبت تارک خلعت بود که اندر خلعت نشان فرقت بود. سکونش اندر عدم، انتظار وجود بود و چون موجود گشت آن وجود غیر وی بود و وی را با غیر آرام نبود به ترک آن بگفت. و این معنی قول شیخ المشایخ ابوالقاسم الجنید بن محمد رضی الله عنه است: «الْفَقْرُ خُلُقٌ الْقَلْبِ عَنِ الْأَشْكَالِ.» چون دل از اندیشه شکل خالی بود و شکل موجود، بجز انداختن آن چه روی بود؟
شبلی گوید، رحمة الله علیه: «الْفَقْرُ بَحْرُ الْبَلَاءِ وَ بَلَاءُهُ كُلُّهُ عَزٌّ.»

درویشی دریای بلاست و بلاهای وی جمله عزّ است. عزّ نصیب غیر است، مبتلا در عین بلاست وی را از عزّ چه خبر؟ تا آنگاه که از بلا به مبلی نگرد آنگاه بلاش بجمله عزّ گردد و عزش جمله وقت و وقتش جمله محبت و محبتش جمله مشاهده تا دماغ محل دیدار شود از غلبه خیال؛ تا بی دیده، بیننده گردد و بی گوش شنونده. و بس عزیز بنده ای باشد که بار بلای دوست کشد؛ که بلا عزّ بر حقیقت است و نعمتا ذل بر حقیقت؛ از آنچه عزّ آن بود که بنده را به حق حاضر کند و ذل آن که غایب کند. و بلای فقر نشان حضور است و راحت غنا نشان غیبت است. پس حاضر به حق عزیز باشد و غایب از حق ذلیل. این معنی را که بلای آن مشاهده است و ادبارش

انس، تعلق به هر صفت از آن که باشد غنیمت بود.

جنیدگوید، رحمة الله علیه: «يا مَعْشَرَ الْفُقَرَاءِ، إِنَّكُمْ تُعْرَفُونَ بِاللَّهِ وَتُكْرَمُونَ لِلَّهِ، فَانظُرُوا كَيْفَ تَكُونُونَ مَعَ اللَّهِ إِذَا خَلَوْتُمْ بِهِ.»

ای شما که درویشانید، شما را به خداوند شما شناسند و از برای وی را کرامت کنند. بنگرید تا اندر خلأ با وی چگونه می‌باشید؛ یعنی چون خلق شما را درویش خوانند، حق شما را بگزاردند، شما حق طریقت درویشی چگونه خواهید گزارد؟ و اگر خلق شما را به نامی دیگر خوانند به خلاف دعوی شما، آن از ایشان مبیند که شما نیز انصاف دعوی خویش می‌ندهید؛ که باز پس تر از آن کسی نبود که خلقش از آن او دانند و او از آن او نباشد و خنک آن کسی که خلقش از آن او دانند و او از آن او بود و عزیزتر آن که خلق او را نه از آن حق دانند و او از آن حق بود. مثل آن که خلقش از آن او دانند و او نه از آن او باشد چون یکی بود که دعوی طبیعی کند و بیماران را علاج کند و چون خود بیمار شود طیب دیگرش باید. و مثل آن که خلقش از آن حق دانند و او از آن حق باشد، چون یکی بود که دعوی طبیعی کند و بیماران را علاج کند و چون خود بیمار شود داروی خود نیز داند کردن. و مثل آن که خلقش نه از آن حق دانند و او از آن حق بود، چون یکی بود که طیب باشد و خلق را بدان علم نه، و وی از مشغولی خلق فارغ و خود را به غذاهای موافق و شربتهای نیکو و مفرجهای سازگار و هواهای معتدل نیکو می‌دارد تا بیمار نگردد، و چشم خلق از جمله احوال او فرودخته باشد.

و بعضی از متأخران گفته‌اند: «الْفَقْرُ عَدَمٌ بِلَا وُجُود.»

و عبارت از این قول منقطع است؛ زیرا که معدوم شیء نباشد و عبارت جزاز شیء نتوان کرد. پس اینجا چنین صورت بود که فقر هیچ چیزی نبود، و عبارات و اجتماع جمله اولیای خدای تعالی بر اصلی نباشد که اندر عین خود فانی و معدوم باشد. و اینجا از این عبارات نی عدم عین خواهند؛ که عدم آفت خواهند از عین و کل اوصاف آدمی آفت بود و چون آفت نفی شود آن فنای صفت باشد و فنای صفت آلت رسیدن و نارسیدن از پیش ایشان برگردد، مر ایشان را عدم روش نفی عین نماید و اندر آن هلاک گردند.

و من گروهی دیدم از متکلمان که صورت این معلوم نکرده بودند و بر این می‌خندیدند که: «این سخن معقول نیست.» و گروهی دیدم از مدعیان که نامعقول چیزی را اعتقاد کرده بودند و اصل قصه معلومشان نبود و می‌گفتند که: «فقر عدم بلا وجود است.» و هر دو گروه بر خطا بودند. یکی از ایشان به جهل مر حق را منکر شد و دیگری جهل را حال ساخت و بدان پدیدار آمد.

و مراد عدم و فنا اندر عبارات این طایفه برسیدن آلت مذموم بود و صفتی ناستوده اندر طلب صفتی محمود، نه عدم معنی به وجود آلت طلب.

و فی الجملة درویش در کل معانی فقر عاریت است و اندر کل اسباب اصل بیگانه؛ اما گذرگاه اسرار بانی است. تا امور وی مکتسب وی بود، فعل را نسبت بدو بود و معانی را اضافه بدو و چون امور وی از بندکسب رها شد نسبت فعل از او منقطع بود. آنگاه آنچه بر وی گذرد او راه آن چیز باشد نه راهبر آن پس هیچ چیز را به خود نکشد و از خود دفع نکند. همه از آن غیر است آنچه بر وی نشان کند.

و دیدم گروهی را از مدعیان ارباب اللسان که نفی کمالشان از ادراک این قصه، می‌نفی وجود نمود، و این خود سخت عزیز است. و دیدم که نفی مرادشان از حقیقت فقر می‌نفی صفت نمود اندر عین فقر. و دیدم که نفی طلب حق و حقیقت را می‌فقر و صفوت خوانند و دیدم که اثبات هواشان می‌نفی کل نمود و هرکسی اندر درجتی از حجب فقر اندر مانده بودند؛ از آنچه پندار این حدیث مرد را علامت کمال ولایت بود و بوی و نهمت این حدیث غایة الغایات. به عین این تولا کردن محل کمال است.

پس طالب این قصه را چاره نیست از راه ایشان رفتن و مقاماتشان سپردن و عبارت ایشان بدانستن، تا عامی نباشد اندر محل خصوصیت؛ که عوام اصول از اصول معروض بود و عوام فروع از فروع. مصیب کسی که از فروع بازماند؛ که به اصولش نسبتی بود. چون از اصول بازماند به هیچ جایش نسبت نماند و این جمله آن را گفتم تا راه این معانی بسپری و به رعایت حق آن مشغولی باشی.

اکنون من طرفی از اهل این طایفه اندر باب تصوف پیدا کنم. آنگاه اسامی الرجال بیارم. آنگاه احکام حقایق معارف و شرایع بیان کنم. آنگاه اختلاف مذاهب مشایخ متصوفه بیارم. آنگاه آداب و رموز و مقاماتشان، به مقدار امکان، شرح دهم تا بر تو و خوانندگان، حقیقت این کشف گردد. و بالله التوفیق.

باب التصوف

قال الله تعالى: «وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا خَاطِبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (۶۳/الفرقان)». و قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَمِعَ صَوْتَ أَهْلِ الصَّوْفِ، فَلَا يُؤْمِنُ عَلَى دَعَائِهِمْ كُتِبَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْغَافِلِينَ.»

و مردمان اندر تحقیق این اسم بسیار سخن گفته‌اند و کتب ساخته. گروهی گفته‌اند که: «صوفی را از آن جهت صوفی خوانند که جامه صوف دارد.» و گروهی گفته‌اند که: «بدان صوفی خوانند که اندر صف اول باشند.» و گروهی گفته‌اند که: «بدان صوفی خوانند که تولا به اصحاب صفة کنند.» و گروهی گفته‌اند که: «این اسم از صفا مشتق است.» اما بر مقتضای لغت از این معانی بعید می‌باشد. پس صفا در جمله محمود باشد، و ضد آن کدر بود و رسول صلی الله علیه و سلم گفته است: «ذَهَبَ صَفْوُ الدُّنْيَا وَ بَقِيَ كَدْرُهَا.» و نام لطایف اشیا صفو آن چیز باشد و نام کثایف اشیا کدر آن چیز. پس چون اهل این قصه اخلاق و معاملات خود را مهذب کردند و از آفات طبیعت تبرا جستند، مرایشان را صوفی خواندند و این اسمی است مر این گروه را از اسمای اعلام؛ از آنچه خطر اهل آن اجل آن است که معاملات ایشان را بتوان پوشید تا اسمشان را اشتقاق باید.

و اندر این زمانه بیشترین خلق را خداوند عز و جل از این قصه و اهل این محبوب گردانیده است و لطیفه این قصه بر دل‌های ایشان بیوشانیده؛ تا گروهی پندارند که این، برزش صلاح ظاهر است مجرد بی مشاهدات باطن، و گروهی پندارند که این، رسمی است بی حقیقتی و اصلی؛ تا حدی که اهل هزل و علمای ظاهر ارتکاب انکاری کرده‌اند و به حجاب این قصه خرسند شده تا عوام بدیشان تقلید کردند و طلب صفای باطن از دل بمحاولیده، و مذهب سلف و صحابه را بر طاق نهاده. «إِنَّ الصَّافَةَ صِفَةُ الصَّادِقِ إِنْ أُرِدَتْ صَوْفِيًّا عَلَى التَّحْقِيقِ.» از آنچه صفا را اصلی و فرعی است: اصلش انقطاع دل است از اغیار، و فرعش خلو دست از دنیای غدار، و این هر دو صفت صدیق اکبر است، ابوبکر عبدالله بن ابی قحافه، رضی الله عنه؛ از آنچه امام اهل این طریقت وی بود. پس انقطاع دل وی از اغیار آن بود که همه صحابه به رفتن پیغمبر علیه السلام به حضرت معلا و مکان مصفا شکسته دل گشته بودند و عمر رضی الله عنه شمشیر برکشید که: «هر که گوید محمد بمرد، سرش ببرم.» صدیق اکبر برون آمد و آواز بلند برداشت و گفت:

«أَلَا مَنْ عَبَدَ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدَمَاتُ، وَ مَنْ عَبَدَ رَبَّ مُحَمَّدٍ فَإِنَّهُ حَيٌّ لَا يَمُوتُ.» آنگاه برخواند: «وما محمدٌ إلا رسولٌ قد خلت من قبله الرُّسُلُ إِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ (۱۴۴/آل عمران)».

آن که معبود وی محمد بود، محمد برفت و آن که خدای محمد را می‌پرستید وی زنده است هرگز نمیرد. آن که دل در فانی بندد فانی فنا شود و رنج وی جمله هبا گردد و آن که جان به حضرت باقی فرستد، چون نفس فنا

شود وی قایم به بقا شود. پس آن که اندر محمد به چشم آدمیت نگریست، چون وی از دنیا بشد تعظیم عبودیت از دل این با وی بشد. و هرکه اندر وی به چشم حقیقت نگریست، رفتن و بودنش هر دو مر او را یکسان نمود؛ ازیرا که اندر حال بقا بقاش را به حق دید و اندر حال فنا فناش از حق دید. از محول اعراض کرد به محول اقبال کرد. قیام محول به محول دید به مقدار اکرام حق وی را تعظیم کرد. سویدای دل اندر کس نبست و سواد عین بر خلق نگشاد؛ از آنچه گفته‌اند: «مَنْ نَظَرَ إِلَى الْخَلْقِ هَلَكَ وَ مَنْ رَجَعَ إِلَى الْحَقِّ مَلَكَ.» که نظر به خلق نشان هُلک بود و رجوع به حق علامت ملک.

اما خُلُو دست از دنیای غدار آن بود که هرچه داشت از مال و منال و مآل جمله بداد و گلیمی درپوشید و به نزدیک پیغمبر علیه السّلام آمد. پیغمبر علیه السّلام وی را گفت: «ما خَلَفْتَ لِعِيَالِكَ؟» فقال: «اللّه و رسوله.» «مر عیالان خود را چه بازگذاشتی از مال خود؟» گفت: «دو خزینۀ بی نهایت و دو گنج بی غایت.» گفتا: «چه چیز؟» گفت: «یکی محبت خدای تعالی و دیگر متابعت رسولش.» چون دل از تعلق صفو دنیا آزادگشت، دست از کدر آن خالی گردانید و این جمله صفت صوفی صادق بود و انکار این جمله انکار حق و مکابره عیان بود.

وگفتم که صفا ضد کدر بود و کدر از صفات بشر بود و بحقیقت صوفی بود آن که او را از کدر گذر بود؛ چنانکه اندر حال استغراق مشاهدت یوسف علیه السّلام و لطایف جمال وی، زنان مصر را بشریت غالب شد و آن غلبه به عکس بازگشت. چون به غایت رسید به نهایت رسید و چون به نهایت رسید، ایشان را بر آن گذر افتاد و به فنای بشریتشان نظر افتاد. گفتند: «ما هذا بشراً (۳۱/یوسف).» نشانه وی را کردند، عبارت از حال خود کردند و از آن بود که مشایخ این طریقت رحمهم الله گفته‌اند: «لَيْسَ الصِّفَاتُ مِنَ الْبَشَرِ. لِأَنَّ الْبَشَرَ مِنْ مَدَرٍ لَا يَخْلُو مِنْ كَدَرٍ.» صفا از صفات بشر نیست؛ زیرا که مدار مدر جز بر کدر نیست، و مر بشر را از کدر گذر نیست.

پس مَنال صفا به افعال نباشد و از روی مجاهدت مر بشریت را زوال نباشد و صفت صفا را نسبت به افعال و احوال نباشد و اسم آن را تعلق به اسامی و القاب نه. «الصِّفَا صِفَةُ الْأَحْبَابِ وَهُمْ شُمُوسٌ بِلَا سَحَابٍ.» از آن که صفا صفت دوستان است، و آن که از صفت خود فانی و به صفت دوست باقی بود دوست آن است و احوال ایشان به نزدیک ارباب معانی چون آفتاب عیان است؛ چنانکه حبیب خداوند، محمد مصطفی را صلوات الله علیه پرسیدند از حال حارثه. گفت: «عَبْدٌ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ بِالْإِيمَانِ.» او بنده‌ای است که دلش از صدق ایمان منور است، تا رویش از تأثیر آن مقمر است و او به نور ربانی مصور است؛ چنانکه گفته‌اند: «ضِيَاءُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ إِذَا اشْتَرَكَا أُنْمُوذَجٌ مِنْ صَفَاءِ الْحَبِّ وَ التَّوْحِيدِ إِذَا اشْتَبَكَا.» جمع نور آفتاب و ماه، چون به یکدیگر مقرون شود، مثال صفای محبت و توحید باشد که با یکدیگر معجون شود و خود نور ماه و آفتاب را چه مقدار بود، آنجا که نور محبت و توحید، تا این را بدان اضافه کنند؟ اما اندر دنیا هیچ نوری نیست ظاهرتر از آن دو نور؛ که نور دیده اندر سلطان آفتاب و ماه آسمان را ببیند، و دل به نور توحید و محبت مر عرش را ببیند و بر عقبی مطلع شود اندر دنیا.

و اندر این، جمله مشایخ این طریقت رحمهم الله مجتمع‌اند بر آن که چون بنده از بند مقامات رسته شود و از کدر احوال خالی گردد و از محل تلوین و تغییر آزاد شود، و به همه احوال محمود صفت گردد و وی از جمله اوصاف جدا؛ یعنی اندر بند هیچ صفت حمد خود نگردد و مر آن را ببیند و بدان معجب نگردد، حالش از ادراک عقول غایب و روزگارش از تصرف ظنون منزّه گردد تا حضورش را ذهاب نباشد و وجودش را اسباب نه؛ «لَأَنَّ الصِّفَا حُضُورٌ بِلَا ذَهَابٍ وَ وَجُودٌ بِلَا أَسْبَابٍ.» حاضری بود بی غیبت و واجدی بود بی سبب و علت؛ زیرا که آن که غیبت بر او صورت گیرد او حاضر نباشد و آن که سبب علت وجد وی شود او واجد نبود و چون بدین درجه

برسد اندر دنیا و عقبی فانی گردد و اندر جوشن انسانیت ربانی. زر و کلوخ به نزدیک وی یکسان شود و آنچه بر خلق دشوارتر بود از حفظ احکام تکلیف، بر او آسان گردد؛ چنانکه حارثه به نزدیک پیغامبر علیه السلام آمد. رسول وی را گفت، علیه السلام: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ، يَا حَارِثَةُ؟» قال: «أَصْبَحْتُ مُؤْمِنًا حَقًّا». فقال، علیه السلام: «أَنْظُرْ مَا تَقُولُ يَا حَارِثَةُ. إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً. فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟» فقال: «عَزَلْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، فَاسْتَوَى عِنْدِي حَجْرُهَا وَ ذَهَبُهَا وَ فَضَّتْهَا وَ مَدَرُهَا. فَاسْهَرْتُ لَيْلِي وَ أَظْمَأْتُ نَهَارِي حَتَّى صَرْتُ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا وَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا وَ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَغَاوَرُونَ فِيهَا (و فی روایة: يَتَغَامِرُونَ فِيهَا).»

: «بامداد پگاه چگونه کردی، یا حارثه؟» گفت: «بامداد کردم، و من مؤمنی ام حقا.» پیغامبرگفت، علیه السلام: «نیک نگاه کن، یا حارثه تا چه می گویی که هر حقی را حقیقتی و برهانی بود. برهان این گفتار تو چیست؟» گفت: «آن که تن را از دنیا بگسستم و نشان این آن است که زر و سنگ و سیم و کلوخ آن به نزدیک من یکسان شد. و چون از دنیا گسسته شدم، به عقبی پیوسته شدم تا بهشت را می بینم و دوزخ و عرش را.» گفت: «عَرَفْتَ فَالْزَمِ. شناختی یا حارثه، ملازمت کن بر این؛ که جز این نیست.» و صوفی نامی است مرکاملان ولایت را، و محققان اولیا را بدین نام خوانده اند. و یکی از مشایخ گوید، رحمة الله علیه: «مَنْ صَافَاهُ الْحَبُّ فَهُوَ صَافٍ، وَ مَنْ صَافَاهُ الْحَبِيبُ فَهُوَ صَوْفِيٌّ.»

آن که به محبت مصفا شود صافی بود و آن که مستغرق دوست شود از غیر دوست بری شود صوفی بود. و بر مقتضای لغت اشتقاق این اسم درست نگردد از هیچ معنی؛ از آن که این معنی معظم تر از آن است که این را جنسی بود تا از آنجا مشتق بود؛ که اشتقاق شیء از شیء مجانست خواهند و هرچه هست ضد صفاست، اشتقاق شیء از ضد نکند. پس این معنی أشهر من الشمس است عند أهله، و حاجتمند عبارت نشود؛ «لأنَّ الصَّوْفِيَّ مَمْنُوعٌ عَنِ الْعِبَارَةِ وَ الْإِشَارَةِ.» چون صوفی از کل عبارات ممنوع باشد، عالم بجمله معبران وی باشند، اگر دانند و یا نه. مراسم را چه خطر باشد اندر حال حصول معنی؟ پس اهل کمال ایشان را صوفی خوانند و متعلقان و طالبان ایشان را متصوف خوانند و تصوف تفعل بود و تکلف، و این فرع اصلی باشد و فرق این از حکم لغت و معنی ظاهر است.

«الصَّفَاءُ وَ لَایَةُ لَهَا آیَةٌ وَ رَوَايَةٌ، وَ التَّصَوُّفُ حِکَايَةٌ لِلصَّفَاءِ بِلَا شِکَايَةٍ.» پس صفا معنی متلالی است و ظاهر و تصوف حکایت از آن معنی و اهل آن اندر این درجه بر سه قسم است: یکی صوفی و دیگر متصوف و سدیگر مستصوف.

پس صوفی آن بود که از خود فانی بود و به حق باقی، از قبضه طبایع رسته و به حقیقت حقایق پیوسته. و متصوف آن که به مجاهدت این درجه را می طلبد و اندر طلب خود را بر معاملات ایشان درست همی کند. و مستصوف آن که از برای منال و جاه و حظ دنیا خود را مانند ایشان کرده باشد و از این هر دو و از هیچ معنی خبر ندارد؛ تا حدی که گفته اند: «المُستصَوِّفُ عِنْدَ الصَّوْفِيَّةِ كَالذُّبَابِ وَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ كَالذَّنَابِ.» مستصوف به نزدیک صوفی از حقیری چون مگس بود و آنچه این کند به نزدیک وی هوس بود و به نزدیک دیگران چون گرگ پرفساد که همه همتش دریدن و لختی مردار خوردن باشد.

پس صوفی صاحب وصول بود و متصوف صاحب اصول و مستصوف صاحب فصول. آن را که نصیب، وصل آمد به یافتن مقصود و رسیدن به مراد از مراد بی مقصود و از مقصود بی مقصود و آن را که نصیب اصل آمد بر احوال طریقت متمکن شد و اندر لطایف آن ساکن و مستحکم گشت، و آن را که نصیب فصل آمد از جمله بازماند و بر درگاه رسم فرونشست و به رسم از معنی محبوب شد و به حجاب از وصل و اصل بازماند.

و مشایخ را اندر این قصه رموز بسیار است تا حدی که کلیت آن را احصا نتوان کرد؛ اما بعضی از رموز ایشان اندر این کتاب بیارم تا فایده تمام تر شود، ان شاء الله عزّ و جل.

فصل

ذو النون مصری رحمة الله علیه گوید: «الصُّوفِيُّ إِذَا نَطَقَ أَبَانَ نَطْقَهُ مِنَ الْحَقَائِقِ، وَإِنْ سَكَتَ نَطَقَتْ عَنْهُ الْجَوَارِحُ بِقَطْعِ الْعَلَائِقِ.»

صوفی آن بود که چون بگوید بیان نطقش حقایق حال وی بود؛ یعنی چیزی نگوید که او آن نباشد و چون خاموش باشد، معاملتش معبر حال وی باشد و به قطع علایق حال وی ناطق شود؛ یعنی گفتارش همه بر اصل صحیح باشد و کردارش بجمله تجرید صرف. چون می گوید قولش همه حق بود و چون خاموش باشد فعلش همه فقر.

جنید گوید، رحمة الله علیه: «التَّصَوُّفُ نَعْتُ أَقِيمِ الْعَبْدُ فِيهِ.» قیل: «نَعْتُ لِلْعَبْدِ، أَمْ نَعْتُ لِلْحَقِّ؟» فقال: «نَعْتُ الْحَقِّ حَقِيقَةً وَ نَعْتُ الْعَبْدِ رَسْمًا.»

:«تصوف نعتی است که اقامت بنده در آن است.» گفتند: «نعت حق است یا نعت خلق؟» گفت: «حقیقتش نعت حق است و رسمش نعت خلق.» یعنی حقیقتش فنای صفت بنده تقاضا کند و فنای صفت بنده به بقای صفت حق بود و این نعت حق بود و رسمش دوام مجاهدت بنده اقتضا کند و دوام مجاهدت صفت بنده بود. و چون به معنی دیگر رانی چنان بود که اندر حقیقت توحید، بنده را هیچ نعت درست نیاید؛ از آنچه نعوت خلق مر ایشان را دایم نیست و نعت خلق بجز رسم نیست؛ که نعت وی باقی نبود و ملوک و فعل حق باشد. پس بحقیقت از آن حق باشد و معنی آن این بود که خداوند عزّ و جلّ بنده را فرمود که: «روزه دار.» و به روزه داشتن بنده اسم صایمی بنده را دادند و از روی رسم، آن صوم بنده را باشد؛ و باز از روی حقیقت از آن خداوند؛ چنانکه خداوند گفت و رسول خبر داد، علیه السلام: «الصُّومُ لِي وَأَنَا أُجْزِي بِهِ.» روزه از آن من است؛ از آنچه مفعولات وی جمله ملک وی است، و نسبت و اضافت همه خلق مر هر چیزی را به خود رسم و مجاز بود نه حقیقت.

ابوالحسن نوری رحمة الله علیه گوید: «التَّصَوُّفُ تَرَكُ كُلِّ حَظِّ النَّفْسِ.»

تصوف دست برداشتن جمله حظوظ نفسانی بود و این بر دوگونه باشد: یکی رسم و دیگر حقیقت. و این ان بود که اگر وی تارک حظ است ترک حظ هم حظی بود و این رسم باشد و اگر حظ تارک وی است این فنای حظ بود و تعلق این به حقیقت مشاهده بود. پس ترک حظ فعل بنده بود و فنای حظ فعل خدای، جل جلاله. فعل بنده رسم و مجاز بود و فعل حق حقیقت. و بدین قول مبین شد قول جنید رحمة الله که پیش از این قول است. و هم ابوالحسن نور رحمة الله علیه گوید: «الصُّوفِيَّةُ هُمُ الَّذِينَ صَفَّتْ أَرْوَاحَهُمْ، فَصَارُوا فِي الصِّفِّ الْأَوَّلِ بَيْنَ يَدَيِ الْحَقِّ.»

صوفیان آنان اند که جانهای ایشان از کدورت بشریت آزادگشته است و از آفت نفس صافی شده و از هوی خلاص یافته تا اندر صف اول و درجه اعلی با حق بیارامیده اند و از غیر وی اندر ریمده.

و همو گوید، رحمة الله علیه: «الصُّوفِيُّ الَّذِي لَا يُمْلِكُ وَلَا يُمْلَكُ.»

صوفی آن بود که هیچ چیز اندر بند وی ناید، و وی اندر بند هیچ چیز نشود و این عبارت از عین فنا بود؛ که فانی صفت، مالک نبود و مملوک نه؛ از آنچه صحت ملک بر موجودات درست افتد و مراد از این آن است که صوفی هیچ چیز را، از متاع دنیا و زینت عقبی، ملک نکند و خود اندر تحت حکم و ملک نفس خود نیاید. سلطان

ارادت خود را از غیر بگسلد تا غیر طمع بندگی از وی بگسلد. و این قول لطیف است مر آن گروه را که به فنای کلی گویند، و ما غلطگاه ایشان در این کتاب بیاریم تا ترا معلوم شود، ان شاء الله، عزو جل.

ابن الجلاء رحمة الله عليه گوید: «التصوّف حقيقة لا رسم له.»

تصوّف حقیقتی است که وی را رسم نیست، و آنچه رسم است نصیب خلق باشد اندر معاملات، و حقیقت خاصه حق بود. چون تصوّف از خلق اعراض کردن بود، لامحاله مر او را رسم نبود.

ابوعمر و دمشقی رحمة الله عليه گوید: «التصوّف رؤية الكون بعين النقص، بل غص الطرف عن الكون.» تصوّف آن بود که اندر کون ننگری جز به عین نقص، و این دلیل بقای صفت بود، بل که چشم فرازکنی از کون و این دلیل فنای صفت بود؛ از آنچه نظر از کون باشد چون کون نماند نظر هم نماند و غص طرف از کون بقای بصیرت ربانی بود، یعنی هر که به خود نابینا شود به حق بینا گردد؛ از آنچه کون طالب هم طالب بود و کار وی از وی به وی باشد، وی را از خود بیرون راهی نباشد. پس یکی خود را بیند ولیکن ناقص بیند و یکی چشم از خود فراکند و نبیند و آن که می بیند اگرچه ناقص بیند دیده وی حجاب است و آن که می نبیند بینایی حجاب نیاید. و این اصلی قوی است اندر طریق تصوّف و ارباب معانی، اما این، جایگاه شرح این نیست.

ابوبکر شبلی رحمة الله عليه گوید: «التصوّف شرك، لأنه صيانة القلب عن رؤية الغير ولا غير.» تصوّف شرک است؛ از آنچه آن صیانت دل بود از رؤیت غیر، و خود غیر نیست؛ یعنی اندر اثبات توحید رؤیت غیر شرک باشد و چون اندر دل غیر نبود صیانت کردن مر او را از ذکر غیر محال باشد.

حصری رحمة الله عليه گوید: «التصوّف صفاء السر من كدورات المخالفات.» تصوّف صفای سر بود از کدورات مخالفت و معنی این آن بود که سر را از مخالفت حق نگاه دارد؛ از آنچه دوستی موافقت بود و موافقت ضد مخالفت باشد. و دوست را اندر همه عالم بجز حفظ فرمان دوست نباشد، و چون مراد یکی باشد، مخالفت از کجا صورت گیرد؟

محمد بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب رضی الله عنه گوید: «التصوّف خلو، من زاد عليك في الخلق، زاد عليك في التصوّف.»

تصوّف نیکوخویی باشد، هر که نیکو خوتر، وی صوفی تر. و خوی نیکو بر دو گونه باشد: یکی با خلق و دیگر با حق. نیکوخویی با حق رضا باشد به قضای وی و نیکوخویی با خلق حمل ثقل صحبت ایشان برای حق و این هر دو خود به طالب آن بازگردد. حق را تعالی صفت استغناست از رضای طالب و سخط طالب و این هر دو صفت اندر نظاره وحدانیت وی بسته است.

مرتعش رحمة الله عليه گوید: «الصوفي لا يسبق همته خطوته البتة.» صوفی آن بود که اندیشه وی با قدم وی برابر بود البتة. ای جمله حاضر بود دل آنجا که تن، و تن آنجا که دل، قول آنجا که قدم، قدم آنجا که قول. و این نشان حضوری بود بی غیبت بر خلاف آن که گویند: «از خود غایب به حق حاضر.» لا، بل که «به حق حاضر و به خود حاضر.» و این، عبارت از جمع الجمع باشد؛ از آنچه تا رؤیت نبود به خود، غیبت نبود از خود و چون رؤیت برخاست حضوری بی غیبت است. و تعلق این معنی به قول شبلی است، رحمة الله عليه: «الصوفي لا يرى في الدارين مع الله غير الله.» صوفی آن بود که اندر دو جهان هیچ نبیند بجز خدای عزّ و جلّ. و در جمله هستی بنده غیر بود و چون غیر نبیند خود را نبیند. و از خود بکلیت فارغ شود اندر حال نفی و اثبات خود.

جنید رحمة الله عليه گوید: «التصوّف مبنی علی ثمان خصال: السخاء، و الرضاء، و الصبر، و الإشارة، و الغربة، و بُس الصوف و السياحة و الفقر. اما السخاء فلا براهیم و اما الرضاء فلا سحوق و اما الصبر فلا یوب، و اما الإشارة

فَلزَكْرِيَا وَاَمَّا الْغُرَبَاءُ فَلْيَحْيِي، وَاَمَّا لُبْسُ الصَّوْفِ فَلِمُوسَى، وَاَمَّا السِّيَاحَةُ فَلِعِيسَى وَاَمَّا الْفَقْرُ فَلِحَمْدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ اَجْمَعِينَ.»

گفت: بنای تصوف بر هشت خصلت است اقتدا به هشت پیغمبر، علیهم السلام: به سخاوت به ابراهیم، و آن چندان بود که پسر فدا کرد؛ و به رضا به اسحاق که وی سر فدا کرد و به ترک جان عزیز خود بگفت؛ و به صبر به ایوب که اندر بلای کرمان صبر کرد؛ و به اشارت به زکریا که خداوندگفت: «اذنادی رَبَّهُ نَدَاءً خَفِيًّا (۳/مریم)»؛ و به غربت به یحیی که اندر وطن خود غریب بود و اندر میان خویشان از ایشان بیگانه؛ و به سیاحت به عیسی که اندر سیاحت خود چنان مجرد بود که جز کاسه‌ای و شانه‌ای نداشت چون بدید که کسی به دو مشت آب می‌خورد کاسه بینداخت و چون بدید که به انگشتان تخلیل می‌کرد شانه بینداخت؛ و به لبس صوف به موسی که همه جامه های وی پشمین بود؛ و به فقر به محمد علیهم السلام که خدای عز و جل کلید همه گنجهای روی زمین بدو فرستاد و گفت: «محنت بر خود منه و از این گنجها خود را تجمل ساز.» گفت: «نخواهم. بارخدا، مرا یک روز سیردار و یک روزگرسنه.» و این اصول اندر معاملات سخت نیکوست.

حصری گوید، رحمة الله عليه: «الصَّوْفِيُّ لَا يُوْجَدُ بَعْدَ عَدَمِهِ وَلَا يُعْدَمُ بَعْدَ وُجُودِهِ.»

صوفی آن بود که هستی وی را نیستی نباشد و نیستی وی را هستی نه؛ یعنی آنچه بیابد مر آن را هرگز گم نکند و آنچه گم کند مر آن را هرگز نیابد. و دیگر معنی آن بود که یافتش را هرگز نیافت نباشد و نیافتش را هرگز یافت نه. یا اثباتی بود بی نفی و یا نفیی بود بی اثبات. و مراد از جمله این عبارات آن است که تا حال بشریت از کسی ساقط شود و شواهد جسمان از حق وی فایت گردد و نسبتش از کل منقطع گردد و یا سر بشریت اندر حق کسی ظاهر شود تا تفاریق وی اندر عین خود جمع گردد، از خود به خود قیام یابد و صورت این اندر دو پیغامبر علیهما السلام ظاهر توان کرد: یکی موسی صلوات الله علیه که اندر وجودش عدم نبود، تا گفت: «رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَاَسْرِلْ لِي اَمْرِي (۲۵ و ۲۶/طه)»، و دیگر رسول ما صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ که اندر عدمش وجود نبود، تا گفتند: «أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (۱/الإنشراح)». یکی آرایش خواست و زینت طلب کرد و دیگر را بیاراستند و وی را خود خواست نه.

علی بن بُنْدَارِ الصَّيْرَفِيِّ النِّسَابُورِيِّ گوید، رحمة الله عليه: «التَّصَوُّفُ إِسْقَاطُ الرُّؤْيَةِ لِلْحَقِّ ظَاهِرًا وَاِبْطَانًا.» تصوف آن بود که صاحب آن، ظاهرًا و باطنًا، خود را نبیند و جمله حق را ببیند؛ از آنچه اگر به ظاهرنگری بر ظاهر نشان توفیق یابی چون نگاه کنی معاملات ظاهر اندر جنب توفیق حق تعالی به پر پشه‌ای نسجد به ترک رؤیت ظاهر بگویی؛ و اگر به باطن نگری بر باطن نشان تأیید یابی چون نگاه کنی معاملات باطن اندر جنب تأیید حق به ذره‌ای نسجد به ترک باطن بگویی، جمله مر حق را ببینی. پس همه حق را ببینی، خود را هیچ نبینی.

محمد بن احمد المقرئ رحمة الله علیه گوید: «التَّصَوُّفُ اسْتِقَامَةُ الْأَحْوَالِ مَعَ الْحَقِّ.»

تصوف استقامت احوال است با حق؛ یعنی احوال مر سر صوفی را از حال نگرداند و به اعوجاج اندر نیفکند؛ از آنچه کسی را که دل صید محول احوال باشد احوال او را از درجه استقامت بنیفکند و از حق تعالی باز ندارد.

فصل

آنچه گفته‌اند در معاملات:

ابوحفص حداد نيسابوري گوید، رحمة الله علیه: «التَّصَوُّفُ كُلُّهَا آدَابٌ. لِكُلِّ وَقْتٍ آدَابٌ وَا لِكُلِّ مَقَامٍ آدَابٌ وَا لِكُلِّ حَالٍ آدَابٌ. فَمَنْ لَزِمَ آدَابَ الْاَوْقَاتِ بَلَغَ مَبْلَغَ الرِّجَالِ وَا مَنْ ضَيَّعَ الْآدَابَ فَهُوَ بَعِيدٌ مِّنْ حَيْثُ يَظُنُّ الْقُرْبَ وَا مَرْدُودٌ مِّنْ حَيْثُ يَظُنُّ الْقَبُولَ.»

تصوّف بجملة آداب است؛ که هر وقتی و مقامی و حالی را ادبی بود، که هرکه ملازمت آداب اوقات کند به درجت مردان رسد و هرکه آداب ضایع کند او دور باشد از پندار به نزدیکی و مردود باشد از گمان بردن به قبول حق.

و بدین معنی قریب است ابوالحسن نوری رحمة الله علیه که گوید: «لَيْسَ التَّصَوُّفُ رِسُومًا وَلَا عُلُومًا وَلَكِنَّهُ أَخْلَاقٌ.»

تصوّف رسوم و علوم نیست ولیکن اخلاق است؛ یعنی اگر رسوم بودی به مجاهدت حاصل شدی و اگر علوم بودی به تعلم به دست آمدی؛ لیکن اخلاق است، تا حکم آن از خود اندر نخواهی و معاملت آن با خود درست نکنی و انصاف آن از خود ندهی حاصل نگردد. و فرق میان رسوم و اخلاق آن است که رسوم فعلی بود به تکلف و اسباب؛ چنانکه ظاهر به خلاف باطن بود، فعلی از معنی خالی و اخلاق فعلی بود محمود بی تکلف و اسباب، ظاهر موافق باطن از دعوی خالی.

مرتعش رحمة الله علیه گوید: «التَّصَوُّفُ حُسْنُ الْخُلُقِ.»

تصوّف خلق نیکوست؛ و این بر سه گونه باشد: یکی با حق، به گزاردن اوامر حق بی ریا و دیگر با خلق به حفظ حرمت مهتران و شفقت برکھتران و انصاف همجنسان و از جمله انصاف و عوض ناطلبیدن و سدیگر با خود، به متابعت هوی و شیطان ناکردن. هرکه اندر این سه معنی خود را درست کند از نیکخویان باشد، و این که یاد کردیم موافق است با آن که از عایشة صدیقه رضی الله عنها پرسیدند که: «ما را خبرده از خلق پیغمبر، علیه السلام.» گفت: «از قرآن برخوان کما قال الله، تعالی: خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (الأعراف/۱۹۹).»

و هم مرتعش رحمة الله علیه گوید: «هَذَا مَذْهَبٌ كُلُّهُ جِدٌّ، فَلَا تُخَلِّطُوهُ بِشَيْءٍ مِنَ الْهَزْلِ.»

این مذهب تصوّف همه جد است مر آن را به هزل میامیزید و اندر معاملت مترسمان میاویزید و از اهل تقلید بدان بگریزید.

و چون عوام اندر اهل زمانه نگرستند و مر مترسمان متصوّفه را بدیدند و بر پای کوفتن و سرودگفتن و به درگاه سلطانیان رفتن و از برای لقمه و خرقة خصومات کردن ایشان مشرف شدند، اعتقاد بجملة بدکردند و گفتند که: اصل این طریق همین است، و مقدمان هم بر این رفته‌اند؛ و معلوم نگردانیده‌اند که زمانه فترت است و روزگار بلا، لامحاله چون حرص مر سلطان را به جور افکند و طمع مر عالم را به فسق و ریا مر زاهد را به نفاق هر اینه هوی نیز مر صوفی را به پای کوفتن و سرودگفتن افکند. بدان که اهل طریقتها تباه شوند اما اصل طریقتها تباه نشود و بدان که گروهی از اهل هزل که هزل خود را اندر جد احرار پنهان کنند، جد ایشان هزل نشود.

و ابوعلی قرمیسنی گوید، رحمة الله علیه: «التَّصَوُّفُ الْإِخْلَاقُ الرَّضِيَّةُ.»

تصوّف اخلاق رضی است و کردار پسندیده آن بود که بنده اندر همه حال بسنده کار باشد، که رضی راضی بود.

ابوالحسن نوری رحمة الله علیه گوید: «التَّصَوُّفُ هُوَ الْحَرِيَّةُ وَالْفَتْوَةُ وَ تَرْكُ التَّكَلُّفِ وَالسَّخَاءُ.»

تصوّف آزادی بود که بنده از بند هوی آزاد گردد و فتوت آن بود که از دید فتوت مجرد شود، و ترک تکلف آن بود که اندر متعلقات و نصیب نکو شد و سخا آن که دنیا را به اهل دنیا بگذارد.

ابوالحسن فوشنجه رحمة الله علیه گوید: «التَّصَوُّفُ الْيَوْمَ إِسْمٌ بِلا حَقِيقَةٍ، وَ قَد كَانَ مِنْ قَبْلُ حَقِيقَةً بلا إِسْمٍ.»

تصوّف امروز نامی است بی حقیقت و پیش از این حقیقتی بود بی اسم؛ یعنی اندر وقت صحابه و سلف این اسم نبود و معنی اندر هرکسی موجود بود و اکنون اسم هست و معنی نی؛ یعنی معاملت معروف بود و دعوی مجهول، اکنون دعوی معروف شد و معاملت مجهول.

اکنون این مقدار از تحقیق و مقالات مشایخ رحمهم الله اندر این کتاب بیاوردم اندر این باب تصوف تا بر تو اسعدک الله طریق این گشاده گردد و مر منکران را گویی که: «مرادتان به انکار تصوف چیست؟» اگر اسم مجرد را انکارکنند، باک نیست؛ که معانی اندر حق تسمیات بیگانه باشد. و اگر عین این معانی را انکارکنند، انکارکل شریعت پیغمبر علیه السلام و خصال ستوده کرده باشند و من ترا وصیت کنم تا حق این را مراعات کنی و انصاف بدهی تا دعوی کوتاه کنی و به اهل این نیکو اعتقاد باشی، و بالله التوفیق، و علیه التوکل و التصدیق.

باب لبس المرقعات

بدان که لبس مرقعه شعار متصوفه است، و لبس مرقعات سنت است؛ از آنجا که رسول علیه السلام فرمود: «علیکم بلباس الصوف تجدون حلاوة الايمان فی قلوبکم.» و نیز یکی از صحابه گوید، رضی الله عنه: «کان النبی صلی الله علیه و سلم یلبس الصوف و یرکب الحمار.» و نیز رسول صلی الله علیه و سلم مرعایشه را گفت، رضی الله عنها: «لا تضيعی الثوب حتی ترفعیه.» گفت: «بر شما بادا به جامه پشمین تا حلاوت ایمان بیاید.» و روایت کردند که: «وی علیه السلام جامه پشمین پوشید و بر خر نشست.» و نیز گفت عایشه را رضی الله عنها که: «جامه را ضایع مکن تا رقعہ یعنی پیوندها بر آن نگذاری.»

و از عمر خطاب رضی الله عنه می آید که وی مرقعه ای داشت، سی پیوند بر آن گذاشته. و هم از عمر خطاب می آید رضی الله عنه که گفت: «بهترین جامه ها آن بود که مئوت آن کمتر بود.» و از امیرالمؤمنین علی رضی الله عنه می آید که پیراهنی داشت که آستین آن با انگشت او برابر بود، و اگر وقتی پیراهنی درازتر بودی سر آستین آن فرو دریدی.

و نیز رسول را صلی الله علیه فرمان آمد به تقصیر جامه؛ کما قال الله، تعالی: «وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ (۴/المدثر)، ای فقصر.»

حسن بصری گوید، رحمة الله علیه: «هفتاد یار بدری را بدیدم. همه را جامه پشمین بود.»

و صدیق اکبر رضی الله عنه اندر حال تجرید جامه صوف پوشید.

و حسن بصری رحمه الله گوید که: «سلمان را بدیدم گلیمی با رقعهای بسیار پوشیده.»

و از عمر بن خطاب و علی بن ابی طالب رضوان الله علیهما و از هرم بن حیان رضی الله عنه روایت آرند که ایشان مر او پس قرنی را بدیدند با جامه های پشمین با رقعها بر آن گذاشته.

و حسن بصری و مالک بن دینار و سفیان ثوری رحمهم الله جمله صاحب مرقعه صوف بودند.

و از امام اعظم ابوحنیفه رضی الله عنه روایت آرند و این اندر کتاب تاریخ المشایخ که محمد بن علی ترمذی کرده است مکتوب است که وی در اول صوف پوشیدی و قصد عزلت کردی تا پیغمبر را علیه السلام به خواب دید که: «ترا اندر میان خلق می باید بود؛ از آنچه سبب احیای سنت من تویی.» آنگاه دست از عزلت برداشت و هرگز جامه ای نپوشیدی که آن را قیمتی بودی و داود طایی را رحمة الله علیه لبس صوف فرمود و او یکی از محققان متصوفه بود.

و ابراهیم ادهم به نزدیک ابوحنیفه آمد رحمهما الله با مرقعه ای از صوف. اصحاب، وی را به چشم تصغیر نگریستند. بوحنیفه گفت: «سیدنا، ابراهیم ادهم.» اصحاب گفتند: «بر زبان امام مسلمانان هزل نرود. وی این سیادت به چه یافت؟» گفت: «به خدمت بردوام؛ که وی به خدمت خداوند مشغول شد و ما به خدمت تنهای خود، تا وی سید ما گشت.»

و اگر اکنون بعضی از اهل زمانه را مراد اندر لبس مرقعات و خرق، جاه و جمال خلق است و یا به دل موافق ظاهر نیستند روا باشد؛ که اندر لشکر مبارز یکی باشد و در جمله طوایف محقق اندک باشد؛ اما جمله را نسبت بدیشان کنند، هرگاه که به یک چیزشان با ایشان مماثلت بود از احکام؛ لقله، علیه السلام: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ.» هرکه به قومی تولا کند به کرداری کند و به اعتقادی؛ اما گروهی را چشم بر رسم و ظاهر معاملت ایشان افتاد و گروهی را بر سرو بر صفای باطن ایشان افتاد.

در جمله هرکه قصد صحبت متصوفه کند از چهار معنی بیرون نباشد:

گروهی را صفای باطن و جلای خاطر و لطافت طبع و اعتدال مزاج و صحت سریرت به اسرار ایشان دیدار دهد تا قربت محققان و رفعت کبرای ایشان ببینند و ارادت آن درجه دامنگیر ایشان گردد، تعلق بدیشان کنند بر بصیرت و ابتدای حالش برکشف احوال و تجرید از هوی و اعراض از نفس باشد.

و گروهی دیگر را صلاح و عفت دل و سکون و سلامت صدر به اظهار ایشان دیدار دهد تا برزش شریعت و حفظ آداب اسلام و حسن معاملت ایشان ببینند و قصد صحبت ایشان کنند و برزیدن صلاح بر دست گیرند و ابتدای حال ایشان بر مجاهدت و حسن معاملت بود.

و گروهی دیگر را مروت انسانیت و ظرف مجالست و حسن سیرت به افعال ایشان راه نماید تا زندگانی ظاهر ایشان ببینند آراسته به ظرف و مروت، با مهتران به حرمت و با کهتران فتوت، با اقران خود حسن معاشرت، آسوده از طلب زیادت و آرمیده با قناعت، قصد صحبت ایشان کنند و طریق جهد و تعب طلب دنیا بر خود آسان کنند و خود را به فراغت از جمله ملکان کنند.

و گروهی دیگر را کسل طبع و رعونت نفس، و طلب ریاست بی آلت و مراد تصدیر بی فضل و جستن تخصیص بی علم، راه نماید به افعال ایشان و پندارد که جز این کار ظاهر هیچ کاری دیگر نیست قصد صحبت ایشان کند و ایشان به خلق و کرم وی را مدهانت همی کنند و به حکم مسامحت با وی زندگانی می گذارند؛ از آنچه اندر دلهای ایشان از حدیث حق هیچ نباشد و بر تنهای ایشان از مجاهدت طلب طریقت هیچ نه و خواهند تا خلق مر ایشان را حرمت دارند چنانکه محققان را، و از ایشان بشکوهند چنانکه از خواص خداوند عزو جل و به صحبت و تعلق بدیشان آن خواهند که آفات خود را در صلاح ایشان پنهان کنند و جامه ایشان اندر پوشند و آن جامه‌های بی معاملت برکذب ایشان می خروشد؛ که آن ثوب زور باشد و لباس غرور و حسرت روز حشر و نشور، قوله، تعالی: «مِثْلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا بِئْسَ مِثْلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ (٥/الجمعه).» و اندر این زمانه این گروه بیشترند.

پس بر تو بادا که هرچه از آن تو نگردد قصد آن نکنی؛ که اگر هزار سال تو به قبول طریقت بگویی چنان نباشد که یک لحظه طریقت ترا قبول کند؛ که این کار به خرقه نیست، به خرقه است. چون کسی با طریقت آشنا بود و راقبا چون عبا بود و چون پیر بزرگ را گفتند: «لِمَ لَا تَلْبِسُ الْمَرْقَعَةَ؟» قال: «مِنَ النِّفَاقِ أَنْ تَلْبِسَ لِبَاسَ الْفِتْيَانِ وَلَا تَدْخُلَ فِي حِمْلِ أَثْقَالِ الْفُتُوَّةِ.»

: «چرا مرقعه نپوشی؟» گفت: «از نفاق بود که لباس جوانمردان بپوشی و اندر تحت ثقل معاملت جوانمردان در نیایی، باترک حمل حِمْلِ جوانمردی منافقی باشد.»

پس اگر این لباس از برای آن است که خداوند ترا بشناسد که تو خاص اوئی، او بی لباس بشناسد و اگر از بهر آن است که به خلق نمایی که من از آن اویم، اگر هستی ریا و اگر نیستی نفاق. و این راهی صعب پرخطر است و اهل حق اجل آنند که به جامه معروف گردند. «الصِّفَاءُ مِنَ اللَّهِ إِنْعَامٌ وَإِكْرَامٌ وَالصُّوفُ لِبَاسُ الْأَنْعَامِ.» صفا از خداوند تعالی به بنده نعمتی و کرامتی عیان بود و صوف لباس ستوران بود.

پس حلیت حیلت بود. گروهی حیلت قربت می‌کنند و آنچه بر ایشان است به جای می‌آرند. ظاهر می‌آریند، امید آن راتا از ایشان گردند و مشایخ این قصه مر میدان را حیلت و زینت به مرقعات بفرمودند و خود نیز بکردند تا اندر میان خلق علامت شوند و جمله خلق پاسبان ایشان گردند. اگر یک قدم بر خلاف نهند همه زبان ملامت در ایشان درازکنند و اگر خواهند که اندر آن جامه معصیت کنند از شرم خلق نتوانند کرد.

در جمله مرقعه زینت اولیای خدای عز و جل است. عوام بدان عزیزگردند و خواص اندر آن ذلیل شوند. عز عامه آن بود که چون بپوشند خلقانش بدان حرمت دارند و ذل خاص آن بود که چون آن بپوشند خلق اندر ایشان به چشم عوام نگرند و مرایشان را بدان ملامت کنند. «لباسُ النعم للعوام وجوشنُ البلاء للخواص». عوام را مرقعه لباس نعم بود، و خواص را جوشن بلا بود؛ از آنچه بیشتری از عوام اندر آن مضطر باشند، چنانکه دست به کار دیگر نرسد و مر طلب جاه را آلتی دیگر ندارند، بدان طلب ریاست کنند و مر آن را سبب جمع نعمت سازند؛ و باز خواص به ترک ریاست بگویند و ذل را بر عز اختیارکنند تا این قوم را این، بلا بود و آن قوم را آن، نعم.

«المَرْقَعَةُ قَمِيصُ الْوَفَاءِ لِأَهْلِ الصَّفَاءِ وَ سِرْبَالُ السُّرُورِ لِأَهْلِ الْغُرُورِ» مرقعه پیراهن و فاست مر اهل صفا را و لباس سرور است مر اهل غرور را؛ تا اهل صفا به پوشیدن آن از کونین مجرد شوند و از مألوفات منقطع گردند، و اهل غرور بدان از حق محجوب شوند و از صلاح بازمانند. در جمله مر همه را سبب صلاح و سبب فلاح است و مراد جمله از آن محصول. یکی را صفا بود و یکی را عطا، و یکی را غطا و یکی را وطأ. امید دارم به حسن صحبت و محبت یکدیگر همه رستگار باشند؛ از آنچه رسول صلی الله علیه و سلم گفت: «مَنْ أَحَبَّ قَوْمًا فَهُوَ مَعَهُمْ. دوستان هرگروهی به قیامت با ایشان باشند و اندر زمره ایشان باشند.»

اما باید که باطن طلب تحقیق کند و از رسوم معرض باشد؛ که هرکه به ظاهر بسنده کار باشد هرگز به تحقیق نرسد و بدان که وجود آدمیت حجاب ربوبیت بود، و حجاب جز به دور ایام و پرورش اندر مقامات فانی نگردد و صفا نام آن فناست، و فانی صفت را لباس اختیارکردن محال باشد و با تکلف خود را زینتی ساختن ناممکن. پس چون فنای صفت پدید آمد و آفت طبیعت از میانه برخاست و بجز آن که او را صوفی خوانند نامی دیگر خوانند به نزدیک وی متساوی بود.

فصل

اما شرط مرقعات آن است که از برای خفت و فراغت سازد، و چون اصلی بود هرکجا پاره شود رقعته ای بر آن گذارد و مشایخ را رحمهم الله و رضی عنهم اندر این دو قول است:

گروهی گویند که: دوختن رقعته را ترتیب نگاه داشتن شرط نیست. باید که از آنجا که سوزن سر برآرد برکشد و اندر آن تکلف نکند.

و گروهی دیگر گویند که: دوختن رقعته را ترتیب و راستی شرط است و نگاه داشتن تضریب و تکلف کردن اندر راستی آن؛ که این معامله فقر است و صحت معامله دلیل صحت اصل باشد.

و من که علی بن عثمان الجلابی ام وفقنی الله از شیخ المشایخ، ابوالقاسم گرکانی رضی الله عنه در طوس پرسیدم که: «درویش را کمترین چه چیز باید تا اسم فقر را سزاوار گردد؟» گفت: «سه چیز باید که کم از آن نشاید: یکی باید که پاره ای راست برداند دوخت، و دیگر سخنی راست بدانند شنید، و سدیگر پای راست بر زمین داند زد.»

گروهی از درویشان که با من حاضر بودند که این بگفت، چون به دویره باز آمدم، هرکسی را سری پدیدار آمد و هر گفتند که: «فقر خود همین است.» و بیشتر از ایشان در خوب دوختن پاره و بر زمین زدن پای می‌شتافتند و هر

کسی را پندار آن بود که: «ما سخنان طریقت بدانیم شنید.» و به حکم آن که روی دل من بدان سید بود، نخواستیم که آن سخن وی بر زمین افتد. گفتم: «بیاید تا هرکسی اندر این سخن چیزی بگویم.» هر یک صورت خود بگفتند. چون نوبت به من رسید، گفتم: «پاره راست آن بود که به فقر دوزند نه به زینت؛ چون رقعۀ اگر به فقر دوزی اگر ناراست دوزی راست بود. و سخن راست شنیدن آن بود که به حال شوند نه به ثنیت و به جد اندر آن تصرف کند نه به هزل و به زندگانی مر آنرا فهم کند نه به عقل و پای راست آن باشد که به وجد بر زمین نهد نه به لهُو و به رسم.» بعین این سخن را بدان سید نقل کردند. گفت: «أصابَ عَلِيٌّ، جَبْرَةَ اللَّهِ».

پس مراد پوشیدن مرقعۀ مر این طایفه را تخفیف مئونت دنیا باشد و صدق فقر به خداوند، تعالی. و اندر آثار صحیح وارد است که عیسی بن مریم علیه السّلام مرقعۀ ای داشت که وی را به آسمان بردند و یکی از مشایخ گفت: وی را به خواب دیدم با آن مرقعۀ صوف و از هر رقعۀ ای نوری می درفشید. گفتم: «ایها المسیح، این انوار چیست بر این جامۀ تو؟» گفت: «انوار اضطرار من است؛ که هر پاره ای از این به ضرورتی بردوخته ام. خدای عزّ و جلّ مر هر رنجی را که به ذل من رسانیده است مر آن را نوری گردانیده است.»

و نیز پیری را دیدم از اهل ملامت به ماوراء النهر که هر چیزی که آدمی را در آن نصیبی بودی نخوردی و نپوشیدی. چیزهایی خوردی که مردمان بینداختندی، چون ترۀ پوسیده و کدوی تلخ و گزرتباه شده و مِثْلُهُم و پوشش از خرقة هایی ساختی که از راه برچیدی و نمازی کردی و از آن مرقعۀ ساختی. و شنیدم که به مرو الرود پیری بود از متأخران از ارباب معانی، قوی حال و نیکو سیرت از بس رقعۀ های بی تکلف که بر سجاده و کلاه وی بود کژدم اندر آن بچه کردی.

و شیخ من رضی الله عنه پنجاه و شش سال یک جامه داشت که پاره های بی تکلف بر آن می گذاشتی. و اندر حکایات عراقیان یافتیم که دو درویش بودند: یکی صاحب مشاهدت و دیگر صاحب مجاهدت. آن یکی در عمر خود نپوشیدی مگر آن پاره ها که اندر سماع درویشان خرقة شدی و این که صاحب مجاهدت بود نپوشیدی مگر آن پاره ها که در حال استغفار که جرمی کرده شده بودی، خرقة شدی؛ تا زی ظاهرشان موافق باطن بودی و این پاس داشتن حال باشد.

و شیخ محمد بن خفیف رضی الله عنه بیست سال پلاسی داشت پوشیده و هر سال چهار چهل بداشتی و اندر هر چهل روز تصنیفی بکردی از غوامض علوم حقایق. اندر وقت وی پیری بود از محققان علمای طریقت به پَرک پارس نشستی وی را محمد زکریا گفتندی. هرگز مرقعۀ نپوشیدی. از شیخ محمد پرسیدند که: «شرط مرقعۀ چیست و داشتن آن مرکه را مسلم است؟» گفت: «شرط مرقعۀ آن است که محمد زکریا در میان پیراهن سفید به جای می آرد، و داشتن آن او را مسلم است.»

فصل

اما ترک عادت این طایفه، شرط طریق ایشان نباشد و آنچه ایشان اندر حال، جامۀ پشمین کمتر پوشند دو معنی راست: یکی آن که پشمها شوریده شده است و چهارپایان اندر غارتها از جای به جای افتاده، و دیگر آن که گروهی از مبتدعه مر جامۀ پشمین را شعار کرده اند و خلاف شعار مبتدعان اگرچه خلاف سنت بود سنت بود. اما تکلف اندر دوختن بدان سبب روا دارند که جاه ایشان اندر میان خلق بزرگ گشت. هرکسی خود را مانده ایشان گردانیده اند و مرقعۀ ای اندر پوشیده و افعال ناخوب از ایشان پیدا آمده و مر ایشان را از صحبت اضرار رنج بود؛ زینتی ساختند که جز از ایشان آن را کسی ندانست دوخت و مر آن را علامت شناخت یکدیگر گردانیدند و شعاری ساختند؛ تا حدی که درویشی به نزدیک بعضی از مشایخ اندر آمد و رقعۀ ای را که اندر جامه دوخته

بود خط به پهنا آورده بود آن شیخ او را مهجور کرد و معنی این آن بود که اصل صفا رقت طبع و لطف مزاج است و البته کثری اندر طبع نیکو نباشد؛ و چنانکه شعر ناراست اندر طبع خوش نیاید فعل ناراست هم طبع نپذیرد.

و بازگروهی اندر هست و نیست لباس تکلف نکرده‌اند. اگر خداوندشان عبايي داده است پوشیده‌اند و اگر قبايي داده است هم پوشیده‌اند و اگر برهنه داشته است هم بوده‌اند و من که علی بن عثمان الجلابی‌ام وفقنی الله این طریق را پسندیده‌ام و اندر اسفار خود همین کرده‌ام.

و اندر حکایات است که چون احمد بن خضرویه به زیارت بویزید رحمهما الله آمد قبا داشت، و چون شاه شجاع به زیارت بو حفص آمد قبا داشت و آن لباس معهود ایشان نبود که اندر اوقات نیز مرقعه داشتندی و وقت بودی که نیز جامهٔ پشمین داشتندی یا پیراهن سفید پوشیدندی، چنان که آمدی.

و نفس آدمی معتاد است و با عادات مر آن را الفتی بود و چون چیزی وی را عادت شد، چون طبیعتی شود؛ و چون طبع شد حجاب گردد و از آن بود که پیغمبر علیه السلام گفت: «خَيْرُ الصَّيَامِ صَوْمُ أُخِي دَاوُدَ. بَهْتَرِينَ رُوزِهِ رُوزَةُ بَرَادِرِ مَنْ دَاوُدَ اسْت، عَلَيْهِ السَّلَام.» گفتند: «یا رسول الله، آن چگونه باشد؟» گفت: «آن که روزی روزه داشتی و روزی نداشتی.» تا نفس را عادت نشود و وی بدان محبوب نگردد.

و اندر این معنی درست تر، ابو حامد دوستان مروزی بوده است رحمة الله علیه که جامه‌ای بدو در پوشیدندی مریدان وی، آنگاه کسی را که بدان حاجت بودی فراغت آن می‌جستی، چون خالی بودی آن جامه از وی برکشیدی وی نه مر پوشنده را گفتی: «چرا می‌پوشی؟» و نه برکشنده را گفتی: «چرا می‌برکشی؟»

و اندر این وقت پیری هست به غزنین حرسها الله تعالی، که وی را به لقب مرید گویند، رضی الله عنه ورا در لباس اختیار و تمییز نباشد و اندر آن حدیث درست است.

اما معنی آن که بیشترین جامه‌های ایشان چرا کبود باشد: یکی آن است که اصل طریقت ایشان بر سیاحت و سفر نهاده‌اند و جامهٔ سفید اندر سفر بر حال خود نماند و شستن وی دشوار باشد و هرکسی بدان طمع کند؛ و دیگر آن که کبود پوشیدن شعار اصحاب فوات و مصیبات است و جامهٔ اندهگنان، و دنیا دار محنت است و ویرانهٔ مصیبت و مفازةٔ اندوه، و پتیارهٔ فراق و گهوارهٔ بلا؛ چون مقصود دل اندر دنیا حاصل ندیدند، کبود اندر پوشیدند و بر سوگ وصال فرو نشستند و گروهی دیگر اندر معاملت جز تقصیر ندیدند و اندر دل بجز خرابی نه، و اندر روزگار بجز فوت نه، کبود اندر پوشیدند، که «الْفُوتُ أَشَدُّ مِنَ الْمَوْتِ.» یکی بر موت عزیز کبودی پوشید و یکی بر فوت مقصود.

یکی از مدعیان علم درویشی را گفت: «این کبود چرا پوشیدی؟» گفت: «از پیغمبر علیه السلام سه چیز بماند: یکی فقر و دیگر علم و سدیگر شمشیر.

شمشیر سلطانان یافتند و نه در جای آن کار بستند، و علم علما اختیار کردند و به آموختن تنها بسنده کردند و فقر فقرا اختیار کردند و آن را آلت غنا ساختند. من بر مصیبت این سه گروه کبود پوشیدم.»

و از مرتعش رحمة الله علیه می‌آید که: اندر محلتی از محلتهای بغداد می‌گذشت. تشنه شد. به دری فراز رفت و آب خواست. یکی بیرون آمد با کوزه‌ای آب، چون آب بخورد، دلش صید جمال ساقی شد. هم آنجا فرو نشست تا خداوند خانه بیامد. گفت: «ای خواجه، دلم به شربتی آب سخت گران بود. مرا از خانهٔ تو شربتی آب دادند دلم بر بودند.» مرد گفت: «آن دختر من است. او را به زنی به تو دادم.» مرتعش به طلب دل به خانه اندر آمد و عقد بکرد. این صاحب البیت از منعمان بغداد بود، وی را به گرمابه فرستاد و جامهٔ خویش در پوشید و آن مرقعه برکشید. چون شب اندر آمد، مرتعش در نماز استاد و اورادها بگزارد و به خلوت مشغول شد. اندر آن میانه بانگ

درگرفت: «هَاتُوا مُرَقَعَتِي. مَرَقَعَةُ مِنْ بِيَارِيدٍ.» گفتند: «چه بودت؟» گفتا: «به سرم فروخواندند که: به یک نظر که به خلاف ما نگرستی جامه صلاح و مرقعه از ظاهرت برکشیدیم. اگر به نظر دیگر بنگری، لباس آشنایی از باطنت بیرون کشیم.»

لباسی که سبب پوشیدن آن قرب خداوند بود و بر موافقت اولیای خدای تعالی پوشیده باشند مداومت بر آن مبارک بود، اگر به حق آن زندگانی توانی کرد؛ و اگر نه دین خود را صیانت باید کرد و اندر جامه اولیا خیانت روا نباشد، که مسلمانی بر تحقیق باشی بی دعوی دیگر بهتر از آن که ولی بر تکذیب.

اما پوشیدن آن مر دو گروه را راست آید: یکی منقطعان دنیا را و دیگر مشتاقان حضرت مولی را. و اندر عادات مشایخ رضی الله عنهم سنت چنان رفته است که چون مریدی به حکم تبرک تعلق بدیشان کند، مر او را به سه سال، اندر سه معنی، ادب کنند. اگر به حکم آن معنی قیام کند و الا گویند: «طریقت مر این را قبول نکند.»: یک سال به خدمت خلق و دیگر سال به خدمت حق و سدیگر سال به مراعات دل خود.

خدمت خلق آنگاه تواند کرد که خود را اندر درجه خادمان نهد و همه خلق را اندر درجه مخدومان؛ یعنی بی تمیز همه را خدمت کند و بهتر از خود داند و خدمت جمله بر خود واجب داند و خود را بدان خدمت فضلی ننهد بر دیگران؛ که آن خسرانی عظیم و عیبی ظاهر و غیبی فاحش بود و از آفات زمانه اندر زمانه یکی بلای بی دوا این است.

و خدمت حق جل جلاله آنگاه تواند کرد که همه حظهای خویش از دنیا و عقبی بکل منقطع تواند کرد و مطلق مر حق را سبحانه و تعالی پرستش کند از برای وی؛ که تا بنده مر حق را برای کفارت گناه و یافت درجات عبادت می کند نه وی را می پرستد تا به اسباب دنیا چه رسد.

و مراعات دل آنگاه تواند کرد که همتمش مجتمع شده باشد و هموم مختلف از دلش برخاسته، اندر حضرت انس دل را از مواقع غفلت می نگاه دارد.

و چون این سه شرط اندر مرید حاصل شد، پوشیدن مرقعه مرید را به تحقیق دون تقلید مسلم باشد. اما آن پوشنده که مرید را مرقعه پوشد باید که مستقیم الحال بود که از جمله فراز و نشیب طریقت گذشته باشد و ذوق احوال چشیده و مشرب اعمال یافته و قهر جلال و لطف جمال دیده و باید که بر حال مرید خود مشرف باشد که اندر نهایت به کجا خواهد رسید: از راجعان باشد یا از واقفان یا از بالغان؟ اگر داند که روزی از این طریقت باز خواهد گشت، بگوید تا ابتدا نکند و اگر بایستد وی را معاملت فرماید و اگر برسد وی را پرورش دهد. و مشایخ این طریقت طیبیان دلهايند، و چون طیب به علت بیمار جاهل بود، بیمار را به طب خود هلاک کند؛ از آنچه پرورش وی نداند و خطرگاههای وی شناسد و غذا و شربت وی مخالف علت وی سازد؛ لقله، علیه السلام: «الشَّيْخُ فِي قَوْمِهِ كَالنَّبِيِّ فِي أُمَّتِهِ.» پس انبیا عليهم السلام که خلق را دعوت کردند بر بصیرت کردند و هرکسی را به درجه وی بداشتند. شیخ را نیز دعوت بر بصیرت باید کرد و هرکسی را غذای او باید داد نامراد دعوت حاصل گردد.

پس چون بالغی اندر کمال ولایت خداوند مر مریدی را از پس این سه سال تربیت اندر ریاضت مرقعه پوشد، روا بود.

و شرط مرقعه، پوشیدن کفن بود که امید از لذت حیات منقطع کنند و دل از راحت زندگانی پاک گردانند و عمر خود بجمله بر حدیث حق جل جلاله وقف کنند و بکلیت از هوای خود تبرا کنند. آنگاه آن پیر وی را به پوشیدن خلعت عزیز کند، و وی به حق آن قیام کند و به گزاردن حق آن جهدی تمام کند و کام خود بر خود حرام کند. اما اشارات اندر مرقعه بسیار گفته اند:

شیخ ابومنصور معمر اصفهانی اندر این کتابی ساخته است، و عوام متصوّفه را اندر آن غلوی بسیار است، و مراد از این کتاب ما را نقل گفته‌ها نیست؛ که کشف مغلقتهاست از مراد این طریقت.

و بهترین اشارت اندر مرقعه آن است که قَبّ مرقعه از صبر باشد و دو آستین از خوف و رجا، و دو تیریز از قبض و بسط و کمر از خلاف نفسوکرسی از صحت یقین و فراویز از اخلاص.

و از این نیکوتر آن که قب از فنای مؤانست، و دو آستین از حفظ و عصمت و دو تیریز از فقر و صفوت و کمر از اقامت اندر مشاهدت و کرسی از امن اندر حضرت، و فراویز از قرار اندر محل وُصلت. چون باطن را چنین مرقعه ساختی، ظاهر را نیز یکی بیاید ساخت. و مرا اندر این کتابی است مفرد که نام آن اسرار الخرق و الملونات است و نسخه آن به مرو.

اما چون این مرقعه پوشید اگر اندر غلبه حال و قهر سلطان وقت بدرد، مسلم و معذور است؛ و چون به اختیار و تمییز درد، اندر شرط این طریقت بیش وی را مسلم نیست مرقعه داشتن و اگر بدارد چنین که یکی از مرقعه داران زمانه، به ظاهر بی باطن بسندکار شده.

و حقیقت اندر تخریق ثبات آن است که ایشان را از مقامی به مقامی دیگر نقل افتد اندر حال از آن جامه بیرون آیند مر شکر وجدان مقام را، و جامه‌های دیگر لباس یک مقام بود و مرقعه لباس جامه مرکل مقامات طریقت و فقر و صفوت را، و بیرون آمدن از این جامه و تبرا کردن، تبرا بود از همه.

هر چند که جای این مسأله نبود؛ که اندر باب خرق و کشف حجاب السماع می‌بایست، اینجا اشارتی کردم بدان مقدار که این لطیفه فرو نشد، و به جایگاه این حکم را تفصیل دهم، ان شاء الله عزّ و جلّ.

و نیز گفته‌اند: پوشاننده مرقعه را چندان سلطنت باید اندر طریقت که چون اندر بیگانه نگردد به چشم شفقت، آشنا گردد و چون جامه‌ای اندر عاصی پوشد از اولیای خدا گردد.

وقتی در خدمت شیخ خود می‌رفتم اندر دیار آذربایگان، مرقعه داری دو سه دیدم که بر سر خرمن گندم استاده بودند و دامنه‌های مرقعه پیش کرده تا مرد برزگر گندم در آن افکند. شیخ بدان التفات کرد و برخواند: «اولئک الذین اشترؤا الضلالة بالهدی فما ربحت تجارتهم و ما كانوا مهتدین (۱۶/البقره)». گفتم: «ایها الشیخ، ایشان به چه بی حرمتی بدین بلا مبتلا گشتند و بر سر خلائق فضاحت شدند؟» فرمود که: «پیران ایشان را حرص مرید جمع کردن بوده است، و ایشان را حرص دنیا جمع کردن است و حرصی از حرصی اولی تر نیست، و دعوت بی امر کردن هوی پروردن است.»

و از جنید می‌آید رحمة الله علیه که به باب الطاق ترسایی دید سخت با جمال. گفت: «بارخدا یا، این را درکار می‌کن؛ که سخت نیکو آفریده‌ای.» چون زمانی برآمد، ترسا بیامدگفت: «ایها الشیخ، شهادت عرضه کن بر من.» شهادت عرضه کرد. مسلمان شد و یکی از اولیای خدای گشت.

و از شیخ بوعلی سیاه مروزی رحمة الله علیه پرسیدند که: «پوشیدن مرقعه که را مسلم بود؟» گفت: «آن کس را که مشرف مملکت خداوند تعالی باشد، چنانکه اندر جهان هیچ چیز نرود آن روز از احکام و احوال الا که وی را آگاه کنند.»

پس مرقعه سمّت صالحان و علامت نیکان و لباس فقرا و متصوّفه است و در حقیقت فقر و صفوت، پیش از این سخن رفت و اگر کسی مر لباس اولیا را آلت جمع دنیا و پوشش آفت خود سازد، مر آن را بدان زیانی بیشتر ندارد. و بالله التوفیق.

باب اختلافهم فی الفقر و الصفة

اما علمای این طریقت را اندر فقر و صفوت خلاف است. به نزدیک گروهی فقر تماماً از صفوت و به نزدیک گروهی صفوت تماماً.

آنان که فقر را مقدم بر صفوت کنند، گویند: «فقر فنای کل بود و انقطاع اسرار و صفوت مقامی است از مقامات آن چون فنا حاصل آمد مقامات جمله ناچیز گردد.» و این مسأله به فقر و غنا بازگردد و پیش از این در این سخن رفته است.

و باز آنان که صفوت را مقدم نهند، گویند: «فقر شیء موجود است اسم پذیر، و صفوت صفاست از کل موجودات و صفا عین فنا بود و فقر عین غنا. پس فقرا از اسامی مقامات است و صفوت از اسامی کمال.» و اندر این، سخن درازگشته است در این زمانه و هرکسی بر وجه تعجب عبارتی می کنند و بر یکدیگر قولی غریب می آرند و اندر تقدیم و تأخیر فقر و صفوت خلاف است و عبارت مجرد نه فقر است و نه صفوت به اتفاق. پس از عبارت مذهبی بر ساختند و طبع را از ادراک معانی برداختند، و حدیث حق بینداخت. نفی هوی را نفی عین می خوانند و اثبات مراد را اثبات عین می دانند. پس موجود و مفقود و منفی و مثبت جمله ایشانند به قیام نفس و هوای خود؛ و طریقت منزله است از ترهات مدعیان.

و در جمله اولیا به محلی برسند که محل نماند و درجه و مقامات فانی گردد و عبارت از آن معنی منقطع؛ چنانکه نه شرب ماند و نه ذوق، و نه قمع و نه قهر و نه صحو و نه محو. آنگاه ایشان نامی طلبند ضرورتی تا بر آن معنی پوشند که اندر تحت اسم نیاید و مستعمل صفت نگردد. آنگاه هرکسی نامی را که معظم تر باشد به نزدیک ایشان بر آن معنی پوشند و اندر آن اصل تقدیم و تأخیر روا نباشد که کسی گوید که آن مقدم یا این؛ که تقدیم و تأخیر اندر تسمیات واجب کند. پس گروهی را نام فقر مقدم نمود بر دلشان معظم بود؛ از آنچه تعلقشان به گذاردش و تواضع بود و گروهی را نام صفوت مقدم نمود بر دلشان معظم بود؛ از آنچه به رفع کدورات و فنای آفات نزدیک بود و مرادشان از این دو تسمیه اعلام خواستند و نشان از آن معنی که عبارت از آن منقطع بود و با یکدیگر اندر آن به اشارت سخن می گفتند و کشف وجود خود را با تمام اعلام کردند؛ مر این گروه را خلاف نیفتاد اگر عبارت فقر آرند یا صفوت. باز اهل عبارت و ارباب اللسان را که از تحقیق آن معنی بی خبر بودند اندر مجرد عبارت سخن رفت، یکی را مقدم کردند و یکر را مؤخر و این هر دو عبارت بود. پس آن گروه رفتند با تحقیق معانی و این گروه ماندند در ظلمت عبارت.

و در جمله چون کسی را آن معنی حاصل بود و مر آن را قبله دل خود گردانیده باشد، اگر او را فقیر خوانند یا صوفی، هر دو نام اضطراری باشد مر آن معنی را که اندر تحت اسم نیاید.

و این خلاف از وقت ابوالحسن سمعون باز است رحمة الله علیه که وی چون اندر کشفی بودی که تعلق به بقا داشتی، فقر را بر صفوت مقدم نهادی؛ و باز چون اندر محلی بودی که تعلق به فنا داشتی، صفوت را بر فقر مقدم داشتی. ارباب معانی آن وقت او را گفتند که: «چرا چنین می گویی؟» گفت: «طبع را اندر فنا و نگونساری شربی تمام است و اندر بقا و علو نیز همچنان. چون من اندر محلی باشم که تعلق آن به فنا باشد، صفوت را مقدم گویم بر فقر و چون اندر محلی باشم که تعلق آن به بقا باشد، فقر را مقدم گویم بر صفوت؛ که فقر نام فناست و صفوت از آن بقا تا اندر بقا رؤیت بقا از خود فانی گردانم و اندر فنا رؤیت فنا، تا طبعم از فنا فنا باشد و از بقا فنا باشد.

و این سخنان از روی عبارت خوب است، اما فنا را فنا باشد و بقا را فنا نه. هر باقیی که آن فانی شود از خود

فانی بود و هر فانی که آن باقی شود از خود باقی بود و فنا اسمی است که مبالغت اندر آن محال باشد تا کسی گوید که: «فنا فنا گردد.» که این مبالغت از نفی اثر وجود آن معنی توان کرد اندر فنا، و تا اثری مانده است هنوز فنا نیست؛ و چون فنا حاصل آمد فنای فنا هیچ چیز نباشد بجز تعجب اندر عبارتی بی معنی و این ترهات ارباب اللسان است اندر وقت پرستش عبارت. وما را از این جنس سخنانی است اندر کتاب فنا و بقا و آن اندر وقت هوس کودکی و تیزگی احوال کرده‌ایم؛ اما اندر این کتاب به حکم احتیاط احکام آن بیاریم، ان شاء الله، عز و جل.

این است فرق میان فقر و صفوت معنوی؛ اما صفوت و فقر معاملتی از روی تجرید دنیا و تخلی دست از آن، آن خود چیزی دیگر است و حقیقت آن به فقر و مسکنت بازگردد.

و گروهی از مشایخ رحمهم الله گفته‌اند که: فقیر فاضل‌تر از مسکین؛ از آنچه خدای عز و جل فرمود: «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ (البقره/۲۷۳)»؛ از آنچه مسکین صاحب معلوم بود و فقیر تارک معلوم. فقر عز باشد و مسکنت ذل، و صاحب معلوم اندر طریقت دلیل باشد؛ که پیغمبر علیه السلام گفت: «تَعَسَّ عَبْدُ الدَّرْهِمِ وَتَعَسَّ عَبْدُ الدِّينَارِ وَتَعَسَّ عَبْدُ الْخَمِيصَةِ وَ الْقَطِيعَةِ.» و تارک المعلوم عزیز باشد؛ که اعتماد صاحب المعلوم بر معلوم بود و اعتماد بی معلوم بر خداوند، تعالی. و چون صاحب معلوم را شغلی افتد به معلوم رود، و چون تارک معلوم را شغلی افتد به خداوند تعالی رود.

و باز گروهی گفته‌اند که: مسکین فاضل‌تر؛ از آنچه پیغمبر گفت، علیه السلام: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَسْكِينًا وَأَمِتْنِي مَسْكِينًا وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ.» چون پیغمبر علیه السلام مسکینه را یاد کرد گفت که: «یارب، به مرگ و زندگانی مرا از مساکین دار»، و چون فقر را یاد کرد گفت: «كَادَ الْفَقْرُ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا.» و فقیر آن بود که متعلق سببی بود و مسکین آن که منقطع الاسباب باشد و اندر شریعت به نزدیک گروهی از فقها فقیر صاحب بلغه بود و مسکین مجرد و به نزدیک گروهی مسکین صاحب بلغه بود و فقیر مجرد. پس اینجا اهل مقامات مسکین را صوفی خوانند و این اختلاف به اختلاف فقها رضی الله عنهم متصل است. به نزدیک آن که فقیر مجرد بود و مسکین صاحب بلغه، فقر فاضل‌تر از صفوت و به نزدیک آن که مسکین مجرد بود و فقیر صاحب بلغه، صفوت فاضل‌تر از فقر.

این است احکام اختلاف ایشان اندر فقر و صفوت بر سبیل اختصار و الله اعلم بالصواب.

باب الملامة

گروهی از مشایخ، طریق ملامت سپرده‌اند، و مر ملامت را اندر خلوص محبت تأثیری عظیم است و مشربی تمام و اهل حق مخصوص‌اند به ملامت خلق از جمله عالم، خاصه بزرگان این امت، کثرهم الله و رسول علیه السلام که مقتدا و امام اهل حق بود و پیشرو محبان، تا برهان حق بر وی پیدا نیامده بود و وحی بدو نپیوسته، به نزدیک همه نیکنام بود و بزرگ؛ و چون خلعت دوستی در سر وی افکندند، خلق زبان ملامت بدو دراز کردند. گروهی گفتند: «کاهن است»، و گروهی گفتند: «شاعر است»، و گروهی گفتند: «کاذب است»، و گروهی گفتند: «مجنون است»، و مانند این خدای عز و جل صفت مؤمنان کرد و گفت: «ایشان از ملامت ملامت کنندگان نترسند»؛ لقلوله، تعالی: «وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (۵۴/المائده).» و سنت بار خدای عالم جل جلاله هم چنین رفته است که هر که حدیث وی کند عالم را بجمله ملامت کنند و وی گرداند و سر وی را از مشغول گشتن به ملامت ایشان نگاه دارد و این غیرت حق باشد که دوستان خود را از

ملاحظه غیر نگاه دارد تا چشم کس بر جمال حال ایشان نیفتد و از رؤیت ایشان مر ایشان را نیز نگاه دارد تا جمال خود نبیند و به خود معجب نشوند و به آفت عجب و تکبر اندر نیفتند. پس خلق را بر ایشان گماشته است تا زبان ملامت بر ایشان دراز کردند و نفس لوامه را اندر ایشان مرکب گردانیده تا مر ایشان را بر هر چه می کنند ملامت می کند، اگر بدکنند به بدی و اگر نیک کنند به تقصیر کردن و این اصلی قوی است اندر راه خدای عز و جل که هیچ آفت و حجاب نیست اندر این طریق صعب تر از آن که کسی به خود معجب گردد.

و اصل عجب از دو چیز خیزد: یکی از جاه خلق و مدح ایشان و آن که کردار بنده خلق را پسند افتد بر وی مدح کنند، وی بدان معجب شود و دیگر کردار کسی مر آن کس را پسند افتد و خود را شایسته داند، بدان معجب شود. خداوند تعالی به فضل خود این راه بر دوستان خود بریست تا معاملتشان اگرچه نیک بود خلق نپسندیدند؛ از آنچه بحقیقت ندیدند و مجاهدتشان اگرچه بسیار بود ایشان از حول و قوت خود ندیدند و مر خود را نپسندیدند تا از عجب محفوظ بودند. پس آن که پسندیده حق بود خلق ورا نپسندند، و آن که گزیده تن خود بود حق ورا نگریند؛ چنانکه ابلیس را خلق نپسندیدند و ملائکه وی را نپسندیدند و وی خود را پسندید، چون پسندیده حق نبود پسند ایشان مر او را لعنت بار آورد و آدم را صلوات الله علیه ملائکه نپسندیدند و گفتند: «أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ (۳۰/البقره)»، و وی خود را نپسندید و گفت: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا (۲۳/الأعراف)»، و چون پسندیده حق بود، حق گفت: «فَنَسِيَ وَكَمْ نَجِدُ لَهُ عَزْمًا (۱۱۵/طه)». ناپسند خلق و ناپسند خود مر او را رحمت بار آورد تا خلق عالم بدانند که مقبول ما مهجور خلق باشد و مقبول خلق مهجور ما. تا لاجرم ملامت خلق غذای دوستان حق است؛ از آنچه اندر آن آثار قبول است، و مشرب اولیای وی؛ که آن علامت قرب است و همچنان که همه خلق به قبول خلق خرم باشند، ایشان به رد خلق خرم باشند و اندر اخبار از سید مختار آمده است علیه السلام از جبرئیل علیه السلام از خدای عز و جل که گفت: «اولیائی تحت قیابی لا یعرفهم غیری الا اولیائی.»

اما ملامت بر سه وجه است: یکی راست رفتن، و دیگر قصد کردن و سدیگر ترک کردن. صورت ملامت راست رفتن، آن بود که یکی کار خود می کند و دین را می برزد و معاملت را مراعات می کند خلق او را اندر آن ملامت می کنند و این راه خلق باشد اندر وی، و وی از جمله فارغ.

و صورت ملامت قصد کردن، آن بود که یکی را جاه بسیار از خلق پیدا آید و اندر میانه ایشان نشانه گردد و دلش به جاه میل کند و طبعش اندر ایشان آویزد خواهد تا دل خود را از ایشان فارغ کند و به حق مشغول گردد، بتکلف راه ملامت خلق بر دست گیرد اندر چیزی که اندر شرع زیان ندارد و خلق از وی نفرت آرند و این راه او بود در خلق، و خلق از وی فارغ.

و صورت ملامت ترک کردن، آن بود که یکی را کفر و ضلالت طبعی گریبانگیر شود تا به ترک شریعت و متابعت آن بگوید و گوید: «این ملامتی است که من می کنم.» و این راه او بود اندر او.

اما آن که طریق وی راست رفتن بود و نابرزیدن نفاق و دست برداشتن ریا، وی را از ملامت خلق پاک نباشد و اندر همه احوال بر سر رشته خود باشد، به هر نام که خوانندش، ورا یکی باشد.

و اندر حکایات یافتیم که شیخ ابوطاهر حرمی رضی الله عنه روزی بر خری نشسته بود و مریدی از آن وی عنان خر وی گرفته بود، اندر بازار همی رفت. یکی آواز داد که: «آن پیر زندیق آمد.» آن مرید چون آن سخن بشنید از غیرت ارادت خود رجم آن مرد کرد، و اهل بازار نیز جمله بشوریدند. شیخ گفت مر مرید را: «اگر خاموش باشی من ترا چیزی آموزم که از این محن بازرهی.» مرید خاموش بود. چون به خانقاه خود باز رفتند، این مرید را گفت: «آن صندوق بیار.» چون بیاورد، درزه های نامه بیرون گرفت و پیش وی افکند. گفت: «نگاه کن، از همه

کسی به من نامه‌هاست که فرستاده‌اند. یکی مخاطبه شیخ امام کرده است و یکی شیخ زکی، و یکی شیخ زاهد و یکی شیخ الحرمین و مانند این و این همه القاب است نه اسم، و من این همه نیستم. هرکس بر حسب اعتقاد خود سخنی گفته‌اند و مرا لقبی نهاده‌اند. اگر آن بیچاره نیز بر حسب عقیدت خود سخنی گفت و مرا لقبی نهاد، این همه خصومت چرا انگیختی؟»

و اما آن که طریقتش قصد باشد اندر ملامت و ترک جاه و ریاست و دست برداشتن مشغولی خلق، چنان بود که روایت آرند از امیرالمؤمنین عثمان رضی الله عنه که روزی از خرماسانی از آن خود می‌آمد اندر حال خلافت، حُزْمه‌ای هیزم بر سرگرفته و وی چهارصد غلام داشت. گفتند: «یا امیرالمؤمنین، چه حالت است؟» گفت: «أُرِيدُ أَنْ أُجَرِّبَ نَفْسِي. مرا غلامان هستند که این کار بکنند، ولی من می‌خواستم تا نفس خود را تجربه کنم تا جاه خلق و را از هیچ کاری باز دارد؟»

و این حکایت صریح است بر اثبات ملامت و اندر این معنی حکایت است از امام ابوحنیفه رضی الله عنه آنجا که ذکر وی آید، بیاید اندر این کتاب.

و نیز از ابویزید می‌آید رضی الله عنه که: از حجاز می‌آمد. اندر شهر بانگ درافتاد که: «بایزید آمد.» مردمان شهر جمله پیش وی باز رفتند و به اکرام وی را به شهر درآوردند. چون به مراعات ایشان مشغول شد از حق بازماند و پراکنده گشت. چون به بازار درآمد، قرصی از آستین بیرون گرفت و خوردن گرفت. جمله از وی برگشتند و وی را تنها بگذاشتند، و این اندر ماه رمضان بود. تا مریدی که با وی بود مرید را گفت: «ندیدی که یک مسأله از شریعت کار بستم همه خلق مرا رد کردند؟»

و من که علی بن عثمان الجلابی ام وفقنی الله می‌گویم که اندر آن زمانه مر ملامت را فعلی می‌بایست مستنکر، و پدید آمدن به چیزی به خلاف عادت. اکنون اگر کسی خواهد که مر او را ملامت کنند، گو: «دو رکعت نماز کن درازتر.» یا «دین را بتمامی ببر.» همه خلق بیکبار و را منافق و مُرایی خوانند.

اما آن که طریقتش ترک بود به خلاف شریعت چیزی بر دست گیرد و گوید که: «طریق ملامت می‌برزم.» آن ضلالتی واضح بود و آفتی ظاهر و هوسی صادق؛ چنانکه اندر این زمانه بسیار هستند، و مقصود ایشان از رد خلق قبول ایشان است؛ از آنچه نخست باید که کسی مقبول باشد تا قصد رد ایشان کند و به فعلی پدیدار آید که ایشان و را رد کنند. قبول ناکرده را تکلف رد کردن بهانه باشد.

و وقتی مرا با یکی از این مدعیان مبطل صحبت افتاد. روزی وی به معاملتی خراب پدید آمد و عذر آن، ملامت آورد. یکی مرا و را گفت: «این هیچ چیز نیست.» وی را دیدم که نفسی برآورد. گفتم: «ای هذا! اگر می‌طریق ملامت کنی و اندر این درستی، انکار این جوانمرد مر فعل ترا تأکید مذهب توست و چون وی با تو اندر راه تو موافقت می‌کند این خصومت چه چیز است و این خشم چرا؟ این قصه توبه دعوت مانده‌تر از ملامت است. و هر که خلق را دعوت کند به امر می‌کند از حق و مر آن را برهانی باید، و برهان آن حفظ سنت بود. چون از تو ترک فریضه می‌بینم و تو خلق را دعوت می‌کنی این کار از دایره اسلام بیرون باشد.»

فصل

بدان که مذهب ملامت را اندر این طریقت آن شیخ زمانه خود، حمدون قصار، نشر کرده است، و وی را اندر حقیقت ملامت لطایف بسیار است.

از وی رحمة الله علیه می‌آید، گفت: «المَلَامَةُ تَرْكُ السَّلَامَةِ.»

ملامت دست برداشتن سلامت بود، و چون کسی قصداً به ترک سلامت خود بگوید و مر بلاها را میان اندر بندد

و از مألوفات و راحت جمله تبرا کند مر امیدکشف جلال و طلب مال را، تا به رد خلق از خلق نویدگردد و طبعش الفت خود از ایشان بگسلد، هر چند از ایشان گسسته‌تر بود به حق پیوسته‌تر بود. پس آنچه روی همه خلق بدان بود و آن سلامت است مر اهل ملامت را پشت بدان بود، تا همشان خلاف هموم باشد و همشان خلاف همم. اندراوصاف خود وحدانی باشند؛ چنانکه احمدبن فاتک روایت کرد از حسین منصور که او را پرسیدند: «مَنْ الصَّوْفِيُّ؟» قال: «وحدانی الذَّات.»

و از حمدون رحمة الله پرسیدند از ملامت. گفت: «راه آن بر خلق دشوار است؛ اما طرفی بگویم: رجاء المُرْجِيَّةِ و خوف القَدْرِیَّةِ. ترس قدریان و رجای مُرجیان صفت ملامتی بود.»

و اندر تحت این رمزی است: بدان که به هیچ چیز از این طبع از درگاه خداوند تعالی نَفورتر از آن نگردد که به جاه خلق، و آدمی را آن مقدار بسنده باشد که کسی گوید نیکومردی است، و او را بستانید. وی جان و دل بدو دهد و از خدای تعالی بدو بازماند. پس خایف پیوسته می‌کوشد که از محل خطر دور باشد و اندر این کوشش مر طالب را دو خطر باشد: یکی خوف حجاب خلق و دیگر منع فعلی که خلق بدان فعل بدو بزهکارگردند و زبان ملامت بدو درازکنند. نه روی آن که با جاه ایشان بیارامد و نه برگ آن که ایشان را به ملامت خود بزهکارکنند. پس ملامتی را باید که نخست خصومت دنیایی و عقبایی از خلق منقطع کند بدانچه وی را گویند و مر نجات دل را فعلی کند که نه آن در شریعت کبیره باشد و نه صغیره؛ تا مردمان وی را رد کنند؛ تا خوفش اندر معاملات چون خوف قدریان باشد و رجایش اندر معاملات ملامت‌کنندگان چون رجای مُرجیان باشد.

و اندر حقیقت دوستی هیچ چیز خوشتر از ملامت نیست؛ از آن که ملامت دوست را بر دل دوست اثر نباشد و دوست را جز بر سرکوی دوست گذر نباشد، و اغیار را بر دل دوست خطر نباشد؛ «لِإِنَّ الْمَلَامَةَ رَوْضَةُ الْعَاشِقِينَ وَ نَظْهُةُ الْمُحِبِّينَ وَ رَاحَةُ الْمُشْتَاقِينَ وَ سُورُ الْمُرِيدِينَ.»

و مخصوص‌اند این طایفه از ثقلین به اختیارکردن ملامت تن از برای سلامت دل، و هیچ کس را از خلایق از مقربان و کروبیان و روحانیان این درجه نبوده است و از امم پیشین نیز از عباد و زهاد و اعیان خلق که بوده‌اند این مرتبه نه، بجزگروهی را از این امت که سالکان طریق انقطاع دلند.

اما به نزدیک من طلب ملامت عین ریا بود و ریا عین نفاق؛ از آنچه مُرایی راهی رود که خلق و را قبول کند و ملامتی بتکلف راهی رود که خلق و را رد کند و هر دو گروه اندر خلق مانده‌اند و از نشان برون‌گذر ندارند، تا یکی بدین معاملات برون آمده است و یکی بدان معاملات. و درویش را جز حدیث حق بر دل نگذرد و چون از خلق دل گسسته بود از این هر دو معنی فارغ بود و هیچ چیز پای بند وی نیاید.

وقتی مرا با یکی از ملامتیان ماوراء النهر صحبت افتاد. چون من منبسط شدم اندر صحبت، گفتم: «ای اخی، مرادت اندر این افعال شوریده چه چیز است؟» گفت: «سپری کردن خلق اندر خود.» گفتم: «این خلق بسیارند و تو عمر و روزگار و مکانت آن نیابی که خلایق را اندر خود سپری کنی، همی خود را اندر خلق سپری کن تا از این همه مشغولی بازری.»

و گروهی بوند که به خلق مشغول بوند، پندارند که خلق نیز بدیشان مشغول‌اند.

پس هیچ کس ترا می‌نبیند. تو خود را می‌بینی. آفت روزگار تو از دیده‌توست. ترا با غیرچه کار؟ کسی را که شفا از احتما باید طلبد او از تناول طلبد، از مردمان نباشد.

و بازگروهی مر ریاضت نفس را ملامتی کنند، تا به خواری خلق نفسشان ادب گیرد و داد خود از وی بیابند؛ که خوشتر وقتی مر ایشان را آن بود که نفس خود را اندر بلا و خواری یابند.

و از خواجه ابراهیم ادهم رحمة الله علیه روایت آرند که یکی وی را پرسید که: «هرگز خود را به مراد خود رسیده

دیدی؟» گفتا: «بلی، دوبار دیده‌ام:

یک بار در کشتی نشسته بودم و کس اندر آنجا مرا نشناخت و جامهٔ خَلَق داشتم و موی دراز گشته، و بر حالی بودم که اهل آن کشتی بر من فسوس و خنده ستانی می‌کردند و اندر کشتی با آن قوم مسخره‌ای بود که هر زمان بیامدی و موی من بکشیدی و بکندی، و با من به وجه تَسَخَّر استخفاف کردی و من خود را به مراد خود می‌یافتمی و بدان دَلَّ نفس خود شاد همی بودمی. تا روزی آن شادی به غایت برسید و آن چنان بود که روزی آن مسخره برخاست و بر من بول انداخت.

و دیگر بار اندر بارانی عظیم به دهی فراز رسیدم و سرمای زمستان مرا غلبه کرده بود و مرقعه بر تن من تر گشته. به مسجدی فراز رسیدم. مرا اندر آنجا نگذاشتند و دیگر مسجد و سدیکر همچنان. عاجز آمدم و سرما بر تن من قوت گرفت. با تون گرمابه اندر آمدم و دامن خود بدان آتش اندر کشیدم دود آن به زیر من برآمد. جامه و رویم سیاه شد. آن شب به مراد خود رسیده بودم.»

و مرا که علی بن عثمان الجلابی ام و فقی الله وقتی واقعه‌ای افتاد و بسیار مجاهدت کردم امید آن را که واقعه حل شود، نشد. و وقتی پیش از آن مرا از آن جنس واقعه‌ای افتاده بود، به گور شیخ بایزید رحمة الله علیه مجاور نشسته بودم تا حل شد. این بار نیز قصد آنجا کردم و سه ماه بر سر تربت وی مجاور بودم هر روز سه غسل می‌کردم و سی طهارت، مرا میدکشف آن واقعه را، البته حل نشد. برخاستم و قصد خراسان کردم. اندر ولایت کُمِش، به دیهی رسیدم که آنجا خانقاهی بود و جماعتی از متصوفه و من مرقعه‌ای خشن داشتم بسنت و از آلت اهل رسم با من هیچ نبود بجز عصا و رکوه‌ای. به چشم آن جماعت سخت حقیر نمودم و کس مرا ندانست. ایشان به حکم رسم می‌گفتند با یکدیگر که: «این از ما نیست.» و راست چنان بود که از ایشان نبودم؛ اما لابد بود آن شب اندر آنجا بودن.

آن شب مرا بر بامی بنشانند و خود بر بامی بلندتر رفتند، و مرا بر زمینی خشک بنشانند و نانی سبز گشته پیش من نهادند و به من بوی آب‌هایی که ایشان می‌خوردند می‌رسید؛ و با من به طنز سخن می‌گفتند از بام بالا. چون از طعام فارغ شدند، خربزه می‌خوردند و پوست بر سر من می‌انداخت بر وجه طیبیت. حال خود و استخفاف ایشان به دل فرو می‌خوردم و می‌گفتم: «بار خدایا، اگر نه آنستی که جامهٔ دوستان تو دارند والا من از ایشان نکشمی.» هر چند که آن طعن ایشان بر من زیادت می‌شد دل من اندر آن خوشتر همی گشت، تا به کشیدن آن بار، واقعه من حل شد. و اندر وقت بدانستم که مشایخ رحمهم الله جُهَّال را از برای چه اندر میان خود راه داده‌اند و بار ایشان از برای چه می‌کشند.

این است احکام ملامت بتمامی با تحقیق آن که پیدا کردم. و بالله التوفیق.

بابُ فی ذکر أُمَّتِهِم مِنَ الصَّحَابَةِ وَ التَّابِعِينَ وَ مُتَابِعِهِم، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ

أَجْمَعِينَ

اکنون طرفی یاد کنیم از احوال ائمهٔ ایشان از صحابه که پیشرو ایشان بودند اندر معاملات، و قُدوهٔ ایشان اندر انفسا و قُواد ایشان اندر احوال، از پس انبیا از سابقان اولین از مهاجر و انصار رضوان الله علیهم تا تأکیدی بود مر اثبات مراد ترا، ان شاء الله، عزّ و جلّ.

ابوبکر عبدالله بن عثمان، الصدیق، رضی الله عنه

منهم: شیخ الاسلام، و بعد از انبیاء بهترین انام، که خلیفه پیغمبر بود و امام و سید اهل تجرید، و پیشوای ارباب تفرید و از آفات نفسانی بعید، ابوبکر عبدالله ابن عثمان، الصدیق، رضی الله عنه.

که وی را کرامات مشهور است و آیات و دلایل ظاهر اندر معاملات و حقایق. و اندر «باب تصوّف» طرفی از روزگار وی گفته شده است. و مشایخ وی را مقدم ارباب مشاهدت داشته‌اند مر قلت حکایت و وراثت را، و عمر را رضی الله عنه مقدم ارباب مجاهدت مر صلابت و معاملت را.

و اندر اخبار صحاح مسطور است و اندر میان اهل علم مشهور که چون وی به شب نمازکردی نرم خواندی و چون عمر نمازکردی بلند خواندی. رسول علیه السلام از ابوبکر پرسید که: «چرا نرم خوانی؟» گفت: «أَسْمِعُ مَنْ أُنَاجِي؛ زانچه می‌دانم که از من غایب نیست و به نزدیک سمع وی نرم و بلند خواندن یکسان است.» و از عمر پرسید. گفت: «أَوْقِظُ الْوَسْطَانَ وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ.»

این نشان از مجاهدت داد و آن از مشاهدت و مقام مجاهدت اندر جنب مقام مشاهدت چون قطره‌ای بود اندر بحری و از آن بود که پیغمبر گفت، علیه السلام: «هل أنتَ إلاَّ حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ أَبِي بَكْرٍ؟» پس چون وی حسنه ای بود از حسنات ابی بکر که عز اسلام بدو بود نظر کن تا عالمیان چگونه باشند.

از وی می‌آید که گفت: «دَارُنَا فَانِيَةٌ وَ اِحْوَالُنَا عَارِيَةٌ وَ اَنْفَاسُنَا مَعْدُودَةٌ وَ كَسَلُنَا مَوْجُودَةٌ.»

سرای ما گذرنده است و احوال ما اندر او عاریت و نَفْسَه‌ای ما بشمار و کاهلی ما ظاهر. پس عمارت سرای فانی از جهل باشد، و اعتماد بر حال عاریتی از بله، و دل بر انفاس معدود نهادن از غفلت و کاهلی را دین خواندن از غبن؛ که آنچه عاریت بود باز خواهند و آنچه گذرنده بود نماند و آنچه اندر عدد آید برسد و کاهلی را خود دارو نیست. نشانی داد ما را رضی الله عنه که دنیا و دنیایی را چندین خطر نیست که خاطر را بدان مشغول باید گردانید؛ که هرگاه که به فانی مشغول شوی از باقی محجوب گردی. چون نفس و دنیا حجاب طالب آمد از حق، دوستان وی از هر دو اعراض کردند، و چون دانستند که عاریت است، عاریت از آن دگرکس بود، دست تصرف از ملک کسان کوتاه کردند.

و هم از وی می‌آید که گفت اندر مناجاتش، رضی الله عنه: «اللَّهُمَّ اُبْسُطْ لِي الدُّنْيَا وَ زَهِّدْنِي فِيهَا.»

نخست گفت: «دُنْيَا بَر مِنْ فِرَاحِ گِرْدَانِ»، آنگاه «مرا از آفت آن نگاه دار.» و اندر تحت این رمزی است؛ یعنی نخست دنیا بده تا شکر آن بکنم، آنگاه توفیق آن ده تا از برای تو دست از آن بدارم و روی از آن بگردانم تا هم درجه شکر و انفاق یافته باشم و هم مقام صبر و تا اندر فقر مضطر نباشم، که فقر مرا به اختیار باشد و این رد است بر آن پیر معاملت که گفت: «آن که فقرش به اضطرار بود تمامتر از آن بود که به اختیار؛ که اگر به اضطرار بود او صنعت فقر بود و اگر به اختیار بود فقر صنعت او بود، و چون کسب وی از جلب فقر منقطع بود بهتر از آن بود که بتکلف خود را درجتی سازد.»

گوییم صنعت فقر ظاهرتر آنگاه بود که اندر حال غنا ارادت آن بر دلش مستولی شود و چندان فعل کند که او را از محبوب آدم و ذریت او باز ستاند و آن دنیاست؛ نه آن که در حال فقر خواست غنا بر دلش مستولی شود و چندان فعل کند که او را از برای درمگانه‌ای به درگاه ظلمه و سلاطین باید شد. صنعت فقر آن نهند که از غنا به فقر افتد نه آن که اندر فقر طلب ریاست کند و صدیق اکبر رضی الله عنه مقدم همه خلائق است از پس انبیا و روا نباشد که کس قدم پیش وی نهد مقدم گردانید فقر به اختیار را بر فقر به اضطرار. و جمله مشایخ متصوّفه بدین‌اند الا آن یک پیر که یاد کردیم حجت و مقالتش را و رد بر وی بیاوردیم. آنگاه مؤکد گردانید این را صدیق اکبر و دلیل واضح کرد.

و زُهری از وی روایت کرد که چون وی را به خلافت بیعت کردند، وی رضی الله عنه بر منبر شد و خطبه کرد و اندر میان خطبه گفت: «وَاللَّهِ مَا كُنْتُ حَرِيصًا عَلَى الْإِمَارَةِ يَوْمًا وَلَا لَيْلَةً قَطُّ، وَلَا كُنْتُ فِيهَا رَاغِبًا وَلَا سَأَلْتُهَا اللَّهَ قَطُّ فِي سِرٍّ وَلَا عِلَانِيَةً. وَمَا لِي فِي الْإِمَارَةِ مِنْ رَاحَةٍ. بِه خدای که من بر امارت حریص نیستم و نبودم و هرگز روزی و شبی ارادت آن بر دلم گذر نکرد و مرا بدان رغبت نبود و از خدای تعالی در نخواستم به سر و علانیه و مرا اندر آن راحت نیست.»

و چون بنده از خدای عزّ و جلّ به کمال صدق برساند و به محل تمکین مکرم گرداند، منتظر وارد حق باشد تا بر چه صفت وی بر آن می‌گذرد، اگر فرمان آید فقیر باشد و اگر فرمان باشد امیر باشد اندر این تصرف و اختیار نکند؛ چنانکه صدیق رضی الله عنه اندر ابتدا کرد و اندر آن نیز بجز تسلیم نبرزد؛ چنانکه وی اندر انتها. پس اقتدای این طایفه به تجرید و تمکین و حرص بر فقر و تمنی به ترک ریاست بدوست؛ از بعد آن که امام دین همه مسلمانی وی است عام و امام اهل این طریقت وی است خاص، رضی الله عنه.

ابوحفص عمر بن الخطاب، رضی الله عنه

و منهم: سرهنگ اهل ایمان و صُعلوک جمع اهل احسان، امام اهل تحقیق اندر بحر محبت غریق، ابوحفص عمر بن الخطاب، رضی الله عنه

که وی را کرامات مشهور است و فراسات مذکور و مخصوص بود به فراست و صلابت. و وی را لطایف است اندر این طریقت و حقایق اندر این معنی؛ کما قال، علیه السلام: «الْحَقُّ يَنْطِقُ عَلَى لِسَانِ عَمْرٍ، حَقٌّ بِرِزَانِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ مَنَظَرٍ» و نیز گفت، علیه السلام: «قَدْ كَانَ فِي الْأُمَّةِ مُحَدِّثُونَ فَإِنْ يَكُنْ فِي أُمَّتِي فَعَمْرٌ، اندر امتان پیشین محدثان بودند و اگر در این امت باشد عمر است.»

و وی را در این طریقت رموز لطیف بسیار است، اندر این کتاب جمله را احصا نتوان کرد؛ اما از وی می‌آید که گفت: «الْعَزْلَةُ رَاحَةٌ مِنْ خُلْطَاءِ السُّوءِ.»

عزلت راحت بود از همشینیان بد و عزلت بر دوگونه بود: یکی اعراض از خلق، و دیگر انقطاع از ایشان و اعراض از خلق گزیدن جای خالی بود و تبرا کردن از محبت اجناس به ظاهر و آرامیدن با خود به رؤیت عیوب اعمال خود و خلاص جستن خود را از مخالطت مردمان و ایمن گردانیدن خلق را از بد خود؛ اما انقطاع از خلق به دل بود و صفت دل را به ظاهر هیچ تعلق نباشد چون کسی به دل منقطع بود از خلق و محبت ایشان وی را هیچ خبر نباشد از مخلوقات که اندیشه آن بر دلش مستولی گردد. آنگاه این کس اگرچه در میان خلق بود، از خلق وحید بود و همتش از ایشان فرید بود و این مقامی بس عالی و بعید بود و راست این صفت عمر بود رضی الله عنه که از راحت عزلت نشان داد، و وی به ظاهر اندر میان ولایت امارت و خلافت بود و این دلیل واضح است که اهل باطن اگرچه به ظاهر با خلق آمیخته باشند، دلشان به حق آویخته باشد و اندر جمله حال بدو راجع باشند و آن مقدار صحبت که با خلق کنند از حق بلاشمرند و از حق تعالی بدان صحبت با خلق نگردند؛ که هرگز دنیا مر دوستان حق را مصفا نگردهد و احوال آن مهنا نشود؛ چنانکه عمر گفت، رضی الله عنه: «دَارُ أُسْسَتِ عَلِيٍّ الْبُلْبُؤِيُّ بِلَا بُلْبُؤِي مُحَالٌّ. سَرَايِي كَيْفَ اسَاسِ أَنْ بَرَّ بِلَا وَ بَلِيَّتْ بُوْدَ مَحَالٌّ بَاشِدْ كَيْفَ هَرَكْزِ أَنْ بِلَا خَالِي بُوْد.»

و عمر رضی الله عنه از خواص اهل و اصحاب رسول علیه السلام بود و اندر حضرت حق تعالی به همه افعال مقبول بود؛ تا حدی که جبرئیل علیه السلام اندر ابتدای عهد اسلام عمر پیامد و رسول را گفت: «يَا مُحَمَّدُ، قَدْ اسْتَبَشَّرَ أَهْلُ السَّمَاءِ الْيَوْمَ بِإِسْلَامِ عَمْرٍ.»

پس اقتدای این طایفه به لبس مرقعه و صلابت دین بدوست؛ از بعد آن که وی به جمله انواع مر خلق عالم را

امام است، رضی الله عنه.

ابوعمر و عثمان بن عفان، رضی الله عنه

و منهم: گوهر گنج حیا، و اعبد اهل صفا و متعلق درگاه رضا و متمکن بر طریق مصطفی صلوات الله علیه ابوعمر و عثمان بن عفان، رضی الله عنه که وی را فضایل هویدا است و مناقب ظاهر اندر کل معانی.

و عبدالله بن ربیع و ابوقتاده رضی الله عنهما روایت آورده که روز حرب الدار ما به نزدیک عثمان بودیم، رضی الله عنه. چون غوغا بر درگاه وی جمع شدند غلامان وی سلاح برداشتند. عثمان گفت: «هرکه سلاح برنگیرد از مال من آزاد است.» و ما از ترس خود بیرون آمدیم. حسن بن علی ما را در راه پیش آمد. با وی بازگشتیم و به نزدیک عثمان اندر آمدیم که تا حسن رضی الله عنه به چه کار آمده است و چون حسن اندر آمد سلام گفت، و وی را بر آن بلیت تعزیت کرد و گفت: «یا امیر المؤمنین، من بی فرمان تو با مسلمانان شمشیر نتوانم کشید و تو خلیفت حقی. مرا فرمان ده تا بلا ی این قوم از تو دفع کنم.» عثمان گفت وی را: «یا ابن اخی، اِرْجِعْ وَأَجْلِسْ فِی بَیْتِكَ حَتَّى یَأْتِیَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِی إِهْرَاقِ الدِّمَاءِ. ای برادرزاده، بازگرد و اندر خانه خود بنشین تا فرمان خداوند و تقدیر وی چه باشد؛ که ما را به خون ریختن مسلمانان حاجت نیست.»

و این علامت تسلیم است اندر حال ورود بلا اندر درجه خُلت؛ چنانکه نمرود آتش بر افروخت و ابراهیم را علیه السلام اندر پله منجیق نهاد. جبرئیل علیه السلام آمد و گفت: «هَلْ لَكَ مِنْ جَاجَةٍ؟» گفت: «أَمَّا إِلَيْكَ فَلَا. به تو هیچ حاجت ندارم.» گفت: «پس از خدای بخواه.» گفت: «حَسْبِي عَن سُؤَالِي عِلْمُهُ بِحَالِي. مرا آن بس که او می داند که به من چه می رسد و او به من دانایتر از من به من. او داند که صلاح من در چه چیز است.» پس عثمان به جای خلیل، و غوغا به جای آتش، و حسن به جای جبرئیل؛ اما ابراهیم را علیه السلام از بلا نجات و عثمان را رضی الله عنه اندر بلا هلاک و نجات را تعلق به بقا بود و هلاک را به فنا و اندر این معنی پیش از این طرفی گفته ام.

پس اقتدای این طایفه به بذل مال و حیا و تسلیم امور و اخلاص اندر عبادت به وی است، رضی الله عنه. و وی بر حقیقت امام حق است اندر حقیقت و شریعت و طریقت وی اندر دوستی ظاهر است و بالله التوفیق.

ابوالحسن علی بن ابی طالب، کرم الله وجهه

و منهم: برادر مصطفی، و غریق بحر بلا و حریق نار و لا، و مقتدای اولیا و اصفیا، ابوالحسن علی بن ابی طالب، کرم الله وجهه

او را اندر این طریق شانی عظیم و درجتی رفیع است و اندر دقت عبارت از اصول حقایق حظی تمام داشت؛ تا حدی که جنید رحمه الله گفت: «شَيْخُنَا فِی الْأَصُولِ وَ الْبَلَاءِ عَلِيُّ الْمُرْتَضَى.» شیخ ما اندر اصول و اندر بلا کشیدن علی مرتضی است، رضی الله عنه؛ یعنی اندر علم و معاملت امام این طریقت علی است، رضی الله عنه از آن که علم این طریقت را اهل این، اصول گویند و معاملاتش بجمله بلا کشیدن است.

می آورند که یکی به نزدیک وی آمد که: «ای امیر المؤمنین، مرا وصیتی بکن.» گفت: «لَا تَجْعَلَنَّ أَكْبَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ وَ وُلْدِكَ فَإِنَّ يَكُنْ أَهْلُكَ وَ وُلْدُكَ مِنْ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ وَ إِنْ كَانُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ، فَمَا هُمْكَ وَ شُغْلُكَ لِأَعْدَاءِ اللَّهِ؟ نگر تا شغل زن و فرزند را مهم ترین اشغال خود نگردانی؛ که اگر ایشان از دوستان خداوند جل جلاله وی دوستان خود را ضایع نگرداند و اگر دشمنان خداوند عز و جل آندوه دشمنان خدای چه

می داری؟»

و تعلق این مسأله به انقطاع دل بود از دون حق جلّ جلاله که وی خود بندگان خود را چنانکه خواهد می دارد، هرگاه که یقین تو صادق بود؛ چنانکه موسی علیه السلام دختر شعیب را علیه السلام بر حالی هرچه صعب تر بگذاشت و به خداوند تسلیم کرد و ابراهیم هاجر و اسماعیل را برداشت علیهم السلام و به وادی غیر ذی زرع برد و به خداوند جلّ جلاله تسلیم کرد و مرایشان را اکبر شغل خود نساختند و همه دل در حق تعالی بستند تا مراد دو جهان بر آمد اندر حال بی مرادی، به تسلیم امور به خداوند عزّ و جلّ. و مانند است این سخن بدان که گفت کرم الله وجهه مر سالی را که از وی پرسیده بود که: «پاکیزه ترین کسبها چیست؟» گفت: «غناء القلب بالله.» هرکه را دل به خدای تعالی توانگر باشد، نیستی دنیا وی را درویش نگرداند و هستی آن شادی نیاردش و حقیقت آن به فقر و صفوت بازگردد و ذکر آن گذشت.

پس اهل این طریقت اقتدا بدو کنند در حقایق عبارات و دقایق اشارات و تجرید از معلوم دنیا و نظاره اندر تقدیر مولی. و لطایف کلام وی بیش از آن است که به عدد اندر آید و مذهب من اندر این کتاب اختصار است. و بالله التوفیق.

باب فی ذکر ائمتهم من اهل البيت

و اهل بیت پیغامبر علیه السلام آنان که به طهارت اصلی مخصوص اند هر یکی را اندر این معانی قدمی تمام است، و جمله قدوه این طایفه بوده اند و خاص و عام ایشان و من از روزگار گروهی از ایشان طرفی بیان کنم، ان شاء الله عزّ و جلّ.

ابومحمد الحسن بن علی، کرم الله وجهه

منهم: جگر بند مصطفی و ریحان دل مرتضی، و قرّة عین زهرا، ابومحمد الحسن بن علی، کرم الله وجهه وی را اندر این طریقت نظری تمام بود و اندر دقایق عبارات حظی وافر؛ تا که گفت اندر حال وصیت: «علیکم بِحِفْظِ السَّرَائِرِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى مُطَّلِعٌ عَلَى الضَّمَائِرِ. بر شما بادا به حفظ اسرار؛ که خداوند تعالی داننده ضمائر است.»

و حقیقت این ان بود که بنده مخاطب است به حفظ اسرار، همچنان که به حفظ اظهار. پس حفظ اسرار از التفات به اغیار بود و حفظ اظهار از مخالفت جبار. و می آید که چون قدریان غلبه گرفتند و مذهب اهل اعتزال اندر جهان پراکنده شد، حسن البصری رضی الله عنه به حسن بن علی رضی الله عنهما نامه ای نوشت و گفت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

السَّلَامُ عَلَیْكَ يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ وَ قُرَّةَ عَيْنِهِ، وَ رَحْمَةُ اللَّهِ وَ بَرَكَاتُهُ.
أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّكُمْ، مَعَاشِرَ بَنِي هَاشِمٍ، كَالْفُلْكِ الْجَارِيَةِ فِي اللَّجَجِ، وَ مَصَابِيحِ الدَّجَى، وَ أَعْلَامِ الْهُدَى وَ الْأُئِمَّةِ الْقَادَةِ، الَّذِينَ مَنْ تَبَعَهُمْ نَجَا، كَسَفِينَةِ نُوحٍ الْمَشْحُونَةِ الَّتِي يُؤَلُّ إِلَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ وَ يَنْجُو فِيهَا الْمُتَمَسِّكُونَ. فَمَا قَوْلُكَ، يَا بَنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عِنْدَ حَيْرَتِنَا فِي الْقَدَرِ وَ اخْتِلَافِنَا فِي الْإِسْطَاعَةِ؟ لِنَعْلَمْشْنَا بِمَا تَأْكُدُّ عَلَيْهِ رَأْيُكَ، فَأَنْتُمْ «دُرِيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ» بَعْلَمَ اللَّهُ عِلْمُكُمْ، وَ هُوَ الشَّاهِدُ عَلَيْكُمْ وَ أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ، وَ السَّلَامُ.

معنی این، آن بود که: سلام خدای بر تو باد، ای پسر پیغمبر خدای و روشنایی چشم او، رحمت خدای بر شما باد

و برکات او. شما جملگی بنی هاشم چون کشتیهای روانید اندر دریاها و ستارگان تابنده‌اید و علامات هدایت و امامان دین. هرکه متابع شما بود نجات یابد، چون متابعان کشتی نوح که بدان نجات یافتند مؤمنان. تو چه می‌گویی، یا پسر پیغامبر صلی الله علیه اندر تحیر ما اندر قدر و اختلاف ما اندر استطاعت؟ تا ما بدانیم که روش تو چیست اندر آن و شما ذریه پیغامبرید علیه السلام و هرگز منقطع نخواهید گشت. علمتان به تعلیم خدای است عزّ و جلّ و او نگاه دارنده و حافظ شماست و شما از آن خلق. چون نامه بدو رسید، جواب نوشت:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَمَا بَعْدُ، فَقَدْ أَنْتَهَى إِلَى كِتَابِكَ عِنْدَ حَيْرَتِكَ وَ حَيْرَةٍ مَن زَعَمْتَ مِن أُمَّتِنَا، وَ الَّذِي عَلَيْهِ رَأْيِي أَنْ مَن لَمْ يُؤْمِنْ بِالْقَدَرِ، خَيْرُهُ وَ شَرُّهُ، فَقَدْ كَفَرَ، وَ مَن حَمَلَ الْمَعَاصِيَ عَلَى اللَّهِ فَقَدْ فَجَشَرَ. إِنَّ اللَّهَ لَا يُطَاعُ بِإِكْرَاهٍ وَ لَا يُعْصَى بِغَلْبَةٍ وَ لَا يَهْمِلُ الْعِبَادَ مِنَ الْمَلَكَةِ، لَكِنَّهُ الْمَالِكُ لِمَا مَلَكَهُمْ وَ الْقَادِرُ عَلَى مَا غَلَبَهُ قُدْرَتُهُمْ فَإِنِ انْتَمَرُوا بِالطَّاعَةِ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ صَادِقٌ وَ لَا لَهُمْ عَنَّا مُثَبِّطٌ، فَإِنِ اتُوا بِالْمَعْصِيَةِ وَ شَاءَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ فِيحُولُ بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَهَا فَعَلُوا وَ إِن لَّمْ يَفْعَلُوا فَلَيْسَ هُوَ حَمَلَهُمْ عَلَيْهَا إِجْبَارًا وَ لَا أَلْزَمَهُمْ إِيَّاهَا إِكْرَاهًا بِالْحَتِّجَاجِ عَلَيْهِمْ أَنْ عَرَفَهُمْ وَ مَكَّنَهُمْ وَ جَعَلَ لَهُمُ السَّبِيلَ إِلَى أَخْذِ مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ وَ تَرَكَ مَا نَهَيْهُمْ عَنْهُ، «وَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ. (۱۴۹/الأنعام)». والسلام.

معنی این آن بود که: آنچه نبشته بودی از حیرت خود و آن که می‌گویی از امت ما، اندر قدر، و آنچه رای ما بدان مستقیم است آن است که هرکه به قدر خیر و شر از خدای، ایمان نیارد کافر است و هرکه معاصی بدو حواله کند فاجر؛ یعنی انکار تقدیر مذهب قدر بود و حوالت معاصی به خدای مذهب جبر. پس بنده مختار است اندر کسب خود به مقدار استطاعتش از خدای عزّ و جلّ و دین میان جبر و قدر است.

و مراد من از این نامه بیش از این کلمه نبود، اما جمله بیاوردم؛ که سخت فصیح و نیکو بود و این جمله بدان آوردم که وی رضی الله عنه اندر علم حقایق و اصول به درجتی بوده است که اشارت حسن بصری، با مبالغتش اندر علم، بدو بوده است. و اندر حکایات یافتیم که اعرابی از بادیه درآمد و او بر در سرای خود نشسته بود اندر کوفه. اعرابی وی را دشنام داد و مادر و پدرش را. وی برخاست و گفت: «یا اعرابی، اگرگرسنه‌ای تا نانت آرند و یا تشنه‌ای تا آبت آرند، یا ترا چه رسیده است؟» و وی می‌گفت: «تو چنین، و مادر و پدرت چنین و چنین.» حسن رضی الله عنه فرمود غلام را تا یک بدره دینار بیرون آورد و بدو داد و گفت: «یا اعرابی، معذور دار که اندر خانه ما بیش از این نمانده است والا از تو دریغ نداریم.» چون اعرابی این سخن بشنید، گفت: «اشهدُ أَنْكَ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ. می‌گواهی دهم که تو پسر پیغمبری و من اینجا به تجربت حلم تو آمدم.»

و این صفت محققان مشایخ باشد رضوان الله عليهم که مدح و ذم خلایق به نزدیک ایشان یکسان شده باشد و به جفا گفتن متغیر نشوند و الله اعلم.

ابوعبدالله الحسين بن علي بن ابي طالب، رضی الله عنهما

و منهم: شمع آل محمد، و از جمله علایق مجرد سید زمانه خود، ابوعبدالله الحسين بن علی بن ابی طالب، رضی الله عنهما

از محققان اولیا بود و قبله اهل بلا و قتل دشت کربلا و اهل این قصه بر درستی حال وی متفق‌اند که تا حق ظاهر بود مر حق را متابع بود چون حق مفقود شد شمشیر برکشید و تا جان عزیز فدای شهادت خدای عزّ و جلّ نکرد نیارامید.

و رسول را علیه السّلام اندر وی نشانهایی بود که او بدان مخصوص بود؛ چنانکه عمر بن الخطاب رضی الله عنه روایت کند که: روزی به نزدیک پیغمبر علیه السّلام اندر آمدم. وی را دیدم حسین را بر پشت خود افکنده بود و رشته‌ای اندر دهان خود گرفته و سر رشته به دست حسین داده؛ تا حسین می‌رفت و وی علیه السّلام از پس حسین به زانوها می‌رفت. من چون آن بدیدم گفتم: «نِعْمَ الْجَمَلُ جَمَلُكَ يَا بَاعِدَ اللَّهِ.» پیغمبر گفت، علیه السّلام: «نِعْمَ الرَّاکِبُ هُوَ يَا عَمْرُ.»

و وی را کلام لطیف است اندر طریقت حق، و رموز بسیار و معاملت نیکو. از وی روایت آرنده گفتم: «أَشْفَقُ الإِخْوَانَ عَلَیْكَ دَیْنُكَ.»

شفیق‌ترین برادران تو بر تو دین توست؛ از آنچه نجات مرد اندر متابعت دین بود و هلاکش اندر مخالفت آن. پس مرد خردمند آن بود که به فرمان مشفقان بود و شفقت آن بر خود بداند و جز بر متابعت آن نرود و برادر آن بود که نصیحت نماید و در شفقت نبندد.

و اندر حکایات یافتیم که روزی مردی به نزدیک وی آمد و گفت: «یا فرزند رسول خدای عزّ و جلّ مردی درویشم و اطفال دارم مرا از تو قوت امشب می‌باید.» حسین وی را گفت: «بنشین که ما را رزقی در راه است تا بیارند.» بسی برنیامد که پنج صرّه بیاوردند از نزد معاویه اندر هر صرّه‌ای هزار دینار و گفتند که: «معاویه از تو عذر می‌خواهد و می‌گوید: این قدر در وجه کهتران صرف فرماید کرد تا بر اثر این، تیمار نیکوتر داشته آید.» حسین رضی الله عنه اشارت کرد که: «بدان درویش دهید.» آن پنج صرّه بدو دادند و از وی عذرها خواست که: «بس دیر ماندی، و این بس بی خطر عطایی بود که یافتی و اگر ما دانستیمی که این مقدار است ترا انتظار ندادیمی. ما را معذور دار؛ که ما از اهل بلائیم و از همه راحت دنیا باز مانده‌ایم و مرادهای دنیای خود گم کرده ایم و زندگانی به مراد دیگران می‌باید کرد.»

و مناقب وی اشهر آن است که بر هیچ کس از امت پوشیده باشد. والله اعلم.

ابوالحسن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب، رضی الله عنهم

و منهم: وارث نبوت و چراغ امت، سید مظلوم و امام مرحوم، زین العباد و شمع الاوتاد، ابوالحسن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب، رضی الله عنهم

اکرم و اعبد اهل زمانه خود بود و وی مشهور است به کشف حقایق و نشر دقایق. از وی پرسیدند که: «سعیدترین دنیا و آخرت کیست؟»

گفت: «مَنْ إِذَا رَضِيَ لَمْ يَحْمِلْهُ رِضَاؤُهُ عَلَى الْبَاطِلِ، وَ إِذَا سَخِطَ لَمْ يَخْرِجْهُ سَخَطُهُ مِنَ الْحَقِّ. آن که بر باطل راضی نبود چون راضی شود و خشمش از حق بیرون نیارد چون خشمگین گردد.»

و این از اوصاف کمال مستقیمان است؛ زانچه رضا دادن به باطل باطل بود و دست برداشتن حق اندر حال خشم، باطل؛ و مؤمن مبطل نباشد.

و نیز می‌آید که چون حسین علی را با فرزندان وی رضوان الله علیهم اندر کربلا بکشتند، جز وی کسی نماند که بر عورات قیم بودی و او بیمار بود و امیرالمؤمنین حسین رضی عنهم وی را علی اصغر خواندی. چون ایشان را بر اشتران برهنه به دمشق اندر آوردند پیش یزید بن معاویه اخزاه الله یکی و را گفت: «كَيْفَ أَصْبَحْتُمْ يَا عَلِيُّ يَا أَهْلَ بَيْتِ الرَّحْمَةِ؟ قَالَ: «أَصْبَحْنَا مِنْ قَوْمِنَا بِمَنْزِلَةِ قَوْمِ مُوسَى مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ، يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَنَا وَ يَسْتَحْيُونَ نِسَاءَنَا، فَلَا نَدْرِي صَبَاحَنَا مِنْ مَسَاءِنَا، وَ هَذَا مِنْ حَقِيقَةِ بَلَاءِنَا.»

: «بامدادتان چون بود، یا علی و یا اهل بیت رحمت؟» گفت: «بامداد ما از جفای قوم خود، چون بامداد قوم

موسی از بلای قوم فرعون بود که فرزندان ایشان را می‌کشتند و عوراتشان را برده می‌گرفتند؛ تا نه بامداد و نه شبانگاه می‌شناسیم و این از حقیقت بلای ماست و ما مر خداوند را جل جلاله شکرگوییم بر نعمتهای وی و صبرکنیم بر بلیات وی.»

و اندر حکایات است که هشام بن عبدالملک بن مروان سالی به حج آمد، خانه را طواف می‌کرد، خواست تا حجر بیوسد از زحمت خلق راه نیافت. آنگاه بر منبر شد و خطبه کرد. آنگاه زین العابدین، علی بن الحسین رضی الله عنه به مسجد اندر آمد با رویی مقمر و خدی منور و جامه‌ای معطر، و ابتدای طواف کرد چون به نزدیک حجر فراز رسید، مردمان مر تعظیم ورا حجر خالی کردند که تا وی مر آن را بیوسید.

مردی از اهل شام، چون آن هیبت بدید با هشام گفت: «یا امیرالمؤمنین، ترا به حجره راه ندادند که امیری، آن جوان خوبروی که بود که بیامد مردمان جمله از حجر در رمیدند و جای خالی کردند؟»

هشام گفت: «من ورا شناسم.» و مرادش آن بود تا اهل شام مر او را نشانند و بدو تولا نکنند و به امارت وی رغبت نمایند.

فرزدق شاعر آنجا استاده بود، گفت: «من او را شناسم.» گفتند: «آن کیست، یا بافراس؟ ما را خبرده، که سخت مهیب جوانی دیدیم وی را.» فرزدق گفت: «شما گوش دارید تا به ارتجال صفت نسبت وی کنم:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَأْتَهُ	وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِجْلُ وَالْحَرَمُ
هَذَا بَنُ خَيْرِ عِبَادِ اللَّهِ كُلَّهُمْ	هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ، وَيَحْكُمُ	وَابْنُ الْوَصِيِّ عَلِيٍّ خَيْرِكُمْ قَدَمُ
إِذَا رَأَتْهُ فُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا	إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهَى الْكَرَمُ
يُنْمَى إِلَى ذُرْوَةِ الْعِزِّ الَّتِي قَصُرَتْ	عَنْ نَيْلِهَا عَرَبُ الْإِسْلَامِ وَالْعَجَمُ
مَنْ جَدُّهُ دَانَ فَضْلُ الْأَنْبِيَاءِ لَهُ	وَفَضْلُ أُمَّتِهِ دَانَتْ لَهُ الْأُمَمُ
يَتَشَقُّ نُورُ الدَّجِيِّ عَنْ نُورِ طَلْعَتِهِ	كَالشَّمْسِ يَنْجَابُ عَنْ إِشْرَاقِهَا الظُّلْمُ
يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانٌ رَاحَتِهِ	رُكْنَ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ
يُغْضَى حِيَاءً وَيُغْضَى مِنْ مَهَابَتِهِ	فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَلِمُ
فِي كَفِّهِ خَيْرُ رَوَانٍ رِيحُهَا عَبَقُ	مِنْ كَفِّ أُرُوعٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ
مُشْتَقَّةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ نَبَعَتِهِ	طَابَتْ عُنَاصِرُهُ وَالخَيْمُ وَالشَّيْمُ
كَلَّمَا يَدِيهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا	تُسْتَوَكَّفَانِ وَلَا يَعْرُوهُمَا الْعَدَمُ
عَمَّ الْبَرِّيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَانْقَشَعَتْ	عَنْهُ الْغِيَابَةُ وَالْإِمْلَاقُ وَالظُّلْمُ
لَا يَسْتَطِيعُ جَوَادٌ بَعْدَ غَايَتِهِمْ	وَلَا يُدَانِيهِمْ قَوْمٌ وَإِنْ كَرُمُوا
هُمُ الْغِيُوْثُ إِذَا مَا أَزَمَةُ أَزَمَتْ	وَالْأَسْدُ أَسْدُ الشَّرِيِّ وَالْبَأْسُ يَحْتَدِمُ
مِنْ مَعْشَرِ حُبُّهُمْ دِينَ وَبُغْضُهُمْ	كُفْرٌ وَقُرْبُهُمْ مَنَجِيٌّ وَمُعْتَصَمُ
انْ عُدَّ أَهْلُ التَّقِيِّ كَانُوا ائِمَّتَهُمْ	أَوْ قِيلَ مَنْ خَيْرُ أَهْلِ الْأَرْضِ قِيلَ هُمْ»

و مانند ایندر مدح وی بیتی چند بگفت و وی را و اهل بیت پیغمبر را علیهم السلام بستود. هشام با وی خشم گرفت و بفرمود تا وی را به عسفان حبس کردند؛ و آن، جایی است میان مکه و مدینه. این خبر، همچنان که بود، بعینه بدو نقل کردند بفرمود تا دوازده هزار درم بدو بردند. گفت: «ورا بگویند: یا بافراس، ما را معذور دار؛ که ما ممتحانیم و بیش از این چیزی معلوم نداشتیم که به تو فرستادیم.» فرزدق آن سیم باز فرستاد و گفت: «یا پسر پیغامبر خدای، من از برای سیم، اشعار بسیار گفته بودم و اند آن مدایح دروغ آورده. این ابیات مرکفارت

بعضی از آن را گفتم از برای خدای و دوستی رسول و فرزندان وی را.» چون پیغام به زین العابدین بردند، گفت: «بازگردید و این سیم بازبرید و بگویند: یا بافراس، اگر ما را دوست داری میپسند که ما بازگردیم بدان چیزی که بداده باشیم و از ملک خود بیرون کرده.» آنگاه فرزدق آن سیم بستد و پذیرفت. و مناقب آن سید بیش از آن است که آن را جمع توان کرد و الله اعلم.

ابوجعفر محمد بن علی بن احلسین بن علی بن ابی طالب، کرم الله وجهه و رضی عنهم

و منهم: حجت بر اهل معاملات، و برهان ارباب مشاهدت، امام اولاد نبی و گزیده نسل علی، ابوجعفر محمد بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب، کرم الله وجهه و رضی عنهم و نیز گویند کنیت وی ابو عبدالله بود، و به لقب وی را باقر خواندندی. مخصوص بود وی به دقایق علوم و به لطایف اشارات اندر کتاب خدای، عز و جل. وی را کرامات مشهور بود و آیات ازهر و براهین انور. و گویند ملکی وقتی قصد هلاک وی کرد. کس فرستاد بدو. چون به نزدیک وی اندر آمد از وی عذر خواست و هدیه داد و به نیکویی بازگردانید. گفتند: «ایها الملک، قصد هلاک وی داشتی، ترا با وی دیگرگونه دیدیم، حال چه بود؟» گفت: «چون وی به نزدیک من اندر آمد دو شیر دیدم یکی بر راست و یکی بر چپ وی، و مرا می گفتند که: اگر تو بدو قصد کنی ما ترا هلاک کنیم.»

و از وی روایت آرند که وی گفت اندر تفسیر کلام خدای، عز و جل: «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ (۲۵۶/ البقره)»، قال: «مَنْ شَغَلَكَ عَنْ مُطَالَعَةِ الْحَقِّ فَهُوَ طَاغُوتُكَ.» بازدارنده تو از مطالعه حق طاغوت توست. نگر به چه چیز محجوبی، بدان چیز بازمانده ای و آن حجاب توست. به ترک آن حجاب بگویی تا به کشف اندر رسی و محجوب ممنوع باشد و ممنوع را نباید که دعوی قربت کند.

و از خواص وی یکی روایت کند که: چون از شب لختی برفتی و وی از او را فارغ گشتی، آواز بلند برگرفتی به مناجات و گفتی:

«الهی و سیدی، شب اندر آمد و ولایت تصرف مملوکان به سر آمد و ستارگان بر آسمان هویدا شدند و خلق بجمله بختند و ناپیدا شدند. صوت مردمان بیارامید و چشمشان بخت، و از بنو امیه رمیدند و بایستهای خود نهفت، و بنو امیه درهای خود اندر بستند و پاسبانان برگماشتند و آنان که بدیشان حاجتی داشتند حاجت خود فرو گذاشتند. بار خدایا، تو زنده ای و پاینده و داننده ای و بیننده. غنودن و خواب بر تو روا نیست، و آن که تو را بدین صفت نشناسد هیچ نعمت را سزا نیست. ای آن که چیزی ترا از چیز دیگر باز ندارد و شب و روز اندر بقای تو خلل نیارد. درهای رحمت گشاده است و مواید نعمت نهاده است. اجابت سزای آن که دعا کند و نعمت برای آن که ثنا گوید. تو آن خداوندی که رد سائل بر تو روا نباشد آن که دعا کند از مؤمنان، و بر درگاہ سائل را بازدارنده ای نباشد. از خلق زمین و آسمان بار خدایا، چون مرگ و گور و حساب را یادکنم، چگونه دل را به دنیا شادکنم؟ و چون نامه را یادکنم، چگونه با چیزی از دنیا قرارکنم؟ و چون ملک الموت را یادکنم، چگونه از دنیا بهره پذیرم؟ پس از تو خواهم؛ از آنچه ترا دانم، و از تو جویم؛ از آنچه ترا می خوانم: راحتی اندر حال مرگ بی عذاب، و عیشی اندر حال حساب بی عقاب.»

این جمله می گفتی و می گریستی. تا شبی وی را گفتم: «ای سیدی و سید ابائی، چند گری و تا چند خروشی؟» گفت: «ای دوست، یعقوب را یکی پسرگم شد چندان بگریست تا چشمهاش سفید گشت و من هرژه کس را با پدر خود یعنی حسین و قتیلان کربلا گم کرده ام، کم از آن باری که بر فراق ایشان چشمها سفیدکنم؟»

این مناجات به عربیت سخت فصیح است، اما ترک تطویل را به پارسی بیاوردم تا مکرر نشود و باز به جایی

دیگر آن را بیارم، ان شاء الله رب العالمین.

ابومحمد جعفر بن محمد بن علی بن الحسین بن علی، الصادق، رضوان الله عليهم اجمعین

و منهم: سیف سنت، و جمال طریقت، و معبر معرفت و مُزین صفوت، ابومحمد جعفر بن محمد بن علی بن الحسین بن علی، الصادق، رضوان الله عليهم اجمعین عالی حال و نیکوسیرت بود. آراسته ظاهر و آبادان باطن. و وی را اشارات جمیل است اندر جمله علوم، و مشهور است دقت کلام وی و قوت معانی اندر میان مشایخ، رضی الله عنهم اجمعین و وی را کتب معروف است اندر بیان این طریقت.

از وی روایت آرند که گفت: «من عَرَفَ اللَّهَ أَعْرَضَ عَمَّا سِوَاهُ.»

عارف مُعرض بود از غیر و منقطع از اسباب؛ از آنچه معرفت وی عین نکرت بود از غیر، که نکرت جز وی معرفت وی باشد و معرفت جز وی نکرت وی باشد. پس عارف از خلق گسسته بود و به حق پیوسته. غیر را اندر دلش مقدار آن نباشد که بدیشان التفات کند و یا وجود ایشان را چندان خطر نهد که اندر خاطر ذکر ایشان را عقد کند.

و هم از وی روایت آرند که گفت: «لَا تَصِحُّ الْعِبَادَةُ بِالتَّوْبَةِ. فَقَدِّمِ التَّوْبَةَ عَلَى الْعِبَادَةِ، وَقَالَ اللَّهُ، تَعَالَى: التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ (۱۱۲/ التوبه).»

عبادت جز به توبه راست نیاید، تا خداوند تعالی مقدم کرد توبه را بر عبادت؛ ازیرا که توبه بدایت مقامات است و عبودیت نهایت آن و چون خداوند جل جلاله ذکر عاصیان کرد به توبه فرمود و گفت: «وتوبوا الى الله جميعاً (۳۱/النور)»، و چون رسول را علیه السلام یاد کرد، به عبودیت یاد کرد و گفت: «فأوحى إلى عبده ما أوحى (۱۰/النجم).»

و اندر حکایات یافتیم که داود طائی رحمة الله عليه به نزدیک وی آمد و گفت: «یا پسر رسول خدای، مرا پندی ده که دلم سیاه شده است.» گفت: «یا با سلیمان، تو زاهد زمانه خویشی، ترا به پند من چه حاجت؟» گفت: «ای فرزند پیغمبر، شما را بر همه خلایق فضل است و پند دادن تو مر همه خلایق را واجب.» گفت: «یا با سلیمان، من از آن می ترسم که به قیامت جد من اندر من آویزد که: چرا حق متابعت من نگزاردی؟ و این کار به نسبت صحیح و سبب قوی نیست. این کار به معاملت خوب است اندر حضرت حق، تعالی.» داود فرا گریستن آمد و گفت: «بار خدایا، آن که معجون طینت وی از آب نبوت است و ترکیب طبیعت از اصل برهان و حجت، جدش رسول است و مادرش بتول است وی بدین حیرانی است؛ داود که باشد که به معاملت خود معجب گردد؟»

و هم از وی می آید که روزی با موالی خود نشسته بود و ایشان را می گفت: «بیایید تا بیعت کنیم و عهد بندیم که هر که از میان ما رستگاری یابد، اندر قیامت همه را شفاعت کند.» گفتند: «یا ابن رسول الله، ترا به شفاعت ما چه حاجت؟ که جد تو شفیع جمله خلقان است.» وی گفت: «من با این افعال شرم دارم که اندر قیامت به روی جد خود نگرم.»

این جمله رؤیت عیوب نفس است و این صفت از اوصاف کمال است. جمله متمکنان حضرت خداوند جل جلاله بر این بودند از اولیا و انبیا و رسل. و پیغمبر گفت، علیه السلام: «إذا أرادَ اللهُ بعبْدٍ خيراً بصره بعیوبِ نفسه و عیوبِ الدُّنیا.» و «هر که از روی تواضع عبودیت سر فرود ارد خداوند تعالی ذکر وی اندر دو جهان بلند

گرداند.»

و اگر جمله اهل بیت را یادکنم و مناقب یک یک بر شمرم، این کتاب، بل کتب بسیار حمل عشر عَشیری از آن نکند. پس این مقدار کفایت بود هدایت قومی را که عقل ایشان را لباس ادراک باشد از مریدان و منکران این طریقت.

اکنون ذکر اصحاب صفة رسول علیه السلام بر سبیل ایجاز و اختصار اندر این کتاب بیارم و ما پیش از این کتابی ساخته‌ایم و مر آن را «منهاج الدین» نام کرده و اندر وی مناقب هر یک به تفصیل بیان کرده؛ اما اینجا اسامی و کنیتی مفرد بیاریم تا مقصود تو اعزک الله به حصول بود. و بالله التوفیق.

باب ذکر اهل الصفة

بدان که امت کثرتهم الله مجتمع اند بر آن که پیغامبر را علیه السلام گروهی بوده‌اند از صحابه رضوان الله علیهم اجمعین که اندر مسجد وی ملازم بودند و مهیا مر عبادت را و دست از دنیا بداشته بودند و از کسب اعراض کرده بودند، و خدای عزوجل از برای ایشان را با پیغمبر علیه السلام عتاب کرد، عز من قائل: «وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشَىٰ... الْآیة (۵۲/الانعام)». و کتاب خدای عزوجل به فضایل ایشان ناطق است و پیغمبر را علیه السلام اندر مناقب ایشان اخبار بسیار که به ما رسیده است اندر ذکر ایشان، رضی الله عنهم اجمعین و ما طرفی اندر مقدمه این کتاب گفته‌ایم.

ابن عباس رضی الله عنه روایت کند از پیغمبر، علیه السلام: «وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على اصحاب الصفة، فرأى فقرهم وجهدهم و طيب قلوبهم، فقال: أبشروا يا اصحاب الصفة، فمن بقى من أمتى على النعت الذى أنتم عليه راضياً بما فيه، فإنه من رفقائى فى الجنة.»

معنی این خبر آن بود که: «چون پیغمبر علیه السلام بر ایشان برگذشت و مر ایشان را بدید باستاد و خرمی دل ایشان اندر فقر و مجاهدت بدیدگفت: بشارت مر شما را و آن که از پس شما بیایند به صفت شما و اندر فقر خود راضی باشند، ایشان نیز از رفیقان من اندر بهشت.»

عدددهم، از ایشان:

- ۱- یکی منادی حضرت جبار و گزیده محمد مختار، بلال بن رباح، رضی الله عنه.
- ۲- و دیگر، دوست خداوند داور، و محرم احوال پیامبر، ابو عبدالله سلمان الفارسی، رضی الله عنه
- ۳- و دیگر، سرهنگ مهاجر و انصار، و متوجه خداوند غفار، ابو عبیده عامر بن عبدالله الجراح، رضی الله عنه
- ۴- و دیگر، گزیده اصحاب و زینت ارباب، ابوالیقظان عمّار بن یاسر، رضی الله عنه
- ۵- و دیگر، گنج علم و خزینه حلم، ابومسعود عبدالله بن مسعود الهدلی، رضی الله عنه
- ۶- و دیگر، متمسک درگاه حرمت و پاک از عیب و آفت، عبّته بن مسعود، برادر عبدالله، رضی الله عنه
- ۷- و دیگر، سالک طریق عزلت، و معرض از عصای زلت، المقداد بن الاسود، رضی الله عنه
- ۸- و دیگر، راعی مقام تقوی، و راضی به بلا و بلوی، خباب بن الأرت، رضی الله عنه
- ۹- و دیگر قاصد درگاه رضا و طالب لقا اندر بقا، صهیب بن سنان، رضی الله عنه
- ۱۰- و دیگر، دُرج سعادت، و بحر قناعت عبّته بن غزوان، رضی الله عنه
- ۱۱- و دیگر برادر فاروق و معرض از کونین و مخلوق، زید بن الخطاب، رضی الله عنه
- ۱۲- و دیگر، خداوند مجاهدات، اندر طلب مشاهدات، ابوکبشه، مولی پیغمبر، رضی الله عنه

۱۳- و دیگر، عزیز تائب و ازکل به حق آیب، ابوالمرثد کنازبن الحُصین غنوی، رضی الله عنه
 ۱۴- و دیگر، عامر طریق تواضع و سپرنده محجّه تقاطع، سالم، مولی ابی حذیفه، رضی الله عنه
 ۱۵- و دیگر، خائف از عقوبت و هارب از مخالفت، عکاشة بن المِحْصَن، رضی الله عنه
 ۱۶- و دیگر، زین مهاجر و انصار و سید بنی قار، مسعود بن ربیع القاری، رضی الله عنه
 ۱۷- و دیگر، حافظ انفاس پیغامبر و مر جمله خیرات را در، عبدالله عمر، رضی الله عنه
 ۱۸- و دیگر اندر زهد ماننده عیسی و اندر شوق به درجه موسی، ابوذر جُنْدَب بن جُنَادَة الغفاری، رضی الله عنه

۱۹- و دیگر، اندر استقامت مقیم و مر اصحاب را خادم و ندیم، صَفْوَان ابن بیضاء، رضی الله عنه
 ۲۰- و دیگر، صاحب همت و خالی از تهمت، ابودرداء عُوَیْمِر بن عامر، رضی الله عنه
 ۲۱- و دیگر، مرکیمیای دین را شرف و مر در توکل را صدف، عبدالله بن بدر الجُهَنی، رضی الله عنه
 ۲۲- و دیگر، متعلق درگاه رجا، وگزیده رسول پادشا، ابولُبَّابَة عبدالمُنْدَر، رضی الله عنه
 و اگر جمله ایشان را یادکنم درازگردد و شیخ ابوعبدالرحمان محمدبن حسین السُّلمی رضی الله عنه که نقال
 طریقت و کلام مشایخ بوده است، تاریخی کرده است مر اهل صفة را مفرد و مناقب و فضایل و اسامی و کنیت
 بیاورده؛ و اما مسطح ابن اُثَاثَة بن عَبَّاد را از جمله ایشان گفته است و من به دل ورا دوست ندارم که ابتدای
 اِفْک امّ المؤمنین عایشه رضی الله عنها وی کرده بود؛ اما ابوهریره و ثوبان و مُعَاذِبْن الحارث و سائب و بن
 الخَلَّاد و ثابت بن الودیعة و ابوعبّس و عُوَیْمِر بن ساعدة و سالم بن عُمَیْر بن ثابت و ابوالیسر کعب بن عمرو و
 سُهَیْب بن سیّاف و عبدالله بن اُنَیْس و حجّاج بن عمر الاسلمی رضوان الله علیهم اجمعین از جمله ایشان بوده
 اند. گاه گاه به سببی تعلق کردند؛ اما جمله اندر یک درجه بوده اند.

و بحقیقت قرن صحابه خیر قرون بود و اندر همه درجه که بوده اند اندر هر فنّ بهترین و فاضلترین همه خلق
 بوده اند؛ از بعد آن که خداوند سبحانه و تعالی ایشان را صحبت پیغمبر علیه السلام به ارزانی داشت و اسرار
 ایشان از جمله عیوب نگاه داشت؛ كما قال رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ
 ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.» و قال الله، تعالی: «وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ
 (۱۰۰/ التَّوْبَةِ).»

اکنون ذکر بعضی از تابعین اندر این کتاب اثبات کنم تا فایده تامتر شود و قرون به یکدیگر متصل گردد، ان شاء
 الله العزیز.

بابُ فِي ذِكْرِ أُمَّتِهِمْ مِنَ التَّابِعِينَ، رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ

اویس قرنی، رضی الله عنه

و منهم: آفتاب امت، و شمع دین و ملت، اویس قرنی، رضی الله عنه
 از کبار مشایخ اهل تصوّف بود و اندر عهد رسول علیه السلام بود؛ اما ممنوع گشت از دیدار پیغمبر علیه السلام به
 دو چیز: یکی به غلبه حال و دیگر به حق والده و پیغمبر علیه السلام مر صحابه را گفت: «مردی است از قرن،
 اویس نام که او را به قیامت همچون ربیعه و مُضَر شفاعت بیاشد اندر امت من.» و روی به عمرو علی رضی الله
 عنهما کرد و گفت: «شما مر او را ببینید، و وی مردی است بسته و میانه بالا و شعرانی، و بر پهلوی وی چون
 یک درم سفید است و برکف دستش سفیدی است جز برص، و وی را به عدد ربیعه و مُضَر شفاعت باشد اندر

امت من. چون ببینیدش سلام من بدو برسانید و بگویید تا امت مرا دعا گوید.»

و چون عمر رضی الله عنه از بعد وفات پیغمبر علیه السلام به مکه آمد و امیرالمؤمنین علی با وی بود، اندر میان خطبه گفت: «یا اهل نجد، قوموا.» اهل نجد برخاستند. گفت: «از قرن کسی هست میان شما؟» گفتند: «بلی.» قومی را بدو فرستادند. امیرالمؤمنین عمر رضی الله عنه خبر اویش از ایشان پرسید. گفتند: «دیوانه‌ای هست، اویس نام، که اندر آبادانها نیاید و با کس صحبت نکند و آنچه مردمان خورند نخورد و غم و شادی نداند. چون مردمان بخندند وی بگرید و چون بگریند، وی بخندد.» گفت: «وی را می‌خواهم.» گفتند: «به صحراست به نزدیک اشتران ما.» امیرین رضی الله عنهما برخاستند و به نزدیک وی شدند. وی را یافتند در نماز استاده. بنشستند تا فارغ شد و بر ایشان سلام گفت و نشان پهلو و کف دست بدیشان نمود تا ایشان را معلوم شد. از وی دعا خواستند و سلام پیغمبر علیه السلام بدو برسانیدند و به دعای امت وصیت کردند، و زمانی پیش وی بودند. تا گفت: «رنجه گشتید. اکنون بازگردید که قیامت نزدیک است. آنگاه ما را دیدار بود که مر آن را بازگشتن نبود؛ که من اکنون به ساختن برگ راه قیامت مشغولم.»

و چون اهل قرن بازگشتند وی را حرمتی و جاهی پدیدار آمد اندر میانه ایشان. وی از آنجا برفت و به کوفه آمد و هرم بن حیان رضی الله عنه روزی وی را بدید و از پس آن هیچ کسش دیگر ندید، تا به وقت فتن حروب امیرالمؤمنین علی کرم الله وجهه بیامد و بر موافقت علی با اعدای وی حرب همی کرد تا روز حرب صفین شهادت یافت. عاش حمیداً و مات شهیداً.

از وی روایت آرند که گفت: «السَّلَامَةُ فِي الْوَحْدَةِ.»

سلامت اندر تنهایی بود؛ از آن که دل کسی که تنها بود از اندیشه غیر رسته بود و اندر جمله احوال از خلق نومید گشته؛ تا از جمله آفت ایشان سلامت یافته و روی از جمله ایشان برتافته، اما اگر کسی پندارد که وحدت تنها زیستن بود، محال باشد؛ که تا شیطان را با دل کسی صحبت بود و نفس را اندر صدر وی سلطان و تا دنیا و عقبی را بر فکرت وی گذر بود و تا اندیشه خلق بر سر وی می‌گذرد هنوز وحدت نباشد؛ زیرا که عین چیز و اندیشه چیز هر دو یکی باشد. پس آن که وحید بود، اگر صحبت کند صحبت مزاحم وحدت وی نباشد؛ و آن که مشغول بود عزلت سبب فراغت وی نباشد. پس انقطاع از انس جز به انس نباشد. آن را که با حق انس بود، مخالفت انس انس را مُضادت نکند آن را که مؤانست انس بود انس را بر دلش گذر نباشد و وی را از انس حق خبر نباشد؛ «لأنَّ الْوَحْدَةَ صِفَةٌ عَبْدٍ صَافٍ سَمِعَ قَوْلَهُ، تَعَالَى: أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ (۳۶/الزُّمَر).»

هَرَمِ بْنِ حَيَّانٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

و منهم: شیخ صفا و معدن وفا، هَرَمِ بْنِ حَيَّانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

که از بزرگان طریقت بود و اندر معاملات حظی تمام داشت و با صحابه و کرام ایشان صحبتها کرده بود. قصد کرد تا اویس را زیات کند. چون به قرن شد وی از آنجا رفته بود ناامید بازگشت. چون به مکه بازآمد، خبر یافت که وی به کوفه می‌باشد. بیامد و نیافتش و تا مدتی دراز آنجا بیبود. چون خواست که از آنجا سوی بصره آید، اندر راه وی را یافت برکناره فرات که می‌طهارت کرد، مرقعه‌ای پوشیده بشناختش. چون از کناره رود برآمد و موی شانه کرد، هَرَمِ پیش رفت و سلام گفت. وی گفت: «و علیک السلام، یا هَرَمِ بن حیان.» گفت: «مرا چه شناختی که من هَرَمِ؟» گفت «عرفت روحی روحک. جان من مرجان ترا شناخت.» زمانی بنشستند و مر او را نیز بازگردانید.

هرم گفت: «بیشتری با من سخنان امیرین گفت؛ یعنی عمرو علی، رضوان الله علیهم اجمعین.» و روایت کرد که:

«مرا عمر از پیغمبر علیه السلام روایت کرد، قوله، علیه السلام: انما الاعمال بالنیات و لكل امری ما نوى. فمن كانت هجرته إلى الله و إلى رسوله فهجرته إلى الله و رسوله و من كانت هجرته إلى الدنيا یصیبها أو امرأة یتزوجها فهجرته إلى ما هجر إليه. آنگاه مرا گفت: عليك بحفظ قلبك. بر تو باد به نگاهداشت دل از اندیشه غیر.»

و این سخن را دو معنی بود: یکی آن که دل را متابع حق گرداند به مجاهدت، دیگر آن که خود را متابع دل گرداند به مشاهدت. و این هر دو اصلی قوی است. دل را متابع حق گردانیدن، کار مردانی باشد که وی را از مکابره شهوت و مؤانست هوی بازستاندش و اندیشه‌های ناموافق به درجه‌ای از وی منقطع گرداند که جز یاد حق فکری دیگر نماند، و اندر تدبیر صحت و حفظ امور و نظر اندر آیات حق بنده تا محل محبت شود و خود را متابع دل گردانیدن کار کاملان باشد که حق تعالی دل ایشان را به نور جمال منور گردانیده باشد و از همه اسباب و علت رها کرده و به درجه‌ای عالی رسانیده. خلعت قرب بر افکنده و به الطاف خود بدان تجلی کرده و به مشاهدت و قرب بدان تولی کرده. آنگاه او تن را موافق دل گرداند. پس آن گروه صاحب القلوب باشند و این گروه مغلوب القلوب و آن که صاحب القلب بود مالک القلب بود و باقی الصفة، و آن که مغلوب القلب بود فانی الصفة باشد.

و حقیقت این مسأله بدان بازگردد که خداوند عزّ و جلّ گفت: «دَلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ (۴۰/الحجر).» و اندر این دو قرائت است: مخلصین خوانند به کسر لام و مخلصین خوانند به نصب لام. و مخلص فاعل بود و باقی الصفة و مخلص مفعول بود و فانی الصفة. و این مسأله به جای دیگر مُشَرَّح از این بیارم، ان شاء الله تعالی. و بحقیقت آنان که فانی الصفة باشند بزرگوارتر باشند؛ که تن را موافق دل گردانند، که دلهاشان اندر حضرت حق مَحْوُل بود و اندر مشاهدت وی قایم از آن گروه که باقی الصفة باشند و دل را بتکلف موافق امر گردانند و بنای این بر اصل صحو و سکر و مجاهدت و مشاهدت باشد. والله اعلم بالصواب.

ابوعلی الحسن بن ابی الحسن البصری، رحمة الله علیه

و منهم: امام عصر، و فرید دهر، ابوعلی الحسن بن ابی الحسن البصری، رحمة الله علیه و گروهی کنیتش ابو محمد کنند و گروهی ابوسعید. وی را قدری و خطری بزرگ است به نزدیک اهل این علم، بل کلی علوم. و لطیف الاشارة بوده است اندر معاملات.

و اندر حکایات یافتیم که اعرابی به نزدیک وی آمد، و وی را از صبر پرسید. گفت: «صبر بر دو گونه است: یکی صبر اندر مُصِیبات و بلیات و دیگر صبر بر منهیات.» اعرابی گفت: «أنت زاهدٌ ما رأیتُ أزهْدُ منك؛ یعنی تو زاهدی که من زاهدتر از تو هرگز ندیدم و صابرتر نه.» حسن گفت: «یا اعرابی، اما زهد من بجمله رغبت است و صبر من جَزَع.» اعرابی گفت: «تفسیر این با من بگوی؛ که اعتقاد من مشوش گشت.» گفت: «صبر من اندر بلا و یا اندر طاعت، ناطق است به ترس من از آتش دوزخ و این عین جَزَع بود؛ و زهد من اندر دنیا رغبت است به آخرت و این عین رغبت بود. خنک آن که نصیب خود را از میانه برگیرد تا صبرش مر حق را بود جلّ جلاله خاص نه ورا از خوف دوزخ و زهدش مر حق را بود عمّ نواله مطلق، نه رسیدن به بهشت.» و این علامت صحت اخلاص است.

و هم از وی می روایت کنند رحمة الله علیه که گفت: «إِنَّ صِحْبَةَ الْإِشْرَارِ تُورِثُ سُوءَ الظَّنِّ بِالْأَخْيَارِ.» هرکه با طایفه بدان صحبت کند به نیکان آن طایفه بدگمان شود. و این قولی سخت متقن است و اندر خور مر اهل این زمانه را که جمله منکرانند مر عزیزان حضرت حق جل جلاله را، و آن از آن افتاده است که با این مستصوفان و اهل رسم صحبت کنند و فعلشان بر خیانت بینند و زبانشان بر دروغ و غیبت و گوششان بر استماع

دو بیتی و بطالت و چشمشان بر لهُو و شهوت و همتشان جمله جمع کردن حرام و شُبُهت. پندارند که متصوِّفه را معاملت همین است و یا صوفیان را مذهب چنین. لا، بل که فعلشان همه طاعت است و زبانشان ذاکر حق و حقیقت و گوششان محل استماع شریعت و چشمشان موضع جمال مشاهدت و همتشان جوامع اسرار ربوبیت. اگر قومی پدیدار آمدند که اندر زمره ایشان خیانت بر دست گرفته اند خیانت خاینان بدیشان بازگردد نه بدان احرار جهان و سادات زمان.

پس کسی که با اشرار صحبت کند آن از شر وی باشد؛ که اگر اندر وی خبری بودی با اختیار صحبت کردی. «الجنسُ مع الجنس» اثر است. پس هرکسی ملامت خود را باید کرد که صحبت با سزا و کفو خود کند. منکران ایشان اشر و اردل خلق خدای اند جلّ جلاله که صحبت ایشان با اشر و اردل ایشان بوده است تا هوایی و مرادی نیافته اند، بر ایشان منکر شده اند؛ و یا اقتدا بدیشان کرده اند، چون ایشان مهلک شده اند؛ سوی آن اختیار و عزیزان خداوند تعالی نیامده اند که به چشم رضا اندر ایشان نگریستندی، و مر صحبت ایشان را به جان و دل بخریدندی و از عالم طریق ایشان بگزیدندی و به برکات ایشان به مقصود دو جهان برسیدندی و از کل ببریدندی. و اندر این معنی گفته اند:

فَلَا تَحْقِرَنَّ نَفْسِي وَأَنْتَ حَبِيبُهَا فَكُلُّ أَمْرٍ يَصُوبُوا إِلَى مَنْ يُجَانِسُ

سعید بن مسیب، رحمة الله عليه

و منهم: رئیس علما، و مقتدای فقها، سعید بن مسیب، رحمة الله عليه
عظیم الشأن و رفیع القدر بود و عزیز القوم و جمیل الصبر و وی را مناقب بسیار است در فنون علم از فقه و توحید و حقایق و تفسیر و شعر و لغت و غیر آن و گویند مردی عیار نمای پارسا طبع بود، نه پارسا نمای عیار طبع؛ و این طریقی ستوده است اندر این قصه و محمود به نزدیک جمله مشایخ، رضی الله عنهم.
و از وی روایت آرند گفت: «إِرْضَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا مَعَ سَلَامَةِ دِينِكَ كَمَا رَضِيَ قَوْمٌ بكَثِيرِهَا مَعَ ذَهَابِ دِينِهِمْ.»
راضی گرد به اندکی از دنیا با سلامت دینت؛ چنانکه راضی شدند قومی به بسیاری آن و رفتن دین ایشان از ایشان؛ یعنی فقر با سلامت بهتر از غنای با غفلت؛ که فقیر چون اندر دل نگردد اندیشه زیادت نیابد و اندر دست خود نگردد قناعت یابد و غنی اندر دل نگردد اندیشه زیادتی دنیا یابد و اندر دست خود نگردد دنیای پُر شبهت بیند. پس رضای دوستان به خداوند بی غفلت، بهتر از رضای غافلان به دنیای پر غرور و آفت و حسرت و ندامت و زلت و معصیت.

پس چون بلا بیاید غافلان گویند: «الحمد لله، که بر تن نیامد»، و دوستان گویند: «الحمد لله که بر دین نیامد.»
اگر تن اندر بلا بود چون دل اندر لقا بود بلا بر تن خوش بود و چون دل اندر غفلت بود اگرچه تن اندر نعمت بود، آن نعمت نبود نعمت بود و بحقیقت رضا به قلیل دنیا کثیر دنیا بود و رضا به کثیر دنیا قلیل دنیا بود؛ از آنچه قلیل آن چون کثیر آن است.

و از وی می آید رضی الله عنه که اندر مکه نشسته بود، مردی به نزدیک وی آمد و گفت: «مرا خبر ده از حلالی که اندر او حرام نباشد و از حرامی که اندر او حلال نباشد.» وی گفت، رضی الله عنه: «ذَكَرُ اللهُ حَلَالَ لَيْسَ فِيهِ حَرَامٌ وَ ذَكَرُ غَيْرِهِ حَرَامٌ لَيْسَ فِيهِ حَلَالٌ.» یاد کرد حق تعالی حلالی است که در وی هیچ حرام نیست و یاد کرد دیگران غیر حلال است؛ از آن که اندر ذکر وی نجات است و در ذکر غیر وی هلاک. و الله اعلم بالصواب.

بابُ ذِکْرِ ائِمَّتِهِمْ مِنْ اَتْبَاعِ التَّابِعِينَ

حَبِيبُ الْعَجْمِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

منهم: شجاع طریقت و متمکن اندر شریعت، حبیب العجمی، رضی الله عنه بلند همت و با قیمت بود و اندر مرتبه گاه مردان قیمتی و خطری عظیم داشت. توبه وی ابتدا بر دست خواجه حسن بصری رحمة الله علیه بود وی اندر اول عهد ربا دادی و فساد کردی. خدای عز و جل به کمال لطف خود او را توبه نصوح داد و توفیق ارزانی داشت تا به درگاه وی جل جلاله بازگشت و لختی از علم پیاموخت از حسن.

زبانش عجمی بود بر عربیت جاری نگشته بود. خداوند تعالی و تقدس وی را به کرامات بسیار مخصوص گردانید، تا به درجتی که نماز شامی، حسن به در صومعه وی بگذشت، وی قامت نماز شام گفته بود و اندر نماز استاده. حسن اندر آمد و اقتدا بدو نکرد؛ از آنچه زبان وی بر خواندن قرآن جاری نبود و به شب که بخت، خداوند را سبحانه و تعالی به خواب دیدگفت: «بار خدایا، رضای تو اندر چه چیز است؟» گفت: «یا حسن، رضای ما یافته بودی قدرش ندانستی.» گفت: «بار خدایا آن چه چیز بود؟» گفت: «اگر تو از پس حبیب دوش نماز بکردی و صحت نیتش را از امکان عبارتش بازداشتی ما از تو راضی شدیمی.»

و اندر میان این طایفه معروف است که چون حسن از کسان حجاج بگریخت به صومعه حبیب اندر شد. ایشان پیامدند و گفتند: «یا حبیب، حسن را جایی دیدی؟» گفتا: «بلی.» گفتند: «کجاست؟» گفت: «اینک در صومعه من است.» به صومعه اندر آمدند، کس را ندیدند و پنداشتند که حبیب بر ایشان استهزا می کند. وی را جفا گفتند که: «راست نمی گویی.» و وی سوگند یاد کرد که: «راست می گویم و اینک در صومعه من است.» دیگر باره و سدیگر باره اندر آمدند و نیافتندش، برفتند. حسن بیرون آمد و گفت: «یا حبیب، دانم که خدای تعالی به برکات تو مرا بدین ظالمان نمود. چرا گفتمی با ایشان که وی در این جای است؟» گفت: «ای استاد، نه به برکات من بود که ترا نمودند بدیشان، بل که به برکه راست گفتن، ترا ندیدند. اگر من دروغ گفتمی مرا و ترا هر دو رسوا کردند.»

و وی را از این جنس کرامات بسیار است.

از وی پرسیدند که: «رضای خداوند تعالی اندر چه چیز است؟» گفت: «فی قلب لیس فیهِ غِبَارُ النِّفَاقِ.» : اندر دلی که اندر او غبار نفاق نباشد؛ از آنچه نفاق خلاف وفاق باشد و رضا عین وفاق و محبت را با نفاق هیچ تعلق نیست و محلش رضاست. پس رضا صفت دوستان بود و نفاق صفت دشمنان. و این سخنی بزرگ است، به جای دیگر بیان کنم، ان شاء الله.

مالک بن دینار، رضی الله عنه

و منهم: بقیة اهل انس و زین جمله جن و انس، مالک بن دینار، رضی الله عنه صاحب حسن بصری بود و از بزرگان این طریقت. وی را کرامات بسیار مشهور است و اندر ریاضت، خصال مذکور. و دینار بنده بوده است، و مولود وی اندر حال عبودیت پدر بود.

و ابتدای حالت وی آن بود که شبی که صبح دولت الهی شعله ای از انوار خود بر جان مالک دینار نثار خواست کرد، وی آن شب در میان گروهی حریفان به طرب مشغول بود. چون جمله بختند، حق جل جلاله بختش بیدار گردانید؛ تا از میان رودی که می زدی این چنین آوازی برآمد که: «یا مالک، مالک ان لا تتوب؟ یا مالک، ترا چه

بوده است که توبه می‌نکني؟» دست از آن جمله برداشت و به نزدیک حسن آمد و اندر توبه قدمی درست کرد و منزلتش به جایی رسید که وقتی در کشتی نشسته بود، جوهری اندر کشتی غایب شد. وی مجهول تر همه قوم می نمود. وی را به بردن آن تهمت کردند. سر سوی آسمان کرد، اندر ساعت هر چه اندر دریا ماهی بود همه بر سر آب آمدند و هر یک جوهری اندر دهان گرفته از آن جمله یکی بستند و بدان مرد داد و خود قدم بر سر آب نهاد و بر روی آب خوشی برفت تا به ساحل بیرون شد.

و از وی می‌آید که گفت: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَيَّ الْإِخْلَاصُ فِي الْأَعْمَالِ.»

دوست‌ترین کردارها بر من اخلاص است اندر کردارها؛ از آنچه عمل به اخلاص عمل گردد و اخلاص مر عمل را به درجه روح بود مر جسد را؛ چنانکه جسد بی روح جمادی بود، عمل بی اخلاص هبایی بود. اما اخلاص از جمله اعمال باطن است و طاعات از اعمال ظاهر، و اعمال ظاهر با اعمال باطن تمام شود و اعمال باطن به اعمال ظاهر قیمت گیرد؛ چنانکه اگر کسی هزار سال به دل مخلص بود تا عمل به اخلاص نکند اخلاص نباشد و اگر کسی به ظاهر هزار سال عملی می‌آرد تا اخلاص به عمل وی نپیوندد آن عمل وی عمل نگردد.

ابوحلیم حبیب بن سلیم الراعی، رضی الله عنه

و منهم: فقیر خطیر، و بر همه اولیا امیر، ابوحلیم حبیب بن سلیم الراعی، رضی الله عنه اندر میان مشایخ منزلتی بزرگ داشت و وی را آیات و براهین روشن بسیار است اندر جمله احوال. و صاحب سلمان فارسی بود، رضی الله عنه. روایت کند از پیغمبر علیه السلام که گفت: «نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ.» صاحب گوسفند بود، بر کرانه فرات نشستی و طریقتش عزلت بود.

یکی از مشایخ روایت کند که: بر او برگزیدم. وی را یافتم اندر نماز و گرگی گوسفندان وی نگاه می‌داشت. گفتم این پیر را زیارتی کنم؛ که علامتی بزرگ می‌بینم بر وی. زمانی ببودم تا از نماز فارغ شد. بر وی سلام گفتم. گفت: «ای پسر، به چه کار آمدی؟» گفتم: «به زیارت تو.» گفت: «جَبْرَكَ اللَّهُ.» گفتم: «ایها الشیخ، گرگ با میش موافق می‌بینم.» گفت: «از آن که راعی میش با حق موافق است.» این بگفت و کاسه‌ای چوبین زیر سنگی داشت دو چشمه روان شد: یکی شیر و یکی عسل گفتم: «ایها الشیخ، این درجه به چه یافتی؟» گفت: «به متابعت محمد، علیه السلام، ای پسر، قوم موسی مر او را مخالف بود مع هذا سنگ، ایشان را آب داد و موسی نه به درجه محمد بود. چون من محمد را متابعت باشم سنگ مرا انگبین و شیر دهد، بس عجب نبود.»

گفتمش: «مرا پندی بده.» گفت: «لَا تَجْعَلْ قَلْبَكَ صُنْدُوقَ الْحَرِصِ وَ بَطْنَكَ وَعَاءَ الْحَرَامِ.» دل را محل حرص مگردان و معده را جای حرام مساز؛ که هلاک خلق اندر این دو جوف است و نجات اندر حفظ این دو.

و شیخ مرا از وی رضی الله عنهما روایات بسیار بود، اما در این وقت بیش از این ممکن نگشت؛ که کتب به حضرت غزنین حرسها الله مانده بود، و من اندر دیار هند، اندر میان ناجنسان مانده و الحمد لله رب العالمین.

ابوحازم المدنی، رحمة الله عليه

و منهم: پیر صالح، و به صلاح صالح، ابوحازم المدنی، رحمة الله عليه مقتدای بعضی از مشایخ بود و وی را اندر معاملات حظی وافر و خطری بزرگ، و اندر فقر قدمی ثابت و دمی صادق و اندر مجاهدت روشی تمام و عمرو بن عثمان المکی رضی الله عنه در امر وی بجد باشد. و کلام وی اندر همه دلها مقبول است و اندر بیشتر از کتب مسطور.

این عمرو بن عثمان از وی روایت کند که او را گفتند: «ما مالک؟» قال: «الرّضاء عن الله و الغناء عن النّاس». «مال تو چیست؟» گفت: «مال من رضا به خداوند تعالی و بی نیازی از خلق وی.» و لامحاله هرکه به حق راضی بود از خلق مستغنی بود و خزینۀ بزرگتر مرد را رضای خداوند است تعالی و تقدس و اشارت به غنای خداوند است، جل جلاله. پس هرکه بدو غنی بود از غیر وی مستغنی بود و راه بجز به درگاه وی نداند و زاد بجز امید درگاه وی ندارد و اندر خلأ و ملأ بجز وی را نشناسد و جز وی رانخواند و مُعزّ و مذل بجز وی رانداوند.

یکی از مشایخ گوید: به نزدیک وی اندر آمدم. وی را یافتم خفته. زمانی ببودم تا بیدار شد. گفت: «اندر این ساعت پیغامبر را به خواب دیدم که مرا به سوی تو پیغام داد و گفت: حق مادرنگاه داشتن، بهتر از حج کردن. بازگرد و رضای دل وی بجوی. من از آنجا بازگشتم و به مکه نرفتم.» از وی بیش از این مسموع ندارم.

محمد بن واسع، رضی الله عنه

و منهم: داعی اهل مجاهدت، و قایم اندر محل مشاهدت، محمد بن واسع رضی الله عنه که اندر وقت وی چون وی نبود، و صحبت بسیار کس از صحابه و تابعین دریافته بود و گروهی را از مشایخ مقدم دیده. اندر این طریقت بهره‌ای تمام داشت رضی الله عنه و اندر حقایق، انفاسی عالی و اشارتی کامل. از وی آمده است که گفت: «ما رأیتُ شیئاً إلاّ و رأیتُ اللهَ فیه.»

هیچ چیزی ندیدم که نه حق را اندر آن بدیدم و این مقام مشاهدت باشد؛ که بنده اندر غلبۀ دوستی فاعل به درجتی رسد که اندر فعل وی نگرَد فعل نبیند فاعل بیند؛ چنانکه کسی اندر صورتی نگرَد مصور بیند و حقیقت این به قول خلیل علیه السّلام بازگردد که ماه و آفتاب و ستاره را گفت: «هذا ربّی (۷۷/الأنعام)»، و آن اندر حال غلبۀ شوق بود که هرچه می‌دید جمله به صفت محبوب خود می‌دید؛ ازیرا که چون دوستان نگاه کنند عالمی بینند مقهور قهر وی و اسیر سلطان وی و وجود این در جنب قدرت فعل متلاشی و اندر ذل کن وی ناچیز، به چشم اشتیاق اندر آن نگرند. مقهور نبینند قاهر بینند. مفعول نبینند فاعل بینند. مخلوق نبینند خالق بینند و این اندر باب المشاهدات بیاریم، ان شاء الله تعالی.

و اینجا مرگروهی را غلطی بیوفتد که گویند گفته است آن مرد که: «رأیتُ اللهَ فیه.» این، مکان و تجزیت و حلول اقتضا کند و این کفر محض باشد؛ از آنچه مکان جنس متمکن بود. اگر تقدیر کند کسی که مکان مخلوق است باید که متمکن نیز مخلوق باشد و اگر تقدیر کند که متمکن قدیم است باید که مکان نیز قدیم بود و بدین قول دو فساد حاصل آید: یا خلق را قدیم باید گفت و یا خالق را مُحدَث و این هر دو کفر باشد. پس این رؤیت او اندر چیزها به معنی آیات و دلایل و براهین وی بود اندر چیزها، یا بدان معنی که اول گفتم و اندر این رموز لطیف است که به جایگاه بیارم، ان شاء الله.

ابوحنیف نَعْمَانُ بن ثابت الخَزَّاز، رضی الله عنه

و منهم: امام جهان، و مقتدای خلقان شرف فقها، و عزّ علما ابوحنیفه نعمان بن ثابت الخَزَّاز، رضی الله عنه وی را اندر عبادت و مجاهدت قدمی درست بوده است و اندر اصول این طریقت شأنی عظیم داشت. و اندر ابتدای احوال قصد عزلت کرد و از جمله خلق تبرا کرد و خواست که از میان خلق بیرون شود؛ که دل از ریاست و جاه خلق پاکیزه کرده بود و مهذب مر حق را استاده. تا شبی در خواب دید که استخوانهای پیغمبر علیه السّلام از

لحد اوگرد کرد و بعضی را از بعضی اختیار می‌کند. از نهیب آن از خواب درآمد. از یکی از اصحاب محمد بن سیرین پرسید، او گفت: «تو اندر علم پیغمبر علیه السلام و حفظ سنت وی به درجتی بزرگ رسی؛ چنانکه اندر آن متصرف شوی و صحیح از سقیم جدا کنی.» و دیگر بار پیغمبر را علیه السلام به خواب دید که وی را گفت: «یا باحنیفه، ترا سبب زنده گردانیدن سنت من کرده‌اند. قصد عزلت مکن.»

و وی استاد بسیار کس بود از مشایخ، چون ابراهیم ادهم فضیل بن عیاض و داود طایی و بشر حافی و بجز از ایشان. رضوان الله علیهم اجمعین.

و اندر میان علما رحمهم الله مسطور است که به وقت ابو جعفر المنصور تدبیر کردند که از چهار کس یکی را قاضی گردانند: یکی امام اعظم ابوحنیفه، و دیگر سفیان و سدیک مسعر بن کدام، و چهارم شریک، رحمة الله علیهم و این هر چهار از فحول علمای دهر بودند. کس فرستادند تا جمله را آنجا حاضر گردانند. اندر راه که می‌رفتند ابوحنیفه رضی الله عنه گفت: «من اندر هر یک از ما فراستی بگویم، اندر این رفتن ما؟» گفتند: «صواب آید.» گفت: «من به حیلتی این قضا از خود دفع کنم، و سفیان بگریزد، و مسعر دیوانه سازد خود را و شریک قاضی شود.»

سفیان از راه بگریخت و به کشتی اندر شد و گفت: «مرا پنهان کنید که سرم بخواهند برید.» به تأویل این خبر که پیغمبر، علیه السلام، فرمود: «مَنْ جُعِلَ قَاضِياً فَقَدْ دُبِحَ بِغَيْرِ سَكِّينٍ» ملاح وی را پنهان کرد.

و این هر سه را به نزدیک منصور بردند. نخست ابوحنیفه را رحمة الله علیه گفت: «ترا قضا باید کرد.» گفت: «ای امیر، من مردی ام نه از عرب، از موالی ایشان و سادات عرب به حکم من راضی نباشند.» ابو جعفر گفت: «این کار به نسب تعلق ندارد، این عمل را علم باید و تو مقدم علمای زمانه‌ای.» گفت: «من این کار را نشایم، و اندر این قول که گفتم که نشایم از دو بیرون نباشد: اگر راست گویم، خود گفتم که نشایم، و اگر دروغ گویم، تو روا مدار که دروغ گویی را بیاری و خلیفت خود کنی و اعتماد دماء و فُروج مسلمانان بر وی کنی و تو خلیفت خدای باشی.» این بگفت و نجات یافت.

آنگاه مسعر رحمة الله علیه پیش رفت و دست خلیفه بگرفت و گفت: «تو چگونه‌ای؟ و فرزندان و اُستوران تو چگونه‌اند؟» گفت: «وی را بیرون کنید، که دیوانه است.»

آنگاه شریک را گفتند: «ترا قضا بیاید کرد.» گفت: «من مردی سودایی‌ام و دماغ خفیف است.» منصور گفت: «معالجت کن خود را عصبه‌های موافق و نبيدهای مثلث، تا عقلت کامل شود.» آنگاه قضا به شریک دادند، و ابوحنیفه رضی الله عنه وی را مهجور کرد و نیز هرگز با وی سخن نگفت.

و این نشان کمال حال وی است مرد دو معنی را: یکی صدق فراستش اندر هر یک، و دیگر سپردن راه سلامت و صحت و ملامت و خلق را از خود دور کردن و به جاه ایشان مغرور ناگشتن و این حکایت دلیلی قوی است مرد صحت ملامت را که آن چنان سه پیر بزرگوار به حیلت خود را از خلق دور کردند. و امروز جمله علما مر این جنس معاملت را منکرند؛ از آن که با هوی آرمیده‌اند و از طریق حق رَمیده، خانه‌امرا را قبله خود ساخته و سرای ظالمان را بیت المعمور خود گردانیده و بساط جایران را با «قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى (۹/النجم)» برابر کرده؛ و هر چه خلاف این معانی بود همه را منکر شوند.

وقتی در حضرت غزنین حرسها الله یکی از مدعیان امامت و علم گفته بود که: «مرقعہ پوشیدن بدعت است.» من گفتم: «جامه خشیشی و دیبا و دبیقی، جمله از ابریشم که عین آن مردان را حرام است، از ظالمان بستدن و به الحاح و لجاج از حرام گرد کردن حرامی مطلق، آن را بیوشند و نگویند که بدعت است، چرا جامه‌ای حلال از جایی حلال، به وجهی حلال خریده بدعت بود؟ اگر نه رعونت طبع و ضلالت عقل بر شما سلطانستی، سخن از

این سنجیده‌ترگویدی. اما مر زنان را ابریشمینة حلال باشد و دیوانگان را مُباح. اگر بدین هردو مقرر آمدید خود را معذور کردید و اَلَا فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَدَمِ الْإِنصَافِ.»

و امام اعظم ابوحنیفه رضی الله عنه گوید که: چون نوفل بن حیان رضی الله عنه را وفات آمد، من به خواب دیدم که قیامتستی و جمله خلق اندر حسابگاهندی. پیغمبر را دیدم علیه السّلام متشمر استاده بر حوض خود، و بر راست و چپ وی مشایخ دیدم ایستاده. پیری را دیدم نیکو روی و بر سر موی سفیدگذاشته و خد بر خد پیغمبر نهاده، و اندر برابر وی نوفل را دیدم ایستاده. چون مرا بدید به سوی من آمد و سلام گفت. وی را گفتم: «مرا آب ده.» گفت: «تا از پیغمبر علیه السّلام دستوری خواهم.» پیغمبر علیه السّلام به انگشت اشارت کرد تا مرا آب داد. من از آن آب بخوردم و مر اصحاب خود را بدادم که از آن جام هیچ کم نگشته بود. گفتم: «یا نوفل، بر راست پیغمبر آن پیر کیست؟» گفت: «ابراهیم خلیل الرحمان، و دیگر ابوبکر الصّدیق.» همچنین می پرسیدم و بر انگشت می گرفت تا از هفده کس پرسیدم، رضوان الله علیهم اجمعین. چون بیدار شدم، هفده عدد بر انگشت گرفته داشتم.

و یحیی بن مُعاذ الرازی رضی الله عنه گوید: پیغمبر را علیه السّلام به خواب دیدم، گفتمش: «أینَ أَطَلَبُکَ؟» قال: «عندَ علمِ ابی حنیفہ. مرا به نزد علم ابی حنیفہ جوی، رضی الله عنه.»

و وی را اندر ورع طُرف بسیار است و مناقب مشهور، بیش از آن که این کتاب حمل آن کند. و من که علی بن عثمان الجلابی ام و فقی فی الله به شام بودم بر سر خاک بلال مؤذن رسول، علیه السّلام خفته. خود را به مکه دیدم اندر خواب، که پیغمبر صلی الله علیه و سلم از باب بنی شیبه اندر آمدی و پیری را اندر کنار گرفته؛ چنانکه اطفال را گیرند بشفقت. من پیش دویدم و بر دست و پایش بوسه دادم و اندر تعجب آن بودم تا آن کیست و آن حالت چیست. وی به حکم اعجاز بر باطن و اندیشه من مشرف شد، مرا گفت: «این، امام تو و اهل دیار توست.» و مرا بدان خواب امیدی بزرگ است با اهل شهر خود.

و درست گشت از این خواب که وی یکی از آنها بوده است که از اوصاف طبع فانی بودند و به احکام شرع باقی و بدان قایم؛ چنانکه برنده وی پیغمبر بود، علیه السّلام. اگر او خود رفتی باقی الصّفه بودی و باقی الصّفه یا مُخطی بود یا مُصیب. چون برنده وی پیغمبر بود علیه السّلام فانی الصّفه باشد به بقای صفت پیغمبر علیه السّلام و چون بر پیغمبر علیه السّلام خطا صورت نگیرد، بر آن که بدو قایم بود نیز صورت نگیرد. این رمزی لطیف است.

و گویند چون داود طایبی رحمة الله علیه علم حاصل کرد و مُصدّر و مقتدا شد، به نزدیک ابوحنیفه رضی الله عنه آمد و گفت: «اکنون چه کنم؟» گفت: «علیک بِالْعَمَلِ فَإِنَّ الْعِلْمَ بِلَا عَمَلٍ كَالْجَسَدِ بِلَا رُوحٍ. بر تو بادا به کار بستن علم، به جهت آن که هر علمی که آن را کاربند نباشند چون تنی باشد که وی را جان نباشد.» اما فدایتک تا علم به عمل مقرون نگردد صافی نشود و روزگار مخلص نه و هر که به علم مجرد قناعت کند وی عالم نباشد؛ که عالم را به مجرد علم قناعت نبود؛ از آنچه عین علم متقاضی عمل باشد، چنانکه عین هدایت مجاهدت تقاضا کند و چنانکه مشاهدت بی مجاهدت نباشد. علم بی عمل نباشد؛ از آنچه علم موارثت عمل باشد و تخریج و گشایش علم با منفعت به برکات عمل بود و به هیچ معنی عمل از علم جدا نتوان کرد، چنانکه نور آفتاب از عین آن. و اندر ابتدای کتاب اندر علم بابی مختصر بیاورده‌ایم. و بالله التّوفیق.

عبدالله بن المبارک المروزی، رضی الله عنه

و منهم: سید زُهّاد، و قاید اوتاد، عبدالله بن المبارک المروزی، رضی الله عنه

از محتشمان قوم بود و عالم به جمله احوال و اسباب طریقت و شریعت و اندر وقت خود امام وقت بود و مشایخ بسیار دریافته بود و با ایشان صحبت داشته و به امام اعظم ابی حنیفه رضی الله عنه پیوسته و از وی علم آموخته و وی را تصانیف مذکور و کرامات مشهور است اندر هر فنی از علم.

و ابتدای توبه وی را سبب آن بود که برکنیزی فتنه شده بود. شبی از میان مستان برخاست و یکی را با خود ببرد و اندر زیر دیوار معشوقه بیستاد و وی برآمد بر بام، تا بامداد هر دو در مشاهده یکدیگر بیستادند. عبدالله چون بانگ نماز بشنید پنداشت که نماز خفتن است. چون روز روشن شد، دانست که همه شب مستغرق جمال معشوقه بوده است. وی را از این تنبیهی بود. با خود گفت: «شرم باد، ای پسر مبارک، که شبی همه شب بر هوای خود بر پای بایستی و ملالت نگیرد، که اگر امامی در نماز سوره‌ای درازتر خواند دیوانه گردی. کو معنی مؤمنی در برابر دعوی؟» آنگاه توبه کرد و به علم و طلب آن مشغول شد تا به درجتی برسد که وقتی مادر وی اندر باغ شد، وی را دید خفته و ماری عظیم شاخی ریحان در دهان گرفته و مگس از وی همی بازداشت.

آنگاه از مرو رحلت کرد و به بغداد رفت و مدتی در صحبت مشایخ نبود، و به مکه شد و چندان آنجا نیز مجاور بود و باز به مرو آمد مردم شهر بدو تولا کردند و وی را درس و مجالس نهادند و در آن وقت از مرو نیمی مردم متابع حدیث رفتندی و نیمی طریق رأی داشتندی، همچنان که امروز و وی را «رضی الفریقین» خوانند، به حکم آن که با هر یک از ایشان موافقت داشت؛ و هر دو فریق اندر وی دعوی کردند و وی در آنجا دو رباط کرد: یکی مر اهل حدیث را، و یکی مر اهل رأی را. و تا امروز آن هر دو رباط بر جای است بر آن قاعده اصل. و از آنجا به حجاز باز شد و مجاور نشست.

وی را پرسیدند که: «از عجایب چه دیدی؟» گفت: «راهبی دیدم از مجاهدت نزارگشته و از ترس خدای دو تا شده. پرسیدمش که: یا راهب، کیف الطریقُ إلى الله؟ فقال: لو عرفت الله لعرفت الطریقَ إليه، فقال: أعبُد من لا أعرِفُه و تعصی من تعرفُه.»

: «راه به خدای چه چیز است؟» گفت: «اگر ورا بشناسی، راه بدو هم بدانی.» آنگاه بگفت: «من می پرستم آن را که ورا نشناسم و تو می عاصی شوی در آن که ورا می بشناسی.» یعنی معرفت خوف اقتضا کند و ترا ایمن می بینم، و امن کفر و جهل اقتضا کند و خود را خایف همی یابم. گفت: «این مرا پند شد و مرا از بسیاری ناکردنی بازداشت.»

و از او روایت آرند که گفت: «السکون حرامٌ علی قلوب اولیائه.»

دل دوستانش ساکن نگردد؛ که سکونت حرام است بر ایشان. اندر دنیا مضطرب، اندر حال طلب و اندر عقبی مضطرب، اندر حال طرب در دنیا به غیبت از حق، سکونت بر ایشان روا نه و اندر عقبی به حضور حق و تجلی و رؤیت قرار بر ایشان روانه. پس دنیا مر ایشان را چون عقبی، و عقبی چون دنیا؛ از آن که سکونت دل دو چیز تقاضا کند: یا یافت مقصود و یا غفلت از مراد. یافت وی اندر عقبی و دنیا روا نه، تا دل از خفقان محبت ساکن شود؛ و غفلت بر دوستان وی حرام، تا دل از حرکات طلب ساکن شود. و این اصلی قوی است اندر طریقت محققان و الله أعلم بالصواب.

ابوعلی فضیل بن عیاض، رضی الله عنه

و منهم: شاه اهل حضرت و پادشاه ولایت وصلت، ابوعلی فضیل بن عیاض، رضی الله عنه از جمله صعالیک قوم بود و از کبار ایشان. وی را اندر معاملات و حقایق حظی وافر است و نصیبی تمام و از مشهوران این طریقت یکی وی بوده است، ستوده به همه زبانها اندر میان ملل و احوالش معمور به صدق و

اخلاص.

و اندر ابتدا وی عیاری بود و راه داشتی میان مرو و باورد و همه میل به صلاح داشتی و پیوسته همتی و فتوتی اندر طبع وی بودی؛ چنانکه اگر اندر قافله‌ای زنی بودی گرد آن نگشتی، و کسی را که سرمایه اندک بودی کالای وی نستی و با هرکسی به مقدار سرمایه وی چیزی بماندی. تا وقتی بازرگانی از مرو برفت. وی را گفتند: «بدرقه‌ای بگیری، که فضیل بر راه است.» گفت: «شنیدم که وی مردی خدای ترس و آگاه است. باکی نبود.» قاری با خود برد و بر سر اشتر نشاند تا شب و روز قرآن می‌خواند. تا قافله به جایی رسید که فضیل رحمة‌الله کمین داشت. باتفاق قاری برخواند، قوله، تعالی: «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ (۱۶/الحديد)». وی را رُضی عنه رقتی اندر دل پدید آمد و عنایت ازلی سلطان الطاف خود بر جان وی ظاهر گردانید از آن شغل توبه کرد و خصمان را نام نرفته بود خشنودشان گردانید و به مکه رفت و مدتی آنجا بیود و بعضی از اولیای خداوند را تعالی بیافت و به کوفه بازآمد. و به امام اعظم، ابی حنیفه رضی الله عنه پیوست و مدتی با وی صحبت داشت و تحصیل علوم کرد.

وی را روایات عالی است و مقبول اندر میان اهل صنعت حدیث و کلام رفیع اندر حقایق تصوّف و معرفت.

از وی می‌آید، رضی الله عنه: «من عَرَفَ اللَّهَ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ عَبْدَهُ بِكُلِّ طَاقَتِهِ.»

هرکه خدای را جلّ جلاله به حق معرفت بشناسد، به کل طاقّت پرستدش؛ زیرا که آن که بشناسد به انعام و احسان و رأفت و رحمت شناسد. چون شناخت دوست گیرد. چون دوست گرفت طاعت دارد تا طاقّت دارد؛ از آن که فرمان دوستان دشوار نباشد. پس هرکه را دوستی زیادت، حرص بر طاعت زیادت.

و زیادت دوستی از حقیقت معرفت بود؛ چنانکه عایشه رضی الله عنها روایت کند که شبی پیغمبر علیه السلام از جامه برخاست و از بر من غایب شد. مرا صورت بست که وی به حجره‌ای دیگر رفت. برخاستم و بر اثر وی می‌رفتم تا وی را به مسجد یافتم اندر نماز استاده و همی گریست. تا بلال بانگ نماز بامداد بگفت، وی اندر نماز بود. چون نماز بامداد بگزارد و به حجره اندر آمد، دیدم هر دو پایش آماسیده و هر دو سر انگشت طراquیده، و زرداب از آن همی رفت. بگریستم و گفتم: «یا رسول الله، ترا گناه اولین و آخرین عفو کرده است، چندین رنج بر خود چرا می‌نهی؟ این کسی کند که مأمون العاقبه نباشد.» وی گفت: «یا عایشه، این جمله فضل و منت و لطف و نعمت خدای است، جل جلاله. افلا أكون عبداً شكوراً؟ نباید که من بنده شکور باشم؟ چون او کرم و خداوندی کرد، نباید که من نیز از راه بندگی به مقدار طاقّت از راه شکر به استقبال نعمت باز شوم؟»

و نیز وی صلی الله علیه به شب معراج پنجاه نماز قبول کرد و آن را گران نداشت تا به سخن موسی علیه السلام بازگشت و نماز به پنج باز آورد؛ زیرا که اندر طبع وی مرفمان را هیچ چیز مخالف نبود: «لِأَنَّ الْمَحَبَّةَ الْمُوَافِقَةَ.»

و از وی رضی الله عنه روایت آرند که گفت: «الدُّنْيَا دَارُ الْمَرَضِيِّ وَالنَّاسُ فِيهَا مَجَانِينُ وَلِلْمَجَانِينِ فِي دَارِ الْمَرَضِيِّ الْعُلُّ وَالْقَيْدُ.»

دنیا بیمارستان است و مردمان در او دیوانگان‌اند و دیوانگان را در بیمارستان غل و قید باشد. هوای نفس به ما غل ماست و معصیت قید ما.

فضل بن ربیع رحمة‌الله علیه روایت کرد که: من با هارون الرشید به مکه شدم. چون حج بکردیم، هارون مرا گفت: «اینجا مردی هست از مردان خدای تعالی تا او را زیارت کنیم؟» گفتم: «بلی، عبدالرزاق الصنعانی اینجاست.» گفت: «مرا نزدیک وی بر.» چون نزدیک وی رفتیم و زمانی سخن گفتم، هارون مرا اشارت کرد که: «از وی پیرس تا هیچ وام دارد.» پرسیدمش. گفت: «بلی.» بفرمود و امش بگزارند. و ز آنجا بیرون آمد.

گفت: «یا فضل، دلم هنوز تقاضای مردی می‌کند بزرگ‌تر از این.» گفت: «سفیان بن عیینه اینجاست.» گفت: «برو تا به نزدیک وی شویم.» چون اندر آمدیم و زمانی سخن گفت، و قصد بازگشت کردیم، دیگر باره اشارت کرد تا از وام پرسیدمش. گفت: «بلی، وام دارم.» بفرمود تا وامش بدادند و ز آنجا بیرون آمدیم.

گفت: «یا فضل، هنوز مقصود من حاصل نشده است.» یاد آمدم که فضیل ابن عیاض رحمة الله علیه، و رَضِيَ عنه آنجاست. به نزدیک فضیل بردمش و وی در غرفه‌ای بود، آیتی از قرآن می‌خواند. در بزدیم. گفت: «کیست؟» گفت: «امیرالمؤمنین است.» گفت: رَضِيَ عنه: «مالی و لأمر المؤمنین؟» مرا با امیرالمؤمنین چه کار است؟» گفت: «سبحان الله! نه خبر پیغمبر است، علیه السلام: «لَيْسَ لِلْعَبْدِ أَنْ يُدَلَّ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ؟» قال: «بلی، اما الرضا عزّ دائمٌ عندَ أهله.»

: «نیست روا مر بنده را که اندر طاعت خدای عزّ و جلّ ذلّ طلبد؟» گفت: «بلی، اما رضا عزّی دایم است. تو ذلّ من می‌بینی و من عزّ خود به حکم خداوند، تعالی.»

آنگاه فرود آمد و در بگشاد و چراغ بکشت و اندر زاویه‌ای پنهان شد، تا هارون گرد خانه ورامی جست تادستش بر وی آمد. گفت: «آه از دستی که از آن نرم‌تر ندیدم، اگر از عذاب خدای برهد!» هارون فراگریستن آمد و چندان بگریست که بیهوش گشت.

چون به هوش باز آمد، گفت: «یا فضیل، مرا پندی بده.» گفت: «یا امیرالمؤمنین، پدرت عم مصطفی بود صلوات الله علیه از وی درخواست که: مرا بر قومی امیرکن. گفت: یا عمّ، بَكَ نَفْسُكَ. ترا بر تن تو امیرکردم؛ یعنی که یک نفس تو در طاعت خدای بهتر از هزار سال طاعت خلیف ترا؛ لَأَنَّ الإِمَارَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ النَّدَامَةُ. از آنچه امیری روز قیامت بجز ندامت نباشد.»

هارون گفت: «اندر پند زیادت کن.» گفت: «چون عمر بن عبدالعزیز را به خلافت نصب کردند، سالم بن عبدالله و رجاء بن حیوة و محمد بن کعب القرظی را رحمهم الله بخواند و گفت: من مبتلا شدم بدین بلیات، تدبیر من چیست؛ که من این را بلا می‌شناسم هر چند مردمان نعمت انگارند؟ یکی گفت: اگر خواهی که فردای قیامت ترا نجات باشد، پیران مسلمانان را چون پدر خود دان و جوانان را چون برادران و کودکان را چون فرزندان. آنگاه با ایشان معاملت چنان کن که اندر خانه با پدر و برادر و فرزندکنند؛ که همه دیار اسلام هم خانه شوند، و اهل آن عیالان تو. زُرْ أَبَاكَ و أَكْرِمِ أَحْبَابَكَ و أَحْسِنْ إِلَى وُلْدِكَ. زیارت کن پدر را و کرامت کن برادر را و نیکویی کن با فرزندان.» آنگاه فضیل گفت: «یا امیرالمؤمنین، من از روی خوب تو بر آتش دوزخ می‌بترسم که گرفتار شود. بترس از خدای تعالی و حق وی بهتر از این بگزار.»

پس هارون گفت: «ترا وام هست؟» گفت: «بلی، وام خداوند است بر من طاعت وی. اگر بگیری مرا بدان، و بیل بر من.» گفت: «یا فضل، وام خلق می‌گویم.» گفت: «حمد و سپاس و شکر مر خدای را جل جلاله که مرا از او نعمت بسیار است و هیچ گله ندارم از او تا با بندگان وی بکنم.» آنگاه هارون صره‌ای زر هزار دینار پیش وی نهاد و گفت: «این را در وجهی صرف کن.» فضیل گفت: «یا امیرالمؤمنین، این پندهای من ترا هیچ سود نداشت و هم از اینجا جور اندر گرفتی و بیدادی آغاز نهادی؟» گفت: «چه بیداد کردم؟» گفت: «من ترا به نجات می‌خوانم و تو مرا اندر هلاک می‌افکنی، این بیدادی نبود؟» هارون گریان شد و از پیش وی بیرون آمد و گفت: «یا فضل بن الربیع، مَلِكٌ بِحَقِيقَتِ فَضِيلٍ اسْت.»

و این جمله دلیل صولت وی است به دنیا و اهل آن و حقارت زینت آن به نزدیک دل وی و ترک تواضع مر اهل دنیا را از برای دنیا.

و وی را مناقب بیشتر از آن است که در فهم گنجد.

ابوالفیض ذوالنون بن ابراهیم المصری، رضی الله عنه

و منهم: سفینه تحقیق و کرامت، و محیای شرف اندر ولایت، ابوالفیض ذوالنون بن ابراهیم المصری، رضی الله عنه

نوبی بجهای بود نام او ثوبان و از اخیار قوم و بزرگان و عیاران این طریقت بود. راه بلا سپردی و طریق ملامت رفتی و اهل مصر بجمله اندر شأن وی متحیر و به روزگارش منکر بودند و تا وقت مرگ از اهل مصر کس جمال حال وی را نشناخت. و آن شب که از دنیا بیرون شد، هفتادکس پیغمبر را علیه السلام به خواب دیدند که: «دوست خدای، ذی النون، بخواست آمد. من به استقبال وی آمدم.» و چون وفات کرد، بر پیشانی وی نبشته پدید آمد: «هذا حبيبُ الله في حبِّ الله قتيلاً لله.»

چون جنازه وی برداشتند، مرغان هوا جمع شدند و بر جنازه وی سایه برافکندند. اهل مصر بجمله تشویر خوردند و توبه کردند از جفا که با وی کرده بودند.

و وی را طُرف بسیار است و کلمات خوش اندر حقایق علوم؛ چنانکه گوید: «العارفُ كلُّ يومٍ أخشعٌ؛ لأنه في كلِّ ساعةٍ أقربُ.»

هر روز عارف ترسان تر و خاشع تر باشد؛ زیرا که هر ساعت نزدیک تر بود، و لامحاله حیرت وی بیشتر بود و خشوعش زیادت تر؛ از آن که از هیبت و سلطان حق آگه گشته بود و جلال حق بر دلش مستولی شده، خود را از وی دور نیند و به وصل روی نه. خشوعش بر خشوع زیادت شود؛ چنانکه موسی اندر حال مکالمت گفت: «یا ربُّ، این اطلبُک؟» قال: «عند المنكسرة قلوبهم.»

: «بار خدایا، ترا کجا طلبیم؟» گفت: «آنجا که دل شکسته است و از خلاص نومید گشته.» گفت: «بار خدایا، هیچ دلی از دل من نومید تر و شکسته تر نیست.» گفت: «من آنجا می که تویی.»

پس مدعی معرفت بی ترس و خشوع، جاهل بود نه عارف. و حقیقت معرفت را علامت، صدق ارادت بود و ارادت صادق بُرنده اسباب و قاطع بنده باشد از دون خدای، عزّ و جلّ؛ چنانکه ذی النون گوید، رضی الله عنه: «الصدقُ سيفُ الله في أرضه ما وضع على شيءٍ إلا قطعهُ. راستی شمشیر خدای است عزّ و جلّ اندر زمین و بر هیچ چیز نیاید الا که آن را ببرد.» و صدق رؤیت مُسبب باشد نه اثبات سبب. چون سبب ثابت شد حکم صدق برخاست و ساقط شد.

و یافتم اندر حکایات وی که: روزی با اصحاب در کشتی نشسته بودند در رود نیل به تفرج؛ چنانکه عادت اهل مصر بود. کشتی دیگر می آمد و گروهی از اهل طرب در آنجا فساد همی کردند. شاگردان را آن، بزرگ نمود، گفتند: «ایها الشیخ، دعا کن تا آن جمله را خدای عزّ و جلّ غرق کند تا شومی ایشان از خلق منقطع شود.» ذوالنون رحمة الله علیه بر پای خاست و دستها برداشت و گفت: «بار خدایا، چنانکه این گروه را اندر این جهان عیش خوش داده ای، اندر آن جهان نیز عیش خوششان ده.» مریدان متعجب شدند از گفتار وی. چون کشتی پیشتر آمد و چشمشان بر ذوالنون افتاد، فراگریستن آمدند و رودها بشکستند و توبه کردند و به خدای بازگشتند. وی رحمة الله علیه شاگردان را گفت: «عیش خوش آن جهانی توبه این جهانی بود. ندیدید که مراد جمله حاصل شد، بی از آن که رنجی به کسی رسیدی؟»

و این از غایت شفقت آن پیر بود بر مسلمانان و اندر این، اقتدا به پیغمبر علیه السلام کرد که هر چند از کافران بر او جفا بیش بودی وی متغیر نشدی و می گفتی: «اللهم اهد قومی فانهم لا یعلمون.»

و از وی می آید که گفت: از بیت المقدس می آمدم به قصد مصر. اندر راه شخصی دیدم از دور با هیبت که می آمد. اندر دل خود تقاضایی یافتم که از این کس سؤالی بکنم. چون نزدیک من آمد، پیرزنی دیدم با عگازه ای

اندر دست و جبه‌ای پشمین پوشیده.

گفتم: «مِنْ أَيْنَ؟» قَالَتْ: «مِنْ اللَّهِ».

قلت: «إِلَى أَيْنَ؟» قَالَتْ: «إِلَى اللَّهِ».

:«از کجا می‌آیی؟» گفت: «از نزد خدای»

گفتم: «کجا خواهی رفت؟» گفت: «به سوی خدای.»

با من دینارگانه‌ای بود، برآوردم که بدو دهم. دست اندر روی من بجنبانید و گفت: «ای ذوالنون، این صورت که ترا بر من بسته است از ریکی عقل توست. من کار از برای خدای کنم و از دون وی چیزی نستانم؛ چنانکه نپرستم جز وی را، چیزی نستانم جز از وی.» این بگفت و از من جدا شد.

و اندر این حکایت رمزی لطیف است که آن عجزگفت: «من کار از برای وی می‌کنم.» و این دلیل صدق محبت بود؛ که خلق اندر معاملات بر دوگونه‌اند: یکی آن که کاری می‌کند پندارد که از برای وی می‌کند و بتحقیق از برای خود می‌کند. و هرچند که هوای وی از آن منقطع باشد. دنیایی، آخر بیوس ثواب آن جهانی باشد، و دیگر آن که ارادت ثواب و عقاب آن جهان و ریا و سَمَعَتِ این جهان از معاملات وی منقطع باشد و آنچه کند مر تعظیم فرمان حق جلّ جلاله را کند و محبت حق تعالی متقاضی وی باشد به ترک نصیب اندر فرمان وی. و آن گروه را صورت بسته باشد که هرکار که آخرت را کنند هم ورا باشد و ندانند که در طاعت مر مطیع را نصیب بیش از آن باشد که اندر معصیت؛ از آنچه اندر معصیت راحت عاصی یک ساعته باشد و راحت طاعت همیشه و خداوند را تعالی و تقدس از مجاهدت خلق چه سود و از ترک آن چه زیان؟ اگر همه خلق به صدق ابوبکرگردند فایده مر ایشان را، و اگر به کذب فرعون شوند زیان مر ایشان را؛ لقوله، تعالی: «إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ (۷/الإسراء)»، و قوله، تعالی: «وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ (۶/العنکبوت)».

خلق ملک ابدی مر خود را می‌طلبند و می‌گویند: «از برای خدای می‌کنیم، جلّ جلاله.» اما سپردن طریق دوستی، خود چیزی دیگر است. ایشان از گزاردن فرمان حصول امر دوست نگاه دارند، چشمشان بر هیچ چیزی دیگر نباشد.

و اندر این کتاب مانند این سخن بیاید ان شاء الله اندر باب اخلاص.

ابواسحاق ابراهیم بن ادهم بن منصور، رضی الله عنه

و منهم: امیر امراء و سالک طریق لقا، ابواسحاق ابراهیم بن ادهم بن منصور، رضی الله عنه
یگانه زمانه بود و اندر عصر خود سید اقران و شاهنشاه مردان بود. مرید خضر پیغمبر علیه السلام بود و بسیار از قدمای مشایخ را دریافته بود و با امام اعظم، ابوحنیفه رضی الله عنهما اختلاف داشت و علم از وی آموخته بود. از اول حال امیر بلخ بود. چون حق تعالی را ارادت آن بود که پادشاه جهانی گردد، روزی به صید بیرون شده بود و از لشکر خود جدا مانده، از پس آهوئی بتاخت. خدای عزّ و جلّ به کمال الطاف و اکرام خود مر آن آهو را با وی به سخن آورد تا به زبان فصیح گفت: «أَلْهَذَا خُلِقَتْ؟ أَمْ بَهَذَا أُمِرْتُ؟» از برای این کارت آفریده‌اند، یا بدین کار فرمودندت؟» وی را این سخن دلیل گشت توبه کرد و دست از ممالک دنیا بکل بازکشید و طریق زهد و ورع بر دست گرفت.

فضیل بن عیاض و سفیان ثوری را بیافت و با ایشان صحبت گرفت و اندر همه عمر بجز کسب دست خود نخورد. وی را معاملات ظاهر است و کرامات مشهور و اندر حقایق تصوف کلمات بدیع و لطایف نفیس.

و جنیدگوید، رضی الله عنه: «مفاتیح العلوم ابراهیم. کلید علمهای این طریقت ابراهیم است.»

و از وی روایت می‌آرند که گفت: «إِتَّخَذَ اللَّهُ صَاحِبًا وَ ذُرَّ النَّاسَ جَانِبًا.»

خدای را تعالی یار خود دار و خلق را به جانبی بگذار و مراد از این آن است که چون اقبال بنده به حق تعالی درست باشد و اندر تولا به حق مخلص بود، صحت اقبال وی به حق، اعراض از خلق تقاضا کند؛ از آن که صحبت خلق را با حدیث حق هیچ کار نیست و صحبت حق اخلاص باشد اندر گزاردن فرمان وی، و اخلاص اندر طاعت از خلوص محبت باشد و خلوص محبت حق از دشمنی نفس و هوی خیزد؛ که هرکه با هوی آشنا بود از خدای عزّ و جلّ جدا بود و هرکه از هوی بریده باشد با خداوند آرمیده باشد. پس همه خلق تویی اندر حق تو، چون از خود اعراض کردی از همه اعراض کردی. کسی که از خلق اعراض کند و به خود اقبال کند این جفا باشد؛ که همه خلق اندر آنچه هستند به حکم تقدیر راست‌اند. ترا کار با تو افتاده است.

و بنای استقامت ظاهر و باطن مر طالب را بر دو چیز است: یکی از آن شناختنی، و یکی کردنی. آنچه شناختنی است رؤیت تقدیر حق است از خیر و شر؛ که اندر کل ملک هیچ متحرک ساکن نشود و هیچ ساکن متحرک نگرده، الاّ به حرکتی که خداوند تعالی اندر وی بیافریند و سکونتی که خداوند تعالی اندر وی بنهد؛ و آنچه کردنی است گزارد فرمان است و صحت معاملت و حفظ تکلیف است و به هیچ حال تقدیر وی مر ترک فرمان را حجت نگرده.

پس اعراض از خلق درست نیاید تا از خود اعراض نباشد. چون از خود اعراض کردی، خلق همه می‌باید مر حصول مراد حق را و چون به حق تعالی اقبال کردی، تو می‌بایی مر اقامت امر او را. پس با خلق آرمیدن روی نیست، و اگر بدون حق با چیزی بخواهی آرمید باری با غیر آرام؛ که آرام با غیر رؤیت توحید بود و آرام با خود اثبات تعطیل. و از آن بود که شیخ بوالحسن سالبه رحمة الله علیه گفتی: «مرید را در حکم گربه‌ای بودن بهتر از آنچه اندر حکم خود؛ از آنچه صحبت با غیر از برای خدا بود و صحبت با خود از برای هوی بود.» و اندر این معنی سخن بیاید اندر این کتاب به جایگاه خود، ان شاء الله تعالی.

و اندر حکایات یافتیم که ابراهیم ادهم گفته است که: چون به بادیه رسیدم پیری بیامد و مرا گفت: «یا ابراهیم، می‌دانی که این چه جای است، تو بی زاد و بی راحله می‌روی؟ گفتا: من دانستم که او شیطان است. چهار دانگ سیم با من بود که اندر کوفه زنبیلی فروخته بودم از جیب برآوردم و بینداختم و نذر کردم که بر هر میل چهارصد رکعت نماز کنم. چهار سال اندر بادیه بماندم و خداوند تعالی به وقت بی تکلف روزی می‌رسانید و اندر آن میان خضر پیغامبر را علیه السلام با من صحبت افتاد و نام بزرگ خداوند تعالی مرا بیاموخت. آنگاه دلم به یکبار از غیر فارغ شد.

و وی را مناقب بسیار است و بالله التوفیق.

بشر بن الحارث الحافی، رضی الله عنه

و منهم: سریر معرفت، و تاج اهل معاملت، بشر بن الحارث الحافی، رضی الله عنه
اندر مجاهدت شأنی کبیر داشت و اندر معاملت حظی تمام. صحبت فضیل ابن عیاض دریافته بود و مرید خال خود بود، علی بن خَشْرَم. به علم اصول و فروع عالم بود.

و ابتدای وی آن بود که روزی مست می‌آمد. اندر میان راه کاغذ پاره‌ای یافت. مر آن را به تعظیم برگرفت، بر آن نبشته دید که: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.» آن را معطر کرد و به جایی پاک بنهاد. آن شب مر خداوند تعالی را به خواب دید که وی را گفت: «طَبِيتَ اسْمِي فَبِعَزَّتِي لِأَطْيَبِنَ اسْمِكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. نام مرا خوشبوی گردانیدی، به عزت من که نام ترا خوشبوی گردانم در دنیا و آخرت، تا کس نام تو نشنود الا که راحتی به جان

وی آید.»

آنگاه توبه کرد و طریق زهد بر دست گرفت و از شدت غلبه اندر مشاهدت حق تعالی هیچ چیز اندر پای نکرد از وی علت آن پرسیدند. گفت: «زمین بساط وی است، و من روا ندارم که بساط وی سپرم و میان پای من و زمین واسطه‌ای باشد.»

و این از غرایب معاملات وی است. اندر جمع همت وی به حق، پای افزار حجاب وی آمد. و از وی می‌آید که گفت: «من أراد أن يكون عزيزاً في الدنيا شريفاً في الآخرة، فليجتنب ثلاثاً: لا يسأل أحداً حاجةً ولا يذكر أحداً بسوءٍ ولا يحب أحداً إلى طعامه.»

هرکه خواهد که اندر دنیا عزیز باشد و اندر آخرت شریف، گو از سه چیز بپرهیز: از مخلوقان حاجت مخواه، و کس را بد مگوی و به مهمانی کس مرو.

اما هرکه به خداوند تعالی راه داند از خلق حاجت نخواهد؛ که حاجت به خلق دلیل بی معرفتی بود؛ که اگر به قاضی الحاجات عالمستی از چون خویشتی حاجت نخواهدی. «استغاثة المخلوق كاستغاثة المسجون إلى المسجون.»

و اما هرکه کسی را بدگوید آن تصرف است که اندر حکم خدای تعالی می‌کند؛ از آنچه آن کس و فعل وی آفریده خدای است، عز و جل. آفریده وی را برکه رد می‌کنی و آن که فعل را عیب کند فاعل را کرده باشد؛ بجز آن که وی فرموده است که: «کفار را بر موافقت من ذم کنید.»

اما آنچه گفت از نان خلق بپرهیزید؛ که رازق خدای است جل جلاله اگر مخلوقی را سبب روزی توگرداند او را مبین و بدان که روزی توست که خدای تعالی به تو رسانید، نه از آن وی، و اگر او پندارد که از آن وی است و بدان بر تو منت نهد وی را اجابت مکن؛ که اندر روزی کس را برکس منت نیست البته؛ از آن که به نزدیک اهل سنت و جماعت روزی غذاست و به نزدیک معتزله ملک و خلق را به اغذیه خدای پرورد نه مخلوق، و مجاز این قول را وجهی دیگر است. والله اعلم.

ابویزید طیفور بن عیسی البسطامی، رضی الله عنه

و منهم: فلک معرفت، و ملک محبت، ابویزید طیفور بن عیسی البسطامی، رضی الله عنه از جلّه مشایخ بود و حالش اکبر جمله بود و شأنش اعظم ایشان بود؛ تا حدی که جنید گفت، رحمة الله علیه: «ابویزید منّا بمنزلة جبریل من الملائكة. ابویزید اندر میان ما چون جبرئیل است از ملائکه.»

و جد او مجوسی بوده بود و از بزرگان بسطام یکی پدر او بود. او را روایات عالی است اندر احادیث پیغمبر، علیه السلام. و از این ده امام معروف مر تصوف را یکی وی بوده است، و هیچ کس را بیش از وی اندر حقایق این علم چندان استنباط نبوده است که وی را. و اندر همه احوال محب العلم و معظم الشریعه بوده است، به حکم آن که گویند گروهی مر مدد الحاد خود را موضوعی بر وی بندند و اندر ابتدا روزگارش مبنی بر مجاهدت و برزش معاملات بوده است.

و از وی می‌آید که گفت: «عَمِلْتُ فِي الْمَجَاهِدَةِ ثَلَاثِينَ سَنَةً فَمَا وَجَدْتُ شَيْئاً أَشَدَّ عَلَيَّ مِنَ الْعِلْمِ وَ مَتَابَعَتِهِ، وَلَوْلَا اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ لَبْقَيْتُ وَ اخْتِلَافُ الْعُلَمَاءِ رَحْمَةٌ أَلَا فِي تَجْرِيدِ التَّوْحِيدِ.»

سی سال مجاهدت کردم، هیچ چیز نیافتم که بر من سخت‌تر از علم و متابعت آن بودی و اگر اختلاف علما نبودی من از همه چیزها باز ماندمی و حق دین نتوانستمی گزارد و اختلاف علما رحمت است بجز اندر تجرید توحید و بحقیقت چنین است که طبع به جهل مایل‌تر باشد از آن چه به علم و به جهل بسیارکار توان کرد بی رنج

و به علم یک قدم بی رنج نتوان نهاد و صراط شریعت بسیار بارکتر و پرخطرتر از صراط آن جهانی. پس باید که اندر همه احوالها چنان باشی که اگر از احوال رفیع و مقامات خطیر بازمانی و بیفتی، اندر میدان شریعت افتی و اگر همه از تو بشود باید که معاملت با تو بماند؛ که اعظم آفات مر مرید را ترک معاملت بود و همه دعاوی مدعیان اندر برزش شریعت متلاشی شود و همه ارباب لسان در برابر آن برهنه گردند.

و از وی رحمة الله علیه می آید که گفت: «الْجَنَّةُ لَا خَطَرُ لَهَا عِنْدَ أَهْلِ الْمَحَبَّةِ، وَأَهْلُ الْمَحَبَّةِ مَحْجُوبُونَ بِمَحَبَّتِهِمْ.» بهشت را خطری نیست به نزدیک اهل محبت، و اهل محبت بازمانده اند و اندر پوشش اند از محبوب؛ یعنی بهشت مخلوق است اگرچه بزرگ است و محبت وی صفت وی است نا مخلوق، و هر که از نامخلوق به مخلوق بازماند بی خطر بود. پس مخلوق به نزدیک دوستان خطر ندارد و دوستان به دوستی محبوب اند؛ از آنچه وجود دوستی دوی اقتضا کند و اندر اصل توحید دوی صورت نگیرد و راه دوستان از وحدانیت به وحدانیت بود و اندر راه دوستی علت دوستی آید و آفت آن؛ که اندر دوستی مریدی و مُرادى باید: یا مرید حق، مراد بنده و یا مراد حق، مرید بنده. اگر مرید حق بود و مراد بنده، هستی بنده ثابت بود اندر مراد حق و اگر مرید بنده و مراد حق به طلب و ارادت مخلوق را بدو راه نیست. ماند اینجا آفت هستی محب به هر دو حال. پس فنای محب اندر بقای محبت درست و تمام تر از آن که قیامش به بقای محبت.

و از وی می آید رضی الله عنه که گفت: یک بار به مکه شدم، خانه مفرد دیدم. گفتم: «حج مقبول نیست؛ که من سنگها از این جنس بسیار دیده ام.» باز دیگر برفتم خانه دیدم و خداوند خانه دیدم. گفتم که: «هنوز حقیقت توحید نیست.» بار سدیگر برفتم همه خداوند خانه دیدم و خانه نه. به سرم فرو خواندند: «یا بایزید، اگر خود را ندیدی و همه عالم را بدیدی شرک نبود و چون همه عالم نبینی و خود را بینی شرک باشد.» آنگاه توبه کردم و از توبه نیز توبه کردم و از دیدن هستی خود نیز توبه کردم. و این حکایتی لطیف است اندر صحت حال وی و نشانی خوب مر ارباب احوال را و الله اعلم.

ابوعبدالله الحارث بن اسد المحاسبی، رضی الله عنه

و منهم: امام فنون، و جاسوس ظنون، ابوعبدالله الحارث بن اسد المحاسبی، رضی الله عنه عالم بود به اصول و فروع و همه اهل علم را تولا و اقتدا در وقت وی به وی بود. کتابی کرده است «رغایب» نام اندر اصول تصوّف و بجز آن وی را تصانیف بسیار است اندر هر فن. عالی حال و بزرگ همت بود و اندر وقت خود شیخ المشایخ بغداد بود.

از وی روایت آرند که گفت: «الْعِلْمُ بِحَرَكَاتِ الْقُلُوبِ فِي مَطَالَعَةِ الْغُيُوبِ أَشْرَفُ مِنَ الْعَمَلِ بِحَرَكَاتِ الْجَوَارِحِ.» آن کس که به حرکات دل اندر محل غیب عالم بود بهتر از آن که به حرکات جوارح عامل بود. مراد اندر این آن است که: علم محل کمال است و جهد محل طلب و علم اندر پیشگاه بهتر از آن که جهد بر درگاه؛ که علم مرد را به درجه کمال رساند و جهد از درگاه اندر نگذرانند و بحقیقت علم بزرگ تر از عمل بود؛ از آن که خداوند تعالی را به علم توان شناخت و به عمل اندر نتوان یافت و اگر به عمل بی علم بدو راه باشدی، نصاری و رهبانان اندر شدت اجتهادشان اندر مشاهده اندی و مؤمنان عاصی اندر مغایبه. پس عمل صفت بنده است و علم صفت خداوند، تعالی.

و بعضی از راویان این قول را غلطی افتاده است و هر دو، عمل را روایت کنند و گویند: «الْعَمَلُ بِحَرَكَاتِ الْقُلُوبِ أَشْرَفُ مِنَ الْعَمَلِ بِحَرَكَاتِ الْجَوَارِحِ.» و این محال است؛ که عمل بنده به حرکات دل تعلق نکند و اگر بدین، فکر و مراقبت احوال باطن می خواهد این خود بدیع نباشد؛ که پیغمبر گفت، علیه السلام: «تَفَكَّرْ سَاعَةً

خَيْرٌ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةٍ.»

و بحقیقت اعمال باطن فاضل‌تر از اعمال جوارح، و تأثیر اعمال باطن تمام‌تر از تأثیر اعمال ظاهر و از آن بود که گفتند: «نَوْمُ الْعَالَمِ عِبَادَةٌ وَسَهْرُ الْجَاهِلِ مَعْصِيَةٌ.»

خواب عالم عبادت بود و بیداری جاهل معصیت؛ از آنچه اندر خواب و بیداری سرش مغلوب باشد و چون سر مغلوب گردد، تن نیز مغلوب گردد. پس سر مغلوب به غلبه حق بهتر از نفس غالب به حرکات ظاهر و مجاهدت. و از وی رحمة الله علیه می‌آید که: روزی درویشی را گفت: «كُنْ لِلَّهِ وَإِلَّا فَلَا تَكُنْ.»

خداوند را تعالی باش و اگر نه خود مباش؛ یعنی به حق باقی باش یا از وجود خود فانی؛ یعنی به صفوت مجتمع باش یا به فقر مفترق و به حق باقی باش یا از خود فانی، یا بدان صفت باش که حق تعالی گوید: «أَسْجُدُوا لِأَدَمَ (۳۴/البقره)»، یا بدان صفت باش که: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا (۱/الانسان)». اگر حق را باشی به اختیار خود قیامت به خود بود و اگر نباشی به اختیار خود قیامت به حق بود و این معنی لطیف است و الله اعلم بالصواب.

ابوسلیمان داود بن نُصَير الطَّائِي، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

و منهم: امام معرض از حلق و از طلب ریاست و بریده از خلق به عزلت و قناعت، ابوسلیمان داود بن نُصَير الطَّائِي، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ

از کبرای مشایخ و سادات اهل تصوّف بود و اندر زمانه خود بی نظیر. شاگرد امام اعظم، ابوحنیفه، بود، رضی الله عنهما و از اقران فضیل و ابراهیم ادهم و غیر ایشان بود و اندر این طریقت مرید حبیب راعی، رضی الله عنهم. اندر جمله علوم حظی تمام داشت و به درجه اعلی بود و اندر فقه فقیه الفقها بود. عزلت اختیار کرد و از طریق ریاست و دنیا اعراض کرد و طریق زهد و تقوی بر دست گرفت و وی را مناقب بسیار است و فضایل مذکور؛ که به معاملات عالم بود و اندر حقایق کامل.

از وی می‌آید که گفت: «إِنْ أَرَدْتَ السَّلَامَةَ سَلِّمْ عَلَى الدُّنْيَا، وَإِنْ أَرَدْتَ الْكِرَامَةَ كَبِّرْ عَلَى الْآخِرَةِ.»

ای پسر، اگر سلامت خواهی دنیا را وداع غیبت کن و اگر کرامت خواهی بر آخرت چهار تکبیر کن؛ یعنی این هر دو محل حجاب‌اند و همه فراغت‌ها اندر این دو چیز بسته است. هر که خواهد که به تن فارغ شود، گو از دنیا اعراض کن و هر که خواهد که به دل فارغ شود، گو ارادت عقبی از دل پرداز.

و اندر حکایات مشهور است که پیوسته وی اختلاف با محمد بن الحسن داشتی و ابویوسف را به نزدیک خود نگذاشتی. از وی پرسیدند که: «این هر دو اندر علم بزرگانند، چرا یکی را عزیز داری و یکی را پیش خود نگذاری؟» گفت: «از آنچه محمد بن الحسن از سر دنیا و نعمت بسیار به علم آمده است و علم سبب عزّ دین و ذلّ دنیای وی است، و ابویوسف از سر ذلّ و درویشی به علم آمده است و علم را سبب جاه و جمال و عزّ خود گردانیده. پس محمد نه چون وی باشد.»

و از معروف کرخی رحمة الله علیه روایت کنند که: «هیچ کس ندیدم که دنیا را اندر چشم وی خطر کم‌تر از آن بود که داود طایی را، که همه دنیا را و اهل او به نزدیک وی به پر پشه‌ای مقدار نبود و اندر فقرا به چشم کمال نگرستی، اگر چه پر آفت بودند.»

و وی را مناقب بسیار است و ستوده. والله اعلم.

ابوالحسن سری بن المغلس السقّطی، رحمة الله عليه

و منهم: شیخ اهل حقایق، و منقطع از جمله علایق، ابوالحسن سری بن المغلس السقّطی، رحمة الله عليه خال جنید بود و عالم به جمله علوم، و اندر تصوّف ورا شأنی عظیم است و ابتدا کسی که اندر ترتیب مقامات و بسط احوال خوض کرد وی بود، رحمة الله عليه و بیشتر از مشایخ عراق مریدان وی اند و وی حبیب راعی را دیده بود و با وی صحبت داشته و مرید معروف کرخی بود. اندر بازار بغداد سقط فروشی کردی چون بازار بغداد بسوخت، وی را گفتند: «دوکانت بسوخت.» گفت: «من فارغ شدم از بند آن.» چون نگاه کردند، دوکان وی نسوخته بود و از چهار سوی آن همه دوکانها بسوخته. چون آن چنان بدید هرچه داشت به درویشان داد و طریق تصوّف اختیار کرد.

وی را پرسیدند که: «ابتدای حالت چگونه بود؟» گفت: «حبیب راعی روزی به دوکان من اندر آمد. من شکسته ای فرا وی دادم که: به درویشان ده. مرا گفت: جبرک الله. از آن روز که این نکته به گوش من رسید، نیز از من فلاح دنیایی برخاست.»

و از وی می آید که گفت: «اللّهُمَّ مَهْمَا عَذَّبْتَنِي بِشَيْءٍ فَلَا تُعَذِّبْنِي بِذَلِكَ الْحِجَابِ.» بار خدایا، اگر مرا به چیزی عذاب کنی به ذل حجابم عذاب مکن؛ از آن که چون محبوب نباشم از تو، عذاب و بلا به ذکر و مشاهدت تو بر من آسان بود و چون از تو محبوب باشم نعیم ابدی تو هلاک من باشد به ذل حجاب تو. پس بلایی که اندر مشاهدت مبلی بود بلا نبود. بلا نعمت بود که اندر حجاب مبلی بود؛ که اندر دوزخ هیچ بلا سخت تر از حجاب نیست؛ که اگر اندر دوزخ، اهل دوزخ، به خدای تعالی مکاشف اندی هرگز مؤمنان عاصی را از بهشت یاد نیایدی؛ که دیدار حق عزّاسمه جان را چندان مشرب دهد که از عذاب تن و بلای کالبد یادش نیایدی و خبر ناردی و اندر بهشت هیچ نعمت کامل تر از کشف نیست، که اگر آن همه نعمت و صد چندان دیگر اندر حق ایشان محصول باشدی و ایشان از خداوند محبوب، هلاک از دلها و جانهای ایشان برآیدی. پس سنت بار خدای آن است که اندر همه احوال دل دوستان را به خود بینا دارد تا همه مشقت و ریاضت و بلاها به شرب آن بتوانند کشید تا دعاشان چنین باشد که: «همه عذابها دوست تر از حجاب تو داریم؛ که چون جمال تو بر دلهای ما مکشوف باشد از بلا نیندیشیم.» واللّٰه اعلم.

ابوعلی شقیق بن ابراهیم الأزدی، رضی الله عنه

و منهم: سرهنگ اهل بلا و بلوی، و مایه زهد و تقوی، ابوعلی شقیق بن ابراهیم الأزدی، رضی الله عنه عزیز قوم و مقتدای ایشان بود و عالم به جمله علوم شرعی و معاملتی و حقیقتی و وی را تصانیف بسیار است اندر فنون علم و صاحب ابراهیم بن ادهم بود و بسیاری از مشایخ را دیده بود و صحبت ایشان را دریافته. از وی می آید که گفت، رضی الله عنه: «جَعَلَ اللَّهُ أَهْلَ طَاعَتِهِ أَحْيَاءَ فِي مَمَاتِهِمْ وَأَهْلَ الْمَعَاصِي أَمْوَاتًا فِي حَيَاتِهِمْ.»

خداوند تعالی اهل طاعت خود را اندر حال مرگ زنده گردانید و اهل معصیت را اندر زندگی مرده؛ یعنی مطیع اگرچه مرده باشد زنده بود؛ که ملائکه بر طاعت وی آفرین همی کنند تا به قیامت، و ثوابش مؤید بود پس وی اندر فنای مرگ باقی بود به بقای جزا.

همی آید که: پیری به نزدیک وی آمد گفت: «ایّها الشَّيْخُ، گناه بسیار دارم و می خواهم که توبه کنم.» وی گفت: «دیر آمدی.» پیر گفت: «نه، که زود آمدم.» گفت: «چرا؟» گفت: «هر که پیش از مرگ بیاید، اگرچه دیر آمده باشد، زود آمده باشد.»

وگویند ابتدای حال وی آن بود که سالی اندر بلخ قحطی افتاده بود و مردمان مر یکدیگر را می خوردند و همه مسلمانان اندوهگن بودند. غلامی را دیدند که در بازار می خندید و طرب می کرد. مردمان گفتند: «چرا می خندی؟ شرم نداری که همه مردمان اندر اندوه مانده اند و تو چندین شادی همی کنی؟» گفت: «مرا هیچ اندوه نیست؛ که من بنده آن کسم که ورا یکی ده است و شغل من از دل من برداشته است.» شقیق گفت، رضی الله عنه: «بارخدایا، این غلام به خواهی که یکی ده دارد چندین شادی می کند و تو مالک الملوکی و روزی ما اندر پذیرفته ای و ما چندین اندوه بر دل گماشته ایم!» از شغل دنیا رجوع کرد و طریق حق سپردن گرفت و نیز هرگز اندوه روزی نخورد و پیوسته گفتی: «شاگرد غلامی ام شاگرد غلامی ام، و آنچه یافتم بدو یافتم.» و این از وی تواضع بود.

وی را مناقب بسیار است. والله اعلم.

ابوسلیمان عبدالرحمان بن عطیة الدارانی، رضی الله عنه

و منهم: شیخ وقت خود و مر طریق حق را مجرد، ابوسلیمان عبدالرحمان ابن عطیة الدارانی، رضی الله عنه عزیز قوم بود و ریحان دلها بود. و وی به ریاضت و مجاهدت صعب مخصوص است و عالم بود به علم وقت و معرفت آفات نفس و به صبر به کمینهای آن. و وی را کلام لطیف است اندر معاملات و حفظ قلوب و رعایت جوارح.

و از وی می آید که گفت: «إِذَا غَلَبَ الرَّجَاءُ عَلَى الْخَوْفِ فَسَدَ الْوَقْتُ.»

چون رجا بر خوف غالب شود وقت شوریده گردد؛ ازیرا که وقت رعایت حال باشد و بنده تا آنگاه راعی حال باشد که خوفی بر دلش مستولی بود. چون آن برخاست وی تارک الرعایه گردد و وقتش فاسد گردد و اگر خوف بر رجا غلبه گیرد توحیدش باطل شود؛ از آن که غلبه خوف از ناامیدی بود و نومییدی از حق شرک بود. پس حفظ توحید اندر صحت رجا بنده باشد و حفظ وقت اندر صحت خوف وی. چون هر دو برابر باشد توحید و وقت محفوظ باشد و بنده به حفظ توحید مؤمن بود و به حفظ وقت مطیع و تعلق رجا به مشاهدتی صرف بود که اندر او جمله اعتماد است و تعلق خوف به مجاهدتی صرف که اندر او جمله اضطرار است و مشاهدت موارثت مجاهدت باشد و این معنی آن بود که همه اومیدها از ناامیدی پدید آید، و هر که به کردار خود از فلاح خود نومید شود آن نومییدی وی را به نجاج و فلاح و کرم حق تعالی و تقدس راه نماید و در انبساط بر وی بگشاید و دلش را از آفات طبع بزداید و جمله اسرار ربانی وی را کشف گردد.

احمد بن ابی الحواری رحمة الله علیه گوید: اندر خلوت شبی نماز می کردم اندر آن میانه مرا راحتی بسیار می بود. دیگر روز با ابوسلیمان بگفتم. گفت: «ضعیف مردی، که ترا هنوز خلق اندر پیش است تا اندر خلأ دیگرگونی و اندر ملاً دیگرگون.»

و اندر دو جهان هیچ چیز را آن خطر نیست که بنده را از حق باز تواند داشت و چون عروسی را جلوه کنند بر سر خلق، از برای آن کنند تا همه خلق او را ببینند و از دیدار خلق مر او را زیادت عز بود؛ اما نیابد که وی بجز آن مقصود خود را بیند؛ که از دیدار او مر غیر را، او را ذل بود. اگر همه خلق عز طاعت مطیع بینند وی را زیان ندارد. زیان رؤیت وی مر طاعت وی را می دارد که هلاک وی است و هو اعلم.

ابومحفوظ معروف بن فیروز الکرخی، رضی الله عنه

و منهم: متعلق درگاه خدا و پرورده علی رضا، ابومحفوظ معروف ابن فیروز الکرخی، رضی الله عنه

از قدما و سادات مشایخ بود و معروف به فتوت و مذکور به ورع و انابت و ذکر وی مقدم بایستی از این ترتیب؛ اما من بر موافقت دو پیر مقدم یکی صاحب نقل، و یکی صاحب تصرف اندر این محل آوردم. یکی از آن، شیخ مبارک ابو عبدالرحمان السلمی، رحمه الله که کتابش بر این ترتیب است و دیگر استاد ابوالقاسم القشیری رضی الله عنهما که ذکر وی اندر کتابش بر این جملت است، اندر این موضع اثبات کردم؛ از آنچه وی استاد سری سقطی و مرید داود طایی بوده است.

و اندر ابتدا بیگانه بوده است، بر دست علی بن موسی الرضا رضوان الله علیهم اسلام آورد و به نزدیک وی سخت عزیز و ستوده بوده است. و وی را مناقب و فضایل بسیار است و اندر فنون علم مقتدای قوم بوده است.

از وی می‌آید که گفت: «لِلْفَتِيَانِ ثَلَاثُ عِلْمَاتٍ: وَفَاءٌ بِمَا خَلَفَ وَ مَدْحٌ بِمَا جُودَ وَ عَطَاءٌ بِمَا سُئِلَ.» علامت جوانمردان سه چیز بود: یکی وفایی بی‌خلاف، و دیگر ستایشی بی‌جود و سدیگر عطایی بی‌سؤال؛ اما وفای بی‌خلاف آن بود که اندر عهد عبودیت، بنده مخالفت و معصیت بر خود حرام دارد، و مدح بی‌جود آن بود که از کسی نیکویی ندیده باشد وی را نیکوگوید و عطای بی‌سؤال آن باشد که چون هستی بود اندر عطا تمیز نکند و چون حال کسی معلوم شود وی را سؤال نفرماید و این جمله از خلقی بود به خلقی؛ اما همه خلائق اندر این سه صفت عاریت‌اند. و این هر سه، صفت حق است جل و علا و فعل وی با بندگانش؛ از آنچه اندر وفا با دوستان خلاف نکند. هر چند که ایشان در وفای خود خلاف کنند، وی جلّ جلاله به جای ایشان لطف زیادت کند و علامت وفای وی آن است که در ازل بی‌فعل نیک بنده مر او را بخواند و امروز به علت معصیت وی را نراند. و مدح بی‌جود جز وی نکند؛ که وی جلّ جلاله محتاج فعل بنده نیست و بنده را بر اندکی از کردار ثنا گوید، له الحمد فی الآخرة و الاول. و عطای بی‌سؤال جز وی نتواند داد؛ از آنچه کریم است، حال هر یک بدانند و مقصود هر یک بی‌سؤال وی حاصل کند.

پس چون خدای عزّ و جلّ بنده را کرامتی کند و وی را بزرگ گرداند و به قرب خود مخصوص کند با وی این هر سه بکند، و وی به جهد، به مقدار امکان معاملت خود با خلق همین گرداند. آنگاه ورا نام فتوت دهند و اندر زمره فتیان نامش ثبت گردانند و این هر سه، صفت ابراهیم پیغمبر بود علیه السلام بر حقیقت، و به جایگاه این را بیاریم، ان شاء الله عزّ و جلّ.

ابو عبدالرحمان حاتم بن عنوان الأصبم، رضی الله عنه

و منهم: زین عبّاد، و جمال اوتاد، ابو عبدالرحمان حاتم بن عنوان الأصبم، رضی الله عنه از محتشمان بلخ بود و از قدما مشایخ خراسان، مرید شقیق بود و استاد احمد خضرویه، رحمه الله علیهم. اندر جمله احوال خود، از ابتدا تا انتها، یک قدم بی‌صدق ننهاد؛ تا جنید گفت: «صِدِّيقُ زَمَانِنَا حَاتِمُ الْأَصْمِ.» وی را کلام عالی است اندر دقایق رؤیت آفات نفس و رعونات طبع، و تصانیف مشهور اندر علم معاملات. از وی می‌آید که گفت: «الشَّهْوَةُ ثَلَاثَةٌ: شَهْوَةٌ فِي الْأَكْلِ، وَ شَهْوَةٌ فِي الْكَلَامِ، وَ شَهْوَةٌ فِي النَّظَرِ، فَاحْفَظِ الْأَكْلَ بِالثَّقَةِ وَ اللَّسَانَ بِالصِّدْقِ وَ النَّظَرَ بِالْعِبْرَةِ.»

شهوة سه است: یکی اندر طعام و دیگر اندر گفتار و سدیگر اندر دیدار. نگاه دار خورش خود را به باور داشت و اعتماد بر خداوند جلّ جلاله و زبان را به راست گفتن و چشم را به عبرت نگریستن. پس هر که اندر اکل توکل کند از شهوت اکل رسته باشد و هر که به زبان صدق گوید از شهوت زبان رسته باشد و هر که به چشم راست بیند از شهوت چشم رسته باشد و حقیقت توکل از راست دانستن بود؛ که وی را چون به راستی به روزی دادن باور دارد، آنگاه به راستی دانش خود عبارت کند، آنگاه از راستی معرفت خود نظر کند؛ تا اکل و شربش جز دوستی

نبود و عبارتش جز وجد نه و نظرش بجز مشاهدت نه. پس چون راست داند حلال خورد و چون راست گوید ذکرگوید و چون راست بیند وی را بیند؛ زان که جز داده وی به اذن وی خوردن حلال نیست و جز ذکر وی اندر هژده هزار عالم ذکرکس راست نیست و جز اندر جمال و جلالش اندر موجودات نظاره کردن روا نیست. چون از وی گیری و به اذن وی خوری شهوت نباشد و چون از وی گویی و به اذن وی گویی شهوت نباشد و چون فعل وی بینی و به دستوری وی بینی شهوت نباشد؛ و باز چون به هوای خود خوری اگر چه حلال باشد شهوت بود و چون به هوای خود گویی هر چند ذکر بود دروغ و شهوت بود و اگر به هوای خود نگری اگر چه استدلال کنی وبال و شهوت باشد و هو اعلم.

ابوعبدالله محمد بن ادریس الشافعی، رضی الله عنه

و منهم: امام مطلبی، و ابن عمّ نبی، ابوعبدالله محمد بن ادریس الشافعی، رضی الله عنه از بزرگان وقت بود و اندر جمله علوم امام. معروف بود به فتوت و ورع. و وی را مناقب بسیار و مشهور است و کلام عالی.

شاگرد امام مالک بود تا به مدینه بود. چون به عراق آمد به محمد بن الحسن اختلاف ساخت، رضی الله عنه. و پیوسته اندر طبعش ارادت عزلتی می بود و طلب می کرد تحقیق این طریق را، تا گروهی بر وی مجتمع شدند و اقتدا بر او کردند احمد بن حنبل از ایشان بود. آنگاه به طلب جاه و برزش امامت مشغول شد و از آن بازماند، و اندر همه احوال محمود الخصال بود.

و اندر ابتدای احوال از متصوفه اندر دلش خشونت می بود تا سلیم راعی را بدید و بدو تقرب کرد. از بعد آن، هر کجا رفتی طلب کننده حقیقتی بودی.

از وی می آید که گفت: «إِذَا رَأَيْتَ الْعَالِمَ يَشْتَغِلُ بِالرُّخْصِ فَلَيْسَ يَجِيءُ مِنْهُ شَيْءٌ.»

چون عالم را بینی که رخص و تأویلات مشغول گردد، بدان که از وی هیچ نیاید؛ یعنی علما پیشگاه همه خلایق اند، روا نباشد که کسی قدم پیش از ایشان نهد اندر هیچ معنی و راه حق جز به احتیاط و مبالغت اندر مجاهدت نتوان رفت و رخص طلب کردن کار کسی باشد که از مجاهدت بگریزد و خواهد که خود را تخفیف اختیار کند. پس رخص طلب کردن درجت عوام باشد تا از دایره شریعت بیرون نیفتد و مجاهدت برزیدن درجت خواص تا ثمرت آن در سر بیابند، و علما خواص اند. چون خاص را به درجت عام رضا بود از وی هیچ نیاید و نیز رخص طلب کردن سبک داشت فرمان بود، و علما دوستان حق تعالی اند و دوست مر فرمان دوست را سبک ندارد و ادنا درجت آن اختیار نکند، بلکه در آن احتیاط کند.

یکی از مشایخ روایت کند که: شبی پیغمبر را علیه السلام به خواب دیدم. گفتمش: «یا رسول الله، از تو به من روایت رسید که خدای را عزّ و جلّ اوتاد و اولیا اند.» گفت: «راوی از من به تو این خبر راست رسانید.» گفتم: «یا رسول الله، می بایدم تا یکی از ایشان بینم.» گفت: «محمد بن ادریس یکی از ایشان است.» و وی را بجز این بسیار مناقب هست.

ابوعبدالله احمد بن حنبل، رضی الله عنه

و منهم: شیخ سنت و قاهر اهل بدعت، ابوعبدالله احمد بن حنبل، رضی الله عنه مخصوص بود به ورع و تقوی، و حافظ حدیث پیغمبر بود، علیه السلام. و این طبقه بجمله از فریقین وی را مبارک داشته اند و صحبت مشایخ بزرگ دریافته بود، چون ذوالنون مصری و بشر حافی و سری سقطی و معروف

کرخی و مانند ایشان، رضی الله عنهم. و ظاهر الکرامات و صحیح الفراسات بود و اینچه امروز بعضی از مشبهه تعلق بدو کنند آن بر وی افتراست و موضوع و وی از آن جمله بری است.

و وی را اعتقادی است اندر اصول دین پسندیده علما و چون به بغداد معتزله غلبه کردند گفتند وی را تکلیف باید کرد تا قرآن را مخلوق گوید. پیرو ضعیف بود. دستهای بر عقابین کشیدند و هزار تازیانه بزدندش که: «قرآن را مخلوق گوی.» نگفت و اندر آن میانه بند ازارش بگشاد و دستهای بسته بود. دو دست دیگر پدیدار آمد و ازار بیست. چون این برهان بدیدند بگذاشتندش. و هم اندر آن جراحت فرمان یافت.

و اندر آخر عهد وی قومی به نزدیک وی آمدند و گفتند: «چه گویی اندر این قوم که ترا بزدند؟» گفت: «چه گویم؟ از برای خدای زدند. پنداشتند که من بر باطم. اگر ایشان بر حقاند به مجرد زخم من به قیامت با ایشان خصمی نکنم.»

و وی را کلام است عالی اندر معاملات، و هرکه از وی مسألتی پرسیدی، اگر معاملتی بودی، جواب گفستی و اگر حقیقتی، حواله به بشر حافی کردی؛ چنانکه روزی یکی بیامد و گفت: «ما الإخلاص؟» قال: «الإخلاصُ مِنْ آفاتِ الأعمالِ.»

:«إخلاص چیست؟» گفت: «إخلاص آن است که از آفات اعمال خلاص یابی؛ یعنی: عملت بی ریا و سُمعه شود.»

گفت: «ما التَّوَكُّلُ؟» قال: «الثِّقَةُ بِاللَّهِ.»

:«توکل چیست؟» گفت: «باور و استوار داشت خدای اندر روزی خود.»

گفت: «ما الرِّضَا؟» قال: «تسليم الأمور إلى الله.»

:«رضا چیست؟» گفت: «آن که کارهای خود به خداوند تعالی سپاری.»

گفت: «ما المَحَبَّةُ؟»

:«محبت چیست؟» گفت: «این از بشر حافی پرس؛ که تا وی زنده است من جواب این نکنم.»

و احمد بن حنبل رحمة الله عليه اندر همه احوال ممتحن بود در حال حیات از طعن معتزله، و در حال ممات از تهمت‌های مشبهه؛ تا حدی که اهل سنت و جماعت آنان که بر حال وی واقف نگشته‌اند وی را تهمت کنند و وی از آن بری است. و الله اعلم.

ابوالحسن احمد بن ابی الحواری، رضی الله عنه

و منهم: سراج وقت و مشرف آفات مَقْت، ابوالحسن احمد بن ابی الحواری، رضی الله عنه

از جَلَّة مشایخ شام بود و ممدوح جمله مشایخ؛ تا حدی که جنید گفت: «احمد بن ابی الحواری ریحانة الشَّام.»

وی را کلام عالی است و اشارت لطیف اندر فنون علم این طریقت و روایات صحیح از حدیث پیغمبر، علیه السَّلام و رجوع اهل وقت بدو بود اندر واقعات ایشان و او مرید ابوسلیمان دارانی بود، رضی الله عنه و صحبت سفیان بن عیینه و مروان بن معاویة الفزاری و نیاجی کرده بود و از هر یک ادب و فایده گرفته.

و از وی می‌آید که گفت: «الدُّنْيَا مَرْبَلَةٌ وَ مَجْمَعُ الْكِلَابِ وَ أَقْلٌ مِنَ الْكِلَابِ مَنْ عَكَفَ عَلَيْهَا؛ فَانَّ الْكَلْبَ يَأْخُذُ مِنْهَا حَاجَتَهُ وَ يَنْصَرِفُ عَنْهَا وَ الْمُحِبُّ لَهَا لَا يَزُولُ عَنْهَا بِحَالٍ.»

دنیا چون مزبله‌ای است و جایگاه جمع گشتن سگان و کمتر از سگان باشد آن که بر سر معلوم دنیا بایستد؛ از آنچه سگ از مزبله حاجت خود روا کند و برود و دوست دارنده دنیا از جمع کردن آن برنگردد. و از حقیری دنیا بود

به نزدیک همت آن جوانمرد که دنیا را به مزبله مانندکرد و اهل آن را به کمتر از سگان و علت آورد که چون سگ از مزبله بهره خویش بگیرد از آن فراتر شود؛ اما اهل دنیا پیوسته بر سر جمع کردن دنیا نشسته‌اند و از محبت و گرد کردن آن هرگز برنگردند و این علامت انقطاع وی است از دنیا و اخوات آن و اعراض وی از اصحاب آن و مراهل این طریقت را گسستگی از دنیا مجالی خوش و روضه‌ای خرم است.

وی اندر ابتدا طلب علم کرد و به درجه ائمه رسید. آنگاه کتب خود برداشت و به دریا برد و گفت: «نِعْمَ الدَّلِيلُ كُنْتُ وَأَمَّا الإِشْتِغَالُ بِالدَّلِيلِ بَعْدَ الوُصُولِ مُحَالٌ.»

نیکو دلیل و راهبری که تویی مرید را؛ اما پس از رسیدگی به مقصود، مشغول بودن به دلیل محال باشد؛ که دلیل تا آنگاه بود که مرید اندر راه بود. چون پیشگاه پدید آمد درگاه و راه را چه قیمت باشد؟ و مشایخ گفته‌اند که: این در حال سکر بود و اندر این راه آن که گفت: «وصلت» فقد فصل؛ چون رسیدن بازماندن بود. پس شغل شغل بود و فراغت فراغت و وصول وصول و شغل و فراغت نبسته است؛ که این هر دو صفت بنده باشد و وصل عنایت حق و ارادت ازلی وی به نیکو خواست بنده و این اندر شغل و فراغت بنده نیاید. پس وصولش را اصول نه و ملازمت و قرب و مجاورت بر وی ناروا وصلش کرامت بنده بود و هجرش اهانت وی. تغیر بر صفات وی روا نه.

و علی بن عثمان الجلابی رضی الله عنه چنین گوید که: محتمل است که آن پیر بزرگ را اندر لفظ وصول مراد به وصل راه حق بوده است؛ از آنچه در کتب راه حق نیست، که عبارات از آن است؛ که چون طریق واضح شود عبارت منقطع گردد؛ که عبارت را چندان قوت بود که اندر غیبت مقصود بود، چون مشاهدت حاصل آمد عبارت متلاشی شود. چون در صحت معرفت زفانها گنگ بود از عبارت، کتب اولی‌ترکه ضایع بود. و از مشایخ رضی الله عنهم بجز وی همین کردند چون شیخ المشایخ ابوسعید فضل الله بن محمد المیهنی رحمه الله و غیر وی که کتب خود به آب دادند. و گروهی از مترسمان از کاهلی و مدد جهل را بدان احرار تقلید کردند و مانا که آن احرار بدان بجز انقطاع علایق نخواستند و ترک التفات و فراغت دل از مادون وی و این جز از سکر ابتدا و آتش کودکی راست نیاید؛ از آنچه متمکن را کونین حجاب نکند، کاغذ پاره‌ای هم حجاب نکند. چون دل از علایق منقطع شد، پاره‌ای کاغذ را چه قیمت بود؟

اما آن که گوید: «شستن کتاب مراد نفی عبارت است از تحقیق معنی» چنانکه گفتیم پس اولی‌تران بود که عبارت از زبان منفی باشد؛ از آنچه در کتاب عبارتی مکتوب است و بر زبان عبارتی جاری و عبارتی از عبارتی اولی‌تر نباشد.

و مرا چنین صورت بندد که احمد بن ابی الحواری رحمه الله علیه اندر غلبه حال خود مستمع نیافت و شرح حال خود بر کاغذ پاره‌ها نبشت. چون بسیار فراهم آمد اهل نیافت تا نشر کردی. به آب فرو گذاشت و گفت: «نیکو دلیلی تو؛ اما چون مراد برآمد از تو، مشغول شدن به تو محال بود.» و نیز احتمال کند که وی را کتب از او را و معاملات باز می‌داشت و مشغول می‌گردانید، شغل از پیش خود برداشت و فراغت دل طلبید مر معنی را و به ترک عبارات بگفت.

ابوحامد احمد بن خضرویه البلخی، رضی الله عنه

و منهم: سرهنگ جوانمردان، و آفتاب خراسان، ابوحامد احمد بن خضرویه البلخی، رضی الله عنه به علو حال و شرف وقت مخصوص بود و اندر زمانه خود مقتدای قوم و پسندیده خاص و عام بود و طریقتش ملامت بودی و جامه به رسم لشکریان پوشیدی.

و فاطمه که عیال وی بود، اندر طریقت شأنی عظیم داشت. وی دختر امیر بلخ بود. چون وی را ارادت توبه پدیدار آمد، به احمد کس فرستاد که: «مرا از پدر بخواه.» وی اجابت نکرد. کس فرستاد که: «یا احمد، من ترا مرد آن نپنداشتم که راه حق بزنی. راهبر باش نه راهبر.»

احمد کس فرستاد و وی را از پدر بخواست. پدرش به حکم تبرک وی را به احمد خضرویه داد و فاطمه به ترک مشغولی دنیا بگفت و به حکم عزلت با احمد بیارامید. تا احمد را قصد زیارت خواجه بایزید افتاد. فاطمه با وی برفت. چون پیش بایزید آمد برقع از روی برداشت و با وی سخن گستاخ می گفت. احمد از آن متعجب شد و غیرت بر دلش مستولی گشت. گفت: «یا فاطمه، آن چه گستاخی بودت با بایزید؟» گفت: «از آنچه تو محرم طبیعت منی، و وی محرم طریقت من. از تو به هوی رسم، و از وی به خدا و دلیل بر این آن که وی از صحبت من بی نیاز است و توبه من محتاج.»

و پیوسته وی با بایزید گستاخ می بودی، تا روزی بایزید را چشم بر دست فاطمه افتاد، حنا بسته دید. گفت: «یا فاطمه، دست از برای چه حنا بسته ای؟» وی گفت: «یا بایزید، تا این غایت که تو دست و حنای من ندیدی، مرا با تو انبساط بود. اکنون که چشمت بر دست من افتاد، صحبت ما حرام شد.»

و از آنجا برگشتند و به نيسابور مقام کردند و اهل نيشابور و مشایخ آن را با احمد خوش بود و چون یحیی بن مُعَاذ الرازی رحمة الله علیه از وی به نيسابور آمد و قصد بلخ کرد، احمد خواست تا وی را دعوتی کند. با فاطمه مشورتی کرد که: «دعوت یحیی را چه باید؟» گفت: «چندین سرگاو و گوسفند و حواجی و توابل، و چندین شمع و عطر و با این همه نیز بیست سر خر بیايد کشت.» احمد گفت: «کشتن خران چه معنی دارد؟» گفت: چون کریمی به خانه کریمی میماند، نباید که سگان محلّت را از آن خیر باشد؟»

و ابویزید گفت، رضی الله عنه: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الرِّجَالِ مَحْبُوبٍ تَحْتَ لِبَاسِ النِّسْوَانِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى فَاطِمَةَ. هر که خواهد تا مردی بیند پنهان اندر لباس زنان، گو در فاطمه نگاه کن.» ابو حفص حداد گوید، رحمة الله علیه: «لَوْلَا أَحْمَدُ بْنُ خِضْرُويَه مَا ظَهَرَتِ الْفُتُوَّةُ. اگر احمد خضرویه نبودی فتوت و مروت پیدا نگشتی.»

و وی را کلام عالی و انفاس مهذب است و تصانیف مشهور اندر هر فن معاملات و ادب و نکت لایح اندر حقایق.

و از وی می آید که گفت: «الطَّرِيقُ وَاضِحٌ وَ الْحَقُّ لَاحِظٌ وَ الدَّاعِي قَدْ أَسْمَعَ، فَمَا التَّحْيِيرُ بَعْدَهَا إِلَّا مِنَ الْعَمَى.» راه پیداست و حق آشکارا و خواننده شنواید، اندر این محل، تحیر بجز از نایبایی نباشد؛ یعنی راه جستن خطاست؛ که راه حق چون آفتاب تابان است. تو خود را جوی تا کجایی. چون یافتی بر سر راه آیی؛ که حق ظاهرتر از آن است که در تحت طلب طالب آید. و از وی می آید که گفت: «أُسْتُرَّ عَزَّ فَقُرُكَ.»

عز درویشی خود را پنهان دار؛ یعنی با خلق مگوی که من درویشم تا سر تو آشکارا نشود؛ که آن از خدای تعالی کرامتی عظیم است.

و از وی می آید که گفت: درویشی در ماه رمضان یکی را از اغنیا دعوت کرد و اندر خانه وی بجز نانی خشک گشته نبود. چون توانگر بازگشت، صرّه ای زر بدو فرستاد. وی آن صره پذیرفت و گفت: «این سزای کسی است که سر خود با تو آشکارا کند و یا اغنیا را اهل عز فقر دارد.» این از صحت صدق فقر وی بود و الله اعلم.

ابوتراب عسکر بن الحُصَین النَّسَفی، رضی الله عنه

و منهم: امام متوکلان، وگزیده اهل زمان، ابوتراب عسکر بن الحُصَین النَّسَفی، رضی الله عنه از جَلَّة مشایخ خراسان بود و از سادات ایشان، مشهور به فتوت و زهد و ورع. وی را کرامات بسیار است و عجوبات بیشمار که در بادیه دیده است و از کبرای مسافران متصوِّفه بود و بَوادی، جمله، به تجریدگذاشتی. وفات وی اندر بادیه بصره بود. از پس چندین سال جماعتی بدو رسیدند. وی را یافتند بر پای استاده و روی سوی قبله کرده و جان تسلیم کرده و خشک گشته، رکوه‌ای اندر پیش نهاده و عصا در دست گرفته و از سَباع هیچ چیزگرد او نگشته.

از وی می‌آید که گفت: «الْفَقِيرُ قُوَّتُهُ مَا وَجَدَ وَ لِبَاسُهُ مَا سَتَرَ وَ مَسْكَنُهُ حَيْثُ نَزَلَ.»

قوت درویش آن بود که بیابد و در آن اختیار نکند؛ و لباسش آن که ورا بپوشد، اندر آن تصرف نکند و جایگاهش آن که فرو آید و منزل کند و خود را جای نسازد؛ از آنچه تصرف اندر این هر سه مشغولی بود. و همه عالم اندر بلای این سه چیز مانده‌اند، چون تکلف کنند و این از روی معاملت بود؛ اما از روی تحقیق غذای درویش وجد باشد و لباسش تقوی و مسکنش غیب؛ از آنچه خداوند گفت، عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: «وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا (۱۶/الجن).» و نیز گفت، قوله، تعالی: «و رِيضًا وَ لِبَاسُ التَّقْوَى (۲۶/الأعراف).» و رسول گفت، علیه السَّلَام: «الْفَقْرُ وَ طُنُّ الْغَيْبِ.» پس چون غذا و مشرب وی از شراب قربت بود و لباس تقوی و مجاهدت و وطن، غیب و انتظار وصلت، طریق فقر واضح بود و معاملات آن لایح، و این درجه کمال باشد.

ابو زکریا یحیی بن مُعَاذ الرَّازِی، رضی الله عنه

و منهم: لسان محبت و وفا، و زین طریقت و ولا، ابوزکریا یحیی بن مُعَاذ الرَّازِی، رضی الله عنه عالی حال و نیکو سیرت بود و اندر حقیقت رجا به حق تعالی قدمی تمام داشت؛ تا حُصْرَى رحمة الله علیه گوید که: «خداوند تعالی را دو یحیی بود: یکی از انبیا و دیگر از اولیا. یحیی بن زکریا علیه السَّلَام طریق خوف چنان سپرد که همه مدعیان به خوف از فلاح خود نومید شدند و یحیی بن مُعَاذ طریق رجا را چنان سپرد که دست همه مدعیان به رجا اندر خاک مالید.» گفتند: «حال یحیی ابن زکریا علیه السَّلَام معلوم است، حال این یحیی چگونه بود؟» گفت: «به من رسیده است که هرگز وی را جاهلیت نبود و بر وی کبیره‌ای نرفت و اندر معاملت و برزش آن جدی داشت که کس طاقت وی نداشتی از اصحاب.»

گفتند: «ایها الشیخ، مقامت مقام رجاست و معاملت معاملت خایفان؟» گفت: «بدان ای پسر، که ترک عبودیت ضلالت بود و خوف و رجا دو قایمه ایمان‌اند، محال باشد که کسی به برزش رکنی از ارکان ایمان به ضلالت افتد. خایف عبادت کند ترس قطیعت را، و راجی امید وصلت را. تا عبادت موجود نباشد نه خوف درست آید نه رجا، و چون عبادت حاصل بود این خوف و رجا، بجمله، عبارتی بود و آنجا که عبادت باید عبارت هیچ سود ندارد.»

وی را تصانیف بسیار است و نُکَت و اشارت بدیع و نخست کس از مشایخ این طایفه، از پس خلفای راشدین، که بر منبر شد وی بود. و من کلام وی را سخت دوست دارم که اندر طبع رقیق است و اندر سمع لذیذ و اندر اصل دقیق و اندر عبارت مفید.

از وی می‌آید که گفت: «الدُّنْيَا دَارُ الْأَشْغَالِ وَ الْآخِرَةُ دَارُ الْأَهْوَالِ، وَ لَا يَزَالُ الْعَبْدُ بَيْنَ الْأَشْغَالِ وَ الْأَهْوَالِ حَتَّى يَسْتَقَرَّ بِهَ الْقَرَأْنُ، إِمَّا إِلَى الْجَنَّةِ وَ إِمَّا إِلَى النَّارِ.»

دنیا جایگاه اشغال است و عقبی محل احوال و پیوسته بنده میان اشغال و بیم است تا بر چه قرارگیرد، اما با نعیم آرامد و اما اندر جحیم نالد. خنک آن دلی که از اشغال دنیا رسته باشد و از احوال آخرت ایمن شده. همت از این هر دو سرا بگسسته باشد و به حق پیوسته.

و مذهب او آن بود که غنا را بر فقر فضل نهادی و چون وی را اندر ری وام بسیار برآمد قصد خراسان کرد. چون به بلخ رسید مردمان وی را بازداشتند تا آنجا مدتی سخن گفت و پند و عشت داد هر یک را، و صد هزار درم سیم مردمان وی را خدمت کردند. چون بازگشت تا به ری باز رود دزدان بر وی خوردند و آن همه از وی بستند. وی مجرد به نشابور آمد وفاتش آنجا بود اندر جمله احوال عزیز بود و وجیه، میان خلق.

ابوحفص عمر بن سالم النیسابوری رضی الله عنہما الحداد

و منهم: شیخ المشایخ خراسان، و نادره کلّ جهان، ابوحفص عمر بن سالم النیسابوری رضی الله عنه الحداد از بزرگان و سادات قوم بود و ممدوح جمله مشایخ. صاحب ابوعبدالله الایوردی بود و رفیق احمد خسرویه. شاه شجاع از کرمان به زیارت وی آمد.

و وی به بغداد شد به زیارت مشایخ. اندر تازی نصیبی نداشت. چون به بغداد آمد مریدان با یکدیگر گفتند که: «شینی باشد که مر شیخ الشیوخ خراسان را ترجمانی باید تا سخن ایشان را بداند.» چون به مسجد شونیزیه آمد مشایخ جمله بیامدند و جنید با ایشان بود. وی تازی فصیح می گفت با ایشان؛ چنانکه جمله از فصاحت وی عاجز شدند از وی سؤال کردند که: «مَا الْفُتُوَّةُ؟» وی گفت: «شما ابتدا کنید و قولی بگوئید.» جنید گفت: «الْفُتُوَّةُ عِنْدِي تَرَكَ الرُّوِيَّةَ وَ إِسْقَاطَ النِّسْبَةِ. فَتَوْتُ نَزْدِيكَ مِنْ أَنْ أَسْتَكَ فَتَوْتُ رَا نَبِيْنِي وَ أَنْجَحَ كَرْدَه بَاشِي بِه خُود نَسْبَت نَكْنِي كِه: اَيْن مِنْ مِي كَنْم.» ابوحفص گفت: «مَا أَحْسَنَ مَا قَالَ الشَّيْخُ، وَ لَكِنَّ الْفُتُوَّةَ عِنْدِي أَدَاءُ الْإِنْصَافِ وَ تَرَكَ مُطَالَبَةَ الْإِنْصَافِ. نِيكُوسْت أَنْجَحَ شَيْخٍ كَفْت؛ وَ لِيَكُنْ فَتَوْتُ بِه نَزْدِيكَ مِنْ دَادَنْ أَنْصَافِ بُوْد وَ تَرَكَ طَلَبَ كَرْدَنْ أَنْصَافِ.» جنید گفت، رحمهم الله: «قَوْمُوا يَا أَصْحَابَنَا، فَقَدْ زَادَ أَبُو حَفْصٍ عَلَيَّ أَدَمَ وَ ذُرِّيَّتَهُ. بَرَخِيْزِيْدَ يَا أَصْحَابَنَا كِه زِيَادَتِ أَوْرَدْ أَبُو حَفْصٍ بَرِ أَدَمِ وَ ذَرِيْتِ وَ يِ اَنْدَرِ جَوَانْمَرْدِي.»

و چنین گویند که ابتدای حال وی چنان بود که برکنیزی شیفته شد. وی را گفتند که: «اندر شارستان نسا بهر جهودی است ساحر، حیل این شغل تو به نزدیک وی است.» ابوحفص به نزدیک وی آمد و حال بازگفت. جهود گفت: «ترا چهل شبانروز نماز نباید کرد و ذکر حق و اعمال خیر و نیت نیکو نباید کرد تا من حیلت کنم و مراد تو برآید.» وی چنان کرد. چون چهل روز تمام شد، جهود طلسم بکرد و آن مراد بر نیامد. گفت: «لا محاله بر تو خیری گذشته باشد. نیک نیک بیندیش.» ابوحفص گفت: «من هیچ نمی دانم از اعمال خیر که بر ظاهر من گذشت و بر باطن، الا آن که به راهگذر می آمدم، سنگی از راه به پای بینداختم تا پای کسی در آن نیاید.» جهود گفت: «میازار آن خدای را که تو چهل روز فرمان وی ضایع کردی، وی این مقدار رنج تو ضایع نکرد.» وی توبه کرد، و جهود مسلمان شد.

و همان آهنگری می کرد تا به باورد شد و ابوعبدالله باوردی را بدید و عهد ارادت وی گرفت و چون به نیسابور باز آمد، روزی اندر بازار نابینایی قرآن می خواند. وی بر دوکان خود نشسته بود سماع آن وی را غلبه کرد و از خود غایب شد. دست اندر آتش کرد و آهن تافته بی انبر بیرون آورد. چون شاگرد آن بدید هوش از ایشان بشد چون ابوحفص به حال خود باز آمد دست از کسب بداشت و نیز بر دوکان نیامد.

از وی می آید که گفت: «تَرَكَتُ الْعَمَلَ، ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَيْهِ، ثُمَّ تَرَكَتُ الْعَمَلَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْهِ.»

عمل دست بداشتم، آنگاه بدان بازگشتم. چون عمل دست از من بداشت نیز بدان بازنگشتم؛ از آن که هر چیزی

که ترک آن به تکلف و کسب بنده باشد ترک آن اولی‌تر باشد از فعل آن، اندر صحت این اصل که جمله اکتساب محل آفات‌اند و قیمت آن معنی را باشد که بی تکلف از غیب اندر آید؛ و اندر هر محل که اختیار شود و بنده بدان متصل شود لطیفه حقیقت از آن زایل شود. پس ترک و اخذ هیچ چیز بر بنده درست نیاید؛ از آنچه عطا و زوال از خداوند است تعالی و تقدس و به تقدیر وی. چون عطا آمد از حق اخذ آمد و چون زوال آمد ترک آمد و چون چنین آمد، قیمت مر آن را باشد که قیام اخذ و ترک بدان است نه آن که بنده به اجتهاد جالب و دافع آن باشد. پس هزار سال اگر مرید به قبول حق گوید چنان نباشد که یک لمحّه حق به قبول وی گوید؛ که اقبال لایزال اندر قبول ازل بسته است و سرور سرمد اندر سعادت سابق و بنده را به اخلاص خود جز به خلوص عنایت حق راه نیست؛ و بس عزیز بنده‌ای باشد که اسباب را مسبب از حال وی دفع کند. واللّه اعلم.

ابوصالح حمدون بن احمد بن عماره القصار، رضی الله عنه

و منهم: قدوة اهل ملامت و داده به بلا سلامت، ابوصالح حمدون ابن احمد بن عماره القصار، رضی الله عنه از قدمای مشایخ بود و متورعان ایشان و اندر فقه و علم به درجه اعلی بود و مذهب ثوری داشت و اندر طریقت مرید ابوتراب نخشی بود و از آن علی نصرآبادی. و وی را رموز رقیق است اندر معاملات و کلام دقیق اندر مجاهدات.

همی آید که چون شأن وی اندر علم بزرگ شد، ائمه و بزرگان نشابور بیامدند وی را گفتند: «ترا بر منبر باید شد و خلق را پند داد تا سخن تو فایده دلها باشد.»

گفت: «مرا سخن گفتن روا نیست.» گفتند: «چرا؟» گفت: «از آن که دل من اندر دنیا و جاه آن بسته است. سخن من فایده ندهد و اندر دلها اثر نکند، و سخن گفتنی که اندر دلها مؤثر نباشد اسخفاف کردن بود بر علم و استهزا کردن بر شریعت و سخن گفتن آن کس را مسلم باشد که به خاموشی وی دین را خلل باشد، چون بگوید خلل برخیزد.»

از وی پرسیدند که: «چرا سخن سلف نافع تر است مر دلها را از سخن ما؟» گفت: «لأنهم تكلّموا لِعِزِّ الإسلامِ وَ نَجاةِ النُّفوسِ وَ رِضا الرَّحمنِ، وَ نَحْنُ نَتَكَلَّمُ لِعِزِّ النُّفوسِ وَ طَلَبِ الدُّنیا وَ قَبولِ الخَلقِ.»

از آنچه ایشان سخن مر عزّ اسلام و نجات تنها و رضای خداوند تعالی را گفتند و ما مر عزّ نفس و طلب دنیا و قبول خلق را گوئیم. پس هر که سخن بر موافقت مراد حق تعالی گوید و به حق گوید، اندر آن سخن قهری و صولتی باشد که بر اصرار اثر کند و هر که بر موافقت مراد خود گوید، اندر آن سخن هوان و ذلّی باشد که خلق را از آن فایده‌ای نباشد و ناگفتن آن به ازگفتن باشد؛ از آنچه مراد از عبارت خود بیگانه شود، بهتر بود. و من چنان دانم که آن بزرگ جهان، ایشان را از سر خود دفع کرده است مر ترک جاه و رسم را.

ابوالسری منصور بن عمار، رضی الله عنه

و منهم: شیخ باوقار و مشرف خواطر و اسرار، ابوالسری منصور بن عمار، رضی الله عنه از بزرگان مشایخ بود به درجت و از کبرای ایشان به مرتبت. از اصحاب عراقیان بود و مقبول اهل خراسان بود و احسن کلام اندر موعظت کلام وی بود و الطف بیان، بیان وی. مردمان را عظمت کردی به فنون علم و روایات و درایات و احکام و معاملات عالم بود. و بعضی از متصوّفه اندر امر وی مبالغت فوق حد کنند. از وی می‌آید که گفت: «سبحان مَنْ جَعَلَ قُلُوبَ العارِفینَ أَوْعِیةَ الذِّکرِ، وَ قُلُوبَ الزَّاهِدینَ أَوْعِیةَ التَّوَكُّلِ، وَ قُلُوبَ

المتوكلين أوعية الرضا، و قلوب الفقراء أوعية القناعة، و قلوب أهل الدنيا أوعية الطمع.»
 پاک آن خدایی که دل عارفان را محل ذکرگردانید و از آن زاهدان موضع توکل، و از آن متوکلان منبع رضا، و از آن درویشان جایگاه قناعت، و از آن اهل دنیا محل طمع و اندر این عبرتی است که هر عضوی را که خداوند تعالی بیافرید مرفعی را محل گردانید؛ چنانکه دستها را محل بطش و پایها را محل مشی و چشمها را محل نظر و گوشها را محل سمع و زبان را محل نطق آفرید و اندر معانی کمونی و ظهوری ایشان خلافی بیشتر نبود. فاما دلها را که بیافرید در هر یکی معنی مختلف نهاد و ارادتی دیگرسان و هوایی دیگرگون، یکی را محل معرفت کرد و یکی را موضع ضلالت، یکی جایگاه قناعت و مانند این و اندر هیچ عضو عجبوه فعل خداوند تعالی ظاهرتر از دلها نیست.

هم از وی می‌آید که گفت: «الناس رجلان: عارف بنفسه، فشغله في المجاهدة والريضة، و عارف بربه، فشغله بخدمته و عبادته و مرضاته.»

مردم آن بود که یا به حق عارف بود یا به خود: آن که به خود عارف بود شغلهش مجاهدت و ریاضت بود، و آن که به حق عارف بود شغلهش خدمت و عبودیت و طلب رضا باشد. پس عارفان به خود را عبادت، ریاضت بود و عارفان به حق را عبادت ریاست. این عبادت کند تا درجت یابد و آن عبادت کند و خود همه یافته باشد. فشتان ما بين المنزلتين! بنده‌ای قایم به مجاهدت و دیگری قایم به مشاهدت.

و از وی می‌آید که گفت: «الناس رجلان: مُفْتَقِرٌ إِلَى اللَّهِ، فَهُوَ فِي أَعْلَى الدَّرَجَاتِ عَلَى لِسَانِ الشَّرِيعَةِ، وَ آخِرُ لَا يَزِي الإِفْتِقَارَ لِمَا عِلْمٌ مِنْ فِرَاغِ اللَّهِ مِنَ الْخَلْقِ وَ الرِّزْقِ وَ الأَجَلِ وَ السَّعَادَةِ وَ الشَّقَاوَةِ، فَهُوَ فِي إِفْتِقَارِهِ إِلَيْهِ وَ اسْتِغْنَاءِ بِهِ.»

مردمان بر دو گروه‌اند: یکی نیازمندی به خدای تعالی و او اندر درجه بزرگترین است به حکم ظاهر شریعت، و دیگر آن که رؤیت افتقارش نباشد؛ از آنچه می‌داند که خداوند تعالی و تقدس قسمت کرده است اندر ازل از خلق و رزق و اجل و حیات و شقاوت و سعادت، جز آن نباشد که این کس اندر عین افتقار است بدو و استغنا از غیر او. پس آن گروه اندر افتقارشان به رؤیت افتقار محبوب‌اند از رؤیت تقدیر، و این گروه اندر ترک رؤیت افتقارشان مکاشف و مستغنی بدو. پس یکی با نعمت و دیگر با منعم، آن که با نعمت اندر رؤیت نعمت، اگرچه غنی فقیر و آن که با منعم و مشاهدت وی، اگرچه فقیر غنی. واللّه اعلم بالصواب.

ابوعبدالله احمد بن عاصم الانطاکی، رضی الله عنه

و منهم: ممدوح جمع اولیاو قدوة اهل رضا، ابوعبدالله احمد بن عاصم الانطاکی، رضی الله عنه
 از اعیان قوم بود و سادات ایشان، و عالم به علوم شریعت و اصول و فروع و معاملات. عمری دراز یافت و با قدما صحبت کرده بود و اتباع تابعین را دریافته بود. از اقران بشر و سری بود و مرید حارث محاسبی و فضیل را دیده بود و با وی صحبت داشته و به همه زبانها ستوده بود. و وی را کلام عالی است و لطایف سامی اندر فنون علم قوم.

از وی می‌آید که گفت، رضی عنه: «أَنْفَعُ الْفَقْرَ مَا كُنْتَ بِهِ مُتَجَمِّلاً وَ بِهِ رَاضِياً.»
 نافع‌ترین فقری آن بود که تو بدان متجمل باشی و بدان راضی؛ یعنی جمال همه خلق اندر اثبات اسباب بود و جمال فقیر اندر نفی اسباب و اثبات مسبب و رجوع بدو و رضا به احکام وی؛ از آنچه فقر فقد سبب بود و غنا وجود سبب و بی سبب با حق بود و با سبب با خود. پس سبب محل حجاب آمد و ترک اسباب محل کشف و جمال دو جهان اندر کشف و رضاست و سخط همه عالم اندر حجاب و سخط. و این بیانی واضح است اندر

تفصیل فقر. و الله اعلم.

ابومحمد عبدالله بن خبیق، رضی الله عنه

و منهم: سالک طریق ورع و تقوی، و اندر امت به زهد یحیی، ابومحمد عبدالله بن خبیق، رضی الله عنه از زهاد قوم بودو متورعان ایشان اندر کل احوال. وی را روایات عالی است اندر حدیث. و مذهب ثوری داشت اندر فقه و معاملت و حقیقت آن واصحاب وی را دیده بود و با ایشان صحبت کرده و کلام وی اندر مقالت این طریقت لطیف است.

از وی می آید که گفت: «مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ حَيًّا فِي حَيَاتِهِ فَلَا يُسْكِنِ الطَّمَعِ فِي قَلْبِهِ.»

هر که خواهد که اندر زندگانی خود زنده باشد، گو دل را سکینه طمع مکن تا از کل آزاد شود؛ از آن که طماع مرده باشد اندر بند طمع خود. پس طمع اندر دل چون طبع باشد بر دل، و لامحاله دل مختوم مرده باشد. خنک آن دلی که از دون حق مرده بودو به حق زنده بود؛ از آنچه خداوند تعالی ذل را بیافرید و طمع ذل بود و عز را آفرید و ذکر عز است؛ چنانکه هم وی گفت: «خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْقُلُوبَ مَسَاكِينَ الذُّكْرِ فَصَارَتْ مَسَاكِينَ الشَّهَوَاتِ، وَلَا يَمْحُوا الشَّهَوَاتِ مِنَ الْقُلُوبِ إِلَّا خَوْفٌ مُزْعَجٌ، أَوْ شَوْقٌ مُقْلِتٌ.»

خداوند تعالی دلها را موضع ذکر گردانید چون با نفس صحبت کردند مساکن شهوات شدند، پاک نگرداند شهوات را از دل الا خوفی ببقار او شوقی بی آرام. پس خوف و شوق دو قایمه ایمان اند. چون دل محل ایمان بود، قرین وی قناعت و ذکر بود نه طمع و غفلت. پس دل مؤمن، طماع و متابع شهوات نباشد؛ که طمع و شهوت نتیجه وحشت اند، و مستوحش از وی و از ایمان خبر ندارد؛ که ایمان را انس با حق بودو وحشت از غیر وی؛ چنانکه گفته اند: «الطَّمَاعُ مُسْتَوْحِشٌ مِنْهُ.» و الله اعلم.

ابوالقاسم الجنید بن محمد بن الجنید القواریری، رضی الله عنه

و منهم: شیخ مشایخ اندر طریقت و امام ائمه اندر شریعت، ابوالقاسم الجنید ابن محمد بن الجنید القواریری، رضی الله عنه

مقبول اهل ظاهر و ارباب القلوب بود. و اندر فنون علم کامل، و در اصول و فروع و معاملات مفتی و امام اصحاب ابو ثور بود. وی را کلام عالی و احوال کامل است؛ تا جمله اهل طریقت بر امامت وی متفق اند و هیچ مدعی و متصرفی را در وی مجال اعتراض و اعراض نیست.

خواهرزاده سری سقطی بود و مرید وی بود. روزی از سری پرسیدند که: «هیچ مرید را درجه بلندتر از پیر باشد؟» گفت: «بلی، برهان این ظاهر است. جنید را درجه فوق درجه من است.» رضی الله عنهما. و این قول از آن پیر بزرگوار تواضع بود و آنچه گفت به بصیرت گفت. اما کسی را به فوق خود دیدار نباشد؛ که دیدار به تحت تعلق گیرد و قول وی دلیل واضح است که بدید جنید را اندر فوق مرتبت خود، چون دید اگر چه فوق دید تحت باشد.

و مشهور است که اندر حال حیات سری، مریدان مر جنید را گفتند که: «شیخ ما را سخنی گوید تا دلهای ما را راحتی باشد.» وی اجابت نکرد و گفت: «تا شیخ من برجای است، من سخن نگویم.» تا شبی خفته بود، پیغمبر را علیه السلام به خواب دید که گفت: «یا جنید، خلق را سخن گوی؛ که سخن تو سبب راحت دلهای خلق است و خداوند تعالی کلام ترا سبب نجات عالمی گردانیده است.» چون بیدار شد اندر دلش صورت گرفت که: «درجت من از سری اندر گذشت؛ که مرا از رسول صلوات الله علیه امر دعوت آمد.» چون بامداد بود، سری

مریدی را بفرستاد که: «چون جنید سلام نماز بدهد ورا بگویی که: به گفتار مریدان مر ایشان را سخن نگفتی و شفاعت مشایخ بغداد رد کردی و من پیغام فرستادم هم سخن نگفتی اکنون پیغمبر علیه السلام فرمود، فرمان وی را جابت کن.»

جنید گفت، رضی الله عنهم: «آن پنداشت از سر من برفت، و دانستم که سری اندر همه احوال مشرف ظاهر و باطن من است و درجه وی فوق درجت من است؛ که وی بر اسرار من مشرف است و من از روزگار وی بیخبر.» به نزدیک وی آمدم و استغفار کردم، و از وی پرسیدم که: «تو چه دانستی که من پیغمبر را علیه السلام در خواب دیدم؟» گفت: «من خداوند را تعالی و تقدس به خواب دیدم که گفت: من رسول را علیه السلام فرستادم تا جنید را بگوید که: پند و عِظت کن مر خلق را تا مراد اهل بغداد از وی حاصل شود.»

و اندر این حکایت دلیل واضح است که پیران به هر حال که باشند مشرف حال مریدان باشند. و وی را کلام عالی و رموز لطیف است.

از وی می آید رضی الله عنه که گفت: «كَلَامُ الْأَنْبِيَاءِ بَيِّنٌ عَنِ الْحُضُورِ وَ كَلَامُ الصَّادِقِينَ إِشَارَةٌ عَنِ الْمَشَاهِدَاتِ.» سخن انبیاء خبر باشد از حضور و کلام صدیقان اشارت از مشاهدات. صحت خبر از نظر بود و از آن مشاهدات از فکر و خبر جز از عین نتوان داد و اشارت جز به عین نباشد. پس کمال و نهایت صدیقان ابتدای روزگار انبیا بود و فرقی واضح میان ولی و نبی و تفضیل انبیا بر اولیا. به خلاف دو گروه از ملاحظه که انبیا را اندر فضل مؤخر گویند و اولیا را مقدم.

و از وی می آید که گفت: وقتی آرزو خواستم که ابلیس را علیه اللعنه ببینم. روزی بر در مسجد استاده بودم، پیری آمد از دو روی به من آورده. چون ورا بدیدم وحشتی اندر دلم اثر کرد. چون به نزدیک من آمدم، گفتم: «تو کیستی ای پیر، که چشم طاقت روی تو نمی دارد از وحشت، و دل طاقت اندیشه تو نمی دارد از هیبت؟» گفت: «من آنم که ترا آرزوی روی من است.» گفتم: «یا ملعون، چه چیز ترا از سجده کردن بازداشت مر آدم را؟» گفت: «یا جنید، ترا چه صورت بندد که من غیر وی را سجده کنم؟» جنید گفت: «من متحیر شدم اندر سخن وی. به سرم ندا آمد: «قُلْ لَهُ كَذَبْتُ، لَوْ كُنْتُ عَبْدًا لَمَا خَرَجْتَ أَمْرَهُ وَ نَهَيْهِ. فَسَمِعَ النَّدَاءَ مِنْ قَلْبِي، فَصَاحَ وَ قَالَ: أَحْرَقْتَنِي بِاللَّهِ، وَ غَابَ. بَگُو یا جنید مر او را که: دروغ می گویی؛ که اگر تو بنده بودی، از امر وی بیرون نیامدی و به نهیش تقرب نکردی. وی آن ندا از سر من بشنید بانگی بکرد و گفت: بسوختی مرا بالله یا جنید و ناپیدا شد.»

و اندر این حکایت دلیل حفظ و عصمت وی است؛ از آنچه خداوند تعالی اولیای خود را اندر همه احوال از کیدهای شیطان نگاه دارد.

و از وی مریدی را رنجی به دل آمد و پنداشت که مگر به درجه ای رسیده است، اعراض کرد. روزی بیامد که وی را تجربتی کند. وی به حکم اشراف آن مراد وی می دید از وی سؤالی کرد. جنید گفت: «جواب عبارتی خواهی یا معنوی؟» گفتا: «هر دو.» گفت: «اگر عبارتی خواهی، اگر خود را تجربه کرده بودی به تجربه کردن من محتاج نگشتی و اینجا به تجربه نیامدی و اگر معنوی خواهی از ولایت معزول کردم.» اندر حال این مرید را روی سیاه شد و بانگ برگرفت که: «راحت یقین از دلم گم شد.» به استغفار مشغول شد و دست از فضولی برداشت. آنگاه جنید وی را گفت: «تو ندانسته ای که اولیای خداوند تعالی والیان اسرارند، تو طاقت زخم ایشان نداری؟» نفسی بروی فکند وی به سر مراد خود بازرسید و از تصرف کردن اندر مشایخ رحمهم الله توبه کرد. والله اعلم.

ابوالحسن احمد بن محمد النوری، رضی الله عنه

ومنهم: شاه اهل تصوف، و بری از آفت تکلف، ابوالحسن احمد بن محمد النوری، رضی الله عنه احسن المعاملات بود، و این کلمات و اطرف المجاهدات بود و وی را مذهبی مخصوص است اندر تصوف و گروهی اند از متصوفه که ایشان را نوری خوانند که اقتدا و تولا بدو کنند.

و جمله متصوفه دوازده گروه اند، و از آن دو مردودانند و ده از آن مقبول اند. آنچه مقبول اند: یکی محاسبان اند، و دیگر قصاریان اند و سدیگر طیفوریان اند و چهارم جنیدیان اند، و پنجم نوریان اند و ششم سهیلیان اند و هفتم حکیمیان اند و هشتم خرازیان اند و نهم خفیفیان اند و دهم سیاریان اند. و این جمله از محققان اند و اهل سنت و جماعت. اما آن دو گروه که مردودانند: یکی حلمانیانند که به حلول و امتزاج منسوب اند و سالمیان و مشیعه بدیشان متعلق اند دیگر حلاجیانند که به ترک شریعت و الحاد مردودند و اباحتیان و فارسیان بدیشان متعلق اند و اندر این کتاب بابی اندر فرق فرق ایشان بیارم و اختلاف آن ده گروه و خلاف آن دو گروه را بیان کنم تا فایده تمام شود، ان شاء الله، تعالی.

اما طریق وی ستوده بود اندر ترک مدهانت و رفع مسامحت و دوام مجاهدت. از وی می آید که به نزدیک جنید اندر آمد، وی را دید مصدر نشسته. گفت: «یا ابوالقاسم، عَشَشْتَهُمْ فَصَدَّرُوكَ، وَنَصَحْتَهُمْ فَرَمُونِي بِالْحِجَارَةِ.» حق بر ایشان بیوشیدی تا مصدرت کردند و من مر ایشان را نصیحت کردم به سنگم برانندند؛ از آنچه مدهانت را با هوی موافقت باشد و نصیحت را مخالف و آدمی دشمن آن بود که مخالف هوایوی بود دوست آن که موافق هوای وی بود.

و ابوالحسن نوری رفیق جنید بود و مرید سری. و بسیار از مشایخ را دیده بود و صحبت ایشان دریافته و احمد بن ابی الحواری را یافته بود. وی را اندر طریق تصوف اشارات لطیف است و اقاویل جمیل و اندر فنون علم آن نُکَّت عالی.

از وی می آید که گفت: «الْجَمْعُ بِالْحَقِّ تَفْرِقَةٌ عَنْ غَيْرِهِ، وَ التَّفْرِقَةُ عَنْ غَيْرِهِ جَمْعٌ بِهِ.» جمع به حق، تفرقه باشد از غیر وی و تفرقه از غیر وی، جمع باشد بدو؛ یعنی هر که را همت به حق تعالی مجتمع باشد از غیر وی مفترق است و هر که از غیر وی مفترق است بدو مجتمع است. پس جمع همت به حق تعالی جدایی باشد از اندیشه مخلوقات. چون از مکونات اعراض درست شد به حق اقبال درست شد و چون به حق اقبال درست شد از خلق اعراض درست شد؛ که «ضِدَّانٍ لَا يَجْتَمِعَانِ.»

و اندر حکایات است که وقتی وی سه شبانروز می خروشید اندر خانه، بر یک جای استاده. جنید را بگفتند. برخاست و به نزدیک وی شد و گفت: «یا ابوالحسن، اگر دانی که با وی خروش سود دارد تا من نیز در خروشدن آیم و اگر دانی که رضا به، تسلیم کن تا دلت خرم شود.» نوری از خروش باز استاد و گفت: «نیکو معلما که تویی، یا ابوالقاسم ما را!»

و از وی می آید که گفت: «أَعَزُّ الْأَشْيَاءِ فِي زَمَانِنَا شَيْئَانِ: عَالِمٌ يَعْمَلُ بِعِلْمِهِ، وَ عَارِفٌ يَنْطَلِقُ عَنْ حَقِيقَتِهِ.» عزیزترین چیزها در زمانه ما دو چیز است: یکی عالمی که به علم خود کار کند و دیگر عارفی که از حقیقت حال خود سخن گوید؛ یعنی اندر این زمانه علم و معرفت هر دو عزیز است؛ از آنچه علم بی عمل خود نباشد و معرفت بی حقیقت معرفت نه و آن پیر این سخن از زمانه خود نشان داده است و اندر همه اوقات خود این عزیز بوده است، امروز خود عزیزتر است و هر که به طلب عالم و عارف مشغول گردد روزگارش مشوش گردد و نیابد. به خود مشغول باید شد تا همه عالم عالم بیند و از خود به خداوند رجوع کند تا همه عالم عارف بیند؛ از آنچه عالم و عارف عزیز باشد و عزیز دشواریاب بود. چیزی که ادراک وجود آن دشوار بود، طلب کردن آن ضایع

کردن عمر باشد. علم و معرفت از خود طلب باید کرد و عمل و حقیقت از خود درخواست. از وی می‌آید رضی الله عنه که گفت: «مَنْ عَقَلَ الْأَشْيَاءَ بِاللَّهِ فَرَجُوعُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى اللَّهِ.»

هرکه چیزها را به خداوند تعالی داند و از آن وی شناسد، اندر همه چیزها رجوعش به وی باشد نه به چیزها؛ از آنچه اقامت مُلک و مِلک به مالک بود. پس استراحت اندر رؤیت مُکُون بود نه اندر رؤیت کون؛ از آنچه اگر اشیا را علت افعال داند پیوسته رنجور باشد، و به هر چیزی رجوع کردن ورا شرک باشد. چون اشیا را اسباب فعل داند، سبب به خود قایم نبود؛ که به مسبب قایم بود چون رجوع به مسبب الاسباب کند از شغل نجات یابد.

ابوعثمان سعید بن اسماعیل الحیری، رضی الله عنه

و منهم: مقدم سلف، و از سلف خود خلف، ابوعثمان سعید بن اسماعیل الحیری رضی الله عنه از قدما و اجله صوفیان بود و اندر زمانه خود یگانه بود و قدرش اندر همه دلها رفیع. ابتدا صحبت یحیی بن مُعَاذِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ کرده بود، آنگاه مدتی اندر صحبت شاه شجاع کرمانی بود و با وی به نسابور آمد به زیارت بوحفص به نزدیک وی بیستاد و عمر اندر صحبت وی گذاشت.

از وی حکایت کنند ثقات که گفت: پیوسته دلم طلب حقیقتی می‌کردی اندر حال طفولیت و از اهل ظاهر نفرتی می‌نمودی، و دانستمی لامحاله که جز این ظاهرکه عامه برآن‌اند نیز سری هست مر شریعت را، تا به بلاغت رسیدم. روزی به مجلس یحیی بن مُعَاذِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ افتادم و آن سر را بیافتم و مقصود برآمد. تعلق به صحبت وی کردم تا جماعتی از نزدیک شاه شجاع بیامدند و حکایات وی بگفتند. دل را به زیارت وی مایل یافتم. از ری قصد کرمان کردم و صحبت شاه طلب می‌کردم وی مرا بار نداد و گفت: «طبع تو رجا پرورده است و صحبت با یحیی کرده‌ای و وی را مقام رجاست. کسی که مشرب رجا یافت از وی سپردن طریق نیاید؛ از آنچه به رجا تقلید کردن کاهلی بار آرد.» گفت: بسیار تضرع کردم و زاری نمودم و بیست روز بر درگاه وی مداومت کردم تا مرا بار داد و اندر پذیرفت و مدتی اندر صحبت وی بماندم و وی مردی غیور بود.

تا وی را قصد نسابور و زیارت بوحفص افتاد. من با وی بیامدم. آن روز که به نزدیک بوحفص اندر آمدیم، شاه قبایی داشت. بوحفص چون وی را بدید بر پای خاست و پیش وی بازآمد و گفت: «وَجَدْتُ فِي الْقَبَاءِ مَا طَلَبْتُ فِي الْعَبَاءِ. در قبا یافتم آن را که در عبا می‌طلبیدم.»

مدتی آنجا بودم و همه همت من صحبت بوحفص گرفتم، و حشمت شاه مرا از مداومت خدمت وی بازداشت و بوحفص آن ارادت اندر من می‌دید، و از خداوند تعالی بتضرع می‌خواستم تا صحبت بوحفص بر من میسر گرداند بی از آن که شاه آزرده گردد. تا آن روز که شاه قصد بازگشتن کرد و من بر موافقت وی پای جامه در پای کردم و دل جمله به نزدیک بوحفص. تا وی رضی الله عنه به حکم انبساط، با شاه گفت: «صحبت این کودک را اینجای بگذار؛ که مرا با وی خوش است.» شاه روی سوی من کرد و گفت: «أَجِبِ الشَّيْخَ.» وی برفت. من آنجا بماندم، تا دیدم آنچه دیدم از عجایب اندر صحبت وی، رضی الله عنهما و وی را مقام شفقت بود.

خدای عزّ و جلّ مر بوعثمان را به سه پیر از سه مقام بگذاشت، و این هر سه اشارت که بدیشان کرد خود در وی بود: مقام رجا به صحبت یحیی و مقام غیرت به صحبت شاه، و مقام شفقت به صحبت بوحفص.

و روا باشد که مرید به پنج یا به شش یا بیشتر از این صحبت به منزل رسد و هر صحبتی وی را سبب کشف مقامی گردد؛ اما نیکوتر آن بود که پیران را به مقام خود آلوده نگرداند و نهایت ایشان را اندر آن مقام نشانه نکند و گوید که: «نصیب من از صحبت ایشان این بود؛ اما ایشان فوق این بودند، مرا از ایشان بهره بیش از این نبود.» و این به ادب نزدیک‌تر بود؛ از آنچه بالغ راه حق را با مقام و احوال هیچ کار نباشد.

و سبب اظهار تصوّف در نشابور و خراسان وی بود. با جنید و رُویم و یوسف بن حسین و محمد بن الفضل رحمهم الله صحبت کرده بود و هیچ کس از مشایخ از دل پیران خود آن بهره نیافته بود که وی و اهل نشابور وی را منبر نهادند تا بر زبان تصوّف مر ایشان را سخن گفت. وی را کتب عالی است و روایات مُتقن اندر فنون علم این طریقت.

از وی می‌آید که گفت: «حَقٌّ لِمَنْ أَعَزَّهُ اللَّهُ بِالْمَعْرِفَةِ أَنْ لَا يُذَلَّهُ بِالْمَعْصِيَةِ.»

واجب است و سزا مر آن را که خداوند تعالی به معرفت عزیز کردش که خود را به معصیت ذلیل نکند و تعلق این به کسب بنده باشد و مجاهدت وی بر دوام رعایت امور وی و اگر بر آن معنی رانی که سزاوار است حق تعالی بدان که چون کسی را به معرفت عزیز کند به معصیت خوار نکند؛ از آنچه معرفت عطای وی است و معصیت فعل بنده، کسی را که عزّ به عطای حق باشد، محال بود که به فعل خود ذلیل گردد؛ چنانکه آدم را علیه السّلام که به معرفت عزیز کرد به زَلّت ذلیل نکردش.

ابو عبدالله احمد بن یحیی بن الجلاء، رضی الله عنه

و منهم: سهیل معرفت و قطب محبت، ابو عبدالله احمد بن یحیی بن الجلاء، رضی الله عنه از بزرگان قوم بود و سادات وقت. و وی را طریقی نیکو و سیرتی پسندیده بود و صاحب جنید بود و ابوالحسن نوری و جماعتی از کبرا، رضی الله عنهم وی را کلامی عالی و اشاراتی لطیف است اندر حقایق.

از وی می‌آید که گفت: «هَمَّةُ الْعَارِفِ إِلَى مَوْلَاهُ فَلَمْ يَعْطِفْ إِلَى شَيْءٍ سِوَاهُ.»

همت عارف با حق باشد و از وی به هیچ چیز باز نگردد و بر هیچ چیز فرو نیاید؛ از آن که عارف را بجز معرفت وی هیچ چیز نباشد. چون سرمایه دلش معرفت بود مقصود همتش رؤیت بود؛ از آنچه پراکندگی همم هموم بار آورد و هموم از درگاه حق بازدارد.

از وی حکایت آرند که گفت: روزی ترسایی دیدم خوبروی. در جمال وی متحیر شدم، اندر مقابله وی بیستادم. جنید رحمه الله بر من گذر کرد. با وی گفتم: «ای استاد، خدای تعالی این چنین روی به آتش دوزخ بخواهد سوخت؟» مرا گفت، رضی الله عنه: «ای پسر، این بازارچه نفس است که ترا بر این می‌دارد نه نظاره عبرت؛ که اگر به عبرت می‌نگری، اندر هر ذره‌ای از موجودات همین عجوبه موجود است؛ اما زود باشد که تو بدین بی حرمتی معذب گردی.» گفت: چون جنید روی از من بگردانید، اندر حال قرآن فراموش کردم تا سالها می‌اسعانت خواستم از خدای تعالی و توبه کردم تا قرآن به دست آوردم. اکنون زهره آن ندارم که به هیچ چیز از موجودات التفات کنم یا وقت خود را به نظر اندر اشیا ضایع گردانم.

ابومحمد رُویم بن احمد، رضی الله عنه

و منهم: وحید عصر و امام دهر، ابومحمد رُویم بن احمد، رضی الله عنه از جمله اجلّه و سادات مشایخ بود و از صاحب سران جنید و اقران وی. و بر مذهب داود، فقیه الفقها رضوان الله علیهم اجمعین بود. و اندر علم تفسیر و قرائت حظی وافر داشت و اندر زمانه در فنون علم چون بود، به علو حال و رفعت مقام و سفرهای نیکوی به تجرید و ریاضتهای شدید اندر تفرید به جای آورده بود و اندر آخر عمر خود را در میان دنیاداران پنهان کرد و معتمدگشت به قضا. و درجت وی اکمل آن بود که بدان محجوب شدی؛ تا جنید گفت: «ما فارغان مشغولیم و رویم مشغول فارغ است.»

و وی را تصانیف است اندر این طریقت، فی السماع خاصة کتابی که مر آن را غلط الواجدین نام کرده است که

فتنه آنم.

می‌آید که روزی یکی به نزدیک وی اندر آمد، وی را گفت: «کیف حالک؟» وی گفت: «کیف حال من دینه هواه و همته دنیا، لیس بصالح تقی ولا بعارف نقی؟ چگونه باشد حال آنکه دین وی هوای وی باشد و همت وی دنیای وی باشد، نه نیکوکاری بود از خلق رَمیده و نه عارفی بود از خلق گزیده؟»

و این اشارت به عیوب نفس خود کرده است؛ از آن که دین به نزدیک نفس هوی بود، و متابعان نفس هوی را دین نام نهاده‌اند و متابعت آن را برزش شریعت کرده هرکه بر مراد ایشان رود اگرچه مبتدع بود به نزدیک ایشان دیندار باشد و هرکه بر خلاف ایشان رود اگرچه متقی بود بی دین بود به نزد ایشان. و این آفت اندر زمانه ما شایع است، فَنَعُوذُ بِاللَّهِ از صحبت آن که صفتش این بود. اما آن پیر از تحقیق روزگار سائل اشارتی کرده است، و نیز روا بود که اندر آن حال او را بدو بازگذاشته باشند تا از وصف وجود خود عبارت کرده است و انصاف صفت خود بداده.

ابویعقوب یوسف بن حسین الرازی، رضی الله عنه

و منهم: بدیع عصر، و رفیع قدر، ابویعقوب یوسف بن حسین الرازی، رضی الله عنه از کبرای ائمه وقت بود و قدمای مشایخ زمان. عمری نیکو یافت. مرید ذی النون مصری بود و با بسیاری از شیوخ صحبت داشته بود و جمله را خدمت کرده.

از وی می‌آید که گفت: «أَذَلُّ النَّاسِ الْفَقِيرُ الطَّمُوعُ وَالْمُحِبُّ لِمُحِبِّهِ.»

ذلیل‌ترین همه مردمان درویش طماع باشد؛ چنانکه شریف‌ترین ایشان فقراى صادق باشند. و طمع مر درویش را به ذلّ دو جهانی افکند؛ از آنچه درویشان خود در چشم اهل دنیا حقیرند، چون بدیشان طمع کنند حقیرتر گردند. پس غنای به عز بسیار تمام‌تر از فقر به ذل بود و طمع مر درویش را به تکذیب صرف منسوب کند و دیگر محب مر محبوب خود را نیز ذلیل‌ترین همه خلق باشد؛ که محب مر خود را در مقابله محبوب خود سخت حقیر شناسد و مر او را متواضع باشد و این هم از نتایج طمع بود. چون طمع گسسته شد ذل بجمله عز گردد. و تا زلیخا را به یوسف طمع می‌بود هر زمان ذلیل‌تر بود و چون طمع بگسست خدای تعالی جمال و جوانی بدو باز داد. و سنت چنین رفته است که اقبال محب اعراض محبوب تقاضا کند. چون محب دوستی را دربرگیرد و به صرف دوستی از دوست فارغ شود و با دوستی بیارامد لامحاله که دوست بدو اقبال کند و بحقیقت محبت عز است تا طمع وصلت نبود، چون محب را طمع وصال باشد و برنیاید، عرش همه ذل شود. و هر محبی را که وجود دوستی از وصال و فراق دوست مشغول نگرداند آن محبت وی معلول باشد.

ابوالحسین سمنون بن عبدالله الخواص، رضی الله عنه

و منهم: آفتاب آسمان محبت و قدوة اهل معاملت ابوالحسین سمنون ابن عبدالله الخواص، رضی الله عنه اندر زمانه بی نظیر بود و اندر محبت شأنی عظیم داشت. جمله مشایخ وی را بزرگ داشتند. وی را «سمنون المحب» خواندندی، و وی خود را «سمنون الکذاب» نام کرده بود. و از غلام الخلیل رنجهای بسیار کشید و در پیش خلیفه بر وی گواهیهای محال داد و همه مشایخ بدان رنجه دل گشتند.

و این غلام الخلیل مردی مُرائی بود و دعوی پارسائی و صوفیگری کردی. خود را در پیش خلیفه و سلطانان معروف گردانیده بود به مکر و شعبده و دین را به دنیا بفروخته چنانکه اندر زمانه ما بسیارند و مساوی مشایخ و

درویشان بر دست گرفته بود در پیش خلیفه. و مرادش آن بود تا مشایخ مهجور گردند و کس بدیشان تبرک نکند تا جاه وی بر جای بماند.

خنک سمنون و مشایخ که مرایشان را یک کس بود بدین صفت. امروز در این زمانه هر محققى را صد هزار غلام الخلیل هست. اما باک نیست؛ که به مردار، کرکسان اولی تر باشند.

و چون جاه سمنون اندر بغداد بزرگ شد، هرکسى بدو تقرب کردند. غلام الخلیل را از آن رنج کرد و وضعها بر ساختن گرفت. تا زنى را چشم بر جمال سمنون افتاد، خود را بر وی عرضه کرد. وی ابا کرد. تا آن زن نزدیک جنید شد که: «سمنون را بگوى تا مرا به زنى کند.» جنید را از آن ناخوش آمد. وی را زجر کرد. زن به نزدیک غلام الخلیل آمد و تهمتى چنانکه زنان نهند بر وی نهاد و غلام الخلیل چنانکه اعدا شنوند بشنود و سعایت بر دست گرفت و خلیفه را بر وی متغیر کرد تا بفرمود که وی را بکشند. چون سیاف را بیاوردند و از خلیفه فرمان خواستند، چون خلیفه فرمان خواست داد زبانش بگرفت. چون شب درآمد بخفت، به خواب دید که: «زوال جان سمنون در زوال ملک تو بسته است.» دیگر روز عذر خواست و بخوبى بازگردانید.

و وی را کلام عالی است و اشارت دقیق اندر حقیقت محبت و وی آن بود که از حجاز می آمد، اهل فید گفتند: «ما راسخون گوی.» بر منبر شد و سخن می گفت، مستمع نداشت. روى به قنادیل کرد و گفت: «با شما می گویم.» آن همه قندیلها درهم افتاد و خرد بشکست.

از وی رضی الله عنه می آید که گفت: «لَا يُعْبَرُ عَنْ شَيْءٍ إِلَّا بِمَا هُوَ أَرْقُ مِنْهُ، وَلَا شَيْءٌ أَرْقُ مِنَ الْمَحَبَّةِ، فَبِمَ يَعْبَرُ عَنْهَا؟»

یعنی عبارت از چیزی نازک تر از آن چیز باشد، و چون ارق محبت هیچ چیز نباشد، به چه چیز عبارت از آن کنند؟ و مراد این، آن است که عبارت از محبت منقطع است؛ از آنچه عبارت صفت معبر بود و محبت صفت محبوب است. پس عبارت این مر حقیقت آن را ادراک نتواند کرد و الله اعلم بالصواب.

ابوالفوارس شاه بن شجاع الکرمانی، رضی الله عنه

و منهم: شاه شیوخ و تغیر از روزگار او منسوخ، ابوالفوارس شاه بن شجاع الکرمانی، رضی الله عنه از ابنای ملوک بود و اندر زمانه خود یگانه بود. صحبت ابوتراب نخشی کرده بود و بسیاری از مشایخ را دریافته بود و اندر ذکر بوعثمان حیری طرفی از حال وی گفته آمده است. و وی را رسالات مشهور است اندر تصوف و کتابی کرده است که آن را مرآة الحکما خوانند. و او را کلام عالی است.

از وی می آید که گفت: «لِأَهْلِ الْفَضْلِ فَضْلٌ مَالِمْ يَرَوْهُ، فَإِذَا رَأَوْهُ فَلَا فَضْلَ لَهُمْ، وَلِأَهْلِ الْوَلَايَةِ وَلايَةٌ مَا لَمْ يَرَوْهَا، فَإِذَا رَأَوْهَا فَلَا وَلايَةَ لَهُمْ.»

اهل فضل را فضل باشد بر همه تا آنگاه که فضل خود نبینند، چون بدیدند نیزشان فضل نماند و اهل ولایت را همچنین ولایت تا آنگاه است که ولایت خود نبینند که چون بدیدند ولایتشان نماند و مراد از این، آن بود که آنجا که فضلو ولایت بود رؤیت از آن ساقط بود، چون رؤیت حاصل شد معنی ساقط شد؛ از آنچه فضل صفتی است که فضل نبیند و ولایت صفتی که رؤیت ولایت نباشد. چون کسی گوید که: «من فاضلم یا ولی»، نه فاضل بود نه ولی.

و اندر آثار وی مکتوب است که: چهل سال نخفت. چون بخفت خداوند سبحانه و تعالی را به خواب دید گفت: «بارخدا، من ترا به بیداری شب می طلبیدم در خواب دیدم!» گفت: «یا شاه، در خواب بدان بیداریهای شب یافتی. گر آنجا بخفتی اینجا ندیدی.» والله اعلم.

عمرو بن عثمان المکی، رضی الله عنه

و منهم: سرور دلهاء، و نور سرها، عمرو بن عثمان المکی، رضی الله عنه از کبرا و سادات اهل طریقت بود. وی را تصانیف مشهور است اندر حقایق این علم و نسبت ارادت خود به جنید کردی، از بعد آن که ابوسعید خراز را دیده بود و با نیاجی صحبت کرده بود و اندر اصول، امام وقت بود. از وی می‌آید که گفت: «لَا يَفْعُ عَلَى كَيْفِيَّةِ الْوَجْدِ عِبَارَةٌ، لِأَنَّهُ سِرُّ اللَّهِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ.» عبارت بر کیفیت وجد دوستان نیفتد؛ از آنچه آن سر حق است به نزدیک مؤمنان و هرچه عبارت بنده اندر آن تصرف تواند کرد آن سر حق نباشد؛ از آنچه کلیت تکلف بنده از اسرار ربانی منقطع است. و گویند چون عمرو به اصفهان آمد، حدیثی به صحبت وی پیوست و پدر مانع وی بود از صحبت عمرو؛ تا بیمار شد و مدتی برآمد. روزی شیخ برخاست و با جماعتی فقرا به عیادت وی شد. حدیث به شیخ اشارت کرد تا قوال را بگوید تا بیٹی برخواند. عمرو قوال را گفت: برخوان:

مَالِي مَرَضْتُ فَلَمْ يَعِدْنِي عَائِدٌ مِنْكُمْ وَيَمْرَضُ عَبْدُكُمْ فَأَعُوذُ

بیمار چون بشنید برخاست و بنشست و لهاب و سلطان بیماری وی کمتر شد. گفت: زدنی:

وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِي عَلَيَّ صُدُودُكُمْ وَصُدُودُ عَبْدِكُمْ عَلَيَّ شَدِيدٌ

بیمار برخاست و نالانی از او کم شد، و پدر وی را به صحبت عمرو مسلم گردانید و آن اندیشه که می‌بودش اندر دل، از آن توبه کرد. و آن حدیث یکی از بزرگان طریقت شد. و هو اعلم.

ابو محمد سهل بن عبدالله التستری، رضی الله عنه

و منهم: مالک القلوب، و ماحی العیوب، ابو محمد سهل بن عبدالله التستری، رضی الله عنه امام وقت بود و به همه زبانها ستوده. وی را ریاضات بسیار است و معاملات نیکو و کلام لطیف اندر اخلاص و عیوب افعال.

و علمای ظاهر گویند: «هُوَ جَمَعَ بَيْنَ الشَّرِيعَةِ وَالْحَقِيقَةِ. او جمع کرده است میان شریعت و حقیقت.» و این از ایشان خطاست؛ از آنچه کس خود فرق نکرده است، و شریعت جز حقیقت نیست و حقیقت جز شریعت نی و به حکم آن که عبارات آن پیر رضوان الله علیه اندر ادراک سهل تر است و طبایع بهتر اندر یابند، این سخن گویند و چون حق تعالی جمع کرده است میان حقیقت و شریعت، محال باشد که اولیای او فرق کنند و لامحاله چون فرق حاصل آمد، رد یکی و قبول دیگری بیاید. پس رد شریعت الحاد بود و رد حقیقت شرک و آن فرق که کنند مر تفریق معنی را نیست که اثبات حد است؛ چنانکه گوید: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ حَقِيقَةً، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ شَرِيعَةً.» اگر کسی خواهد که اندر حال صحت ایمان یکی را از دیگری جدا کند نتواند کرد و خواستش باطل و در جمله شریعت فرع حقیقت بود؛ چنانکه معرفت حقیقت است و پذیرفت فرمان معروف شریعت. پس این ظاهریان را هر چه طبع اندر آن نیفتد بدان منکر شوند، و انکار اصلی از اصول راه حق با خطر بودو الحمد لله علی ایمان. و از وی می‌آید که گفت: «مَاتَلَعْتُ شَمْسًا وَلَا غَرَبَتْ عَلَيَّ أَهْلٌ وَجَهَ الْأَرْضِ إِلَّا وَهْمٌ جُهَالٌ بِاللَّهِ، إِلَّا مَنْ يُؤَثِّرُ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ وَرُوحِهِ وَدُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ.»

آفتاب بر نیامد و فرو نشد بر هیچ کس از روی زمین که وی نه به خداوند تعالی جاهل بود، مگر آن که وی را برگزید بر تن و جان و دنیا و آخرت؛ یعنی هر که دست اندر آگوش خود دارد، دلیل آن بود که وی به خداوند عز و جل جاهل بود؛ از آنچه معرفت وی ترک تدبیر اقتضا کند و ترک تدبیر تسلیم بود و اثبات تدبیر از جهل باشد به تقدیر. والله اعلم.

ابوعبدالله محمد بن الفضل البلخی، رضی الله عنه

و منهم: اختیار اهل حرمین و جمله مشایخ را قره عین، ابوعبدالله محمد ابن الفضل البلخی، رضی الله عنه از جلّه مشایخ بود و پسندیده عراق و خراسان بود. مرید احمد بن خضرویه بود و ابوعثمان حیری را به وی میلی عظیم بود. وی را از بلخ بیرون کردند متعصبان از برای عشق مذهب. وی به سمرقند شد و عمر آنجا گذاشت. از وی می آید که گفت: «أَعْرِفُ النَّاسَ بِاللَّهِ أَشَدَّهُمْ مُجَاهِدَةً فِي أَمْرِهِ وَ أَتَّبِعُهُمْ لِسُنَّةِ نَبِيِّهِ.» یعنی بزرگترین اهل معرفت مجتهدترین ایشان باشد اندر ادای شریعت و با رغبت ترین اندر حفظ سنت و متابعت و هرکه به حق نزدیک تر بود بر او امرش حریص تر بود و هرکه از وی دورتر بود از متابعت رسولش دورتر بود و معرض تر.

از وی می آید که گفت: «عَجِبْتُ مِمَّنْ يَفْطَعُ الْبُودَى وَالْقِفَارَ وَالْمَفَاوِزَ حَتَّى يَصِلَ إِلَى بَيْتِهِ وَ حَرَمِهِ؛ لِأَنَّ فِيهِ آثَارَ أَنْبِيَائِهِ، كَيْفَ لَا يَفْطَعُ نَفْسَهُ وَهَوَاهُ حَتَّى يَصِلَ إِلَى قَلْبِهِ؛ لِأَنَّ فِيهِ آثَارَ مَوْلَاهُ!» عجب دارم از آنکه بادیها و بیابانها ببرد تا به خانه وی رسد که اندر او آثار انبیای وی است، چرا بادیه نفس و دریای هوی را ببرد تا به دل خود رسد که اندر او آثار مولای وی است؟! یعنی دل که محل معرفت است بزرگوارتر از کعبه که قبله خدمت است. کعبه آن بود که پیوسته نظر بنده بدو بود و دل آن که پیوسته نظر حق بدو بود. آنجا که دل، دوست من آنجا، آنجا که حکم وی مراد من آنجا، و آنجا که اثر انبیای من، قبله دوستان من آنجا. والله اعلم.

ابوعبدالله محمد بن علی الترمذی، رضی الله عنه

و منهم: شیخ باخطر، و فانی از اوصاف بشر، ابوعبدالله محمد بن علی الترمذی، رضی الله عنه اندر فنون علم کامل و امام بود و از مشایخ محتشم بود. وی را تصانیف بسیار است و نیکو، و کرامات مشهور اندر بیان هر کتاب، چون ختم الولاية و کتاب النهج و نوادر الاصول، و جز این بسیار کتب دیگر ساخته است و سخت معظم است به نزدیکی من؛ زیرا که دلم شکار وی است.

و شیخ من گفت رحمة الله علیه که: «محمد درّ یتیم است که اندر همه عالم همال ندارد.» و اندر علوم ظاهر وی را نیز کتب است و اندر احادیث اسناد عالی دارد و تفسیری ابتدا کرده بوده است عمر تمام کردن آن نیافت، بدان مقدار که کرده است در میان اهل عالم منتشر است و فقه بر یکی از خواص یاران ابوحنیفه رضی الله عنهم خوانده بود. وی را اندر ترمذ محمد حکیم خوانند و حکیمیان از متصوفه اقتدا بدو کنند. و وی را مناقب بسیار است. یکی از آن جمله آن که با خضر پیغمبر علیه السلام صحبت داشته بود و ابوبکر و راق ترمذی که مرید وی بود روایت کند که: «هر یک شنبه خضر به نزدیک وی آمدی و واقعه ها از یکدیگر پیرسیدندی.»

از وی می آید که گفت: «مَنْ جَهَلَ أَوْصَافَ الْعُبُودِيَّةِ فَهُوَ بِنُعُوتِ الرَّبَّانِيَّةِ أَجْهَلُ.» هرکه به علم شریعت و اوصاف بندگی جاهل باشد او به اوصاف خداوند تعالی جاهل تر باشد. و هرکه به معرفت نفس که مخلوق است راه نبرد به معرفت حق تعالی که خالق است، هم راه نبرد. و هرکه آفات صفت بشریت نبیند لطایف صفات ربوبیت کی داند؟ که ظاهر به باطن تعلق دارد، هرکه به ظاهر تعلق کند بی باطن، محال و هرکه به باطن تعلق کند بی ظاهر، محال. پس معرفت اوصاف ربوبیت اندر صحت ارکان عبودیت بسته است و بی آن درست نیاید. و این کلمه سخت با اصل و مفید است، به جایگاه خود تمام کرده شود، ان شاء الله، تعالی.

ابوبکر محمد بن عمر الوراق، رضی الله عنه

و منهم: شرف زهاد امت و مژکی اهل فقر و صفوت، ابوبکر محمد بن عمر الوراق، رضی الله عنه از بزرگان مشایخ بود و از زهاد ایشان. احمد خضرویو را دیده بود و با محمد بن علی صحبت داشته. وی را کتب است اندر آداب و معاملات و مشایخ رحمهم الله وی را مؤدب الاولیاء خوانده‌اند. وی حکایت کند که: محمد بن علی رضی الله عنهما جز وی چند فرامن داد که: «اندر جیحون انداز.» مرا دل نداد، اندر خانه بنهادم و بیامدم و گفتم: «انداختم.» گفت: «چه دیدی؟» گفتم: «هیچ ندیدم.» گفت: «نینداخته‌ای، بازگرد و اندر آب انداز.» بازگشتم، و دلم را وسواس آن برهان بگرفت. آن اجزا را اندر آب انداختم. آب به دو پاره شد و صندوقی برآمد سرباز. چون اجزا اندر او افتاد سر فراهم شد. بازآمدم و حکایت کردم. گفتا: «اکنون انداختی.» گفتم: «ایها الشیخ، سر این حدیث چه بود؟ با من بگوی.» گفت: «تصنیفی کرده بودم اندر اصول و تحقیق که فهم، ادراک آن نمی‌توانست کرد. برادر من خضر علیه السلام از من بخواست. این آب را خداوند تعالی فرمان داده بود تا آن بدو رساند.»

از وی می‌آید که گفت: «النَّاسُ ثَلَاثَةٌ: الْعُلَمَاءُ وَالْفُقَرَاءُ وَالْأَمْرَاءُ؛ فَإِذَا فَسَدَ الْعُلَمَاءُ فَسَدَ الطَّاعَةُ، وَإِذَا فَسَدَ الْفُقَرَاءُ فَسَدَ الْأَخْلَاقُ، وَإِذَا فَسَدَ الْأَمْرَاءُ فَسَدَ الْمَعَاشُ.»

مردمان سه گروهند: یکی عالمان؛ و دیگر فقیران؛ و سدیگر امیران. چون امرا تباه شوند معاش خلائق و اکتساب ایشان تباه شود و چون علما تباه شوند طاعت و برزش شریعت بر خلق تباه و شوریده گردد و چون فقرا تباه شوند خویها بر خلق تباه شود. پس تباهی امرا و سلاطین به جور باشد و از آن علما به طمع و از آن فقرا به ریا و تا ملوک از علما اعراض نکنند تباه نگردند، و تا علما با ملوک صحبت نکنند تباه نگردند و تا فقرا ریاست یعنی مهتری نطلبند تباه نگردند؛ از آنکه جور ملوک از بی علمی بود، و طمع علما از بی دیانتی و ریای فقرا از بی توکلی. پس ملک بی علم، و عالم بی پرهیز و فقیر بی توکل قرنای شیاطین‌اند و فساد همه خلق عالم اندر فساد این سه گروه بسته است.

ابوسعید احمد بن عیسی الخزاز، رضی الله عنه

و منهم: سفینه توکل و رضا و سالک طریق فنا، ابوسعید احمد بن عیسی الخزاز، رضی الله عنه که لسان احوال مریدان و برهان اوقات طالبان بود و نخست کس که از مقام فنا و بقا عبارت کرد، وی بود و وی را مناقب مشهور است و ریاضات و نکته‌های مذکور، و تصانیف متلالی و کلام و رموز عالی و با ذی النون مصری و بشر حافی و سری سقطنی صحبت کرده بود.

و از وی می‌آید که اندر قول پیغمبر، علیه السلام: «جُبِلَتِ الْقُلُوبُ عَلَى حُبِّ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْهَا»، قال: «و اعْجَبَا لِمَنْ يَرُّ مُحْسِنًا غَيْرَ اللَّهِ، كَيْفَ لَا يَمِيلُ بِكَلْبَتِهِ إِلَى اللَّهِ!»

آفرینش دلها بر دوستی آن کس است که بدو نیکویی کند؛ یعنی هر که به جای کسی نیکویی کند، لامحاله آن کس به دل مر آن کس را دوست گیرد. بوسعید گفت: وا عجباً! آن که در همه عالم جز خداوند را تعالی محسن نداند، چگونه دل بکلیت بدو نسپارد؟ از آنچه احسان بر حقیقت آن بود که مالک الأعیان کند؛ که احسان نیکویی کردن بود به جای کسی که بدان نیکویی محتاج بود. آن که وی را از غیر احسان باید، وی چگونه احسان تواند کرد؟ پس مُلک و مُلک مر خداوند راست جل جلاله که از غیر بی نیاز است، و همه عالمین و کونین بدو نیازمند و چون دوستان حق این معنی بدانستند اندر انعام و احسان، مُنعم و مُحسن دیدند. دل‌هایشان بکلیت اسیر دوستی وی شد، از غیر وی اعراض کردند. والله اعلم.

ابوالحسن علی بن محمد الاصفهانی، رضی الله عنه

و منهم: شاهد محققان، و دلیل مریدان، ابوالحسن علی بن محمد الاصفهانی، رضی الله عنه و نیز علی بن سهل گویند.

وی از کبار مشایخ بود. جنید را بدو مکاتبت لطیف است و عمرو بن عثمان به زیارت وی به اصفهان شد و وی صاحب ابوتراب بود و قرین جنید. مخصوص است وی به طریق ستوده اندر تصوف به رضا و ریاضت و محفوظ از فتن و آفت و زبانی نیکو اندر حقایق و معاملات و بیانی لطیف اندر دقایق و اشارت. از وی می‌آید که گفت: «الحُضُورُ أَفْضَلُ مِنَ الْيَقِينِ، لِأَنَّ الْحُضُورَ وَطَنَاتٌ وَ الْيَقِينَ خَطَرَاتٌ.» حضور به حق فاضل‌تر از یقین از حق؛ از آن که حضور اندر دل متوطن باشد و غفلت بر آن روا نباشد، و یقین خاطری بود که گه بیاید و گه بشود. پس حاضران اندر پیشگاه باشند و موقنان بر درگاه و اندر غیبت و حضور بآبی مفرد بیاریم اندر این کتاب.

وی گفت، رحمة الله عليه: «مِنْ وَتِ آدَمَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، النَّاسُ يَقُولُونَ: الْقَلْبُ، الْقَلْبُ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَرَى رَجُلًا يَصِفُ أَيُّشِ الْقَلْبِ، أَوْ كَيْفَ الْقَلْبِ، فَلَأَرَى.»

از وقت آدم علیه السلام باز، مردمان می‌گویند: دل، دل، و من دوست می‌دارم که مردی بینم که مرا بگوید که دل چیست و یا چگونه است، و نمی‌بینم. و عوام آن گوشت پاره را دل خوانند، و آن مر مجانین و صبیان را و اطفال و مغلوبان را باشد؛ اما بی دل باشند. پس دل چه باشد که ازدل بجز عبارت نمی‌شنویم؟ یعنی اگر عقل را دل خوانیم آن نه دل است، و اگر روح را دل گوئیم آن نه دل است، و اگر علم را دل گوئیم آن نه دل است. پس همه شواهد حق را قیام به دل و ازوی بجز عبارتی موجود نه.

ابوالحسن محمد بن اسماعیل، خیر النّساج، رضی الله عنه

و منهم: پیر اهل تسلیم، و اندر طریقت محبت مستقیم، ابوالحسن محمد ابن اسماعیل، خیر النّساج، رضی الله عنه از بزرگان مشایخ بود اندروقت و معاملات و بیانی نیکو داشت اندر عِظَات، و عبارتی مهذب اندر اشارات. عمری دراز یافته بود و شبلی و ابراهیم خواص هر دو اندر مجلس وی توبه کردند. شبلی را به جنید فرستاد مر حفظ حرمت جنید را، رضی الله عنهم. و وی مرید سری بود و از اقران جنید و ابوالحسن نوری بود و به نزدیک جنید محترم بود و ابو حمزه بغدادی وی را ایجابی کرده بود.

همی آید که وی را خیر النّساج از آن خوانند که: چون وی از مولودگاه خود به سامره برفت به قصد حج، گذرش بر کوفه بود. به دروازه کوفه خزبافی وی را بگرفت که: «تو بنده منی و خیر نامی.» وی آن از حق دید و وی را خلاف نکرد و سالهای بسیار کار وی می‌کرد و هرگاه که وی را گفتی: «یا خیر» وی گفتی: «لییک». تا مرد از کرده خود پشیمان گشت. وی را گفت: «برو که من غلط کرده بودم و تو نه بنده منی.» برفت و به مکه شد. و بدان درجه رسید که جنید گفت: «خیر خیرنا.» دوست‌تر آن داشتی که وی را خیر خواندندی. گفتی: «روا نباشد که مردی مسلمان مرا نامی نهاده باشد، من آن را بگردانم.»

و گویند که چون وفاتش قریب گشت، وقت نماز بود. چون از غشیان مرگ اندر آمد، چشم باز کرد و سوی در بنگریست و گفت، رضی الله عنه: «قِفْ، عَافَاكَ اللهُ؛ فَإِنَّمَا أَنْتَ عَبْدٌ مَأْمُورٌ وَأَنَا عَبْدٌ مَأْمُورٌ، وَ مَا أَمَرْتُ بِه لَا يَفُوتُكَ وَ مَا أَمَرْتُ بِه فَهُوَ شَيْءٌ يَفُوتُنِي، فَدَعْنِي أَمْضِي فِيمَا أَمَرْتُ ثُمَّ أَمْضِ بِمَا أَمَرْتُ. بَايَسْتُ، عَافَاكَ اللهُ كَمَا تُو بِنْدَةُ مَأْمُورِي وَ فَرْمَانِبَرْدَارِ وَ آنچه ترا فرموده‌اند از تو می‌فوت نگردهد یعنی جان ستدن و من بنده مأمورم و فرمانبردار، و آنچه مرا فرموده‌اند به حکم رسیدن وقت چون واجب شد، به اخراج وقت و رفتن من فوت گردد؛

یعنی نماز شام. مرا بگذار تا فرمان حق بگزارم تا من نیز بگذارم تا فرمان حق بگزاری.» آنگاه آب خواست و طهارت کرد و نماز شام بگزارد و جان بداد، رحمة الله علیه.

همان شب وی را به خواب دیدند گفتند: «خدای عزّ و جلّ با توجه کرد؟» گفت، رحمة الله علیه: «لا تسألنی عنّ هذا، ولیکن استرحت من دنیاکم. مرا از این بپرسید، ولیکن از دنیای شما برستم.»

و از وی می‌آید که گفت، اندر مجلس خود: «شرح صدور المتقین بنور الیقین و کشف بصائر الموقنین بنور حقایق الإیمان.»

متقی را از یقین چاره نیست؛ که دلش به نور یقین مشرح است و موقن را از حقایق ایمان چاره نیست؛ که بصایر عقل وی به نور ایمان روشن است. پس هر جای که ایمان بود یقین بود و هر جای که یقین بود تقوی بود؛ از آنچه ایشان قرینه یکدیگرند یکی تابع دیگری بود. والله اعلم.

ابوحمزه خراسانی، رضی الله عنه

و منهم: داعی عصر، و یگانه دهر، ابوحمزه خراسانی، رضی الله عنه

از قدمای مشایخ خراسان بود. با بوتراب صحبت داشته بود و خراز را دیده. اندر توکل قدمی تمام داشت. و اندر حکایات مشهور است که: وی روزی به راهی می‌رفت، اندر چاهی افتاد و سه شبانروز اندر آنجا بماند. پس گروهی از سیاره فرا رسیدند. با خود گفت: «ایشان را آواز دهم.» بازگفت: «نی، خوب نباشد که از دون حق استعانت طلبم و این شکایت بود که ایشان را گویم: خدای تعالی مرا در چاه افکن شما بیرون آرید.» ایشان فراز آمدند، چاهی دیدند بر میانه راه بی ستی و حاجزی. گفتند: «بیایید تا ما به حسبت مر این را سر بپوشیم تا کسی در اینجا نفتد.» گفتا: نفس من به اضطراب آمد و از جان خود نومید شدم. چون ایشان سر چاه استوار کردند و بازگشتند، من با حق تعالی مناجاتی کردم و دل مر مرگ را بنهادم و از همه خلق نومید گشتم. چون شبانگاهی درآمد، از سر چاه حسی شنیدم. چون نیک نگاه کردم، کسی سر چاه بگشاد. جانوری دیدم عظیم بزرگ. نگاه کردم ازدهایی بود که دم فرو کرد. دانستم که نجات من در آن است و فرستاده حق است، تعالی و تقدس به دم وی تعلق کردم تا مرا برکشید. هاتفی آواز داد که: «نیکو نجاتی که نجات توست، یا باحمزه، که به تلفی ترا از تلفی نجات دادیم.»

از وی پرسیدند که: «غریب کیست؟» قال: «المستوحش من الإلف. آن که از الفت مستوحش باشد.»

هر که را همه الفتها وحشت گردد وی غریب باشد؛ از آنچه درویش را در دنیا و عقبی وطن نیست و الفت نه، اندر وطن وحشت بود و چون الف وی از کون منقطع شود وی از جمله مستوحش گردد، آنگاه غریب باشد و این درجتی بس رفیع است. والله اعلم.

ابوالعباس احمد بن مسروق، رضی الله عنه

و منهم: داعی مریدان به حکم فرمان، ابوالعباس احمد بن مسروق، رضی الله عنه

از بزرگان و اجله خراسان بود و به اتفاق جمله اولیای خداوند عزّ و جلّ از اوتاد الارض بود. وی را با قطب المدار علیه صحبت بود از وی پرسیدند که: «ما را بگوی تا قطب کیست؟» ظاهر نکرد؛ اما به حکم اشارت چنان نمود که جنید است، رضی الله عنهم. وی چهل صاحب تمکین را خدمت کرده بود و از ایشان فواید گرفته و اندر علوم ظاهر و باطن سوار بود.

از وی می‌آید که گفت: «مَنْ كَانَ سُورُهُ بِغَيْرِ الْحَقِّ فَسُورُهُ يورثُ الهُمومَ، و مَنْ لَمْ يَكُنْ أَنْسُهُ فِي خِدْمَةِ رَبِّهِ فَأَنْسُهُ

یورثُ الْوَحْشَةَ.»

هرکه به جز خداوند تعالی شاد باشد، شادی وی بجمله اندوه بود و هرکه را در خدمت خداوند تعالی انس نباشد، انس وی بجمله وحشت باشد؛ یعنی آنچه بجز وی است فناست، هرکه به فنا شاد شود چون فنا فانی شود وی غمی شود. و جز خدمت وی هبست، چون حقیری مکونات ظاهر گردد، انس وی بجمله وحشت گردد. پس اندوه و وحشت همه عالم اندر رؤیت غیر است. واللّه اعلم.

ابوعبدالله محمد بن اسماعیل المغربي، رضی الله عنه

و منهم: استاد متوکلان، و شیخ محققان، ابوعبدالله محمد بن اسماعیل المغربي، رضی الله عنه از بزرگان و مقدمان وقت بود و اندر زمانه خود مقبول. استاد و مُراعی مریدان خود بود و ابراهیم خواص و ابراهیم شبیان هر دو مریدان وی بودند. و وی را کلام عالی است و براهین واضح. و اندر تجرید قدمی تمام داشت.

از وی می‌آید که گفت: «ما رأیتُ أَنْصَفَ مِنَ الدُّنْيَا، إِنْ خَدَمْتَهَا خَدَمْتَكَ وَإِنْ تَرَكْتَهَا تَرَكْتَكَ.» هرگز از دنیا منصف‌تر ندیدم؛ که تا وی را خدمت کنی ترا خدمت کند و چون بگذاریش بگذاردت؛ یعنی تا طلب وی کنی ترا طلب کند و چون از وی اعراض کنی و خدمت خداوند تعالی بر دست گیری، از تو بگریزد و اندیشه آن در دلت نیاویزد. پس هرکه بصدق از دنیا اعراض کند از شر وی ایمن گردد و از آفت وی رسته شود، ان شاء الله تعالی.

ابوعلی الحسن بن علی الجوزجانی، رضی الله عنه

و منهم: پیر زمانه، و اندر زمانه خود یگانه، ابوعلی الحسن بن علی الجوزجانی، رضی الله عنه اندر وقت خود بی نظیر بود. وی را تصانیف ازهر است اندر علم معاملات و رؤیت آفات. و مرید محمد علی بود و از اقران ابوبکر وراق بود. ابراهیم سمرقندی مرید وی بود. از وی می‌آید که گفت: «الْخَلْقُ كُلُّهُمْ فِي مِيَادِينِ الْغَفْلَةِ يَرْكُضُونَ وَعَلَى الظُّنُونِ يَعْتَمِدُونَ، وَعِنْدَهُمْ أَنَّهُمْ فِي الْحَقِيقَةِ يَنْقَلِبُونَ وَعَنِ الْمَكَاشِفَةِ يَنْطِقُونَ.»

یعنی قرارگاه خلق جمله به میدان غفلت است و اعتمادشان بر ظن پر آفت، و به نزدیک ایشان چنان است که کردار ایشان بر حقیقت است و نطقشان از اسرار مکاشفت. و اشارت آن پیر به پندار طبع و رعونت نفس بوده است؛ که کسی اگرچه جاهل بود مرجهل خود را معتقد بود، خاصه جهال متصوفه. همچنان که علمای ایشان اعز ما خلق الله اند، جهال ایشان اذل ما خلق الله اند. آنچه عالمانشان را حقیقت بود، جهالشان را پنداشت بود. در میدان غفلت می‌چرند، پندارند که میدان ولایت است و بر ظن اعتماد می‌کنند پندارند که آن یقین است و با رسم می‌روند و پندارند حقیقت است و از هوی می‌گویند پندارند که آن مکاشفت است؛ از آنچه پنداشت از سر آدمی بیرون نرود، مگر به رؤیت جلال حق یا جمال وی؛ که اندر اظهار جمال وی همه وی را بینند پنداشتشان فانی شود و اندر کشف جلال خود را نبینند پنداشتشان سر بر نیارد. واللّه اعلم.

ابومحمد احمد بن الحسین الجریری، رضی الله عنه

و منهم: باسط علوم، و واضح رسوم، ابومحمد، احمد بن الحسین الجریری، رضی الله عنه از صاحب سران جنید بود و صحبت سهل بن عبدالله دریافته بود. و از همه اصناف علوم خبر داشت. اندر فقه

امام وقت بود و اصول نیک دانست. و اندر طریقت تصوف به درجتی بود که جنید گفت: «میریدان مرا ادب آموز و ریاضت فرمای.» و از پس جنید ولی عهد وی بود.

از وی می‌آید که گفت: «دوامُ الايمانَ وَقِوَامُ الأديانِ و صلاحُ الأبدانِ في خلالِ ثلاث: الإكتفاء، و الاتقَاء و الاحتماء. فَمَنْ اَكْتَفَى بِاللَّهِ صَلَحَتْ سِريرَتُهُ، و مَنْ اتَّقَى مَا نَهَى اللهُ عَنْهُ اسْتَقَامَتْ سِريرَتُهُ، و مَنْ احْتَمَى مَا لَمْ يُؤَافِقْهُ ارْتَضَتْ طَبِيعَتُهُ. فَثَمَرَةُ الإِكْتِفَاءِ صَفْوُ المَعْرِفَةِ و عَاقِبَةُ الإِتْقَاءِ حُسْنُ الخَلِيفَةِ و غَايَةُ الإِحْتِمَاءِ اعْتِدَالُ الطَّبِيعَةِ.»

دوام ایمان و پای داشت دین و صلاح تن اندر سه چیز بسته است: یکی بسنده کردن و دیگر پرهیز کردن و سدیگر غذا نگاه داشتن. هرکه به خدای تعالی بسنده کند سرش بصلاح شود، و هرکه از مناهی وی پرهیزد سیرتش نیکو گردد و هرکه غذای خود نگاه دارد نفسش ریاضت یابد. پس پاداش اکتفا صفو معرفت باشد و عاقبت تقوی حسن خلیقت و غایت احتما اعتدال طبیعت؛ یعنی هرکه به خداوند تعالی بسندکار باشد معرفتش مصفا شود و هرکه چنگ در معاملات تقوی زند خلُقش نیکو گردد اندر دنیا و آخرت؛ کما قالَ النَّبِيُّ، علیه السَّلَام: «مَنْ كَثَرَ صَلَواتَهُ بِاللَّيْلِ حَسَنَ وَجْهَهُ بِالنَّهَارِ. هرکه را نماز شب بسیار بود رویش اندر روز نیکو باشد.» و اندر خبر دیگر است که: در قیامت متقیان می‌آیند «وَجُوهُهُمْ نُورٌ عَلٰی مَنْابِرٍ مِنْ نُورٍ. با رویهای منور بر تختها از نور»، و هرکه طریق احتما بر دست گیرد تنش از علت و نفسش از شهوت محفوظ باشد. و این سخنان جامع است و نیکو. واللّٰه اعلم.

ابوالعباس احمد بن محمد بن سهل الأدمی، رضی الله عنه

و منهم: شیخ ظرفا، و قدوة اهل صفا، ابوالعباس احمد بن محمد بن سهل الأدمی، رضی الله عنه از بزرگان مشایخ بود و محتشمان ایشان. و پیوسته محترم بود در میان اقران خود. و عالم بود به علوم تفسیر و قرائت و زبانی داشت اندر فهم لطایف قرآن و بدان مخصوص بود و از کبار میریدان جنید بود و با ابراهیم مارستانی صحبت داشته بود. ابوسعید خراسانی را حرمتی تمام داشتی و جز وی کسی را به تصوف مسلم نکردی.

از وی می‌آید که گفت: «السُّكُونُ إِلَى مألوفاتِ الطَّبایِعِ يَقْطَعُ صَاحِبِهَا عَنْ بُلُوغِ درجاتِ الحَقائِقِ.»

آرام گرفتن با چیزی که طبایع را با آن الف بود مرد را از درجات حقایق بیفکند؛ یعنی هرکه با مألوفات طبع بیارامد از حقیقت بازماند؛ از آنچه طبایع ادوات و آلات نفس‌اند و نفس محل حجاب است و حقیقت محل کشف و هرگز مرید، محجوب و ساکن، مکاشف نباشد. پس ادراک حقایق اندر اعراض مألوفات طبایع بسته است، و الف طبع با دو چیز باشد: یکی با دنیا و دیگر با عقبی. با دنیا الف گیرد به حکم جنسیت و با عقبی به حکم پندار و ناشناخت. پس الفش با پنداشت عقبی است نه با عین آن؛ که اگر بحقیقت شناسدی از این سرای فانی بگسندی، و چون از این گسست ولایت طبع اسپری شد، آنگاه کشف حقایق بود؛ که آن سرای با طبع جز به فنای طبع خویشی ندارد؛ «لأنَّ فیها ما لا خَطرَ عَلٰی قلبِ بَشَرٍ.» خطر عقبی بدان است که راهش پرخطر است، و بس خطر ندارد آن چیز که اندر خواطر آید، و چون اندر معرفت حقیقت عقبی، و هم عاجز بود، طبع را با عین آن چگونه الف باشد؟ درست شد که الفت طبع با پنداشت عقبی است. واللّٰه اعلم.

ابوالمغیث الحسین بن منصور الحلاج، رضی الله عنه

و منهم، مستغرق معنی و مستهلک دعوی ابوالمغیث الحسین بن منصور الحلاج، رضی الله عنه از مستان و مشتاقان این طریقت بود و حالی قوی و همتی عالی داشت.

و مشایخ این قصه اندر شأن وی مختلف‌اند: به نزدیک گروهی مردود است، و به نزدیک گروهی مقبول؛ چون عمرو بن عثمان و ابویعقوب نهرجوری و ابویعقوب اقطع و علی بن سهل اصباهانی و جز ایشان گروهی رد کردندش؛ و باز ابن عطا و محمد بن خفیف و ابوالقاسم نصر آبادی و جمله متأخران قبول کردندش؛ و باز گروهی اندر امر وی توقف کرده‌اند، چون جنید و شبلی و جریری و حصری و جز ایشان، و گروهی دیگر به سحر و اسباب آن وی را منسوب کردند.

اما اندر ایام ما شیخ ابوسعید و شیخ ابوالقاسم کُرکان و شیخ ابوالعباس شقانی رضی الله عنهم اندر وی سری داشته‌اند و به نزدیک ایشان بزرگ بود. اما استاد ابوالقاسم قشیری رضی الله عنه گوید که: «اگر وی یکی از ارباب معانی و حقیقت بود به هجران ایشان مهجور نگردد و اگر مردود حق و مقبول خلق بود به قبول خلق مقبول نگردد؛ به حکم تسلیم وی را بدو بازگذاریم و بر قدر نشانی که در وی یافتیم از حق، وی را بزرگ داریم.»

اما از این جمله مشایخ رضی عنهم بجز اندکی منکر نمی‌اند مرکمال فضل و صفای حال و کثرت اجتهاد و ریاضت وی را.

و اثبات ناکردن ذکر وی بی امانتی بودی اندر این کتاب، که بعضی از مردمان ظاهر ورا تکفیرکنند و بدو منکر باشند و احوال ورا به غدر و حیل و سحر منسوب گردانند و پندارند که حسین منصور حلاج، حسن بن منصور حلاج است؛ آن ملحد بغدادی که استاد محمد زکریا بوده است و رفیق ابوسعید قرمطی. این حسین که ما را در امر وی خلاف است فارسی بوده است از بیضا، و رد و هجر مشایخ وی را، نه به معنی طعن اندر دین و مذهب است که اندر حال و روزگار است.

و وی ابتدا مرید سهل بن عبدالله بود و بی دستوری برفت از نزدیک وی، و به عمرو بن عثمان پیوست و از نزد وی بی دستوری برفت و تعلق به جنید کرد. وی را قبول نکرد، بدین سبب جمله مهجور کردند وی را. پس مهجور معاملت بود نه مهجور اصل. ندیدی که شبلی گفت: «أنا و الحلاج شیء واحد، فخلصتني جُنُونِي و أَهْلَكَةُ عَقْلُهُ.» و اگر وی به دین مطعون بودی شبلی نگفتی: «من و حلاج یک چیزیم»، و محمد بن خفیف گفت: «هو عالم ربانی. او عالم ربانی است»، و مانند این. پس ناخشنودی و عقوبت پیران طریقت و مشایخ رضی عنهم هجران و وحشت بار آورد.

و وی را تصانیف ازهر است و رموز و کلام مَهْدَب اندر اصول و فروع.

و من که علی بن عثمان الجلابی ام، پنجاه پاره تصنیف وی بدیدم اندر بغداد و نواحی آن و بعضی به خوزستان و فارس و خراسان. جمله را سخنانی یافتیم چنانکه ابتدای نموده‌ای مریدان باشد، از آن بعضی قوی‌تر و بعضی ضعیف‌تر، بعضی سهل‌تر و بعضی شنیع‌تر. و چون کسی را از حق نمودی باشد به قوت حال عبارت دست دهد و فضل یاری کند. سخن مُنْغَلَق شود، خاصه که معبر اندر عبارت خود تعجب نماید. آنگاه اوهام را از شنیدن آن نفرت افزاید، و عقول از ادراک بازماند. آنگاه گویند که: «این سخن عالی است.» گروهی منکر شوند از جهل و گروهی مفر آیند به جهل. انکار ایشان چون اقرار باشد. اما چون محققان اهل بصر ببینند، در عبارت نیاویزند و به تعجب آن مشغول نگرددند از ذم و مدح فارغ شوند و از انکار و اقرار برآسایند.

و باز آنان که حال آن جوانمرد را به سحر منسوب کردند، محال است؛ از آنچه سحر اندر اصول سنت و جماعت حق است، چنانکه کرامت و اظهار سحر اندر حال کمال، کفر باشد و از آن کرامت اندر حال کمال، معرفت؛ از آنچه یکی نتیجهٔ سخط خداوند است جل جلاله و یکی قرینهٔ رضای وی. و این سخن در باب اثبات کرامات مشرّح بیاریم، ان شاء الله. و به اتفاق اهل بصیرت، از اهل سنت و جماعت مسلمان ساحر نباشد و کافر مکرم نه؛

که اضعاف مجتمع نشوند و حسین رضی الله عنه تا بود اندر لباس صلاح بود از نمازهای نیکو ذکر و مناجاتهای بسیار و روزه‌های پیوسته و تحمیدهای مهذب و اندر توحید نکته‌های لطیف. اگر افعال وی سحر بودی این جمله از وی محال بودی. پس درست شد که کرامات بود و کرامات جزولی محقق را نباشد.

و بعضی از اهل اصول وی را رد کرده‌اند و بر وی اعتراض آرند اندر کلمات وی به معنی امتزاج و اتحاد و آن تشنیع اندر عبارت است نه اندر معنی؛ که مغلوب را امکان عبارت نبود تا اندر غلبه حال عبارتش صحیح آید و نیز روا بود که معنی عبارت مشکل بود که اندر نیابند مقصود معبر را، وَهْم ایشان مر ایشان را از آن صورتی کند، ایشان مر آن را انکارکنند. آن انکار ایشان بدیشان بازگردد نه بدان معنی.

اما من گروهی دیدم از ملاحده بغداد و نواحی آن حَدَلْهُمْ اللهُ که دعوی تولا بدو داشتند و کلام وی را حجت زندقه خود ساخته بودند و اسم حلاجی بر خود نهاده و اندر امر وی غلو می‌کردند؛ چون روافضه اندر تولای علی، رضی الله عنه. اندر رد کلمات ایشان بابتی بیارم اندر فرق فرقی، ان شاء الله عز و جل.

و در جمله بدان که کلام وی اقتدا را نشاید؛ از آنچه مغلوب بوده است اندر حال خود نه متمکن، و کلام متمکنی باید تا بدان اقتدا توان کرد. پس عزیز است وی بر دل من بحمدالله اما بر هیچ اصل طریقتش مستقیم نیست و بر هیچ محل حالش مقرر نه، و اندر احوالش فتنه بسیار است. و مرا اندر ابتدای نمودهای خود از وی قوتها بوده است، به معنی براهین، و پیش از این در شرح کلام وی کتابی ساخته‌ام به دلایل و حجج علوکلام و صحت حالش ثابت کرده و اندر کتابی که کرده‌ام بجز آن کتاب منهاج نام ابتدا و انتهای یاد کرده‌ام، اینجا این مقدار نیز بیاوردم. پس طریقی را که به چندین احتراز اصل آن را ثابت باید کرد، چرا بدان تعلق و اقتدا کنند؟ اما هوی را هرگز با راستی موافقت نباشد، پیوسته چیزی می‌جوید از طریق اعوجاج تا اندر آن آویزد.

از وی می‌آید که گفت، رضی الله عنه: «الْأَلْسِنَةُ مُسْتَنْطِقَاتٌ تَحْتَ نُطْقِهَا مُسْتَهْلِكَاتٌ.» یعنی زبانهای گویا هلاک دل‌های خاموش است. این عبارات جمله آفت است و اندر حقیقت معنی هذر باشد. چون معنی حاصل بود به عبارت مفقود نگردد. چون معنی مفقود بود به عبارت موجود نگردد، سوای آن که اندر آن پنداشتی پدیدار آید و طالب را هلاک کند تا وی عبارت را پندارد که معنی است. والله اعلم.

ابواسحاق ابراهیم بن احمد الخواص، رضی الله عنه

و منهم: سرهنگ متوکلان، و سالار مستسلمان، ابواسحاق ابراهیم بن احمد الخواص، رضی الله عنه اندر توکل شأنی عظیم داشت و منزلتی رفیع و مشایخ بسیار را یافته بود. و وی را آیات و کرامات بسیار است، و تصانیف نیکو اندر معاملات این طریقت.

از وی می‌آید که گفت: «الْعِلْمُ كُلُّهُ فِي كَلِمَتَيْنِ: لَا تَتَكَلَّفُ مَا كَفَيْتَ وَلَا تُصَيِّعُ مَا اسْتَكْفَيْتَ.» علم بجمله اندر دو کلمه مجتمع است: یکی آن که خدای تعالی اندیشه آن از تو برداشته است، اندر آن تکلف نکنی و دیگر آن که ترا می‌باید کرد و بر تو فریضه است، ضایع نکنی تا در دنیا و آخرت موفق باشی. مراد از این، آن است که اندر قسمت تکلف نکنی؛ که قسمت ازلی به تکلف تو متغیر نشود و اندر امر تقصیر مکن که ترک فرمان ترا عقوبت بار آرد.

از وی پرسیدند که: «از عجایب چه دیدی؟» گفت: «عجایب بسیار دیدم، اما هیچ از آن عجب‌تر نبود که خضر پیغمبر علیه السلام از من اندر خواست تا با من صحبت کند، من اجابت نکردم.» گفتند: «چرا؟» گفت: «نه از آن که رفیق، می‌بهرت از وی طلب کردم و لیکن ترسیدم که بدون حق بر وی اعتماد کنم و صحبت وی توکل مرا زیان دارد و به نافله از فریضه بازمانم.»

و این از درجات کمال باشد. و الله اعلم.

ابوحمزة البغدادی البزاز، رضی الله عنه

و منهم: سرای پرده اسرار و تمکین، و اساس اهل یقین ابوحمزة البغدادی البزاز، رضی الله عنه از کبرای متکلمان مشایخ بود و مرید حارث محاسبی بود و با سری صحبت داشته بود و از اقران نوری و خیر النَّسَّاج بود، و با محتشمان مشایخ صحبت کرده بود. اندر مسجد رُصافه بغداد عِظت کردی. عالم بود به تفسیر و قرائت. روایاتش عالی بود اندر احادیث پیغمبر، علیه السَّلام و وی آن بود که اندر وقعت نوری و بلای وی با وی بوده بود، که خداوند تعالی جمله را خلاص داد. حکایت آن در شرح مذهب نوری بیارم، ان شاء الله عزَّ و جلَّ. از وی می‌آید که گفت: «إِذَا سَلِمْتَ مِنْكَ نَفْسُكَ فَقَدْ أَذَيْتَ حَقَّهَا، وَإِذَا سَلِمَ مِنْكَ الْخَلْقُ فَصَيْتَ حُقُوقَهُمْ.» چون تن تو از تو سلامت یافت حق وی بگزاردی، و چون خلق از تو سلامت یافتند حقهای ایشان بگزاردی؛ یعنی حقوق دو است: یکی حق نفس تو بر تو، و یکی حق خلق بر تو. چون نفس را از معصیت منع کردی و طریقت سلامت آن جهانی وی طلب کردی، حق وی گزارده باشی، و چون خلق را از بد خود ایمن گردانیدی و بد ایشان نخواهی حق ایشان گزارده باشی. بکوش تا ترا و خلق را از تو بد نیفتد، آنگاه به حق گزاردن حق مشغول شو. و الله اعلم.

ابوبکر محمد بن موسی الواسطی، رضی الله عنه

و منهم: اندر فن خود امام، و عالی حال و لطیف کلام، ابوبکر محمد بن موسی الواسطی، رضی الله عنه از محققان مشایخ بود و اندر حقایق شأنی عظیم داشت و درجتی بلند و به نزدیک جمله مشایخ ستوده و از قدمای اصحاب جنید بود. عبارتی غامض داشت، ظاهریان را چشم اندر آن نیفتادی. و اندر هیچ شهر آرام نیافت. چون به مرو آمد اهل مرو به حکم لطافت طبع و نیکو سیرتی خود وی را قبول کردند و سخن وی بشنیدند، و عمر آنجا بگذاشت.

از وی می‌آید که گفت: «الذَّاكِرُونَ فِي ذِكْرِهِ أَكْثَرُ غَفْلَةً مِنَ النَّاسِ لِدِكْرِهِ.»

یادکننده را اندر یادکرد وی، غفلت زیادت بود از فراموش کننده ذکر وی؛ از آن که چون وی را یاد دارد، اگر ذکر را فراموش کند زیان ندارد. زیان آن دارد که ذکرش را یادکنند و وی را فراموش؛ که ذکر غیر مذکور باشد. پس اعراض از مذکور با پنداشت ذکر، به غفلت نزدیک تر بود از اعراض بی پنداشت؛ و ناسی را اندر نسیان و غیبت، پنداشت حضور نباشد و ذاکر را اندر ذکر و غیبت از مذکور، پنداشت حضور باشد. پس پنداشت حضور بی حضور، به غفلت نزدیک تر از غیبت بی پنداشت؛ از آن که هلاک طلاب حق اندر پنداشت ایشان است. آنجا که پنداشت بیشتر، معنی کمتر و آنجا که معنی کمتر، پنداشت بیشتر، و حقیقت پنداشت ایشان از تهمت عقل باشد و عقل را از تهمت نهمت حاصل آید و همت را نهمت و تهمت هیچ مقارنت نباشد و اصل ذکر یا در غیبت بود یا در حضور؛ چون ذاکر را از خود غیبت بود و به حق تعالی حضور، آن نه ذاکر بود که مُشَاهِد بود و چون از حق تعالی غایب بود به خود حاضر بود، آن نه ذکر بود که غیبت بود و غیبت از غفلت بود. و هو اعلم.

ابوبکر دُلف بن جَحدَر الشَّبلی، رضی الله عنه

و منهم: سکینه احوال، و سفینه مقال، ابوبکر دُلف بن جَحدَر الشَّبلی، رضی الله عنه از بزرگان و مذکوران مشایخ بود. روزگاری مذهب و وقتی مطیب داشت با حق تعالی. و وی را اشارات لطیف

است و ستوده؛ كما قالَ واحدٌ مِنَ المشايخِ المتأخّرين: «ثَلَاثَةٌ مِنَ عَجَائِبِ الدُّنْيَا: إِشَارَاتُ الشَّبَلِي، وَ نُكْتُ المرتعش، وَ حكاياتُ جَعْفَر.»

وی از کبار قوم و سادات اهل طریقت بود. ابتدا پسر حاجب الحجاب خلیفه بود. اندر مجلس خیر النساج رحمه الله توبه کرد؛ و تعلق ارادت به جنید کرد و بسیاری از مشایخ را دیده بود.

از وی می آید که گفت در معنی قول خدای، عزّ وجل، قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ (النور/۳۰): «ای ابصار الرؤوس عَنِ الْمَحَارِمِ وَ أَبْصَارِ الْقُلُوبِ عَمَّا سِوَى اللَّهِ.»

بگو مر مؤمنان را تا چشم سر نگاه دارند از نظر به شهوت، و چشم دل نگاه دارند از انواع فکرت بجز اندیشه رؤیت. پس متابعت شهوت و ملاحظه محارم از غفلت است و مصیبت مهین مر اهل غفلت را آن است که از عیوب خود جاهل باشند. و آن که اینجا جاهل بود آنجا جاهل بود؛ لقلوله، تعالی: «مَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى (الاسراء/۷۲).» و بحقیقت تا حق تعالی ارادت شهوت از دل کسی پاک نکند، چشم سر از غوامض آن محفوظ نگردد و تا ارادت خود اندر دل کسی اثبات نکند، چشم سر از نظر به غیر محفوظ نگردد.

از وی همی آید که: روزی به بازار اندر آمد. قومی گفتند: «هَذَا مَجْنُونٌ.» وی گفت، رضی الله عنه: «أَنَا عِنْدَكُمْ مَجْنُونٌ وَ أَنْتُمْ عِنْدِي أَصِحَّاءُ، فزَادَ اللَّهُ فِي جُنُونِي وَ زَادَ فِي صِحَّتِكُمْ.»

من به نزدیک شما دیوانه‌ام و شما به نزدیک من هشیار. جنون من از شدت محبت است و صحت شما از غایت غفلت. پس خداوند اندر دیوانگی من زیادت کناد تا قریب در قرب زیادت شود و در هشیاری شما زیادت کناد تا بُعدتان بر بُعد زیادت گردد.

و این قول از غیرت بود؛ که تا خود چرا کسی اندر آن درجه باشد که دوستی را از دیوانگی فرق نکند. والله اعلم.

ابو محمد جعفر بن نصیر الخلدی، رضی الله عنه

و منهم: حاکی احوال اولیا، به أَلطَفِ اقوال و ادا، ابو محمد جعفر بن نصیر الخلدی، رضی الله عنه از کبار اصحاب جنید بود و قدمای ایشان. اندر فنون علم متبحر بود و حافظ انفس مشایخ، و راعی حقوق ایشان بود. وی را کلام عالی است اندر هر فن، و مر ترک رعونت را هر مسأله‌ای اندر حکایتی باز بسته است و حواله آن به کسی دیگر کرده.

از وی می آید که گفت: «التَّوَكُّلُ إِسْتِوَاءُ الْقَلْبِ عِنْدَ الْوُجُودِ وَالْعَدَمِ.»
توکل آن بود که وجود و عدم رزق به نزدیک دلت یکسان شود به وجود رزق خرم نشوی و به عدم آن اندوهگین نگردی؛ از آنچه تن ملک مالک است و به پرورش و هلاک وی حق تعالی اولی تر، چنانکه خواهد می دارد. تو اندر میانه دخل مکن، و ملک به مالک سپار و تصرف خود منقطع گردان.

وی روایت کند که: به نزدیک جنید اندر آمدم. وی را یافتم اندر تب. گفتم: «ای استاد، بگوی تا حق تعالی ترا شفا فرستد.» گفت: «دوش می گفتم، به سرم ندا کردند که: تن ملک ماست، خواهیم درست داریم خواهیم بیمار. تو کیستی که میان ما و ملک ما دخل کنی؟ تصرف خود منقطع گردان تا بنده باشی.» والله اعلم بالصواب.

ابوعلی احمد بن محمد بن القاسم الرّودباری، رضی الله عنه

و منهم: شیخ محمود، و معدن جود، ابوعلی احمد بن محمد بن القاسم الرّودباری، رضی الله عنه از جوانمردان متصوّفه بود و سرهنگان ایشان و از ابنای ملوک بود. اندر فنون معاملات شأنی عظیم داشت. و وی را آیات و مناقب بسیار است و کلام لطیف اندر دقایق این طریقت.

از وی می‌آید که گفت: «المُرِيدُ لَا يُرِيدُ لِنَفْسِهِ إِلَّا مَا أَرَادَ اللَّهُ لَهُ وَ الْمَرَادُ لَا يَرِيدُ مِنَ الْكَوْنَيْنِ شَيْئاً غَيْرَهُ.»
 مرید آن بود که هیچ چیز نخواهد مر خود را الا آن که حق تعالی وی را خواسته باشد و مراد آن که هیچ چیز نخواهد از کونین بجز حق، تعالی. پس راضی به ارادت حق، تارک ارادت باید تا وی مرید باشد و محب را خود ارادت نباید تا مراد باشد. آن که حق را خواهد جز آن نخواهد که او خواهد و آن که حق و را خواهد وی جز حق را نخواهد. پس رضا از مقامات ابتدا بود و محبت از احوال انتها. و نسبت مقامات به تحقیق عبودیت است و مشرب درجات به تأیید ربوبیت. و چون چنین باشد مرید به خود قایم بود و مراد به حق قایم بود. واللّٰه اعلم.

ابوالعبّاس القاسم بن مهدی السّیاری، رضی الله عنه

و منهم: خزینه توحید و سمسار تفرید، ابوالعباس القاسم بن مهدی السّیاری، رضی الله عنه
 از ائمه وقت بود و عالم به علوم ظاهر و حقایق. صحبت ابوبکر واسطی کرده بود و از مشایخ بسیار ادب گرفته
 اطرف قوم بود اندر صحبت و ازهد ایشان اندر آفت. وی را کلام عالی است و تصانیف ستوده.
 از وی می‌آید که گفت: «التَّوْحِيدُ أَنْ لَا يَخْطُرُ بِقَلْبِكَ مَا دُونَهُ.»
 توحید آن بود که دون حق را بر دلت خطر نبود، و خاطر مخلوقات را بر سرت گذر نباشد و مر صفو معاملات را
 کدر نباشد؛ از آنچه اندیشه غیر از اثبات ایشان باشد و چون غیر ثابت شد حکم توحید ساقط گشت.
 و اندر ابتدا وی از خاندان علم و ریاست بود، و از اهل مرو اندر جاه، کس را بر اهل بیت وی تقدم نبود. از پدر
 میراث بسیار یافت. جمله بداد و دو تاره موی پیغمبر صلی الله علیه بستد. خداوند تعالی به برکت آن وی را توبه
 داد و به صحبت ابوبکر واسطی رحمة الله علیه افتاد، و به درجتی رسید که امام صنفی از متصوّفه شد و چون از
 دنیا برون خواست شد، وصیت کرد تا آن مویها اندر دهان وی نهادند و امروزگور او به مرو ظاهر است و مردمان
 به حاجت خواستن آنجا روند و مهمات از آنجا طلبند و مجرب است. واللّٰه اعلم.

ابوعبدالله محمد بن خفیف، رضی الله عنه

و منهم: ملک وقت خود اندر تصوّف و طبعش خالی از تکلف و تصرف ابوعبدالله محمد بن خفیف، رضی الله عنه
 امام زمانه خود بود اندر انواع علوم و وی را اندر مجاهدات شأنی عظیم است و اندر حقایق بیانی شافی.
 روزگارش مهیا و هویداست اندر تصانیف و ابن عطا را و شبلی و حسین منصور و جرّیری را یافته بود و به مکه با
 ابویعقوب نهرجوری صحبت کرده. و اسفار نیکو کرده بود به تجرید. و از ابنای ملوک بود، خداوند تعالی وی را
 توبه داد و از دنیا اعراض کرد و خطر وی بر خاطر اهل معانی بزرگ است.
 از وی می‌آید که گفت: «التَّوْحِيدُ الْإِعْرَاضُ عَنِ الطَّبِيعَةِ.»
 توحید اعراض است از طبیعت؛ از آنچه طبایع جمله ناینانند از نعمة و محجوب‌اند از آلائی او. پس تا از طبع
 اعراض حاصل نیاید، به حق اقبال موجود نگردد و صاحب طبع محجوب باشد از حقیقت توحید و چون آفت
 طبع دیدی به حقیقت توحید رسیدی.
 و وی را آیات و براهین بسیار است. واللّٰه اعلم.

ابوعثمان سعید بن سلام المغربي، رضی الله عنه

و منهم: سیف سیاست، و آفتاب سعادت، ابوعثمان سعید بن سلام المغربي، رضی الله عنه

از بزرگان اهل تمکین بود و اندر فنون علم حظی وافر داشت و صاحب ریاضات و سیاسات بود اندر رؤیت آفات. و وی را آیات بسیار است و برهان نیکو.

از وی می‌آید که گفت، رضی الله عنه: «مَنْ أَثَرُ صُحْبَةِ الْأَغْنِيَاءِ عَلَى مُجَالَسَةِ الْفُقَرَاءِ إِبْتِلَاءُ اللَّهِ بِمَوْتِ الْقَلْبِ.» هرکه صحبت توانگران برگزیند بر مجالست درویشان، خدای تعالی وی را به مرگ دل مبتلا گرداند. با توانگران صحبت گفت و با درویشان مجالست؛ از آن که از فقرا کسی اعراض کند که با ایشان مجالست کرده باشد نه کسی که صحبت کرده باشد؛ از آنچه اندر صحبت اعراض نباشد و چون از مجالست ایشان به صحبت اغنیا شود دلش به مرگ نیاز بمیرد و تنش به بند آزرگفتار گردد. چون اعراض از مجالست را ثمرت، مرگ دل بود، اعراض از صحبت چگونه باشد؟ و اندر این کلمات فرق ظاهر شد میان صحبت و مجالست. والله اعلم.

ابوالقاسم ابراهیم بن محمد بن محمودیه النصرآبادی، رضی الله عنه

و منهم: مبارز صف صوفیان، و معبر احوال عارفان، ابوالقاسم ابراهیم ابن محمد بن محمودیه النصرآبادی، رضی الله عنه

وی اندر نشابور چون شابور اندر نشابور بود به علو حال و مرتبه رجال، بجز آن که عز ایشان اندر دنیا بود و از آن وی اندر آخرت. و وی را کلام بدیع و آیات رفیع است. مرید شبلی بود و استاد متأخران اهل خراسان بود. اندر عصر وی چون وی نبود اعلم و اورع اهل زمانه بود اندر فنون علوم.

از وی می‌آید که گفت: «أُنْتُ بَيْنَ نِسْبَتَيْنِ: نِسْبَةٍ إِلَى آدَمَ، وَ نِسْبَةٍ إِلَى الْحَقِّ. فَأَذَا أَنْتَسَبْتَ إِلَى آدَمَ دَخَلْتَ فِي مَيَادِينِ الشَّهَوَاتِ وَمَوَاضِعِ الْآفَاتِ وَالزَّلَّاتِ وَهِيَ نِسْبَةُ تَحَقُّقِ الْبَشَرِيَّةِ؛ لِقَوْلِهِ، تَعَالَى: إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا (۷۲/الاحزاب). وَإِذَا أَنْتَسَبْتَ إِلَى الْحَقِّ دَخَلْتَ فِي مَقَامَاتِ الْكَشْفِ وَ الْبِرَاهِينِ وَالْعِصْمَةِ، وَ هِيَ نِسْبَةُ تَحَقُّقِ الْعُبُودِيَّةِ؛ لِقَوْلِهِ، تَعَالَى: وَ عِبَادَ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا (۶۳/الفرقان).»

تو اندر میان دو نسبتی: نسبتی با آدم، و نسبتی با حق، تعالی. چون با آدم نسبت کردی، اندر میادین شهوتها و مواضع آفتها و زلتها افتادی که نسبت طبیعت بی قیمت بود و چون به حق نسبت کردی، اندر مقامات کشف و برهان و عصمت و ولایت افتادی. آن نسبت به آفت بشریت بود و این نسبت تحقیق عبودیت. نسبت آدم اندر قیامت منقطع شود و نسبت عبودیت همیشه قایم بود، تغیر بدان راه نیابد. چون بنده خود را به خود یا به آدم نسبت کند، کمال این، آن بود که گوید: «إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي (۱۶/القصص)»، و چون به حق نسبت کند آدمی محل آن بود که حق تعالی گوید: «يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ (۶۸/الزخرف)». والله اعلم.

ابوالحسن علی بن ابراهیم الحصری، رحمة الله عليه

و منهم: سرور سر سالکان طریق، و جمال جانهای اهل تحقیق، ابوالحسن علی بن ابراهیم الحصری، رحمة الله عليه

از محتشمان احرار درگاه حق تعالی بود و از کبرای ائمه متصوفه. اندر زمانه خود بی نظیر بود. وی را کلام عالی است و عباراتی خوش اندر کل معانی.

از وی می‌آید که گفت: «دَعُونِي فِي بِلَاثِي، هَاتُوا مَالَكُمْ. أَلَسْتُمْ مِنْ أَوْلَادِ آدَمَ الَّذِي خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ وَ نَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتُهُ، ثُمَّ أَمَرَهُ بِأَمْرٍ، فَخَالَفَ؟ إِذَا كَانَ أَوَّلَ الدَّيْنِ دُرْدِيًّا، كَيْفَ يَكُونُ آخِرُهُ؟»

بگذارید مرا به بلای من، نه شما از فرزندان آدمید، آن که حق تعالی او را به ید قدرت خود بیافرید به تخصیص خلقت، و به جان بی واسطه غیر ورا زنده کرد و ملائکه را فرمود تا وی را سجده کنند، پس وی را فرمانی فرمود،

در آن فرمان مخالف شد؟ چون اول خُنب دُرْدی بود آخرش چگونه باشد؟ یعنی چون آدمی را بدو بازگذارند همه مخالفت باشد؛ اما چون عنایت خود به وی فرستد همه محبت باشد. پس حسن عنایت حق برشمر، و قبح معاملت خود با آن مقابله کن، و پیوسته عمر اندر این گذار. و بالله العون و العصمة.

این است نشان بعضی از ذکر مقدمان متصوّفه و قدوة ایشان، رضی الله عنهم اجمعین و اگر جمله را در این کتاب یادکردمی، و یا روزگار عزیز جمله را شرح دادمی و حکایات ایشان بیاوردمی، از مقصود بازماندمی و کتاب مطوّل شدی. کنون گروهی را از متأخران بدیشان پیوندم تا فواید و مواید بیشتر باشد. و بالله العون و التوفیق.

بابُ فِي ذِكْرِ أُمَّتِهِمْ مِنَ الْمَتَأَخِّرِينَ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ

بدان جَبْرَكُ اللَّهُ که اندر زمانه ما گروهی اند که طاقت حمل ریاضت ندارند و بی ریاضت ریاست طلب کنند و همه اهل این قصه را چون خود پندارند، و چون سخن گذشتگان بشنوند و شرف ایشان ببینند و معاملات ایشان برخوانند، اندر خود نگاه کنند، خود را از آن دور یابند، برگشان نباشد که گویند: «مانه آنیم»؛ فاما گویند: «اندر زمانه ما این چنین کسان نمانده اند.» این قول از ایشان محال باشد؛ از آنچه خداوند تعالی هرگز زمین را بی حجت ندارد و هرگز این امت را بی ولی؛ کما قال النبی، علیه السلام: «لَا يَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الْخَيْرِ وَالْحَقِّ حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ»؛ و لقلوله، علیه السلام: «لَا يَزَالُ مِنْ أُمَّتِي أَرْبَعُونَ عَلَى خُلُقِ إِبْرَاهِيمَ.» هرگز امت من خالی نباشند از طایفه‌ای که ایشان بر خیر و حق باشند تا قیامت و همیشه در امت من چهل تن بر خوی ابراهیم پیغمبر علیه السلام باشند.

و گروهی از این که ذکر ایشان اندر این باب بیاریم گذشته‌اند و روح به راحت و رُوح سپرده، و گروهی زنده‌اند. رضی الله عنهم و عَنَّا وَعَنْ جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ، بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

ابوالعباس احمد بن محمد القصاب، رضی الله عنه

منهم: طراز طریق ولایت و جمال جمع اهل هدایت، ابوالعباس احمد بن محمد القصاب، رضی الله عنه مقدمان ماورا یافته بوده‌اند و با وی صحبت کرده. وی معروف و مشهور است به علو حال و صدق فراست و کثرت برهان و کرامت.

و ابوعبدالله حناطی که امام طبرستان بود، گوید که: «از افضال خدای عزّ وجل یکی آن است که کسی را بی تعلم چنان گرداند که چون ما را در علوم دین و اصول آن و دقائق توحید، چیزی مشکل شود از وی پرسیم و آن ابوالعباس قصاب است، رضی الله عنه.»

امی بود، اما کلام و نکتش سخت عالی بود، اندر علم تصوّف و اصول. اندر ابتدا و انتها عالی حال و نیکو سیرت بود. و مرا از وی حکایات بسیار سماع است، اما مذهب من اندر این کتاب اختصار است.

گویند کودکی اشتری را زمام گرفته بود با باری گران و اندر بازار آمل می کشید و پیوسته آنجا و حلّ باشد. پای اشتر از جای بشد و بیفتاد و خرد بشکست. مردمان قصد آن کردند که بار از پشت اشتر فروگیرند و کودک دست به مستغاث برآورد. وی بدان برگذشت. گفتا: «چه بوده است؟» حال بازگفتند. وی رضی الله عنه زمام اشتر بگرفت و روی به آسمان که قبله دعاست کرد و گفت: «این اشتر را درست کن و اگر درست نخواستی کرد چرا دل قصاب به گریستن این کودک بسوختی؟»

اندر حال اشتر برخاست و راست و درست برفت. از وی می‌آید که گفت: همه عالم را، اگر خواهند و اگر نه با خداوند تعالی خو می‌باید کرد والا رنجه دل گردند از آن که چون خو با وی کنی اندر بلا مَبْلَى را بینی، بلا بلا نیاید، و اگر خو نکنی چون بلایی بیاید رنجه دل گردی؛ که خداوند تعالی به رضا و سَخَط کس تقدیر خود متغیر نگرداند. پس رضای ما به حکم نصیب، راحت ماست. هرکه با وی خو کند دلش براحث شود و هرکه از وی اعراض کند به ورود قضا رنجه گردد. و هو اعلم.

ابوعلی الحسن بن علی بن محمد الدقاق، رضی الله عنه

ومنه: بیان مریدان و برهان محققان ابوعلی الحسن بن علی بن محمد الدقاق، رضی الله عنه امام فن خود بود و اندر زمانه بی نظیر. بیانی صریح و زبانی فصیح داشت اندر کشف راه خداوند، تعالی. و مشایخ بسیار را دیده بود و با ایشان صحبت داشته. مرید نصر آبادی بود. تذکیرگفتی. از وی می‌آید که گفت: «مَنْ أُنْسَ بغيره ضَعْفَ فِي حَالِهِ، وَ مَنْ نَطَقَ مِنْ غَيْرِهِ كَذَبَ فِي مَقَالِهِ.» هرکه را بدون حق اُنس بود اندر حال خود ضعیف باشد و آن که جز از وی گوید اندر مقالات خود کاذب باشد؛ از آنچه اُنس با غیر از غایت قلت معرفت باشد و انس با وی از غیر وحشت بود و مستوحش از غیر، ناطق نبود از غیر.

و از پیری شنیدم که: روزی به مجلس وی اندر آمدم به نیت آن که پرسم از حال متوکلان. وی دستاری نیکوی طبری در سر داشت. دلم بدان میل کرد. گفتم: «ایها الشیخ، توکل چه باشد؟» گفت: «آن که طمع از دستار مردمان کوتاه کنی.» این بگفت و دستار در من انداخت. رضی الله عنه.

ابوالحسن علی بن احمد الخرقانی، رضی الله عنه

و منه: امام یگانه، و شرف اهل زمانه، ابوالحسن علی بن احمد الخرقانی، رضی الله عنه از اجله مشایخ بود و قدمای ایشان و اندر وقت خود ممدوح همه اولیای خدای. شیخ ابوسعید قصد زیارت وی کرد، و با وی، وی را محاورات لطیف بود از هر فن. و چون می‌بازگشت، گفت: «من ترا به ولایت عهد خود برگزیدم.»

و از حسن مؤدب شنیدم که خادم شیخ ابوسعید بود که: چون شیخ به حضرت وی رسید نیز هیچ سخن نگفت، مستمع بود و بجز جواب سخن وی باز نداد. من ورا گفتم: «ایها الشیخ، چرا چنین خاموش گشتی؟» گفت: «از یک بحر یک عبارت کننده بس.»

و از استاد ابوالقاسم قشیری رضی الله عنه شنیدم که: چون من به ولایت خرقان آمدم، فصاحتم برسید و عبارتم نماند از حشمت آن پیر؛ تا پنداشتم که از ولایت خود معزول شدم.

از وی می‌آید که گفت: راه دو است: یکی راه ضلالت و یکی راه هدایت. یکی راه بنده است به خداوند تعالی و یکی راه خداوند است به بنده. آنچه راه ضلالت است آن راه بنده است به خداوند، و آنچه راه هداست است راه خداوند است به بنده.

پس هرکه گوید: «بدو رسیدم» نرسید و هرکه گوید: «رسانیدند» رسید؛ از آن که رسانیدن اندر نارسیدن بسته است و نارسیدن اندر رسیدن. و الله اعلم.

ابوعبدالله محمد بن علی، المعروف بالداستانی، رضی الله عنه

و منهم: پادشاه وقت و زمان خود و مفرد اندر بیان و عیان خود، ابوعبدالله محمد بن علی، المعروف بالداستانی، رضی الله عنه

عالم بود به انواع علوم، و ساینس و مذهب و از محتشمان درگاه حق بود و وی را کلام مذهب و اشارات لطیف است. و شیخ سهلکی که امام آن دیار بود وی را خلفی نیکو بود. و من جزوی از انفاس وی از سهلکی شنیدم و آن سخت عالی و خوش است؛ چنانکه گوید: «التَّوْحِيدُ عِنكَ موجودٌ و أَنْتَ فِي التَّوْحِيدِ مَفْقُودٌ». یعنی توحید از تو درست است، اما تو اندر توحید نادرستی؛ که بر مقتضای حق وی قیام نکنی و کمترین درجه اندر توحید نفی تصرف باشد از تو اندر ملک و اثبات تسلیم تو اندر امور خود مر حق را، عزّ وجلّ.

شیخ سهلکی گفت: وقتی اندر بسطام ملخ آمد و همه درختان و کشتهها از کثرت آن سیاه گشت. مردمان دست به خروش بردند. شیخ مرا گفت: «این چه مشغله است؟» گفتم: «ملخ آمده است و مردمان بدان رنجه دل می باشند.» شیخ برخاست و بر بام برآمد و روی به آسمان کرد. در حال همه برخاستند و نماز دیگری نمانده بود و کس را برگگی زیان نشد. والله اعلم.

ابوسعید فضل الله بن محمد المیهنی، رضی الله عنه

و منهم: شاهنشاه محبان، و ملک الملوک صوفیان، ابوسعید فضل الله بن محمد المیهنی، رضی الله عنه سلطان طریقت بود و جمله اهل زمانه ورا مسخر بودند، گروهی به دیدار و گروهی به اعتقاد و گروهی به قوت حال و او عالم بود به فنون علم. روزگاری عجیب داشت و شأنی عظیم اندر درجت اشراف بر اسرار و وی را بجز این آیات و براهین بسیار بود؛ چنانکه آثار وی ظاهر است امروز در عالم. اندر ابتدای حال، وی به طلب علم از میهنه به سرخس رفت و به ابوعلی زاهر رحمة الله علیه تعلق کرد. یک روز سَبَق سه روزه بگرفتی و آن سه روز اندر عبادت گذاشتی تا آن امام، آن رشد اندر وی بدید و تعظیم وی زیادت کرد.

و در آن وقت والی سرخس شیخ ابوالفضل حسن بود، رحمة الله علیه. روزی بر جویبار سرخس می رفت، ابوالفضل حسن وی را پیش آمد. گفت «یا با سعید، راه تو نه این است که می روی، راه خویش رو.» شیخ تعلق بدو کرد و از آنجا باز جای خود آمد و به ریاضت و مجاهدت مشغول شد تا حق تعالی در هدایت بر وی بگشاد و به درجه اعلی رسانید.

و از شیخ بومسلم فارسی شنیدم که: مرا با وی خصومتی می بود. وقتی قصد وی کردم، و مرقعهای داشتم از وَسَخ چون دوال گشته. چون به نزدیک وی اندر آمدم وی را یافتم بر سریر نشسته و دَقّی مصری پوشیده. با خود گفتم: «این مرد دعوی فقر کند با این همه علایق، و من دعوی فقر کنم با این همه تجرید! مرا چگونه موافقت باشد با این مرد؟!» وی بر آن اندیشه من مشرف شد، سر برآورد و گفت: «یا با مسلم، فی أی دیوانٍ وَجَدْتَ مَنْ كَانَ قَلْبُهُ قائماً فی مشاهدَةِ الْحَقِّ یَقَعُ علیه اسْمُ الْفَقْرِ؟ یا ابومسلم، اندر کدام دیوان یافتی که چون کسی را دل اندر مشاهدت حق قایم بود بر وی نام فقر بود؟ یعنی اصحاب مشاهدت اغنیانند به حق و فقرا ارباب مجاهدات اند.»

گفت: من اندر پنداشت خود پشیمان شدم و از اندیشه ناخوب استغفار کردم.

از وی می آید که گفت: «التَّصَوُّفُ قِيَامُ الْقَلْبِ مَعَ اللَّهِ بِالْوِاسِطَةِ.»

تصوّف قیام دل بود با حق تعالی بی واسطه، و این اشارت هم به مشاهدت باشد و مشاهدت غلبه دوستی بود و استغراق صفت اندر تحقیق شوق رؤیت و فنای صفت به بقای حق. و اندر کتاب الحجّ اندر مشاهدت و وجود

آن بابی بیارم، ان شاء الله، عز و جل.

وقتی از نشابور قصد طوس داشت، و اندر آن عقبه‌ای سخت سرد بود و پایش اندر موزه می‌فسرد. درویشی گفت: من اندیشه کردم که این فوطه به دو نیم کنم و در پایش پیچم. دلم نداد؛ که فوطه‌ای سخت نیکو بود. چون به طوس آمدم اندر مجلس از وی سؤال کردم که: «شیخ ما را فرقی کند میان وسواس شیطانی، و الهام حق؟» گفت: «الهام آن بود که ترا گفتند: فوطه پاره کن تا پای بوسعید سرد نیابد، وسواس آن که ترامع کرد.» و از این جنس از وی متواتر است و مراد ما نه این است. والله اعلم.

ابوالفضل محمد بن الحسن الختلی، رضی الله عنه

و منهم: زین اوتاد و شیخ عبّاد، ابوالفضل محمد بن الحسن الختلی، رضی الله عنه اقتدای من در این طریقت بدوست. عالم بود به علم تفسیر و روایات و اندر تصوّف مذهب جنید داشت و مرید حُصری بود و صاحب سیروانی بود و از اقران ابو عمر قزوینی بود و ابوالحسن سألّه. و شست سال به حکم عزلتی صادق به گوشه‌ها اندر می‌گریخت، و نام خود از میان خلق گم کرده بود و بیشتر به جبل لکام بودی. عمری نیکو یافت و آیات و براهین بسیار داشت. اما لباس و رسوم متصوّفه نداشتی و با اهل رسم شدید بود، و من هرگز مهیب‌تر از وی ندیدم. از وی شنیدم که گفت: «الدُّنْيَا يَوْمٌ وَلْنَا فِيهَا صَوْمٌ.»

دنیا یک روز است و ما اندر آن روز بروزه‌ایم، یعنی از آن هیچ نصیب نمی‌گیریم و اندر بند وی می‌نیاییم؛ از آنچه آفت آن بدیده‌ایم و بر حُجُب آن واقف شده و از آن اعراض کرده. وقتی من بر دست وی آب می‌ریختم مر طهارت را، اندر خاطر م‌بگذشت که: «چون کارها به تقدیر و قسمت است، چرا آزادان خود را بنده پیران کنند؟» گفت: «ای پسر، دانستم که چه اندیشدی. بدان که هر حکمی را سببی است، چون حق تعالی خواهد که عوان بچه‌ای را تاج کرامت بر سر خواهد نهاد، وی را توبه دهد و به خدمت دوستی مشغول کند تا این خدمت م‌کرامت وی را سبب گردد.»

و مانند این بسیار لطایف، هر روز، از وی بر ما ظاهر شدی. و آن روز که وی را وفات آمد به بیت الجنّ بود، و آن دهی است بر سر عقبه‌ای میان بانیاس و دمشق، سر برکنار من داشت و مرا رنجی می‌بود اندر دل از یکی از یاران خود؛ چنانکه عادت آدمیان بود. وی مرا گفت: «ای پسر، مسأله‌ای از اعتقاد با تو بگویم، اگر خود را بر آن درست کنی از همه رنجها بازرهی. بدان که اندر همه محلها آفریننده‌ی حالها خدای است عزّ و جلّ از نیک و بد، باید که بر فعل وی خصومت نکنی و رنجی به دل نگیری و بجز این وصیتی دراز نکرد و جان به حق تسلیم کرد. رحمة الله علیه و رَضِيَ عَنْهُ وَ سَقَاهُ صَوْبُ رِضْوَانِهِ. و هو اعلم.

ابوالقاسم عبدالکریم بن هوازن القشیری، رضی الله عنه

و منهم: استاد امام، و زین الاسلام، ابوالقاسم عبدالکریم بن هوازن القشیری، رضی الله عنه اندر زمانه خود بدیع است و قدرش رفیع است و منزلت بزرگ و معلوم است اهل زمانه را از روزگار وی و فضلش اندر هر فن. وی را لطایف بسیار است و تصانیف نفیس، جمله با تحقیق، و خداوند تعالی حال و زبان وی را از حشو محفوظ گردانیده است.

از وی شنیدم که گفت: «مَثَلُ الصُّوفِيِّ كَعَلَةِ الْبُرْسَامِ أَوْ لَهُ هَدْيَانُ فَاذَا تَمَكَّنَتْ خَرَسَتْ.»

مانده کرد صوفی را به علت برسام که ابتدای آن هذیان گفتن بود و انتهای سکونت اندر آن. پس صفوت را دو طرف است: یکی وجد، و دیگر نمود. نمود مبتدیان را بُود، و اندر نمود عبارت از نمود هذیان بود و وجد متتهبان را بود. و اندر وجد عبارت از وجد محال باشد. پس تا طالب اند به علو همت ناطق اند اندر همت و نطق هم مر اهل مُنیت را هذیان نماید و چون رسیدند به رسیدن نیزشان عبارت و اشارت نماند. و مثال این آن است که چون موسی علیه السّلام مبتدی بود همه همتش رؤیت بود، از همت عبارت کرد؛ لقلوله، تعالی: «أَرِنِي أَنْظُرُ إِلَيْكَ (۱۴۳/الأعراف)». این عبارت از نیافت مقصود هذیان نمود و رسول ما صلّى الله علیه و سلم متتهی بود و متمکن. چون شخصش به مقام همت رسید، همتش فانی شد، گفت: «لَأُحْصِيَ ثَنَاءً عَلَيْكَ.» و این منزلی رفیع و مقامی عالی است.

ابوالعبّاس احمد بن محمد الشّقانی، رضی الله عنه

و منهم: شیخ امام اوحد، و اندر طریق خود مفرد، ابوالعبّاس احمد بن محمد الشّقانی، رضی الله عنه اندر فنون علم اصولی و فروعی امام بود، و اندر همه معنیها رسیده و مشایخ بسیار دیده. و از کبرا و اجلّه اهل تصوّف بود. و راه خود را به فنا عبارت کردی به عبارتی مغلق، و وی بدان عبارت مخصوص بود و دیدم گروهی از جهله که بدان عبارت وی تقلید کردند و شطحیات وی بر دست گرفتند، و تقلید به معنی ناستوده بود، نگر تا به عبارت چگونه باشد.

مرا با وی انسی عظیم بود و وی را بر من شفقتی صادق و اندر بعضی علوم استاد من بود. و هرگز، تا من بودم، از هیچ صنف کسی ندیدم که شرع را به نزدیک وی تعظیم بیشتر از آن بود که به نزدیک وی. از کل موجودات گسسته بود و بجز امام محقق را از وی فایده ای نبودی اندر دقت عبارتش اندر علم اصول و پیوسته طبعش از دنیا و عقبی نفور بودی و پیوسته می خروشیدی که: «أَشْتَهِي عَدَمًا لَا عَوْدَ فِيهِ» و به پارسی گفتی: «هو آدمی را بایستی محال باشد و مرا نیز بایستی محال است، که یقین دانم که آن نباشد؛ و آن، آن است که می بایدم که خداوند تعالی مرا به عدمی برد که هرگز آن عدم را وجود نباشد؛ از آنچه هر چه هست از مقامات و کرامات جمله محل حجاب و بلا اند و آدمی عاشق حجاب خود شده. نیستی اندر دیدار بهتر از آرام با حجاب و چون حق جلّ جلاله هستی است که عدم بر وی روا نیست، چه زیان اندر مُلک وی اگر نیستی گردانم که هرگز مر آن نیستی را هستی نباشد؟»

و این اصلی قوی است اندر صحت فنا. و الله اعلم.

ابوالقاسم علی الکرّکانی، رضی الله عنه

و منهم: قطب زمانه و در زمانه خود یگانه، ابوالقاسم علی الکرّکانی، رضی الله عنه و ارضاه اندر وقت خود بی نظیر است و اندر زمانه بی بدیل. وی را ابتدا سخت نیکو بوده است و اسفاری سخت به شرط معاملت و اندروقت وی روی دل همه اهل درگاه بدوست و اعتماد جمله طالبان بر او و اندر کشف وقایع مریدان آیتی است ظاهر، و به فنون علم عالم است و مریدان وی هر یکی عالمی را زینتی اند و از پس او مرا و را خلفی نیکو ماند ان شاء الله که مقتدای قوم باشد. و آن لسان الوقت است، ابوعلی الفضل بن محمد الفارمدی ابقاه الله که نصیب خود اندر حق آن بزرگ فرو گذاشته باشد و از کل اعراض کرده و حق تعالی و تقدس مر او را به برکات خود زبان حال آن سیدگردانیده.

روزی من پیش خدمت شیخ نشسته بودم و احوال و نمودهای خود می شمردم؛ به حکم آن که روزگار خود را بر

او سره کنم؛ که ناقد وقت است و وی رضی الله عنه آن به حرمت می‌شنید و مرا نخوت کودکی و آتش جوانی بر گفتار آن حریص می‌کرد و خاطری صورت می‌گشت که: «مگر این پیر را در ابتدا بر این کوی گذری نبوده است که چندین خضوع می‌کند اندر حق من و نیاز می‌نماید؟» اندر حال، وی این در باطن من بدید، گفت: «دوست پدر، این خضوع من نه مرترا و یا حال تراست. کئی محول احوال در محل محال آید؟ که این خضوع، من محول احوال را می‌کنم و این عام باشد مر همه طالبان را نه خاص مر ترا.» چون این بشنیدم از دست بیفتادم. وی آن اندر من بدید، گفت: «ای پسر، آدمی را با این طریقت، نسبت بیش از این نیست که چون وی را به طریقت بازبندند پندار یافت آن بگیردش، و چون از آن معزول کنندش به عبارت پندارش برسد. پس نفی و اثبات و فقد و وجود وی هر دو پندار باشدو آدمی هرگز از بند پندار نرهد. وی را باید که درگاه بندگی گیرد و جمله نسبتها از خود دفع کند، بجز نسبت مردمی و فرمانبرداری.»

و از بعد آن مرا با وی اسرار بسیار بود، و اگر به اظهار آیات وی مشغول شوم از مقصود بازمانم. والله اعلم.

ابو احمد المظفر بن احمد بن حمدان، رضی الله عنه

و منهم: رئیس اولیا، و ناصح اهل صفا، ابواحمد المظفر بن احمد بن حمدان، رضی الله عنه اندر بالش ریاست خداوند عزّ و جلّ در این قصه بروی بگشاد و تاج کرامت بر سر وی نهاد. و وی را بیانی نیکو بود و عبارتی عالی اندر فنا و بقا.

و شیخ المشایخ ابوسعید رحمة الله علیه گفت که: «ما را به درگاه از راه بندگی بردند و شیخ مظفر را از راه خداوندی؛ یعنی ما به مجاهدت مشاهدهت یافتیم، وی از مشاهدهت به مجاهدت آمد.»

و من از وی شنیدم که گفت: «آنچه بزرگان را به تقطیع بَوادی و مفاوز روی نمود، من اندر بالش و صدر یافتم.» و آنان که اصحاب رعونت اند این قول از آن پیر به دعوی بردارند، و آن از نقص کیاست ایشان بود؛ که به هیچ حال عبارت از صدق حال خود دعوی نبود، خاصه که با اهل بود.

و امروز و را خلفی نیکو مانده است و بزرگوار، خواجه احمد، سَلَمَةُ اللهُ.

روزی من به نزدیک وی بودم و یکی از مدعیان نسابور به نزدیک وی بود. می‌گفت اندر میان عبارتش که: «فانی شود آنگاه باقی شود.» خواجه مظفر گفت رحمة الله علیه که: «بر فنا چگونه بقا صورت گیرد؟ که فنا عبارت از نیستی بود، و بقا اشارت به هستی و هر یکی از این نفی کننده صاحب خود، یعنی ضد خود بود. پس فنا معلوم است اما چون نیست بود، اگر هست شود آن نه آن عین بود؛ که آن خود چیزی دیگر بود. و روا نباشد که ذوات فانی شود، اما فنای صفت روا بود و فنای سبب. پس چون صفت و سبب فانی شود موصوف و مسبب بماند. فنا بر ذات وی روا نباشد.»

و علی بن عثمان الجلابی رضی الله عنه گوید که: من عبارت آن خواجه بعین یاد نداشتم، اما معنی آن عبارت این بود که یادکردم و مراد عبارت ظاهرکنم تا عام‌تر شود.

پس مراد از این آن است که: اختیار بنده صفت وی بود و به اختیار خود بنده محجوب است از اختیار حق. پس صفت بنده حجاب وی آمد از حق، و لا محاله اختیار حق ازلی بود و از آن بنده محدث و بر ازلی فنا روا نباشد و چون اختیار حق اندر حق بنده بقا یابد، لا محاله اختیار وی فانی شود و تصرف وی منقطع. والله اعلم.

روزی من اندر گرمای گرم به نزدیک وی اندر آمدم، با جامه راه بشویده. وی مرا گفت: «یا ابا الحسن، ارادت حالی مرا بگوی تا چیست.» گفتم: «مرا می‌سماع باید.» اندر حال کس فرستاد تا قوال را بیاوردند و جماعتی از اهل عشرت، و آتش کودکی و قوت ارادت و حرقت ابتدا مرا اندر سماع کلمات مضطرب کرد. چون زمانی

برآمد و سلطان و غلیان آن آفت اندر من کمتر شد، مرا گفتم: «چگونه بود مر ترا با این سماع؟» گفتم: «اینها الشیخ، سخت خوش بودم.» گفتم: «وقتی بیاید که این و بانگ کلاغ هر دو ترا یکسان شود. قوت سمع تا آنگاه بود که مشاهدت نباشد. چون مشاهدت حاصل آمد، ولایت سمع ناچیز شد، و نگر تا این را عادت نکنی تا طبیعت نشود و بدان بازمانی. واللّهُ الْمُسْتَعَانُ وِ عَلَيْهِ التُّكْلَانُ وِ حَسْبُنَا اللّهُ وِ نِعْمَ الرَّفِیقُ.»

بابُ فی ذکرِ رجالِ الصّوفیةِ مِنَ المتأخّرينَ علی الاختصارِ من أهلِ البُلدانِ

اکنون اگر ما ذکر و شرح حال همه بیاریم اندر این کتاب، دراز گردد و اگر بعضی را فروگذاریم مقصود نیز برنیاید. اکنون اسامی آن که بون اندر عهد من و هستند از آحاد قوم و مشایخ ایشان از ارباب معانی که دون اصحاب رسوم اند، اندر این کتاب بیارم تا به حصول مراد خود قریب تر باشم، ان شاء الله، عزّ و جلّ. آنچه بودند از شام و عراق: شیخ زکی بن علاء: از بزرگان مشایخ بود و سادات زمانه. وی را یافتیم چون شعله‌ای از شعله‌های محبت با آیات و براهین ظاهر و شیخ بزرگوار ابوجعفر محمد بن المصباح الصّیدلانی: از رؤسای متصوّفه بود و زفانی نیکو داشت اندر تحقیق و میلی عظیم داشت به حسین بن منصور، و بعضی از تصانیف وی برخواندم. و ابوالقاسم سدّسی: پیری با مجاهدت و نیکو حال بود، و راعی و معتقد درویشان به اعتقادی نیکو. اما از اهل فارس: شیخ الشیوخ، ابوالحسن سألّبه: افصح اللسان بود اندر تصوّف و اوضح البیان اندر توحید و وی را کلمات معروف است، و شیخ مرشد، ابواسحاق بن شهریار: از محتشان قوم بود و سیاستی عظیم داشت و شیخ ظریف، ابوالحسن علی بن بکران: از بزرگان متصوّفه بود و شیخ ابومسلم: مردی عزیز وقت بود و نیکو روزگار و شیخ ابوالفتح بن سألّبه: مر پدر را خلفی نیکو و اومیدوار است. و شیخ ابوطالب: مردی گرفتار کلمات حق بود.

و از این جمله من مر شیخ الشیوخ و شیخ ابواسحاق را ندیدم.

اما از اهل قهستان و آذربایگان و طبرستان و کُمش: شیخ شفیق، فرج، معروف به اخی زنگانی: مردی نیکو سیر و ستوده طریقت بود شیخ و ندردی: از بزرگان این طریقت است، و ازوی خیرات بسیار است و پادشاه تائب: مردی عیار بود اندر راه حق. و شیخ ابوعبدالله جنید: پیری رفیق بود و محترم و شیخ ابوطاهر مکشوف: از اجله وقت بود و خواجه حسن سمنان: مردی گرفتار است و اومیدوار و شیخ سهلکی: از فحول و صعالیک متصوّفه بود و احمد پسر شیخ خرقان: مر پدر را خلفی نیکو بود. و ادیب کُمدی: از سادات زمانه بود.

اما از اهل کرمان: خواجه علی بن الحسین السیرکانی: سیاح وقت بود و اسفار نیکو داشت و پسرش حکیم مردی عزیز بود و شیخ محمد بن سلّمه: از بزرگان وقت بوده است و پیش از وی مکتومان بوده‌اند از اولیای خدای عزّ و جلّ و جوانان و احداث امیدوار هستند.

اما از اهل خراسان، که امروز سایه اقبال حق آنجاست: شیخ مجتهد، ابوالعباس سمرقانی بود. زندگانی خوب داشت و وقتی خوش. و خواجه ابوجعفر محمد بن علی الجوینی است که از بزرگان و محققان این طایفه بوده است و خواجه ابوجعفر تُرشیزی. از عزیزان وقت بود و خواجه محمود نشابوری، مقتدای وقت بود و زبانی نیکو داشت و شیخ محمد معشوق، زندگانی نیکو و خوب داشت، جَمْرَة الحبّ بود، پیری نیکو باطن و خرم. و خواجه سید مظفر، پسر شیخ ابوسعید، امیدوار است که مقتدای قوم و قبله دلها شود. و خواجه احمد حمادی سرخسی. مبارز وقت بود و مدتی رفیق من بود و ازکار وی عجایب بسیار دیدم. وی از جوانمردان متصوّفه بود و شیخ احمد نجار سمرقندی که مقیم مرو می بود سلطان زمانه بود. و شیخ ابوالحسن علی بن ابی علی الاسود: مر پدر

را خلفی نیکو بود و اندر روزگار خود یگانه بود به علو همت و صدق فراست. و اگر جمله را بر شمرم از اهل خراسان دشوار باشد و من سیدکس دیدم اندر خراسان تنها که هر یک مشربی داشتند که یکی از آن اندر همه عالم بس بُود. و این جمله از آن است که آفتاب محبت و اقبال طریقت اندر طالع خراسان است.

اما از اهل ماوراء النهر: خواجه امام، مقبول خاص و عام، ابوجعفر محمد ابن الحسن الحرمی: مردی مستمع و گرفتار است و همتی عالی دارد و روزگاری صافی و شفقتی تمام بر طالبان درگاه حق. و خواجه فقیه و اندر میان اصحاب خود وجیه، ابومحمد باثغری: روزگاری نیکو داشت و معاملات قوی و محمد ایلاقی، شیخ وقت و بزرگ زمانه بود و تارک رسوم و عادات و بهانه و خواجه عارف، فرید وقت بود و بدیع عصر. و علی بن اسحاق، خواجه روزگار مردی محتشم بود و زبانی نیکو داشت. و این اسامی گروهی است که جمله را بدیده‌ام و مناقب یک یک، خود را معلوم کرده و جمله از اهل تحقیق بوده‌اند.

اما از اهل غزنین و سُگان آن: شیخ عارف، و اندر روزگار خود منصف، ابوالفضل بن اسد: پیری بزرگوار بود، و وی را براهین ظاهر و کرامات زاهر بود و چون شعله‌ای بود از آتش محبت، و روزگارش مبنی بر تلبیس بود. و شیخ مجرد و از علایق مفرد، اسماعیل الشّاشی: پیری محتشم بود و بر طریق ملامت رفتی و شیخ سالار طبری، از علمای متصوّفه بود و روزگاری نیکو داشت و شیخ عیار و معدن اسرار، ابوعبدالله محمد بن الحکیم، المعروف به مُرید، رحمه الله: از مستان حضرت قربت حق بود و اندر فن خود ثانی نداشت و روزگارش بر خلق پوشیده بود و وی را براهین ظاهر است و آیات زاهر. و به صحبت روزگارش بهتر بودی از آنچه به دیدار و شیخ محترم و از جمله بزرگان مقدم، سعید بن ابی سعید العیار: حافظ حدیث پیغمبر بود و عمری نیکو یافت و مشایخ بسیار را بدید و قوی حال بود و با خبر؛ اما پوشیده رفتی، معنی خود به کس ننمودی. و خواجه بزرگوار و قاعده حرمت و وقار، ابوعلا عبدالرحیم بن احمد سفری: عزیز قوم است و سید وقت و مرا دل با وی نیکو باشد و روزگاری مهذب دارد و حال نیکو و از فنون علم آگاه است. و شیخ اوحد، قسوره بن محمد الجردیزی: با اهل طریقت شفقتی تمام دارد و مر هر یک را به نزدیک وی حرمتی هست و مشایخ را دیده است. و به حکم اعتقاد عوام و علمای آن شهر، امیدوارم که از پس این کسانی پدید آیند که ما را بدیشان اعتداد باشد و این گروهی پراکندگان که اندر آن شهر راه یافته‌اند و صورت این طریق را قبیح گردانیده، از آن شهر پاک گردند و آن نیز قدمگاه اولیا و بزرگان دین شود، ان شاء الله تعالی. اکنون بازگردیم به فرق ایشان اندر مذاهب و بیان هر یک و بالله العون و العصمة و السّداد.

بابُ فی فرق فرقههم و مذاهبهم و آیاتهم و مقاماتهم و حکایاتهم

و پیش از این در ذکر ابوالحسن نوری رحمه الله علیه گفته بودم که ایشان دوازده گروه‌اند. دو از ایشان مردوداند و ده مقبول، و هر صنفی را از ایشان معاملتی خوب و طریقی ستوده است اندر مجاهدات و ادبی لطیف اندر مشاهدات و هرچند که اندر مجاهدات و مشاهدات و ریاضات مختلف‌اند، اندر اصول و فروع شرع موافق و متفق‌اند. و ابویزید رضی الله عنه گفت: «إختلافُ العُلَماءِ رَحْمَةٌ إِلَّا فی تجریدِ التَّوْحیدِ.» و موافق این خبری مشهور است.

و حقیقت تصوّف میان اخبار مشایخ است از روی حقیقت، و مقسوم از روی مجاز و رسوم. پس من بر سبیل

اختصار و ایجاز، سخن اندر بیان آن مقسوم گردانم و اندر اصل مذهب، هر یک را بساطی بگسترانم تا طالب را علم آن حاصل شود و علما را سلاح بود و مریدان را صلاح و م حبان را فلاح و عقلا را نجاج، و خداوندان مروت را تنبیه، و مرا ثواب دو جهانی. و باللهِ العونُ و التَّوفيقُ و حسبنا اللهُ و نعمَ الرفیقُ.

اما المحاسبية

تولای محاسبیان به ابی عبدالله الحارث بن الاسد المحاسبی است، رضی الله عنه. و وی به اتفاق همه اهل زمانه خود مقبول النَّفس و القول بود، و عالم به اصول و فروع حقایق. سخن وی اندر تجرید توحید رود، به صحت معاملت ظاهری و باطنی. و نادره مذهب وی آن است که رضا را از جمله مقامات نگوید، گوید که آن از جمله احوال است. و این خلاف، ابتدا وی کرد؛ آنگاه اهل خراسان این قول گرفتند و عراقیان گفتند که: رضا از جمله مقامات است و این نهایت توکل است و تا امروز میان قوم این خلاف باقی است و اکنون ما مر این قول را بیان کنیم، ان شاء الله.

الكلام في حقيقة الرضا

و در بیان این مذهب شرط آن است که نخست حقیقت رضا اثبات کنیم و اقسام آن فرو نهیم، آنگاه حقیقت حال و مقام و فرق میان هر دو بیاریم، ان شاء الله، عز و جل.

اما بدان که کتاب و سنت به ذکر رضا ناطق است و امت بر آن مجتمع اند؛ لقله، تعالی: «رضی الله عنهم و رضوا عنه (۱۱۹/المائده)»؛ و قوله، تعالی: «لقد رضی الله عن المؤمنین اذ یبغیونک تحت الشجرة (۱۸/الفتح)»، و قوله، علیه السلام: «ذاق طعم الإیمان من قد رضی بالله رباً.»

و رضا بر دو گونه باشد: یکی رضای خداوند از بنده، و دیگر رضای بنده از خداوند، تعالی و تقدس. اما حقیقت رضای خداوند عز و جل ارادت ثواب و نعمت و کرامت بنده باشد و حقیقت رضای بنده اقامت بر فرمانهای وی و گردن نهادن مر احکام وی را. پس رضای خداوند تعالی مقدم است بر رضای بنده؛ که تا توفیق وی جل جلاله نباشد، بنده مر حکم ورا گردن ننهد و بر مراد وی تعالی و تقدس اقامت نکند؛ از آن که رضای بنده مقرون به رضای خداوند استعز و جل و قیامش بدان است. و در جمله رضای بنده استوای دل وی باشد بر دو طرف قضا: اما منع، و اما عطا و استقامت سرش بر نظاره احوال: اما جلال و اما جمال؛ چنانکه اگر به منع واقف شود و یا به عطا سابق شود به نزدیک رضای وی متساوی باشد و اگر به آتش هیبت و جلال حق بسوزد و یا به نور لطف و جمال وی بفروزد، سوختن و فروختن به نزدیک دلش یکسان شود؛ از آنچه وی را شاهد، حق است و آنچه از وی بود وی را همه نیکو بود، اگر به قضای وی رضا دارد.

و از امیرالمؤمنین حسین بن علی رضی الله عنه، و کرم و وجهه پرسیدند از قول بوذر غفاری رضی الله عنه که گفت: «الفقرُ إلیَّ أحبُّ من الغنی و السُّمُّ أحبُّ من الصِّحة.» فقال: «رحمَ اللهُ أباذر، أما أنا فأقول: من أشرفَ علی حُسنِ اختیارِ اللهِ لم یتمنَّ إلا ما اختارَ اللهُ له.»

: «درویشی به نزدیک من دوست تر از توانگری و بیماری دوست تر از تندرستی.» حسین رضی الله عنه گفت: «رحمت خدای بر بوذر باد، اما من گویم: هر که را بر حسن اختیار خدای اشراف افتد هیچ تمنا نکند؛ بجز آن که حق تعالی وی را اختیار کرده باشد.»

و چون بنده اختیار حق بدید و از اختیار خود اعراض کرد، از همه اندوهان برست و این اندر غیبت درست نیاید؛ که این را حضور باید؛ «لأن الرضا للأحزان نافية وللغفلة معافية.» رضا مرد را از اندوهان برهاند و از چنگ

غفلت بر باید و اندیشه غیر از دل بزداید و از بند مشقتها آزادگرداند؛ که رضا را صفت رهنیدن است. اما حقیقت معاملات رضا بسنده کاری بنده باشد به علم خداوند عزّ و جلّ و اعتقاد وی که خداوند تعالی در همه احوال بدون بیناست، و اهل این بر چهار قسمت‌اند:

گروهی آنان که از حق تعالی راضی‌اند به عطا و آن معرفت است.

و گروهی آنان که راضی‌اند به نعم، و آن دنیاست.

و گروهی آنان که راضی‌اند به بلا، و آن مِحَنِ گوناگون است.

و گروهی آنان که راضی‌اند به اصطفا، و آن محبت است.

پس آن که از مُعطی به عطا نگرد آن را به جان قبول کند و چون قبول کرد کلفت و مشقت از دل زایل شود، و آن که از عطا به مُعطی نگرد به عطا باز ماند و بتکلف راه رضا رود و اندر تکلف جمله رنج و مشقت بود. و معرفت آنگاه حقیقت بود که بنده مکاشف بود اندر حق معرفت، چون معرفت ورا حبس و حجاب باشد آن معرفت نکرت بود و آن نعمت نعمت و آن عطا غطا.

و باز آنکه به دنیا از وی راضی شود، وی اندر هلاک و خُسران بود و آن رضای وی بجملة نیران بود؛ از آنچه دنیا، بآسرها، بدان نیرزد که دوستی خاطر بر آن گمارد و یا هیچ‌گونه اندوه آن بر دلش گذر کند، و نعمت آن نعمت بود که به مُنعم دلیل بود، چون از مُنعم حجاب باشد آن نعمت بلا بود.

و باز آن که به بلا از وی راضی باشد، آن بود که اندر بلا مُبلی بیند و مشقت آن به مشاهدت مُبلی بتواند کشید و رنج آن به مسرت مشاهدت دوست به رنج ندارد و باز آن که به اصطفا وی راضی باشد، آن محبان وی‌اند که اندر رضا و سخط هستی ایشان عاریت بود و منازل دلهای ایشان بجز حضرت تنزیه نباشد و سرپرده اسرار ایشان جز در روضه انس نه. حاضرانی باشند غایب، وحشیانی عرشی، جسمیانی روحانی، موحدان ربانی، دل از دنیا گسسته و از بند مقامات جسته و سر از مکونات گسسته و مرد دوستی را میان در بسته؛ کما قال الله تعالی: «لَا يَمْلِكُونَ لِنَفْسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيٰوةً وَلَا نَشٰوْرًا (۳/فرقان)».

پس رضا به غیر، خُسران بود و رضا بدو رضوان؛ از آنچه رضا بدو مُلکی صریح و بدایت عافیت بود. قال النبی، علیه السّلام: «مَنْ لَمْ يَرْضَ بِاللّٰهِ وَبِقَضَائِهِ شَغَلَ قَلْبَهُ وَتَعَبَ بَدَنَهُ. أَنْ كِهَ بَدُو وَ قَضَايَ وَی رَاضِي نَبَاشِد دَلش مشغول بود به اسباب نصیب خود و تنش رنجه به طلب آن.» واللّٰه اعلم.

فصل

اندر آثار است که موسی گفت، علیه السّلام: «الهي ذلّني على عملٍ اذا عملتُ رضيتَ عني.» فقال: «إنك لا تطيق ذلك يا موسى.» فخرّ موسى عليه السّلام ساجداً مُتَضَرِّعاً. فَأَوْحَى اللّٰهُ إِلَيْهِ: «يا ابنَ عمران، إِنَّ رِضَائِي فِي رِضَاكَ بِقَضَائِي.»

:«بار خدایا، مرا راه نماي به کرداری که چون آن بکنم تو از من راضی گردی.» خداوند عزّ و جلّ گفت: «تو آن بتوانی کرد.» موسی علیه السّلام سجده کرد و تضرع نمود. خداوند تعالی بدو وحی فرستاد: «یا پسر عمران، رضا و خشنودی من از تو اندر رضای توست به قضای من.» یعنی چون بنده به قضاهاي حق راضی باشد علامت آن بود که خداوند تعالی از وی راضی است.

بشر حافی از فضیل عیاض رضی اللّٰه عنهما پرسید که: زهد فاضل تر یا رضا. فضیل گفت: «الرّضا أَفْضَلُ مِنَ الزُّهْدِ؛ لِأَنَّ الرّاضِي لا يَتَمَنى فَوْقَ مَنزِلَتِهِ.»

رضا فاضل تر از زهد؛ از آنچه راضی را تمنا نباشد و زاهد صاحب تمنا بود؛ یعنی فوق منزلت زهد منزلتی دیگر

هست که زاهد را بدان منزلت تمنا بود و فوق رضا هیچ منزلتی نیست تا راضی را بدان تمنا افتد. پس پیشگاه فاضل تر از درگاه.

و این حکایت دلیل است بر صحت قول محاسبی که رضا از جمله احوال است و از مواهب ذوالجلال، نه از مکاسب بنده و احتیال، و نیز احتمال کند که راضی را تمنا نباشد و از پیغمبر علیه السلام می‌آید اندر دعواتش: «اسألك الرضا بعد القضا.» بارخدایا، از تو خواهم که مرا راضی داری از پس آن که قضا به من آید؛ یعنی مرا به صفتی داری که چون قضای مقدر تو به من آید مرا به ورود خود راضی یابد. اینجا درست شد که رضا قبل ورود القضا درست نیاید؛ از آنچه آن عزم باشد بر رضا و عزم رضا عین رضا نباشد.

و ابوالعباس بن عطا گوید، رضی الله عنه: «الرُّضَا نَظَرُ الْقَلْبِ إِلَى قَدِيمِ اخْتِيَارِ اللَّهِ لِلْعَبْدِ.» رضا نظر دل بود به اختیار قدیم خدای مر بنده را؛ یعنی هرچه به وی رسد داند که این را ارادتی قدیم و حکمی سابق است بر من، مضطرب نگردد و خرم باشد.

و حارث محاسبی، صاحب مذهب رضی الله عنه گوید: «الرُّضَا سُكُونُ الْقَلْبِ تَحْتَ مَجَارِي الْأَحْكَامِ.» رضا سکون دل بود اندر تحت مجاری احکام، بر آنچه باشد و اندر این مذهب وی قوی است؛ از آنچه سکون و طمأنینت دل از مکاسب بنده نیست؛ که از مواهب خدای است جل جلاله و دلیل کند که رضا از احوال بود نه از مقام.

گویند که عتبه الغلام شبی نخفت و تا روز می‌گفت: «إِنْ تُعَذِّبْنِي فَأَنَا لَكَ مُحِبٌّ وَإِنْ تَرَحَّمْتَنِي فَأَنَا لَكَ مُحِبٌّ.» اگر مرا به دوزخ عذاب کنی دوست توام و اگر بر من رحمت کنی دوست توام؛ یعنی الم عذاب و لذت نعمت بر تن بود و فلق دوستی اندر دل این مر آن را مُضَادت نکند.

و این سخن تأکید قول محاسبی است، که رضا نتیجه محبت بود؛ که محب راضی بود بدانچه محبوب کند. اگر در عذاب دارد با دوستی خرم بود و اگر در نعمت بود از دوستی محبوب نگردد و اختیار خود فروگذارد اندر مقابله اختیار حق.

ابوعثمان حیری گوید، رضی الله عنه: «مَنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا أَقَامَتِي اللَّهُ فِي حَالٍ فَكْرَهُتُهُ وَمَا نَقَلَنِي إِلَى غَيْرِ فَسَخَطْتُهُ.»

چهل سال است تا خداوند تعالی مرا اندر هر حال که داشته است مُکْرَه نبوده‌ام و از هیچ حال مرا به حال دیگر نقل نکرده است که من اندر آن ساخط بوده‌ام و این اشارت به دوام رضا و کمال محبت بود.

و اندر حکایات مشهور است که: درویشی اندر دجله گرفتار شد و سباحت ندانست. یکی گفت از کنارهای که: «خواهی تا کسی را بیاگاهانم تا ترا برکشد؟» گفتا: «نه.» گفت: «خواهی تا غرقه شوی؟» گفتا: «نه.» گفت: «پس چه خواهی؟» گفت: «آنچه حق خواهد. مرا با خواست چه کار است؟»

و مشایخ را رضی الله عنهم اندر رضا سخن بسیار است به اختلاف عبارات؛ اما قاعده این دو اصل است که یاد کردم، و ترک تطویل را بر این اختصار کردم. اما اینجا باید که فرق میان مقام و احوال بگویم و حدود آن بیارم تا بر تو و خوانندگان کتاب، ادراک این معانی آسان‌تر شود و این حد را بدانند، ان شاء الله.

الفرق بين المقام والحال

بدان که این دو لفظ مستعمل است اندر میان این طایفه و جاری اندر عباراتشان، و متداول اندر علوم و بیان محققان و مر طالب را از علم این چاره نیست. و این باب نه جای اثبات این حدها بود؛ اما چاره نبود از معلوم گردانیدن این اندر این محل و الله اعلم.

بدان که مقام به رفع میم اقامت بود و به نصب میم محل اقامت بنده باشد اندر راه حق و حق گزاردن و رعایت کردن وی مر آن مقام را تا کمال آن را ادراک کند، چندان که صورت ببندد بر آدمی. و روا نباشد که از مقام خود اندر گذرد بی از آن که حق آن بگذارد؛ چنانکه ابتدای مقامات توبه باشد، آنگاه انابت، آنگاه زهد، آنگاه توکل و مانند این. و روا نباشد که بی توبه دعوی انابت کند و بی انابت دعوی زهد کند و بی زهد دعوی توکل کند. و خدای تعالی ما را خبر داد از جبرئیل علیه السلام که وی گفت: «وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ (۱۶۴/الصَّافَّاتِ). هیچ کس نیست از ما الا که ورا مقامی معلوم است.»

و باز حال معنی باشد که از حق به دل پیوندد، بی آنکه از خود آن را به کسب دفع توان کرد چون بیاید، و یا بتکلف جلب توان کرد چون برود.

پس مقام عبارت بود از راه طالب، و قدمگاه وی اندر محل اجتهاد و درجت وی به مقدار اکتسابش اندر حضرت حق، تعالی. و حال عبارت بود از فضل خداوند تعالی و لطف وی به دل بنده بی تعلق مجاهدت وی بدان؛ از آنچه مقام از جمله اعمال بود و حال از جمله افضال، و مقام از جمله مکاسب و حال از جمله مواهب. پس صاحب مقام به مجاهدت خود قایم بود و صاحب حال از خود فانی بود، قیام وی به حالی بود که حق تعالی اندر وی آفریند.

و مشایخ رضی الله عنهم اینجا مختلف اند:

گروهی دوام حال روا دارند و گروهی روا ندارند و حارث محاسبی رضی الله عنه دوام حال روا دارد و گوید: محبت و شوق و قبض و بسط جمله احوال اند. اگر دوام آن روا نباشد، نه مُحَبٌّ مُحَبٌّ باشدی و نه مشتاق مشتاق، و تا این حال بنده را صفت نگردد، اسم آن بر بنده واقع نشود و از آن است که وی رضا را از جمله احوال گوید. و اشارت آنچه ابو عثمان گفته است بر این است: «مُنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً مَا أَقَامَتِي اللَّهُ عَلَى حَالٍ فَكْرَهُتُهُ.»

و گروهی دیگر حال را بقا و دوام روا ندارند؛ چنانکه جنید رضی الله عنه گوید: «الأحوال كالبُرُوقِ فَإِنْ بَقِيَتْ فَحَدِيثُ النَّفْسِ. احوال چون برق باشد که بنماید و نپاید و آنچه باقی شود نه حال بود؛ که حدیث نفس و هوس طبع باشد.»

و گروهی گفتند اندر این معنی: «الأحوال كَأَسْمِهَا، يَعْنِي إِنَّهَا كَمَا تَحُلُّ بِالْقَلْبِ تَزُولُ. حال چون نام وی است؛ یعنی اندر حال حلول، به دل متصل بود و اندر ثانی حال زایل.» و هر چه باقی شود صفت گردد و قیام صفت بر موصوف بود و باید که موصوف کامل تر از صفت وی باشد و این محال باشد.

و این فرق بدان آوردم تا اندر عبارات این طایفه و اندر این کتاب، هر جا که حال و مقام بینی، بدان که مراد بدان چه چیز است.

و در جمله بدان که رضا نهایت مقامات است و بدایت احوال، و آن محلی است که یک طرفش در کسب و اجتهاد است و یکی اندر محبت و غلیان آن، و فوق آن مقام نیست، و انقطاع مجاهدت اندر آن است. پس ابتدای آن از مکاسب بود و انتهای آن از مواهب. کنون احتمال کند که آن که اندر ابتدا رضای خود به خود دید، گفت مقام است و آن که اندر انتها رضای خود به حق دید، گفت حال است.

این است حکم مذهب محاسبی اندر اصل تصوف؛ اما اندر معاملات خلافی نکرده است، بجز آن که مریدان را زجری کردی از عبارات و معاملاتی که موهوم خطا بودی، هر چند اصل آن درست بودی. چنانکه روزی ابو حمزه بغدادی که مرید وی بود به نزدیک وی اندر آمد، مردی مستمع و صاحب حال بود و حارث شاه مرغی داشت که بانگ کردی. اندر آن ساعت بانگی بکرد. ابو حمزه نعره ای بزد. حارث برخاست و کارد برگرفت و گفت:

«كَفَرْتَ.» و قصد کشتن وی کرد. مریدان در پای شیخ افتادند و وی را از وی جدا کردند. بوحمزه را گفت: «أَسْلِمَ يَامَطْرُودُ.» گفتند: «أَيُّهَا الشَّيْخُ، ما جمله وی را از خواص اولیا دانسته‌ایم؛ و از جمله موحدان دانیم. شیخ را با وی تردد از کجاست؟» حارث گفت: «مرا با وی تردد نیست و اندر وی بجز خوبی دیدار نه، و باطن وی را بجز مستغرق توحید نمی‌دانم. اما ورا چرا چیزی باید کرد که مانده باشد به افعال حلولیان؛ تا از مقاتل ایشان اندر معاملت وی نشانی باشد؟ مرغی که عقل ندارد و بر مجاری عادت و هوای خود بانگی کند، چرا وی را با حق سماع افتد؟ و حق تعالی متجزی نه، و دوستان وی را جز بر کلام وی آرام نه، و جز با سلام وی وقت و حال نه. وی را به چیزها نزول و حلول نه و اتحاد و امتزاج بر قدیم روا نه.»

چون بوحمزه آن دقت نظر شیخ بدید، گفت: «ایها الشَّيْخُ، هرچند که من اندر اصل درست بودم، اما چون فعلم مانده بود به فعل قومی، توبه کردم و بازگشت.»

و از این جنس وی را طُرف بسیار است و من مختصر کردم. و این طریقی سخت ستوده است راه سلامت را بی تکسیر اندر صحو بر کمال. و پیغمبر علیه السَّلام گفت: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلَا يَقِفَنَّ مَوَاقِفَ التُّهَمِ. هر که به خدای ایمان دارد و به روز قیامت، بر مواقف تهمت مه ایستد.»

و من که علی بن عثمان الجلابی ام، پیوسته از خدای تعالی بخواهم تا مرا چنین معاملتی دهد و این با صحبت مترسمان زمانه راست نیاید؛ که اگر در معصیت و ریای ایشان موافقت نکنی، دشمن تو گردند. فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْجَهْلِ وَالضَّلَالَةِ.

اما القصارية

تولا قساریان به ابی صالح، حمدون بن احمد بن عمارة القصار رضی الله عنه کنند و وی را از علمای بزرگ بوده است و سادات این طریقت و طریق وی اظهار و نشر ملامت بوده است، و اندر فنون معاملت، او را کلام عالی است.

وی گفتی، رضی الله عنه: «باید که تا علم حق تعالی به تو نیکوتر از آن باشد که علم خلق؛ یعنی باید که اندر خلأ با حق تعالی معاملت نیکوتر از آن کنی که اندر ملأ با خلق؛ که حجاب اعظم از حق، شغل دل توست با خلق.» و به باب الملامة اندر ابتدای کتاب بیاورده‌ام، بدان اختصار کردم مر ترک تطویل را.

و از نوادر حکایات وی یکی آن است که گوید: روزی اندر جویبار حیره نيسابور می‌رفتم. نوح نام عیاری بود به فتوت معروف و جمله عیاران نيسابور در فرمان وی بودند، وی را اندر راه بدیدم. گفتم: «یا نوح، جوانمردی چه چیز است؟» گفت: «جوانمردی من خواهی یا از آن تو؟» گفتم: «هر دو بگوی.» گفت: «جوانمردی من آن است که این قبا بیرون کنم و مرقعه‌ای بپوشم و معاملات آن برزم تا صوفی شوم، و از شرم خلق اندر آن جامه از معصیت بپرهیزم و جوانمردی تو آن که مرقعه بیرون کنی تا تو به خلق، و خلق به تو فتنه نگردند. پس جوانمردی من حفظ شریعت بود بر اظهار، و از آن تو حفظ حقیقت بر آسار.» و این اصلی قوی است. و بالله العون و التوفیق.

اما الطیفورية

این گروه تولا به ابویزید، طیفور بن عیسی البسطامی رضی الله عنه کنند و وی از رؤسای متصوفه بود و از کبرای ایشان و طریق وی غلبه و سُکر بود و غلبه حق عزّ و جلّ و سُکر دوستی از جنس کسب آدمی نباشد؛ و هر چه از دایره اکتساب خارج بود، بدان دعوت کردن، باطل بود و تقلید بدان محال و لا محاله صاحی را سُکر صفت

نباشد و آدمی را در جلب سکر به خود، سلطان نه. و سکران خود مغلوب بود، وی را به خلق التفات نبود تا به صفتی از اوصاف تکلف پدیدار آید.

و مشایخ این طریقت بر آن اندکه: اقتدا جز به مستقیمی که از دور احوال رسته باشد درست نیاید. و بازگروهی روا دارند که کسی بتکلف راه سکر و غلبه سپرد؛ از آنجا که پیغمبر علیه السلام گفت: «أُبْكُو فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكُوا. یا بگریید با خود را به گریندگان مانده کنید.» و این را دو وجه باشد: یکی مانده کردن خود را به گروهی مر یا را، و این شرک صریح باشد؛ و دیگر خود را مانده کردن تا حق تعالی مگر وی را بدان درجت رساند که خود را مانند آن قوم کرده است؛ تا موافق باشد مر آن را که پیغمبر صلی الله علیه گفته است: «مَنْ تَشَبَهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ.» پس هرچه در نوع مجاهدات آید اندر راه بیارد و بر درگاه امید می باشد تا خداوند تعالی در حقیقت و معانی آن بر وی گشاده گرداند، که یکی از مشایخ گفت: «المُشَاهِدَاتُ مَوَارِيثُ الْمُجَاهِدَاتِ.»

گوییم: مجاهدات اندر همه معانی نیکو باشد؛ اما سکر و غلبه اندر تحت کسب نیاید تا به مجاهدات مر آن را جلب توان کرد و عین مجاهدت مر حصول سکر را علت نگردد و مجاهدات اندر حال صحو توان کرد و صاحب صحو را قبله به قبول سکر نباشد، و این محال باشد. پس حقیقت سکر و صحو را به اختلاف مشایخ بیان کنیم، تا اشکال برخیزد، ان شاء الله، تعالی.

الكلام في السكر و الصحو

بدان اعزک الله که: سکر و غلبه عبارتی است که ارباب معانی کرده اند از غلبه محبت حق تعالی و صحو عبارتی از حصول مراد و اهل معانی را اندر این معنی سخن بسیار است، گروهی این را بر آن فضل می نهند و گروهی بر خلاف.

آنان که سکر را بر صحو فضل نهند و آن ابویزید است، رضی الله عنه، و متابعان او گویند که: صحو بر تمکین و اعتدال صفت آدمیت صورت گیرد و آن حجاب اعظم بود از حق تعالی و سکر بر زوال آفت و نقص صفات بشریت و ذهاب تدبیر و اختیار وی، و فنای تصرفش اندر خود به بقای قوتی که اندر او موجود است به خلاف جنس وی، و این ابلغ و اتم و اکمل بود؛ چنانکه داود علیه السلام اندر حال صحو بود، فعلی از وی به وجود آمد، خداوند تعالی آن فعل را به وی اضافه کرد و گفت: «و قَتَلَ دَاوُدُ جَالوتَ (۲۵۱/البقره)، و مصطفی صلی الله علیه اندر حال سکر بود، فعلی از وی به وجود آمد، خداوند تعالی آن فعل را به خود اضافه کرد؛ قوله، تعالی: «وَمَا رَمَيْتَ اِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللّٰهَ رَمٰی (۱۷/الأنفال).» فشتان ما بین عبد و عبد! آن که به خود قایم بود و به صفات خود ثابت، گفتند: «تو کردی»، بر وجه کرامت و آن که به حق قایم بود و از صفات خود فانی، گفتند: «ما کردیم، آنچه کردیم.» پس اضافه فعل بنده به حق نیکوتر از اضافه فعل حق به بنده؛ که چون فعل حق به بنده مضاف بود بنده به خود قایم بود و چون فعل بنده به حق مضاف بود به حق قایم بود؛ که چون بنده به خود قایم بود، چنان بود که داود را صلی الله علیه یک نظر به جایی افتاد که می نایست، تا دید آنچه دید و چون به حق قایم بود چنان بود که مصطفی را صلی الله علیه یک نظر افتاد هم از آن جنس، زن بر مرد حرام شد؛ از آنچه آن در محل صحو بود و این در محل سکر.

و باز آنان که صحو را فضل نهند بر سکر و آن جنید است، رضی الله عنه و متابعان وی گویند: سکر محل آفت است؛ از آنچه آن تشویش احوال است و ذهاب صحت و گم کردن سر رشته خویش و چون قاعده همه معانی طالب باشد یا از روی فنای وی، یا از روی بقای وی، یا از روی محوش یا از روی اثباتش چون صحیح الحال

نباشد فایده تحقیق حاصل نشود؛ از آنچه دل اهل حق مجرد می‌باید از کل مُثَبَّات، و به نابینایی هرگز از بند اشیا راحت نباشد و از آفت آن رستگاری نه.

و ماندن خلق اندر چیزها بدون حق، بدان است که چیزها را چنان که هست می‌بینند، و اگر بینندی برهنندی. و دیدار درست بر دوگونه باشد: یکی آن که ناظر اندر شیء به چشم بقای آن نگردد و دیگر آن که به چشم فنای آن. اگر به چشم بقا نگردد مرکل را اندر بقای خود ناقص یابد؛ که به خود باقی نی‌اند اندر حال بقاشان، و اگر به چشم فنا نگردد، کل موجودات اندر جنب بقای حق فانی یابد و این هر دو صفت از موجودات مر او را اعراض فرماید. و آن آن بود که پیغمبر گفت صلی الله علیه و سلم اندر حال دعای خود که: «اللَّهُمَّ أَرِنَا الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ.» از آنچه هر که دید آسود و این معنی قول خدای است، عز وجل: «فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ (۲/ الحشر)» و تا ندید آزاد نگردد.

پس این جمله جز اندر حال صحو درست نیاید، و مر اهل سکر را از این معنی هیچ آگاهی نه؛ چنانکه موسی علیه السلام اندر حال سکر بود، طاقت اظهار یک تجلی نداشت از هوش بشد؛ و رسول صلی الله علیه اندر حال صحو بود، از مکه تا به قاب قوسین در عین تجلی بود و هر زمان هشیارتر و بیدارتر.

شَرِبْتُ الرَّاحَ كَأْسًا بَعْدَ كَأْسٍ فَمَا نَفَيْدَ الشُّرَابُ وَمَا رَوَيْتُ

و شیخ من گفתי و وی جنیدی مذهب بود که: سکر، بازیگاه کودکان است و صحو، فناگاه مردان. و من که علی بن عثمان الجلابی ام، می‌گویم بر موافقت شیخ رحمة الله علیه که: کمال حال صاحب سکر صحو باشد و کمترین درجه اندر صحو، رؤیت بازماندگی بشریت بود. پس صحو که آفت نماید، بهتر از سگری که عین آن آفت بود.

و از ابو عثمان مغربی رحمة الله علیه حکایت آرند که: اندر ابتدای حالش بیست سال عزلت کرد اندر بیابانها؛ چنانکه حس آدم نشید تا از مشقت، بنیت وی بگداخت، و چشمهایش به مقدار گذرگاه جوال دوزی ماند، و از صورت آدمیان بگشت. از بعد بیست سال، فرمان صحبت آمد و گفت: «با خلق صحبت کن.» با خود گفت: «ابتدا صحبت با اهل خدای و مجاوران خانه وی کنم تا مبارک‌تر بود.» قصد مکه کرد. مشایخ را به دل از آمدن وی آگاهی بود، به استقبال وی بیرون شدند. وی را یافتند به صورت مبدل شده و به حالی که بجز رمق خلقت بر وی چیزی نامانده. گفتند: «یا با عثمان، بیست سال بر این صفت زیستی که آدم و ذریاتش اندر روزگار تو عاجز شدند. ما را بگوی، تا چرا رفتی و چه دیدی و چه یافتی و چرا باز آمدی؟» گفت: «به سگری رفتم و آفت سکر دیدم، و نومیدی یافتم و به عجز باز آمدم.» جمله مشایخ گفتند: «یا با عثمان حرام است از پس تو بر معبران، عبادت صحو و سکر کردن؛ که تو انصاف جمله بدادی و آفت سکر باز نمودی.»

پس سکر جمله پنداشت فناست در عین بقای صفت، و این حجاب باشد و صحو جمله دیدار بقا در فنای صفت و این عین کشف باشد.

و در جمله اگر کسی را صورت بندد که سکر به فنا نزدیک‌تر بود از صحو، محال باشد؛ از آنچه سکر صفتی است زیادت بر صحو، و تا اوصاف بنده روی به زیادتی دارد بی خبر بود، و چون روی به نقصان نهد آنگاه طالب را بدو امیدی باشد.

و این غایت مقال ایشان است اندر صحو و سکر.

و از ابویزید رضی الله عنه حکایتی آرند مقلوب، و آن آن است که: یحیی ابن مُعَاذِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بدو نامه‌ای نوشت که: «چه گویی اندر کسی که به یک قطره از بحر محبت مست گردد؟» بایزید رضی الله عنه جواب نوشت که: «چه گویی در کسی که جمله دریاها عالم، شربت محبت گردد همه را درآشامد و هنوز از تشنگی می

خروشده؟»

و مردمان را صورت بندد که یحیی از سکر عبارت کرده است و بایزید از صحو، و برخلاف این است؛ که صاحب صحو آن باشد که طاقت قطره‌ای ندارد و صاحب سکر آن که به مستی همه بخورد و هنوز دیگرش باید؛ از آنچه شرب آلت سکر باشد، جنس به جنس اولی تر و صحو به ضد آن باشد با مشرب نیارآمد.

اما سکر بر دوگونه باشد: یکی به شراب مودت و دیگر به کاس محبت و سکر مودتی معلول باشد؛ که تولد آن از رؤیت نعمت بود و سکر محبتی بی علت بود؛ که تولد آن از رؤیت منعم بود. پس هرکه نعمت بیند، بر خود بیند خود را دیده باشد و هرکه منعم بیند به وی بیند، خود را ندیده باشد، اگرچه اندر سکر باشد سکرش صحو باشد. و صحو نیز بر دوگونه است: یکی صحو به غفلت، و دیگر اقامت بر محبت.

و صحو که غفلتی بود آن حجاب اعظم بود و صحو که محبتی بود آن کشف آئین بود. پس آن که مقرون غفلت بود اگرچه صحو باشد سکر بود و آن که موصول محبت بود اگرچه سکر بود صحو باشد. چون اصل مستحکم بود صحو چون سکر بود و سکر چون صحو و چون بی اصل بود همچنان.

و فی الجمله صحو سکر اندر قدمگاه مردان به علت اختلاف معلول باشد، و چون سلطان حقیقت روی بنماید، صحو و سکر هر دو طفیلی نماید؛ از آنچه اطراف این هردو معانی به یکدیگر موصول است و نهایت یکی بدایت دیگر یک باشد و نهایت و بدایت جز اندر تفاریق صورت نگیرد و آنچه نسبت آن به تفرقه باشد، اندر حکم متساوی باشد و جمع نفی تفاریق بود. و اندر این معنی گوید:

إِذَا طَلَعَ الصَّبَاحُ بِنَجْمِ رَاحٍ تَسَاوَى فِيهِ سَكْرَانٌ وَصَاحٍ

و اندر سرخس دو پیر بودند: یکی لقمان و دیگر ابوالفضل حسن، رحمة الله علیهما. روزی لقمان به نزدیک ابوالفضل اندر آمد، وی را یافت جزوی اندر دست. گفت: «یا ابوالفضل، اندر جزو چه جویی؟» گفت: «همان که تو اندر ترک وی.» گفت: «پس خلاف چراست؟» گفتا: «خلاف تو می بینی که از من می پرسی که چه می جویی. از مستی هشیار شو و از هشیاری بیزارگرد، تا خلاف برخیزد، بدانی که من و تو چه می طلبیم.»

پس طیفوریان را با جنیدیان این مقدار خلاف رود که یادکردیم، و اندر معاملات، مطلق، مذهب وی ترک صحبت و اختیار عزلت بود و مریدان را جمله این فرماید و این طریقی محمود و سیرتی ستوده است اگر به سر شود. و هواعلم.

اما الجنیدیة

تولا جنیدیان به ابوالقاسم الجنید بن محمدکنند، رضی الله عنه و اندر وقت وی ورا «طاوس العلماء» گفتندی و سید این طایفه و امام الائمه ایشان بود. طریق وی مبنی بر صحو است، بر عکس طیفوریان. و اختلاف وی گفته آمد و معروفترین مذاهب و مشهورترین، مذهب وی است. و مشایخ من رحمة الله علیهم جمله جنیدی بوده‌اند و جز این اندر کلمات، اختلاف بسیار است وی را اندر معاملات این طریقت؛ اما من مخافت تطویل را بر این اختصارکردم و اگر کسی را باید که بیشتر از این بدانند از جایی دیگر باید خوانند تا بهتر معلوم شود؛ که مذهب من اندر این کتاب اختصار است و ترک تطویل. بالله العون.

و اندر حکایات یافتیم که: چون حسین بن منصور اندر غلبه خود از عمرو ابن عثمان تبرا کرد و به نزدیک جنید آمد رحمة الله علیهم جنید وی را گفت: «به چه آمدی؟» گفت: «تا شیخ صحبت کنم.» گفت: «اگر با ما صحبت نه به فنای صفت کنی همچنان باشد که با سهل تستری و با عمرو کردی.» گفت: «ایها الشیخ، الصَّحْوُ وَ السُّكْرُ صِفَتَانِ لِلْعَبْدِ، وَمَادَامَ الْعَبْدُ مُحْجُوبًا عَنْ رَبِّهِ حَتَّى فَنِيَ أَوْصَافُهُ. صحو و سکر دو صفت‌اند مر بنده را، و

پیوسته بنده از خداوند خویش محجوب است تا اوصاف وی فانی شود.» جنیدگفت، رضی الله عنه: «یا ابن منصور، أخطأتَ في الصَّحْوِ و السُّكْرِ، خطا کردی اندر صحو سکر؛ از آنچه خلاف نیست که صحو عبارت از صحت حال است با حق، و این اندر تحت صفت و اکتساب بنده اندر ناید و من یا پسر منصور اندر کلام تو فضول می بینم بسیار و عبارات بی معنی.» و هو اعلم.

اما النوریه

تولای نوریان به ابی الحسن احمد بن محمد النوری رضی الله عنه باشد و وی یکی از صدور علمای متصوفه بود و مشهورتر از نور میان ایشان به مناقب لامع و حجج قاطع. و وی را اندر تصوف مذهبی پسندیده و قاعده‌ای گزیده است. قانون مذهبش تفضیل تصوف باشد بر فقر و معاملاتش موافق جنید باشد. و از نوادر طریقت وی یکی آن است که اندر صحبت، ایثار حق صاحب فرماید بر حق خود، و صحبت بی ایثار حرام دارد و گوید: «صحبت مر دوریشان را فریضه است و عزلت ناستوده و ایثار صاحب بر صاحب هم فریضه.» و از وی می آید که گفت: «إيَّاكُمْ و العزلة، فَإِنَّ العزلةَ مُقَارَنَةُ الشَّيْطَانِ، وَعَلَيْكُمْ بِالصُّحْبَةِ فَإِنَّ فِي الصُّحْبَةِ رِضَاءَ الرَّحْمَنِ. بپرهیزید از عزلت؛ که آن مقارنت شیطان است و بر شما بادا به صحبت که اندر صحبت؛ خشنودی خدای است، عز و جل.» و اکنون من حقیقت ایثار را بیان کنم. چون به باب صحبت و عزلت رسم آنجا رموز آن را شرح دهم تا فواید عام تر شود.

الكلام في حقيقة الايثار

قال الله، تعالی: «وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (٩/الحشر). ایثارکنند اگرچه بدان حاجتمند باشند.»

و نزول این آیت اندر فقرای صحابه بوده است بر خصوص و حقیقت ایثار آن بود که اندر صحبت، حق صاحب نگاه دارد و نصیب خود اندر نصیب وی فروگذارد و رنج بر خود نهد از برای راحت صاحب خود؛ «لأن الأيثار القيام بمعاونة الأغيار مع الاستعمال ما أمر الجبار لسؤله المختار، حيث قال: خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلین (١٩٩/الاعراف).»

و این مشرح تر اندر باب آداب الصحبة بیاید.

اما مراد اینجا ایثار است و آن بر دوگونه باشد: یکی در صحبت، چنین که ذکرش گذشت و دیگر اندر محبت و اندر ایثار حق صاحب نوعی از رنج و کلفت است؛ اما اندر ایثار حق دوست همه روح و راحت است. و اندر حکایات مشهور است که: چون غلام الخلیل با این طایفه عداوت خود ظاهر کرد و با هر یک دیگرگونه خصومتی پیش گرفت، نوری و رقام و بوحمزه را بگرفتند و به دارالخلافة بردند. غلام الخلیل گفت: «این قومی اندکه از زنداقه اند. اگر امیرالمؤمنین به کشتن ایشان فرمان دهد اصل زنداقه متلاشی شود؛ که سر همه این گروه اند و اگر این خیر بر دست وی برآید، من او را ضامنم به مزدی بزرگ.» خلیفه در وقت بفرمود که گردنهای ایشان بزنند. سیاف بیامد و آن هر سه را دست بر بست. چون قصد قتل رقام کرد، نوری برخاست و به جایگاه رقام بر دستگاه سیاف بنشست، به طربی و طوعی تمام. مردمان عجب داشتند.

سیاف گفت: «ای جوانمرد، این شمشیر چنان چیزی مرغوب نیست که بدین رغبت پیش این آیندکه تو آمدی، و هنوز نوبت به تو نرسیده است.»

گفت: «آری، طریقت من مبنی بر ایثار است، و عزیزترین چیزها زندگانی است. می‌خواهم تا این نفسی چند اندر کار این برادران کنم؛ که یک نفس دنیا بر من دوست‌تر از هزار سال آخرت است؛ از آنچه این سرای خدمت است و آن سرای قربت است، و قربت به خدمت یابند.»

این سخن، صاحب برید برگرفت و به خلیفه رفت و گفت. خلیفه از رقت طبع و دقت سخن وی اندر چنان حال متعجب شد و کس فرستاد که: «اندر امر ایشان توقف کنید.» و قاضی القضاة عباس بن علی بود، حواله حال ایشان بدو کرد. وی هر سه را به خانه برد و آنچه پرسید از احکام شریعت و حقیقت، ایشان را اندر آن تمام یافت و از غفلت خود اندر حق ایشان تشویر خورد. آنگاه نوری گفت: «ایها القاضی، این همه پرسیدی و هنوز هیچ نپرسیدی؛ که خداوند را مردان‌اند که قیامشان بدوست و قعودشان بدو و نطق و حرکت و سکون جمله بدو، زنده اند و پاینده به مشاهدت او. اگر یک لحظه مشاهدت حق از ایشان گسسته شود، خروش از ایشان برآید.» قاضی متعجب شد اندر دقت کلام و صحت حال ایشان. چیزی نبشت به خلیفه که: «اگر اینها ملحدانند من گواهی دهم و حکم کنم که بر روی زمین موحد نیست.» خلیفه مر ایشان را بخواند و گفت: «حاجت خواهید.» گفتند: «ما را به تو حاجت آن است که ما را فراموش کنی. نه به قبول خود ما را مقرب دانی، و نه به هجر مطرود؛ که هجر تو ما را چون قبول توست و قبول تو چون هجر.» خلیفه بگریست و به کرامت ایشان را بازگردانید.

و از نافع روایت آرند که گفت: ابن عمر را ماهی آرزو کرد، و اندر همه شهر طلب کردند، نیافتند. من از پس چندین روی بیافتم، بفرمودم تا بریان کردند و برگردای پیش وی بردم. اثر شادی، اندر حال بیماری اندر روی وی، به آوردن آن ماهی دیدم. در حال سائلی بر درآمد، بفرمود که: «بدان سائل دهید.» غلام گفت: «ای سید، چندین روز این می‌خواستی، اکنون چرا می‌دهی؟ ما به جای این مر سائل را لطفی دیگر کنیم.» گفت: «ای غلام، خوردن این بر من حرام است؛ که این را از دل بیرون کرده‌ام بدان خبر که از رسول صلی الله علیه شنیده‌ام. قوله، علیه السلام: «أَيُّمَا أَمْرٍ يَشْتَهَى شَهْوَةً فَرَدَّ شَهْوَتَهُ وَأَثَرَ عَلَى نَفْسِهِ، غُفِرَ لَهُ. آن که آرزو کند وی را چیزی از شهوات، آنگاه بیابد، دست از آن باز دارد و دیگری را بدان از خود اولی تر بیند لامحاله خداوند او را بیمارزد.» و در حکایات یافتم که: ده کس از درویشان به بادیه فرو رفتند. از راه منقطع شدند و تشنگی مر ایشان را دریافت، و با ایشان یک شربت آب بود. بر یکدیگر ایثار می‌کردند و کس نخورد تا همه از دنیا به تشنگی بشدند، بجز یک کس وی گفت: «چون من دیدیم که همه رفتند، من آب بخوردم و به قوت آن باز به راه آمدم.» یکی وی را گفت: «اگر نخوردی بهتر بودی.» گفت: «یا هذا! شریعت چنین دانسته‌ای؟ که اگر نخوردمی قاتل نفس خود بودمی، و مأخوذ بدان.» گفت: «پس ایشان قاتل نفوس خود بوده باشند؟» گفتا: «نه؛ از آن که از ایشان یکی می‌نخورد تا آن دیگر خورد. چون جمله اندر موافقت فرو شدند من بماندم و آب لامحاله بر من واجب شد شرعی که آن آب بیاید خورد.»

و چون امیرالمؤمنین علی کرم الله وجهه بر بستر پیغمبر علیه السلام بخفت، و پیغمبر با ابوبکررضی الله عنه از مکه بیرون آمدن و به غار اندر آمدند و آن شب کفار قصد کشتن پیغمبر علیه السلام داشتند، خداوند تعالی جبرئیل و میکائیل را گفت: «من میان شما برادری دادم و یکی را زندگانی درازتر از دیگری گردانیدم. کیست از شما دو که ایثار کند مر برادر خود را بر خود به زندگانی و مرگ را اختیار کند؟» هر دو مر خود را زندگانی اختیار کردند. خداوند تعالی با جبرئیل و میکائیل گفت: «شرف علی بدیدید و فضلش بر خود که میان وی و از آن رسول خود برادری دادم. وی قتل و مرگ خود اختیار کرد و بر جای وی بخفت و جان فدای پیغمبر علیه السلام کرد و زندگانی بر وی ایثار کرد، هر دو اکنون به زمین روید و یکی بر پایان وی نشست. جبرئیل گفت: «بَخُّ بَخُّ، مَنْ مَثَلُكَ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ؟ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاهِي بِكَ عَلِيَّ مَلَائِكَتَهُ. کیست چون تو، ای پسر بوطالب که خداوند

تعالی می به تو مباحث کند بر همه ملائکه، و تو اندر خواب خوش خفته؟» آنگاه آیت آمد اندر شأن وی، قوله تعالی: «وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ (البقره/۲۰۷)».

چون به محنت اُحَد خداوند تعالی مؤمنان را آزموده گردانید، زنی گوید از صالحات انصارکه: من بیرون آمدم با شربتی آب تا به کسی از آن خود دهم. اندر حربگاه یکی را دیدم از کرام صحابه، مجروح افتاده و نفس می شمرد به من اشارت کرد که: «از آن آب به من ده.» من آب بدو دادم. مجروحی دیگر آواز داد که: «به من ده.» وی آب نخورد و مرا بدو اشارت کرد. چون بدو بردم، دیگری آواز داد. وی نخورد و مرا گفت: «بدو بر.» همچنین تا هفت کس. چون هفتم خواست که آب از من بستاند جان بداد. بازگشتم گفتم دیگری را دهم. هوشش رفته بود تا هر هفت درگذشتند. آنگاه آیت آمد، قوله تعالی: «وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ (الحشر/۹)».

اندر بنی اسرائیل عابدی بود که چهارصد سال عبادت کرده بود. روزی گفت: «بارخدا، اگر این کوهها نبودی و نیافریدی، رفتن و سیاحت کردن بر بندگان تو آسان تر بودی.» به یکی از پیغمبران زمانه فرمان آمد که: «مر آن عابد را بگویی که: ترا بر تصرف کردن اندر ملک ما چه کار است؟ اکنون که تصرف کردی نامت از دیوان سعیدان پاک کردیم و اندر دیوان اشقیای ثبت کرد.» عابد را طربی اندر دل پدیدار آمد و سجده شکر کرد مر خداوند را، عزّ و جلّ. پیغمبر وقت گفت: «ای شیخ، بر شقاوت شکر واجب نشود.» وی گفت: «شکر من بر شقاوت از آن است که باری نام من اندر دیوان است. اما حاجتی دارم، ای پیغمبر به خدای.» گفتا: «بگویی، تا بازگویم.» گفتا: «بگویی مر خداوند را تعالی و تقدس که مرا به دوزخ فرست و تن من چندانی گردان که همه جای عاصیان موحد بگیرم تا ایشان جمله به بهشت روند.» پس فرمان آمد: «بگویی مر آن بنده را که این امتحان نه اهانت تو بود؛ که این جلوه کردن تو بود بر سر خلائق، و به قیامت، تو و آن که تو شفاعت کنی اندر بهشت باشید.»

و من از احمد حمادی سرخسی پرسیدم که: «ابتدای توبه تو چگونه بود؟» گفت: «وقتی من از سرخس برفتم و به بیابان فرو شدم بر سر اشتران خود و آنجا مدتی ببودم و پیوسته من دوست داشتمی که گرسنه بودمی و نصیب خود به دیگری دادمی، و قول خدای عزّ و جلّ «وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ (الحشر/۹)» در پیش خاطر من تازه بودی، و بدین طایفه اعتقادی داشتم. روزی شیری گرسنه از بیابان برآمد و اشتری از آن من بشکست و بر سر بالایی شد و بانگی بکرد تا هر چه اندر آن نزدیکی سباعی بود بانگ وی بشنیدند، بر وی جمع شدند. وی بیامد و اشتر را بر درید و هیچ نخورد و باز بر سر بالا شد. آن سباع، از گرگ و شگال و روباه و مثلهم، همه از آن خوردن گرفتند و وی می بود تا همه بازگشتند. آنگاه قصد کرد تا لختی بخورد رویاهی لنگ از دور پدیدار شد. شیر بازگشت تا آن روباه لنگ چندان که بایست بخورد و بازگشت. آنگاه شیر بازآمد و لختی از آن بخورد، و من از دور نظاره می کردم. چون بازگشت به زبانی فصیح مرا گفت: «یا احمد، ایثار بر لقمه کار سگان است، مردان جان و زندگانی ایثارکنند.» چون این برهان بدیدم، دست از کل اشغال برداشتم. ابتدای توبه من آن بود.»

و جعفر خلدی رضی الله عنه گوید: روزی ابوالحسن نوری رحمه الله و رَضِيَ عَنْهُ اندر خلوت مناجات می کرد. من برفتم تا مناجات وی را گوش دارم، چنانکه وی نداند؛ که سخت فصیح و لَبِق می بود. گفت: «بارخدا، اهل دوزخ را عذاب کنی و جمله آفریدگان تواند و به علم و قدرت و ارادت قدیم تواند. اگر ناچار دوزخ را از مردم پر خواهی، قادری بر آن که به من دوزخ و طبقات آن پرگردانی، و مر ایشان را به بهشت فرستی.» جعفر گفت: «من در امر وی متحیر شدم. به خواب دیدم که آینده ای بیامدی و گفتمی خداوند تعالی گفت: ابوالحسن را بگویی ما ترا بدان تعظیم و شفقت تو بخشیدیم که به ما و بندگان ماست.»

و وی را نوری بدان خواندندی که اندر خانه تاریک چون سخن گفتمی، به نور باطنش خانه روشن شدی، و به نور

حق اسرار مریدان بدانستی؛ تا جنیدگفت ورا: «ابوالحسن جاسوس القلوب است.»
این است تخصیص مذهب وی، و این اصلی قوی است و امر معظم به نزدیک اهل بصیرت. و بر آدمی هیچ چیز
از بذل روح سخت تر نیست و دست بداشتن محبوب خود و خداوند تعالی کلید همه نیکوییها مر بذل محبوب
خود را گردانیده است؛ لقلوله، تعالی: «لَنْ تَأْلُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ (۹۲/آل عمران).» و چون روح کسی
مبذول باشد، مال و منال و خرقة و لقمه را چه خطر باشد؟

و اصل این طریقت این است؛ چنانکه یکی به نزدیک رُویم امدکه: «مرا وصیتی کن.» بگفت: «یا بُنِیَّ، لیسَ
هَذَا الْأَمْرُ غَيْرَ بَدَلِ الرُّوحِ إِنْ قَدَرْتَ عَلَى ذَلِكَ وَالْأَفْلا تَشْتَغِلُ بِتَرَهَاتِ الصُّوفِيَّةِ. این امر بجز بذل جان نیست
اگر توانی و الا به ترهات صوفیان مشغول مشو.»

و هرچه جز این است همه ترهات است، و خداوند جل جلاله گفت، عَزَّ مِنْ قَائِلٍ: «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي
سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ (۱۶۹/آل عمران)»، و قوله تعالی: «وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ
بَلْ أَحْيَاءٌ (۱۵۴/البقره).»

پس حیات ابدی اندر قربت سرمدی به بذل روح یابند، و ترک نصیب خود اندر فرمان وی و متابعت دوستانش.
اما ایثار و اختیار جمله اندر رؤیت تفرقه باشد و اندر عین جمع ایثار، که ترک نصیب است خود اصل نصیب بود
و تا روش طالب متعلق به کسب وی بود، همه هلاک وی بود و چون جذب حق ولایت خود ظاهر کرد، احوال
وی جمله بر هم بشولید، وی را عبارت نماند و روزگارش را اسم نه، تا کسی وی را نامی نهد و یا از وی عبارتی
کند و یا چیزی را بدو حوالتی رود؛ چنانکه شبلی گوید، رحمة الله علیه:

غَبِثْتُ عَنِّي فَمَا أَحْسَبُ بِنَفْسِي وَتَلَاشَتْ صِرْفَاتِي الْمَوْصُوفَةَ
فَأَنَا الْيَوْمَ غَائِبٌ عَن جَمِيعٍ لَيْسَ إِلَّا الْعِبَارَةُ الْمَلْهُوفَةَ

و اما السهلیة

تولای سهلیان به سهل عبدالله التستری رحمة الله علیه باشد و وی از محتشمان اهل تصوف بود و کبرای ایشان؛
چنانکه ذکر وی گذشت، و در جمله اندر وقت خود سلطان وقت بود و از اهل حل و عقد اندر این طریقت. وی
را براهین بسیار ظاهر بود که از ادراک حکایات آن عقل عاجز شود.

و طریقت وی اجتهاد و مجاهدت نفس و ریاضت است و مریدان را به مجاهدت به درجه کمال رسانیدی.
و اندر حکایات معروف است که: مریدی را گفت: «جهدکن تا یک روز همه روز می گویی که: الله الله.» و
دیگر روز و سدیگر همچنان تا بر آن خوگرد. گفت: «اکنون شبها بدان پیوند.» چنان کرد تا چنان شد که اگر خود
را به جای خواب دیدی همان می گفتی اندر خواب، تا آن عادت طبع وی شد. آنگاه گفت: «اکنون از این
بازگرد به یادداشت مشغول شو.» تا چنان شد که همه روزگارش مستغرق آن گشت. قال بَعْضُهُمْ: «ذِكْرُ اللِّسَانِ
غَفْلَةٌ وَ ذِكْرُ الْقَلْبِ قُرْبَةٌ.»

وقتی اندر خانه ای بود، چوبی از هوادرافتاد، بر سر وی آمد و بشکست و قطره های خون از سرش بر زمین می آمد
نیشته پدید می شد که: «الله الله.»

و پرورش مریدان از روی مجاهدت و ریاضت طریق سهلیان است، و خدمت درویشان و حرمت ایشان طریق
حمدونیان و به مراقبه باطن طریق جنیدیان. رحمة الله علیهم اجمعین.

اما ریاضت و مجاهدت جمله خلاف کردن نفس باشد و تا کسی نفس را نشناخت ریاضت و مجاهدت وی را
سود ندارد. اکنون من در حقیقت نفس و معرفت آن بیانی کنم تا معلوم شود. آنگاه بیان مذهب اندر مجاهدات

و احکام آن فرونهم تا بر طالب معرفت هر دو پیدا شود و بالله التوفیق.

الكلام في حقيقة النفس و معنى الهوى

بدان که نفس از روی لغت وجودُ الشَّيء باشد و حقیقتُهُ و ذاتُهُ، و اندر جریان عادات و عبارات مردمان محتمل است مر معانی بسیار را بر اختلاف یکدیگر، استعمال کنند به معانی متضاد.

به نزدیک گروهی نفس به معنی روح است، و به نزدیک گروهی به معنی مروت، و به نزدیک قومی به معنی جسد و به نزدیک گروهی به معنی خون. اما محققان این طایفه را مراد از این لفظ هیچ از این جمله نباشد، و اندر حقیقت آن موافقاند که منبع شر است و قاعدهٔ سوء.

اما گروهی گویند: عینی است مودع اندر قالب؛ چنانکه روح، و گروهی گویند صفتی است مر قالب را؛ چنانکه حیات، و متفقاند که اظهار اخلاق دنی و افعال مذموم را سبب اوست و این بر دو قسمت بود: یکی معاصی و دیگر اخلاق سوء چون کبر و حسد و بخل و خشم و حقد و آنچه بدین ماند از معانی ناستوده اندر شرع و عقل. پس به ریاضت مر این اوصاف را از خود دفع تواند کرد؛ چنانکه به توبه مر معصیت را؛ که معاصی از اوصاف ظاهر بود و این اخلاق از اوصاف باطن و ریاضت از افعال ظاهر بود و توبه از اوصاف باطن.

آنچه اندر باطن پدیدار آید از اوصاف دنی به اوصاف سنئی ظاهر پاک شود و آنچه بر ظاهر پدیدار آید به اوصاف باطن پاک شود و نفس و روح هر دو از لطایف اندر قالب؛ چنانکه اندر عالم شیاطین و ملائکه و بهشت و دوزخ، اما یکی محل خیر است و یکی محل شر؛ چنانکه چشم محل بصر است و گوش محل سمع و کام محل ذوق و مانند این از اعیان و اوصافی که اندر قالب آدمی مودع است. پس مخالفت نفس، سر همه عبادتهاست و کمال همه مجاهدتها و بنده جز بدان به حق راه نیابد؛ از آن که موافقت وی هلاک بنده است و مخالفت وی نجات بنده و خداوند تعالی و تقدس امر کرد به خلاف کردن آن و مدح کرد مر آن کسان را که به خلاف نفس کوشیدند و ذم کرد مر آنها را که به موافقت نفس رفتند؛ کما قال الله، تبارک و تعالی: «وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (۴۰ و ۴۱/التَّازِعَاتُ)»، و قوله تعالی: «أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنْفُسُكُمْ اسْتَكْبَرْتُمْ (۸۷/البقره)»، و از یوسف صدیق علیه السلام ما را خبر داد: «وَمَا أُبْرِي نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي (۵۳/یوسف)».

و پیغمبر گفت، علیه السلام: «إِذَا أَرَادَ اللَّهُ بَعْدَ خَيْرٍ بَصْرَةً بَعِيْبٍ نَفْسِهِ.» و اندر آثار مورود است که: خداوند تعالی و تقدس به داود علیه السلام وحی فرستاد: «يَا دَاوُدُ، عَادَ نَفْسَكَ وَوَدَّئِنِي بَعْدَاوَتِيهَا؛ فَإِنَّ وُدِّي فِي عَدَاوَتِيهَا.»

پس این جمله که یاد کردیم اوصاف اند و لامحاله صفت را موصوفی باشد تا بدان قایم بود؛ از آنچه صفت به خود قایم نباشد، و معرفت آن صفت جز به شناخت جملهٔ قالب معلوم نگردد و طریق شناختن آن، بیان اوصاف انسانیت باشد و سر آن و اندر حقیقت انسانیت مردمان سخن گفته اند که تا این اسم چه چیز را سزاوار است. و علم این بر همه طالبان حق فریضه است؛ از آنچه هر که به خود جاهل بود به غیر جاهل تر بود و چون بنده مکلف بود به معرفت خداوند عزّ و جلّ معرفت خود ورا بیاید تا به صحت حَدَثِ خود قَدَمِ خداوند عزّ و جلّ بشناسد و به فنای خود بقای حق تعالی وی را معلوم گردد و نص کتاب بدین ناطق است؛ کما قال الله، تعالی: «وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مِنْ سَفَهٍ نَفْسَهُ (۱۳۰/البقره)» ای جَهْلَ نَفْسِهِ.

و یکی گفته است از مشایخ: «مَنْ جَهَلَ نَفْسَهُ فَهُوَ بِالْغَيْرِ أَجْهَلُ.»

و رسول گفت، علیه السلام: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ.» ای مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالْفَنَاءِ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ بِالْبَقَاءِ،

وَيَقَالُ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالذُّلِّ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ بِالْعِزِّ، وَيُقَالُ: مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ.
پس هرکه خود را نشناسد از معرفت کل محبوب باشد و مراد از این جمله اینجا معرفت انسانیت است و اختلاف مردمان اندر آن.

از اهل قبله گروهی گویند: «انسان جز روح نیست. این جسد جوشن و هیكل آن است و موضع و مأوی گاه و بنیت آن تا از خلل طبایع محفوظ باشد و حس و عقل صفت آن.» و این باطل است؛ از آنچه جان چون از این بنیت جدا شود و را می‌انسان خوانند و این نام از آن شخص مرده می‌برنخیزد چون جان با وی بود مردمی بود زنده، چون بمرد انسانی باشد مرده و دیگر آن که جان نیز در قالب ستوران موجود است و ایشان را انسان می‌نخوانند اگر علت انسانیت هم روح بودی بایستی که هر جای که جان بودی حکم انسانیت موجود بودی. پس دلیل ثابت شد بر بطلان قول ایشان.

و گروهی دیگر گفتند که: «این اسم واقع است بر روح و جسد به یک جای و چون یکی از دیگری مفارق شود این اسم ساقط گردد؛ چنانکه بر اسبی چون دو رنگ مجتمع گردد یکی سیاه و دیگر سپید آن را ابلق خوانند و چون آن دو رنگ از یکدیگر جدا گردد، یکی سفید بود و یکی سیاه.» و این نیز باطل است؛ لقله، تعالی: «هَلْ أتی عَلَى الْإِنْسَانِ حِينَ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً (۱/الانسان)» و مر خاک آدم را بی جان انسان خواند و هنوز جان به قالب نپیوسته بود.

و گروهی دیگر گویند: «انسان جزوی است نامتجزی و محل آن دل است که قاعده همه اوصاف آدمی ان است.» و این هم محال است؛ که اگر یکی را بکشند و دل از وی بیرون کنند هم اسم انسانیت از او ساقط نشود، و پیش از جان به اتفاق در قالب آدم دل نبود.

و گروهی از مدعیان متصوفه را اندر این معنی غلطی افتاده است و گویند که: «انسان آکل و شارب و محل تغیر نیست و ان سر الهی است و این جسد تلیس آن است و آن مودع است اندر امتزاج طبع و اتحاد جسد و روح.» گوئیم: به اتفاق جمله عقلا، مجانین و فساق و جهال و کفار را اسم انسانیت است و در ایشان هیچ معنی نیست از این اسرار، و جمله متغیر و آکل و شارب‌اند و در قالب و وجود و شخص هیچ معنی نیست که آن را انسان خوانند و از بعد عدمش نیز نه و خداوند عز و جل جمله مایه‌ها را که اندر ما مرکب گردانیده است، انسان خوانده است بدون معنیها که آن در بعضی آدمیان نیست؛ لقله، تعالی: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ، ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِی قَرَارٍ مَّكِينٍ، ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ (۱۲، ۱۳، ۱۴/المؤمنون)».

پس به قول خدای عز و جل که اصدق القائلین است، از خاک تا خاک این صورت مخصوص محسوس با همه تعبیه و تغیراتش انسان است؛ چنانکه گروهی گفتند از اهل سنت که: انسان حیی است که صورتش بر این هیأت معهود است که موت این اسم را از وی نفی نکند با صور معهود و آلت موسوم بر ظاهر و باطن و مراد از صور معهود تن درست و بیمار بود و آلت موسوم عاقل و مجنون و باتفاق هر چه صحیح‌تر بود، کاملتر بود اندر خلقت. پس بدان که ترکیب انسان آن که کامل‌تر بود به نزدیک محققان از سه معنی باشد: یکی روح و دیگر نفس و سدیگر جسد و هر عینی را از این صفتی بود که بدان قایم بود: روح را عقل، و نفس را هوی و جسد را حس.

و مردم نمونه‌ای است از کل عالم و عالم نام دو جهان است و از هر دو جهان در انسان نشان است. نشان این جهان باد و خاک و آب و آتش، ترکیب وی از بلغم و خون و صفرا و سودا و نشان آن جهان بهشت و دوزخ و عرصات جان به جای بهشت از لطافت و نفس به جای دوزخ از آفت و وحشت و جسد به جای عرصات. جمال این هر دو معنی به قهر و مؤانست. پس بهشت تأثیر رضای وی و دوزخ نتیجه سخطش، همچنین روح مؤمن از

رُوح معرفت و نفس وی از حجاب ضلالت و تا در قیامت مؤمن ازدوزخ خلاص نیابد و به بهشت نرسد، حقیقت رؤیت نیابد و به صفای محبت نرسد همچنین تا بنده اندر دنیا از نفس نجات نیابد و به تحقیق ارادت نرسد که قاعده آن روح است به حقیقت قربت و معرفت نرسد.

پس هرکه اندر دنیا وی را بشناسد و از دیگران اعراض کند و بر صراط شریعت قیام کند به قیامت دوزخ و صراط نبیند.

و در جمله روح مؤمن داعی بود به بهشت؛ که اندر دنیا نمونه آن وی است، و نفس داعی وی بود به دوزخ؛ که اندر دنیا نمونه آن وی است. آن یکی را مدبر عقل تمام و آن دیگر را قائد هوای ناقص تدبیر آن یکی صواب و از آن دیگر خطا. پس بر طالبان این درگاه واجب بود که پیوسته طریق مخالفت وی سپرند تا به خلاف وی مر روح و عقل را مدد کرده باشند؛ که آن موضع سر خداوند است، جل جلاله.

فصل

اما آنچه مشایخ گفته‌اند اندر نفس:

ذوالنون مصری گوید، رحمة الله علیه: «أشدُّ الحجابِ رؤيةُ أنفُسٍ و تدبیرها.» سخت ترین حجاب مر بنده را رؤیت نفس و متابعت تدبیر آن باشد؛ از آنچه متابعت وی مخالفت رضای حق باشد و مخالفت حق سر همه حجابها بود.

ابویزید گوید، رحمة الله علیه: «النَّفْسُ صِفَةٌ لَا تَسْكُنُ إِلَّا بِالْبَاطِلِ.»

نفس صفتی است که سکونت آن جز به باطل نباشد و هرگز ورا سپری نکند. محمد بن علی الترمذی گوید، رحمة الله علیه: «تريدُ أن تعرفَ الحقَّ مع بقاءِ نفسِكَ فيك و نفسِكَ لا تعرفُ نفسَهَا، فكيفَ تعرفُ غيرها؟» خواهی تا حق را بشناسی با بقای نفس تو اندر تو و نفس تو خود را با بقای خود مر خود را نمی شناسد چگونه غیر را بشناسد؟ یعنی نفس خود اندر حال بقای خود به خود محجوب است چون به خود محجوب بود به حق چگونه مکاشف گردد؟

جنید گوید، رضی الله عنه: «أساسُ الكُفْرِ قِيَامُكَ عَلَى مُرَادِ نَفْسِكَ.»

بنای کفر قیام بنده باشد بر مراد نفس خود؛ از آنچه نفس را با لطیفه اسلام مقارنت نیست، لامحاله پیوسته به اعراض کوشد و معرض، منکر بود و منکر، بیگانه.

ابوسلیمان دارانی گوید، رحمة الله: «النَّفْسُ خَائِنَةٌ مَانِعَةٌ و أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ خِلَافُهَا.»

نفس خائن است اندر امانت و مانع است اندر طلب رضا و بهترین اعمال خلاف وی است؛ از آنچه خیانت اندر امانت بیگانگی بود و ترک رضا گم شدگی.

و انفس ایشان رحمهم الله اندر این معنی بیش از آن است که حصر پذیرد. آدمم با سر مقصود و اثبات مذهب سهل اندر صحت مجاهدت نفس و ریاضت آن، و طریق بیان آن اندر حقیقت. و بالله التوفيق.

الكلام في مجاهدات النفس

قوله، تعالى: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (٦٩/العنكبوت).»

و قال النبي، عليه السلام: «المُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي اللَّهِ.»

و قوله عليه السلام: «رَجَعْنَا مِنَ الْجِهَادِ الْأَصْغَرِ إِلَى الْجِهَادِ الْأَكْبَرِ.» قيل: «يا رسولَ الله، وَمَا الْجِهَادُ الْأَكْبَرُ؟»

قال: «أَلَا وَهِيَ مُجَاهَدَةُ النَّفْسِ.»

:«بازگشتیم از جهاد خردتر یعنی از غزو به سوی جهاد بزرگتر.» گفتند: «یا رسول الله، جهاد بزرگتر کدام

است؟» فرمود: «مجاهدت نفس.»

و رسول صلی الله علیه و آله مجاهدت نفس را بر جهاد تفضیل نهاد؛ از آنچه رنج آن زیادت بود از رنج جهاد و غزو؛ بدانچه خلاف هوی و قهرکردن نفس عظیم کاری شگرف است.

پس بدان اکرمک الله که طریقی مجاهدت نفس و سیاست آن واضح است و پیدا و ستوده میان همه اهل ادیان و ملل و مختص اند اهل این طریقت به رعایت آن و مستعمل و جاری است این عبارت اندر میان خواص و عوام ایشان و مشایخ را رُضی عنهم اندر این معنی رموز و کلمات بسیار است.

و سهل بن عبدالله رضی الله عنه اندر اصل این غلو بیشتر کند و وی را اندر مجاهدت نفس براهین بسیار است و گویند که خود را بر آن داشته بود که هر پانزده روز یک بار طعام خوردی و عمری دراز بگذاشت به غذایی اندک. و جمله محققان مجاهدت اثبات کرده اند و آن را اسباب مشاهدت گفته، مگر آن پیر بزرگوار که مجاهدت را علت مشاهدت گفته است و مر طلب را در حق یافت تأثیری عظیم نهاده است و وی زندگانی دنیا را در طلب، فضل نهد بر حیات عقبی در حصول مراد؛ از آنچه گوید آن ثمره این است؛ که چون در دنیا خدمت کنی آنجا قربت یابی بی خدمت آن قربت نباشد. باید تا علت وصول حق مجاهدت بنده باشد که بکند هم به توفیق حق.

و وی گفت، رضی الله عنه: «المشاهداتُ موارِثُ المجاهدات.»

و دیگران گویند: وصول حق را علت نباشد؛ که هر که به حق رسد به فضل رسد. فضل را با فعل چه کار بود؟ پس مجاهدت تهذیب نفس را بود نه حقیقت قرب را؛ از آنچه رجوع مجاهدت به بنده باشد و حواله مشاهدت به حق. محال بود که این علت آن گردد یا آن آلت این.

حجت سهل اندر این، قول خدای است، عز وجل، عز من قائل: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (۶۹/العنکبوت)» آن که مجاهدت کند مشاهدت یابد. و نیز جمله ورود انبیا و اثبات شریعت و نزول کتب و جمله احکام تکلیف بنابراین است و اگر مجاهدت علت مشاهدت نبودی حکم این جمله باطل شدی و نیز جمله احوال دنیا و عقبی تعلق به حکم و علل دارد و هر که علل از حکم نفی کند شرع و رسم جمله بردارد نه اندر اصل اثبات تکلیف درست آید و نه اندر فرع طعام مر سیری را علت گردد و یا جامه مر دفع سرما را و این تعطیل کل معانی بود.

پس رؤیت اسباب اندر افعال توحید بود و رفع آن تعطیل و این را اندر شاهد دلایل است و انکار این انکار مشاهدت و مکابره عیان باشد. نینی که اسبی توسن را به ریاضت از صفت ستوری می به صفت مردمی آرند تا اوصاف اندر وی مبدل گردانند تا تازیانه از زمین برگیرد به خداوند دهد و گوی را به دست بگرداند و مانند این، افعال دیگر بکند و کودک بی عقل عجمی را می به ریاضت عربی زبان کنند و نطق طبعی وی اندر وی مبدل می گردانند. و باز وحشی را به ریاضت بدان درجه رسانند که چون بگذارند بشود و چون بخوانند باز آید، و رنج و بند وی بر وی دوست تر از آزادی و گذاشتگی بود. و سگی پلید گذاشته را می به مجاهدت بدان محل رسانند که کشته وی می حلال گردد و از آن آدمی بر مجاهدت و ریاضت نایافته حرام بود و مانند این بسیار است. پس مدار جمله شرع و رسم بر مجاهدت است.

و رسول صلی الله علیه و آله اندر حال قرب حق و یافتن کام و امن عاقبت و تحقیق عصمت چندان مجاهدت کرد از گرسنگیهای دراز و روزههای وصال و بیداریهای شب که فرمان آمد: «یا مُحَمَّدُ، طه ما أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى (۱ و ۲ / طه)، قرآن به تو بدان نفرستادیم تا تو خود را هلاک کنی.»

و از ابوهریره رضی الله عنه روایت کنند که: رسول صلی الله علیه و آله اندر حال عمارت مسجد خشت می کشید و من می دیدم که وی را می رنج رسید. گفتم: «یا رسول الله، آن خشت به من ده که من به جای تو این کار بکنم.»

گفت: «یا باهریره، خُذْ غَيْرَهَا فَإِنَّهُ لَا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الْآخِرَةِ. تو خشت دیگر بردار که سرای عیش آخرت است و دنیا سرای رنج و مشقت است.»

و حیان خارجه روایت کند: از عبدالله عمر رضی الله عنهما پرسیدم که: «اندر غزو چه گویی؟» گفت: «إِبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَجَاهِدْهَا وَ اِبْدَأْ بِنَفْسِكَ فَاعْزُهَا فَإِنَّكَ إِنْ قُتِلْتَ فَأَرَأَيْتَ فَارَأَى بَعَثَكَ اللَّهُ فَارَأَى، وَإِنْ قُتِلْتَ مَرَاتِيًا بَعَثَكَ اللَّهُ مَرَاتِيًا، وَإِنْ قُتِلْتَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا بَعَثَكَ اللَّهُ صَابِرًا مُحْتَسِبًا.»

پس همچندان که تألیف و ترکیب عبارت را اندر حق بیان معانی اثر است، تألیف و ترکیب مجاهدت را اندر وصول معانی اثر است. چون بیان بی عبارت و تألیف آن درست نیاید، وصول بی مجاهدت درست نیاید و آن که دعوی کند مخطی بود؛ از آنچه عالم و اثبات حدّث آن دلیل معرفت آفریدگار است و معرفت نفس و مجاهدت آن دلیل وُصلت وی.

و حجت گروه دیگر آن که گویند: «این آیت اندر تفسیر مقدم و مؤخر است: وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا؛ اَي وَالَّذِينَ هَدَيْنَاهُم سُبُلَنَا جَاهَدُوا فِينَا.» و رسول گفت، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَنْ يَنْجُو أَحَدُكُمْ بِعَمَلِهِ.» قِيلَ: «وَلَا أَنْتَ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟» قَالَ: «وَلَا أَنَا؛ إِلَّا أَنْ يَتَّعَمَدَنِيَ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ.»

: «نرهد یکی از شما به عمل خود.» گفتند: «تو هم نرهی، یا رسول الله؟» گفت: «من هم نرهم؛ جز آن که خداوند تعالی بر من رحمت کند.»

پس مجاهدت فعل بنده باشد و محال باشد که فعل وی علت نجات وی گردد. پس خلاص و نجات بنده متعلق به مشیت است نه به مجاهدت؛ كما قال الله، تعالی: «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا (۱۲۵/الانعام).» و نیز گفت: «تَوْتِي الْمُلْكُ مَنْ تَشَاءُ وَ تَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ (۲۶/آل عمران).» تکلف همه عالمیان اندر اثبات مشیت خود نفی کرد. و اگر مجاهدت علت وصول بودی، ابلیس مردود نبود و اگر ترک آن علت رد و طرد بودی آدم هرگز مقبول و مصفا نبود. پس کار، سبقت عنایت دارد نه کثرت مجاهدت نه هرکه مجتهدتر ایمن تر؛ که هرکه عنایت بدو بیشتر به حق نزدیک تر. یکی اندر صومعه مقرون طاعت، از حق دور، یکی در خرابات موصول معصیت به رحمت حق نزدیک و اشرف همه معانی ایمان است. کودکی را که مکلف نیست حکمش حکم ایمان بود و مجانبین را همچنان. پس چون اشرف مواهب را مجاهدت علت نباشد آنچه کم از آن بود هم به علت محتاج نباشد.

و من که علی بن عثمان الجلابی ام، می گویم که: این خلاف است اندر عبارت بدون معنی؛ از آن که یکی می گوید: «مَنْ طَلَبَ وَجَدَ» و دیگری می گوید: «مَنْ وَجَدَ طَلَبَ» و سبب یافتن طلب بود و سبب طلبیدن یافت. آن می مجاهدت فرماید تا مشاهدت یابد و این مشاهدت یابد تا مجاهدت کند و حقیقت این آن بود که مشاهدت اندر مجاهدت به جای توفیق است اندر طاعت و آن عطاست و از حق است، عزّ و جلّ.

پس چون حصول طاعت بی توفیق محال بود، حصول توفیق نیز بی طاعت محال بود و چون بی مشاهدت مجاهدت موجود نباشد، بی مجاهدت مشاهدت محال بود. پس کمعهای از جمال خداوندی می بیاید تا بنده را به مجاهدت دلالت کند و چون علت وجود مجاهدت آن باشد هدایت سابق بود بر مجاهدت.

اما آنچه آن قوم یعنی سهل و اصحاب وی حجت کنند که: «هرکه مجاهدت را منکر بود اثبات ورود جمله انبیا و کتب و شرایع را منکر بود؛ که مدار تکلیف بر مجاهدت است.» آن بهتر از این می باید؛ که مدار تکلیف بر هدایت حق است. مجاهدت اثبات حجت راست نه حقیقت وُصلت را. قوله، تعالی: «وَكُلُّ مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ (۱۱۱/الانعام).»

اگر ما فریستگان را بدیشان فرستیم و مردگان را با ایشان به سخن آریم و برانگیزیم بر ایشان همه چیزها را، ایشان

ایمان نیارند تا ما نخواهیم؛ از آنچه علت ایمان مشیت ماست، نه رؤیت دلایل و مجاهدت ایشان. و نیز گفت، تعالی و تقدس: «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ (۶/البقره)». آنان که کافرانند، متساوی است به نزدیک ایشان اظهار حجت و انذار از احوال قیامت و ترک آن ایشان ایمان نیارند؛ که ما مر ایشان را از اهل آن نگردانیده‌ایم و دل‌های ایشان به حکم شقاوت مختوم است. پس ورود انبیاء و نزول کتب و ثبوت شرایع، اسباب وصول‌اند نه علت آن؛ از آنچه ابوبکر اندر حکم تکلیف چون ابوجهل بود، اما ابوبکر به عدل و به فضل رسید و بوجهل به عدل از فضل بازماند. پس علت وصول عین وصول است نه طلب وصول؛ که اگر طلب و مطلوب هر دو یکی بودی، طالب واجد بودی و چون واجد بودی، طالب نبودی؛ از آنچه رسیده آسوده باشد و بر طالب آسایش درست نیاید.

و پیغمبر صلی الله علیه گفت: «مَنْ اسْتَوَى يَوْمَهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ». هر که را دو روز چون هم بود یعنی از طالبان وی اندر غنبنی ظاهر بود. باید که هر روز بهتر باشد، و این درجت طالبان است. و باز گفت: «إِسْتَقِيمُوا وَلَنْ تَحْضُوا. استقامت گیرید و بر حال باشید.» پس مجاهدت را سبب گفت و سبب اثبات کرد مر اثبات حجت را، و وصول از سبب نفی کرد تحقیق الهیت را.

و آنچه گویند که: «اسب را به مجاهدت می به صفتی دیگر گردانند»، بدان که اندر اسب صفتی است مکتوم که اظهار آن را مجاهدت سبب است که تا ریاضت نیابد آن معنی ظاهر نشود و اندر خر که آن معنی نیست هرگز اسب نگردد. نه اسب را به مجاهدت خر توان کرد و نه خر را به ریاضت اسب توان گردانید؛ از آنچه این قلب عین باشد. پس چون چیزی عینی را قلب نتواند کرد، اثبات آن اندر حضرت حق محال بود.

بر آن پیر، رضی الله عنه یعنی سهل تستری مجاهدتی می رفت که وی از آن آزاد بود و در عین آن، عبارت او از آن منقطع بود. نه چون گروهی که عبارت آن را بی معاملت مذهب گردانیده‌اند و محال باشد که آنچه همه معاملت می باید همه عبارت گردد.

و در جمله مر اهل این قصه را مجاهدت و ریاضت موجود است باتفاق، اما رؤیت آن اندر آن آفت است. پس آن که می مجاهدت نفی کند نه مراد عین مجاهدت است؛ که مراد رؤیت مجاهدت است و مُعْجَب ناشدن به افعال خود اندر محل قدس؛ از آنچه مجاهدت فعل بنده بود و مشاهده داشت حق، تا داشت حق نباشد فعل بنده قیمت نگیرد.

لَعْمَرَى از خودت دل نگرفت که چندین مشاطگی خود کنی و فضل حق همی نبینی که چندین سخن فعل خود گویی؟!!

پس مجاهدت دوستان فعل حق باشد اندر ایشان بی اختیار ایشان، و آن قهر و گدازش بود و گدازشی بود که جمله نوازش بود. و مجاهدت غافلان فعل ایشان باشد اندر ایشان به اختیار ایشان و آن تشویش بود و پراکندگی و دل پراکنده از آفت بر آکنده بود. پس تا توانی از فعل خود عبارت مکن و اندر هیچ صفت نفس را متابعت مکن؛ که وجود هستی تو حجاب توست. اگر به فعلی محجوب بودی به فعلی دیگر برخاستی چون کلیت تو حجاب است تا بکلیت فنا نگردی، شایسته بقا نگردی؛ «لَأَنَّ النَّفْسَ كَلْبٌ بَاغٍ، وَجِلْدُ الْكَلْبِ لَا يُطَهَّرُ إِلَّا بِالذَّبَاغِ».

و اندر حکایات معروف است که حسین بن منصور رحمة الله علیه به کوفه اندر خانه محمد بن حسن العلوی نزول کرده بود. ابراهیم خواص رحمة الله علیه به کوفه اندر آمد. چون خیر وی بشنید نزدیک وی اندر آمد. حسین گفت: «یا ابراهیم، اندر چهل سال که بدین طریقت تعلق داری، از این معنی ترا چه چیز مسلم شده است؟» گفت: «طریق توکل مرا مسلم شده است.» حسین گفت، رضی عنه: «ضَيَّعَ عُمَرَكَ فِي عُمَرَانَ بَاطِنِكَ، فَأَيْنَ

الفناء فی التَّوْحِيد؟ عمر اندر عمران باطن ضایع کردی فنا کجاست اندر توحید؟» یعنی توکل عبارتی است از معاملات خود با خداوند و درستی باطن به اعتماد کردن با وی و چون کسی عمری اندر معالجت باطن کند عمری دیگر باید تا اندر معالجت ظاهر کند؛ و دو عمر ضایع شد هنوز از وی به حق اثری نباشد.

و از شیخ بوعلی سیاه مروزی رحمة الله علیه حکایت کنند که گفت: من نفس را بدیدم به صورتی مانند صورت من که یکی موی وی گرفته بود و وی را به من داد و من وی را بر درختی بستم و قصد هلاک وی کردم. مرا گفت: «یا با علی، مرنج که من لشکر ویم عزّ و جلّ تو مرا کم نتوانی کرد.»

و از محمد علیان نسوی روایت آرند و وی از کبار اصحاب جنید بود، رحمة الله علیهم اجمعین که: من اندر ابتدای حال که به آفتهای نفس بینا گشته بودم و کمینگاههای وی بدانسته بودم، از وی حقدی پیوسته اندر دل من بود. روزی چیزی چون روباه بچه‌ای از گلوی من برآمد و حق تعالی مرا شناسا گردانید. دانستم که آن نفس است وی را به زیر پای اندر آوردم. هر لگدی که بر وی می‌زدم، وی بزرگتر می‌شد. گفتم: «ای هذا! همه چیزها به زخم و رنج هلاک شوند تو چرا می‌زیادت شوی؟» گفت: «از آنچه آفرینش من بازگونه است. آنچه رنج چیزها بود، راحت من بود و آنچه راحت چیزها بود رنج من بود.»

و شیخ ابوالعباس شقانی که امام وقت بود، رضی الله عنه گفت: من روزی به خانه اندر آمدم، سگی دیدم زرد بر جای خود خفته. پنداشتم که از محلت اندر آمده است. قصد راندن وی کردم وی به زیر دامن من اندر آمد و ناپدید شد.

و شیخ ابوالقاسم گرکان رضی الله عنه که امروز قطب المّدار علیه وی است ابقاه الله وی از ابتدای حال نشان داد که: من ورا به صورت ماری دیدم.

و درویشی گفت که: من نفس را بدیدم بر صورت موشی. گفتم: «تو کیستی؟» گفت: «من هلاک غافلانم که داعی شر و سوء ایشانم و نجات دوستان؛ که اگر من با ایشان نباشم که وجود من آفت است ایشان به پاکی خود مغرور شوندی و با افعال خود متکبر؛ که چون اندر طهارت دل و صفای سر و نور ولایت و استقامت بر طاعت نگرند، زهوی در ایشان پدیدار شود و باز چون مرا بینند اندر میان دو پهلوی خود آن جمله از ایشان پاک شود.»

و این حکایات دلیل است که نفس عینی است نه صفتی و وی را صفت است، اما اوصاف وی ظاهر می‌بینیم. و پیغمبر صلی الله علیه و سلم فرمود: «أعدی عَدُوَّكَ نَفْسَكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ. دشمن‌ترین دشمنان تو نفس توست در میان دو پهلوی تو.» پس چون معرفت آن حاصل آمد وجود آن را به ریاضت به دست توان آورد، اما اصل و مایه وی نیست نگردد و چون شناخت وی درست شد، طالب مَلِک باشد باک نبود از بقای وی اندر وی؛ «لأنَّ النَّفْسَ كَلْبٌ نَبَاحٌ وَإِمْسَاكُ الْكَلْبِ بَعْدَ الرِّيَاضَةِ مُبَاحٌ.»

پس مجاهدت نفس مر فَنای اوصاف نفس را بود نه فَنای عین وی را و مشایخ را رضی الله عنهم اندر این معنی سخن بسیار است؛ ما مر خوف تطویل کتاب را بدین مقدار کفایت کردیم. اکنون سخن اندر حقیقت هوی و ترک شهوات گوئیم، ان شاء الله.

الكلام فی حقيقة الهوی

بدان أعزّك الله که هوی عبارتی است از اوصاف نفس به نزدیک گروهی و به نزدیک گروهی عبارتی است از ارادت طبع که متصرف و مدبر نفس است؛ چنانکه عقل از آن روح، و هر روحی را که اندر بنیت خود از عقل قوتی نبود ناقص بود و هر نفسی را که از هوی قوتی نباشد ناقص بود. پس نقص روح نقص قربت باشد و

نقص نفس عین قربت باشد و پیوسته مرزنده را دعوتی می‌باشد از عقل و یکی از هوی، آن که متابع دعوت عقل باشد به ایمان رسد و آن که متابع دعوت هوی باشد به نیران رسد.

پس حجاب و اصلان و وقعت گاه مریدان و محل اعراض طالبان هواست و مأمور است بنده به خلاف کردن آن و منهی از ارتکاب بر آن؛ «لأنَّ مَنْ رَكِبَهَا هَلَكَ وَمَنْ خَالَفَهَا مَلَكَ»؛ كما قال الله تعالى: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ (۴۰/النازعات)»، و قال النَّبِيُّ، عليه السَّلَام: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي اتِّبَاعَ الْهَوَىٰ وَطُولُ الْأَمَلِ.»

و از ابن عباس رضی الله عنه می‌آرند در تفسیر قول خدای، عزّ و جلّ: «أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوِيَهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ (۲۳/الجاثیه)؛ ای إِنَّ الْهَوَىٰ إِلَهٌ مَعْبُودٌ.»

ویل بر آن که دون حق هوای وی، معبود وی است و همه همت وی روز و شب طلب رضای هوای وی است. و هواها جمله بر دو قسم است: یکی هوای لذت و شهوت و دیگر هوای جاه و ریاست. آن که متابع هوای لذتی باشد اندر خرابات بود، و خلق از فتنه وی ایمن بوند؛ اما آن که متابع هوای جاه و ریاست بود اندر صوامع و دوایر بود و فتنه خلق باشد؛ که خود از راه افتاده باشد و خلق را نیز به ضلالت برده. فَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُتَابَعَةِ الْهَوَىٰ.

پس آن را که کل حرکت هوی باشد و یا به متابعت آن وی را رضا باشد، دور باشد از حق، اگرچه بر سما باشد؛ و باز آن را که از هوی بُرینش بود و از متابعت آن گریزش بود نزدیک بود به حق، اگرچه اندر کنش بود.

ابراهیم خواص گوید رضی الله عنه که: وقتی شنیدم که اندر روم راهبی هست که هفتاد سال است تا در دیر است به حکم رهبانیت. گفتم: ای عجب! شرط رهبانیت چهل سال بود. این مرد به چه مشرب هفتاد سال به آن دیر بیارامیده است؟ قصد وی کردم. چون به نزدیک دیر وی رسیدم، دریچه بازکرد و مرا گفت: «یا ابراهیم، دانستم که به چه کار آمده‌ای. من اینجا نه به راهبی نشسته‌ام اندر این هفتاد سال؛ که من سگی دارم با هوای شوریده. اندر اینجا نشسته‌ام سگوانی می‌کنم و شر وی از خلق باز می‌دارم و الا من نه اینم.» چون این سخن از وی بشنیدم، گفتم: «بارخدا یا، قادری که اندر عین ضلالت بنده‌ای را طریق صواب دهی و راه راست کرامت کنی.» مرا گفت: «یا ابراهیم، چند مردمان را طلبی؟ برو خود را طلب. چون یافتی پاسبان خود باش؛ که هر روز این هوی سیصد و شصت گونه جامه الهیت پوشد و بنده را به ضلالت دعوت کند.»

و در جمله شیطان را در دل و باطن بنده مجال نباشد تا وی را هوای معصیتی پدیدار نیاید و چون مایه‌ای از هوی پدیدار آمد، آنگاه شیطان آنرا برگیرد و می‌آراید و بر دل او جلوه می‌کند، و این معنی را وسواس خوانند. پس ابتدا از هوای وی بوده باشد، وَالْبَادِيُ أَظْلَمٌ. و این معنی قول خدای است عزّ و جلّ در جواب ابلیس که می‌گفت: «فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (۸۲/ص)»، حق تعالی و تقدس در جواب وی فرمود: «إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ (۶۵/الإسراء). ترا بر بندگان من هیچ سلطان نیست.»

پس شیطان بر حقیقت نفس و هوای بنده باشد و از آن بود که پیغمبر صلی الله علیه و آله گفت: «مَا مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ غَلَبَهُ شَيْطَانُهُ إِلَّا عُمَرُ، فَإِنَّهُ غَلَبَ شَيْطَانَهُ. هیچ کس نیست که نه شیطان وی را غلبه کرده است؛ یعنی هوای هر کسی مرایشان را غلبه کرده است إلا عمر رضی الله عنه که هوای مر هوای خود را غلبه کرده است.» پس هوی ترکیب طینت آدم و ریحان جان فرزندان وی است؛ لِقَوْلِهِ، عليه السَّلَام: «الْهَوَىٰ وَالشَّهْوَةُ مَعْجُونَةٌ بِطِينَةِ ابْنِ آدَمَ.» ترک هوی بنده را امیر کند و ارتکاب آن امیر را اسیر کند؛ چنانکه زلیخا هوی را ارتکاب کرد، امیر بود، اسیر شد؛ و یوسف علیه السَّلَام به ترک هوی بگفت، اسیر بود، امیر گشت.

و از جنید رضی الله عنه پرسیدند: «مَا الْوَصْلُ؟» قال: «تَرْكُ الْهَوَىٰ.» آن که خواهد تا به وصلت حق مکرّم شود

هوای تن را خلاف باید کرد؛ که بنده هیچ عبادت نکند بزرگتر از مخالفت هوی؛ از آن که کوه به ناخن کردن به آدمیزاد آسانتر از مخالفت نفس و هوی بود.

و اندر حکایات یافتیم از ذوالنون مصری رحمه الله علیه که گفت: یکی را دیدم که اندر هوا می پرید. گفتم: «این درجه به چه یافتی؟» گفت: «قدم بر هوی نهادم تا در هوا شدم.»

و از محمد بن الفضل البلخی رضی الله عنه می آید که گفت: «عجب دارم از آن که به هوای خود به خانه وی شود و زیارت کند، چرا قدم بر هوی ننهد تا بدو رسد و با وی دیدار کند.»

اما ظاهرترین صفتی نفس را شهوت است و شهوت معنی است پراکنده اندر اجزای آدمی و جمله حواس درگاه وی اند. و بنده به حفظ جمله مکلف است و از فعل هر یک یک مسئول. شهوت چشم، دیدن و گوش، شنیدن و بینی بوییدن و زبان، گفتن و کام، چشیدن و از آن جسد بسودن و از آن صدر اندیشیدن. پس باید طالب، راعی و حاکم خود بود. روز و شب روزگار خود اندر آن گذراند تا این دواعی هوی که اندر حواس پیدا می آیند از خود منقطع گرداند و از خداوند تعالی اندر خواهد تا وی را بدان صفت گرداند که این ارادات از باطن وی مدفوع شود؛ که هر آن که به بحر شهوت مبتلا گردد، از کل معانی محجوب شود. پس بنده اگر به تکلف این را از خود دفع کند رنج آن بر وی دراز گردد و وجود اجناس آن متواتر شود و طریق این تسلیم است تا مراد به حاصل آید، ان شاء الله وحده.

و از ابوعلی سیاه مروزی قدس الله روحه حکایت کنند که گفت: من به گرمابه رفته بودم و بر متابعت سنت ستره را مراعات می کردم. گفتم: ای ابوعلی، این مقصود را که منبع شهوات است که ترا می به چندین آفت مبتلا دارد، از خود جدا کن؛ تا از شهوت باز رهی، به سرم ندا کردن که: «یا با علی اندر ملک ما تصرف می کنی؟ مر تعبیه ما را عضوی از عضوی اولی تر نیست. به عزت ما که آن را از خود جدا کنی، که ما در هر موی از آن تو صد چندان شهوت آفرینیم که اندر آن محل.»

و اندر این معنی گوید:

مَنْتَتَى الْإِحْسَانَ دَعِ إِحْسَانَكَ أْتُرِكُ بِخَشْوِ اللَّهِ بِأَذْنِجَانِكَ

بنده را در خرابی بنیت هیچ تصرف نیست؛ اما اندر تبدیل صفت، به توفیق حق و تسلیم امر و تبرا از حول و قوت کسبی تصرف هست. و بحقیقت چون تسلیم آمد عصمت یافت و به عصمت حق بنده به حفظ و فنای آفت نزدیکتر بود که به مجاهدت، «لِأَنَّ نَفْيَ الذَّبَابِ بِالْمِكْبَةِ أَيْسَرُ مِنْ نَفْيِهِ بِالْمِدْبَةِ.»

پس حفظ حق زایل گرداننده جملگی آفتهاست و بردارنده جملگی علتها و به هیچ صفت بنده را با وی مشارکت نیست جز آن که وی فرموده است و اندر ملک وی تصرف جایز نه، و تا تقدیر عصمت حق نباشد به جهد بنده از هیچ چیز باز نتواند بود؛ که جد به جد، جد باشد. چون از حق به بنده جد نباشد جد، وی را سود ندارد و قوت طاعت به جد ساقط شود و جمله جداها اندر دو جایگاه صورت بندد: یا جهد کند تا تقدیر حق بگرداند از خود، یا به خلاف تقدیر چیزی خود را کسب کند و این هر دو روا نباشد؛ که تقدیر به جهد متغیر نشود و هیچ کاری بی تقدیر نیست.

و همی آید که شبلی رحمه الله علیه بیمار شد. طبیعی به نزدیک وی آمد، گفت: «پرهیز کن.» گفت: «از چه چیز پرهیز کنم؟ از چیزی که روزی من است یا از چیزی که روزی من نیست؟ اگر پرهیز از روزی می باید کرد نتوان و اگر از غیر روزی آن خود به من ندهند؛ لَأَنَّ الْمُشَاهِدَ لَا يُجَاهِدُ.»

و این مسأله با احتیاط به جایی دیگر بیاریم، ان شاء الله.

اما الحکیمیة

تولاً حکیمیان به ابی عبدالله محمدبن علی حکیم الترمذی رضی الله عنه کنند. وی یکی از ائمه وقت بود اندر جمله علوم ظاهری و باطنی و وی را تصانیف و نکت بسیار است و قاعده سخن و طریقه بر ولایت بود و عبارت از حقیقت آن کردی و از درجات اولیا و مراعات ترتیب آن و او خود علی حده بحری است بیکرانه با عجوبات بسیار.

و ابتدای کشف مذهب وی آن است که بدانی که خداوند تعالی را اولیا است که ایشان را از خلق برگزیده است. و همیشان از متعلقات بریده و از دعاوی نفس و هواشان واخریده و هرکسی را بر درجتی قیام داده و دری از معانی بر ایشان گشاده.

و اندر این معنی سخن بسیار است و چند اصل او را شرح باید داد تا معلوم گردد. اکنون من بر سیل اختصار تحقیق این ظاهر کنم. و اوصاف سخن مردمان را اندر آن بیارم.

الکلام فی اثبات الولاية

بدان که قاعده و اساس طریقت تصوف و معرفت جمله بر ولایت و اثبات آن است که جمله مشایخ رضی الله عنهم اندر حکم اثبات آن موافق اند؛ اما هرکسی به عبارتی دیگرگون بیان آن ظاهر کرده اند و محمدبن علی رضی الله عنه مخصوص است به اطلاق این عبارت مر حقیقت طریقت را.

اما ولایت به فتح و او نصرت بود اندر حق لغت، و ولایت به کسر و او امارت بود و نیز هر دو مصدر و کیت باشد و چون چنین بود باید که تا دو لغت بود چون دلالت و دلالت و نیز ولایت ربوبیت بود و از آن است که خداوند تعالی گفت: «هَذَا لِكَا الْوَلَايَةِ لِلَّهِ الْحَقُّ (۴۴/الکَهْف)»، که کفار تولی بدو کنند و بدو بگروند و از معبودان خود تبرا کنند و نیز ولایت به معنی محبت بود.

اما ولی، روا باشد که فعلیل باشد به معنی مفعول؛ چنانکه خداوند تعالی گفت: «وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ (۱۹۶/الاعراف)»؛ که خداوند تعالی بنده خود را به افعال و اوصاف وی نگذارد و اندر کنف حفظ خودش بدارد و روا باشد که فعلیل باشد به معنی مبالغت اندر فاعل؛ که بنده تولی به طاعت وی کند و رعایات حقوق وی را مداومت کند و از غیر وی اعراض کند این یکی مرید باشد و آن دیگر مراد.

و این جمله معانی از حق به بنده و از بنده به حق روا باشد؛ از آنچه روا باشد که خدای تعالی ناصر دوستان خود باشد؛ از آنچه وعده کرد خداوند تعالی مر دوستان خود را از صحابه پیغمبر به نصرت و گفت: «أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ (۲۱۴/البقره)»، و نیز گفت: «وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ (۱۱/محمد)؛ ای لانا صرلهم». چون کفار را ناصر نبود لامحاله مؤمنان را ناصر بود که نصرت کند عقول ایشان را اندر استدلال آیات و بیان معانی بر دلهای ایشان و کشف براهین بر اسرار ایشان و نصرت کند ایشان را بر مخالفت نفس و هوی و شیطان و موافقت امور خود. و نیز روا باشد که به دوستی مخصوص گرداندشان و از محل عداوت نگاه دارد؛ چنانکه گفت: «يَحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ (۵۴/المائده)»، تا وی را به دوستی وی دوست دارند و روی از خلق برتابند تا هم وی ولی ایشان باشد و هم ایشان اولیای وی.

و روا باشد که یکی را ولایتی دهد به اقامت کردن بر طاعت وی و وی را اندر حفظ و عصمت نگاه دارد تا وی بر طاعت وی اقامت کند و از مخالفتش پرهیزد و شیطان از حس وی بگریزد.

و روا بود که یکی را ولایتی دهد تا حلش اندر ملک حل بود و عقدش عقد دعواتش مستجاب بود و انفاسش مقبول بود؛ کما قال النبی، علیه السلام: «رُبَّ أَسْعَثَ أَعْبَرَ ذِي طَمْرَيْنٍ لَا يُؤْبَهُ بِهِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ.»

و معروف است اندر خلافت امیرالمؤمنین عمر رضی الله عنه رود نیل بر عادت خود باستاد؛ از آنچه اندر جاهلیت هر سال کنیزی آراسته در وی انداختندی تا روان شدی. عمر رضی الله عنه بر کاغذ پاره‌ای نوشت که: «ای آب، اگر به خود استاده‌ای، روا نباشد اگر به فرمان خدای عزّ و جلّ استاده‌ای، عمر می‌گوید: برو.» چون کاغذ اندر آب انداختند آب روان گشت و این امارت بر حقیقت بود.

پس مراد من اندر ولایت و اثبات آن، آن است که بدانی که اسم ولی مر آن کس را روا بود که این معانی مذکور اندر وی موجود باشد؛ چنانکه ورا این حال بود که گفتیم نه قال.

و پیش از این مشایخ رحمهم الله اندر این، کتب ساخته‌اند از عزیزی زود نیست گشت. اکنون من عبارات آن پیر بزرگوار را که صاحب مذهب است جمال دهم؛ چنانکه اعتقاد من بدان مهتر است، رضی الله عنه. تا ترا فواید بسیار به حاصل شود و بجز تو آن را نیز که سعادت خواندن این کتاب باشد از طالبان این طریقت، ان شاء الله عزّ و جلّ.

فصل

بدان قواک الله که این متداول است میان خلق و کتاب و سنت بدان ناطق است؛ لقله، تعالی: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (۶۲/یونس)»، و نیز گفت: «نَحْنُ أَوْلِيَاءُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا (۳۱/فصلت)»، و جای دیگر گفت: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا (۲۵۷/البقره)».

و پیغمبر گفت، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لِعِبَادًا يَغْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشُّهَدَاءُ.» قيل: «مَنْ هُمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ وَصَفَهُمْ لَنَا لَعَلَّنَا نُحِبَّهُمْ» قال، عَلَيْهِ السَّلَام: «قَوْمٌ تَحَابُّوا بِرُوحِ اللَّهِ مِنْ غَيْرِ أَمْوَالٍ وَلَا أَكْسَابٍ، وَجُوهُهُمْ نُورٌ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ.» ثم تلا: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (۶۲/یونس)».

و نیز پیغمبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ گفت که: «خداوند گفت، عزّ و جلّ: مَنْ آذَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آسَتْحَلَّ مُحَارَبَتِي.» و مراد از این آن است تا بدانی که خدای عزّ و جلّ را اولیاست که ایشان را به دوستی و ولایت مخصوص گردانیده است و والیان ملک وی اندکه برگزیدشان و نشانه اظهار فعل خود گردانیده و به انواع کرامات مخصوص گردانیده و آفات طبیعی از ایشان پاک کرده و از متابعت نفسشان برهانیده؛ تا همتشان جز وی نیست و انشان جز با وی نی. پیش از ما بوده‌اند اندر قرون ماضیه و اکنون هستند و از پس این تا الی یوم القیامه می خواهند بود از آنچه خداوند تعالی مر این امت را شرف داده است بر جمله امم و ضمان کرده که می شریعت محمد را صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ نَگَاه دارم. چون برهان خبری و حُجَج عقلی امروز موجود است اندر میان علما باید تا برهان عینی نیز موجود باشد اندر میان اولیا و خواص خداوند، تعالی.

و این خلاف ما را با دو گروه باشد: یکی معتزله و دیگر عامه حشویان. معتزله تخصیص یکی بر دیگری انکار کردن از گرویدگان و نفس تخصیص ولی نفس تخصیص نبی باشد و این کفر باشد و عوام حشویان تخصیص روا دارند؛ اما گویند که: «بوده‌اند، امروز نمانده‌اند.» و انکار ماضی و مستقبل هر دو یکی بود؛ از آنچه طرفی از انکار اولی تر نباشد از طرفی دیگر.

پس خداوند تعالی برهان نبوی را امروز باقی گردانیده است و اولیا را سبب اظهار آن کرده؛ تا پیوسته آیات حق و حجت صدق محمد علیه السلام ظاهر می‌باشد و مر ایشان را والیان عالم گردانیده تا مجرد مر حدیث وی را گشته اند و راه متابعت نفس را در نوشته؛ تا از آسمان باران به برکت ایشان بارد و از زمین نبات به صفای احوال ایشان روید و برکافران، مسلمانان نصرت به همتشان یابند.

صَفْتُهُمْ و عَدُدُهُمْ: از ایشان چهار هزارند که مکتومان اند و مر یکدیگر را نشناسند و جمال حال خود هم ندانند و اندر کل احوال از خود و خلق مستورند و اخبار بدین مورد است و سخن اولیا بدین ناطق. و مرا خود اندر این معنی خبر عیان گشته است، الحمد لله. اما آنچه اهل حل و عقدند و سرهنگان درگاه حق جل جلاله سیدند که ایشان را اخیار خوانند، و چهل دیگر که ایشان را ابدال خوانند و هفت دیگر که ایشان را ابرار خوانند و چهارند که مر ایشان را اوتاد خوانند، و سه دیگرند که مر ایشان را نقیب خوانند و یکی که ورا قطب خوانند و غوث خوانند. و این جمله مر یکدیگر را بشناسند و اندر امور به اذن یکدیگر محتاج باشند و بدین، اخبار مروی ناطق است و اهل سنت بر صحت آن مجتمع، و مراد اندر این موضع شرح و بسط آن نیست.

اینجا عوام اعتراضی کنند؛ از آنچه گفتم: «ایشان مر یکدیگر را بشناسند که هر یک از ایشان ولی اند.» گویند: «پس باید تا به عاقبت خود ایمن باشند.» و این محال است؛ که معرفت ولایت امن اقتضا نکند. چون روا باشد که مؤمن به ایمان خود عارف بود و ایمن نباشد روا باشد که ولی به ولایت خود عارف باشد و ایمن نباشد؛ اما روا باشد که بر وجه کرامت، خدای تعالی ولی را به امن عاقبت او معترف گرداند اندر صحت حال بر وی و حفظ وی از مخالفت.

و اینجا مشایخ را رضی الله عنهم اختلاف است و من علت خلاف پیدا کردم. هر که از آن چهار هزارند که مکتومان اند معرفت ولی مر خود را روا ندارند، و آن که از آن گروه دیگرند روا دارند و بسیاری از فقها نیز موافق آن گروه اند و بسیاری موافق این و از متکلمان همچنان. استاد ابواسحاق اسفراینی و جماعتی از متقدمان بر آن اند که: ولی خود را نشناسد که ولی است و استاد ابوبکر بن فورک و جماعتی دیگر از متقدمان بر آنند که: شناسد ولی مر خود را که ولی است.

گوییم مر آن گروه را که: «اندر معرفت او مر خود را چه زیان و آفت است؟» گویند: «معجب شود به خود چون بدانند که ولی ام.» گوییم: شرط ولایت حفظ حق بود و آن که از آفت محفوظ بود، این بروی روان باشد. و این سخنی سَقَط عامیانه باشد سخت که کسی ولی باشد و بر وی کرامات ناقض عادت می گذرد و وی نداند که من ولی ام و این کرامات است!

و گروهی از عوام این گروه را تقلید کرده اند و بعضی آن گروه را و سخن ایشان معتبر نیست. اما معتزله کلیت تخصیص کرامات را منکر شوند و حقیقت ولایت کرامات تخصیص بود و گویند: «همه مسلمانان اولیای خدایند جل جلاله چون مطیع باشند؛ که هر که به احکام ایمان قیام کرد و صفات خدای و رؤیت وی را منکر شد، و مؤمن را خلود در دوزخ روا داشت و به جواز تکلیف بر مجرد عقل بی ورود رسل و نزول کتب مقرر آمد وی ولی بود به نزدیک همه مسلمانان.» این چنین کس ولی بود اما ولی شیطان.

و گویند: «اگر ولایت، کرامت واجب کردی بایستی تا همه مؤمنان را کرامت بودی؛ از آنچه در ایمان مشترک اند و چون در اصل مشترک باشند، باید تا در فرع نیز مشترک باشند.»

و آنگاه گویند که: «روا باشد که مؤمن و کافر را کرامت بود، و آن چون گرسنگی باشد اندر سفری که میزبانی پدید آید و یا مانده ای که کسی وی را بر ستوری نشانند، و مانند این.»

و گویند: «اگر روا بودی که کسی مسافتی به یک شب قطع کردی بایستی تا پیغامبری را بودی. چون پیغامبر علیه السلام قصد مکه کرد خداوند تعالی فرمود: «وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ (٧/النحل).»

گوییم: قول شما باطل است باطلاق؛ بدانچه حق تعالی فرمود: «سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا... الآية (١/الاسراء).»

اما معنی حمل ائصال و اجتماع صحابه به رفتن مکه آن بود که کرامات خاص است نه عام و اگر ایشان جمله به کرامات به مکه رفتندی عام گشتی و ایمان غیبی ضروری گشتی و کل احوال و احکام برخاستی؛ از آنچه ایمان اندر محل عموم است، اندر او مطیع و عاصی اند و ولایت اندر محل خصوص. پس خداوند تعالی آنچه حکم اندر محل عموم نهاد، پیغمبر را صلی الله علیه بر موافقت ایشان حمل ائصال فرمود و آنچه حکم اندر محل خصوص نهاد یک شب مر پیغمبر خود را از مکه به بیت المقدس رسانید و از آنجا تا به قاب قوسین و زوایا و خبایای عالم بدو نمود، چون باز آمد هنوز بسیاری از شب مانده بود و در جمله در حکم ایمان خاص بود و اخص بود و نفی تخصیص مکابره عیان بود؛ چنانکه بر درگاه ملک دربان و حاجب و ستوربان و وزیر بود؛ هرچندکه اندر حکم چاکری یکسان باشند، اما بعضی را خاصیت است. پس هرچندکه در حقیقت ایمان یکسان باشند مؤمنان، اما یکی عاصی بود و دیگری مطیع، یکی عالم و یکی عابد. پس درست شد که انکار تخصیص انکار کل معانی بود. والله اعلم.

فصل

و مشایخ را رحمهم الله هر یکی در تحقیق عبارت از ولایت رمزی است. آنچه ممکن شود از مختارات رموزشان بیارم تا فایده تمام تر شود، ان شاء الله، عزّ و جلّ.

ابوعلی جوزجانی گفت: «أَلْوَلِيُّهُ هُوَ الْفَانِي فِي حَالِهِ الْبَاقِي فِي مُشَاهَدَةِ الْحَقِّ، لَمْ يَكُنْ لَهُ عَنْ نَفْسِهِ إِخْبَارٌ وَلَا مَعَ غَيْرِ اللَّهِ قَرَارٌ.»

ولی آن بود که فانی بود از حال خود و باقی به مشاهدت حق، ممکن نگردد مر او را که از خود خبر دهد و یا جز با خداوند بیارم؛ زیرا که خبر بنده از حال بنده باشد چون احوال فانی شد و او را از خود خبر دادن درست نیاید. و با غیر حق آرام نیابد که از حال خود وی را خبر دهد؛ از آنچه خبر کردن غیر را از حال حیب کشف سر حیب باشد و کشف سر حیب بر غیر حیب محال بود، و نیز چون اندر مشاهدت باشد رؤیت غیر محال باشد، و چون رؤیت غیر نباشد، قرار با خلق چگونه ممکن شود؟

و جنید گفت، رضی الله عنه: «مِنْ صِفَةِ الْوَلِيِّ أَنْ لَا يَكُونُ لَهُ خَوْفٌ؛ لِأَنَّ الْخَوْفَ تَرْقُبُ مَكْرُوهُ يَجِلُّ فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَوْ اِنْتِظَارُ مَحْبُوبٍ يَفُوتُ فِي الْمُسْتَأْنَفِ، وَالْوَلِيُّ ابْنُ وَقْتِهِ لَيْسَ لَهُ مُسْتَقْبَلٌ فِيخَافُ شَيْئاً وَكَمَا لَا خَوْفَ لَهُ لَارْجَاءَ لَهُ؛ لِأَنَّ الرَّجَاءَ اِنْتِظَارُ مَحْبُوبٍ يَحْصُلُ أَوْ مَكْرُوهُ يَكْشِفُ وَذَلِكَ فِي الثَّانِي مِنَ الْوَقْتِ كَذَلِكَ لَا يَحْزَنُ لِأَنَّ الْحُزْنَ مِنْ حُزُونَةِ الْوَقْتِ. مَنْ كَانَ فِي ضِيَاءِ الرِّضَاءِ وَرَوْضَةِ الْمَوَافَقَةِ، فَأَيْنَ يَكُونُ لَهُ حُزْنٌ؟ كَمَا قَالَ اللَّهُ، تَعَالَى: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (۶۲/یونس).

و مراد از این قول آن است که: مر ولی را ترس نباشد؛ از آنچه ترس از بیوس چیزی باشد که از آمدن آن بر دل کراهیتی بود و یا بر تن بلایی و یا بر محبوبی می ترسد که از او می فوت شود که اندر حال با وی است، و ولی مروت را بود وی را خوف نباشد که از آن بترسد، و چنانکه او را خوف نبود رجا هم نباشد؛ از آنچه رجا از امید محبوبی باشد که بدو رسد اندر ثانی حال و یا مکروهی که از وی دفع شود و اندوه نیز نباشد؛ از آنچه اندوه از کدورت وقت بود، پس آن که اندر حظیره رضا بود و روضه موافقت اندوه وی را کجا یابد؟

عوام را چنین صورت بنده اندر این قول که: چون خوف و رجا نباشد و حزن نه، به جای آن امن باشد و امن هم نباشد؛ که امن از نادیدن غیب بود و اعراض کردن از وقت و این صفت آنان باشد که رؤیت بشریشان نباشد و آرام با صفت نه و خوف و رجا و امنو حزن جمله به نصیبهای نفس بازگردد. چون آن فانی شد رضا بنده را صفت گشت و چون رضا آمد احوال مستقیم شد اندر رؤیت محول و از احوال اعراض پدید آمد. آنگاه ولایت بر

دل کشف گشت و معنی آن بر سر ظاهر شد.

و ابو عثمان مغربی گوید رحمة الله عليه: «الْوَلِيُّ قَدْ يَكُونُ مَشْهُورًا وَلَا يَكُونُ مَفْتُونًا. وَلِيُّ مَشْهُورٍ بَاشِدْ اَنْدَر مِيَان خَلْقٍ، اَمَّا مَفْتُونٌ نَبَاشِدْ.»

و دیگری گوید: «الْوَلِيُّ قَدْ يَكُونُ مَسْتَوْرًا وَ لَا يَكُونُ مَشْهُورًا. وَلِيُّ مَسْتَوْرٍ بَاشِدْ وَ مَشْهُورٌ نَبَاشِدْ.»

این که احتراز کرد از شهرگی ولی، بدان بود که اندر شهرگی وی فتنه باشد. پس بو عثمان گفت: روا بود که وی شهره بود، اما شهرگی وی بی فتنه باشد؛ از آنچه فتنه اندر کذب باشد. چون ولی اندر ولایت خود صادق بود و بر کاذب اسم ولایت واقع نشود و اظهار کرامت بر دست وی محال باشد، باید تا فتنه از روزگار وی ساقط بود و این دو قول بدان اختلاف بازگردد تا ولی خود را شناسد که ولی است که اگر بشناسد مشهور بود و اگر نشناسد مفتون بود. و الشرح لذلك طویل.

و اندر حکایات است که ابراهیم ادهم رحمة الله عليه مردی را گفت: «خواهی تا تو ولی باشی از اولیای خداوند، تعالی؟» گفتا: «خواهم». گفت: «لَا تَرْغَبْ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَ فَرِّعْ نَفْسَكَ لِلَّهِ وَأَقْبِلْ بِوَجْهِكَ عَلَيْهِ.» به دنیا و عقبی رغبت مکن؛ که رغبت کردن به دنیا اعراض کردن بود از حق به چیزی فانی و رغبت کردن به عقبی اعراض بود به چیزی باقی. چون اعراض به چیزی قانی بود، فانی فنا شود اعراض نیست گردد. و چون اعراض به چیزی باقی بود، بر بقا فنا روا نباشد و بر اعراض وی هم روا نباشد. فاما خود را از کونین فارغ گردان قاصد برای محبت حق، تعالی. دنیا و عقبی را در دل راه مده، و روی دل به حق آر. چون این اوصاف اندر تو موجود گشت، ولی باشی.

و از ابویزید بسطامی رضی الله عنه پرسیدند که: «ولی که باشد؟» گفت: «هُوَ الصَّابِرُ تَحْتَ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ.» ولی آن بود که اندر تحت امر و نهی خداوند صبر کند؛ از آنچه هر چند دوستی حق اندر دل زیادت تر، امر وی بر دلش معظم تر و از نهی وی تنش دورتر.

و هم از وی حکایت کنند رضی الله عنه که: گفتند به فلان شهر ولی است از اولیای خدای، عزّ و جلّ. برخاستم و قصد زیارت وی کردم. چون به مسجد وی رسیدم وی از خانه بیرون آمد و اندر مسجد خیواز دهان بر زمین افکند. من از آنجا بازگشتم وی را سلام ناگفته. گفتم: «ولی باید که شریعت بر خود نگاه دارد و یا حق بر وی نگاه دارد. اگر این مرد ولی بودی آب دهن بر زمین مسجد نیفکندی حفظ حرمت را، و یا حق، وی را نگاه داشتی صحت کرامت را.» آن شب پیغمبر را علیه السلام به خواب دیدم که گفت: «یا بایزید، برکات آنچه کردی اندر تو رسید.» دیگر روز بدین درجه رسیدم که شما همی بینید.

و شنیدم که یکی به نزدیک شیخ ابوسعید اندر آمد و نخست پای چپ در مسجد نهاد. گفت: «وی را بازگردانید؛ که هر که اندر خانه دوست اندر آمدن نداند ما را نشاید.»

و گروهی از ملاحده لعنهم الله تعلق بدین طریقت خطیر کردند و گفتند: «خدمت چندان باید که بنده ولی شود. چون ولی شد، خدمت برخاست.» و این ضلالت است و هیچ مقام نیست اندر راه حق، که هیچ رکن از ارکان خدمت برخیزد و به جایگاه، شرح این بتمامی بگوییم، ان شاء الله وحده.

الكلام في اثبات الكرامات

بدان که ظهور کرامات جایز است بر ولی اندر حال صحت تکلیف بروی، و فریقین از اهل سنت و جماعت بر این متفق اند و اندر عقل نیز مستحیل نیست؛ از آنچه این نوع مقدور خداوند است تعالی و تقدس و اظهار آن مثنافی هیچ اصل نیست از اصول شرع، و ارادت جنس آن از اوهام گسسته نیست و کرامت علامت صدق ولی بود

ظهور آن برکاذب روا نباشد بجز برکذب دعوی وی؛ و آن فعلی بود ناقض عادت اندر حال بقای تکلیف و آن که به تعریف حق بر وجه استدلال صدق ازکذب بدانند نیز ولی باشد. و گروهی از اهل سنت گویند که: کرامت درست است، اما تا حد معجز، همچون استجابت دعوت و حصول مراد و آنچه بدین ماند؛ چنانکه عادات نقض نکند.

گوییم: شما را از ظهور فعلی ناقض عادت بر دست ولی صادق در زمان تکلیف چه صورت می‌بندد از فساد؟ اگر گویند که: «نوع مقدور خداوند تعالی نیست» این ضلالت است و اگر گویند که: «نوع مقدور است، اما اظهار آن بر دست ولی ابطال نبوت بود و نفی تخصیص وی» این هم محال است؛ از آنچه ولی مخصوص است به کرامات و نبی به معجزات. «و الْمُعْجَزَةُ لَمْ تَكُنْ مُعْجَزَةً لِعَيْنِهَا، اِنَّمَا كَانَتْ مُعْجَزَةً لِحُصُولِهَا، وَ مِنْ شَرْطِهَا إِقْتِرَانُ دَعْوَى النَّبِيِّ بِهَا، فَالْمُعْجَزَاتُ تَخْتَصُّ لِلْأَنْبِيَاءِ وَالْكَرَامَاتُ تَكُونُ لِلْأَوْلِيَاءِ.» چون ولی باشد و نبی نبی، میان ایشان هیچ شبهت نباشد تا این احتراز باید؛ زیرا که شرف و مراتب پیغمبران علیهم السلام به علو رتبت و صفای عصمت است نه به مجرد معجزه یا کرامت یا به اظهار فعلی ناقض عادت بر دست ایشان و اندر اصل اعجاز جمله متساوی‌اند اما اندر درجات و تفضیل یکی را بر یکی فضل است؛ و چون می‌روا باشد که با تسویه افعال ناقض عادت مر ایشان را بر یکدیگر فضل بود چرا روا نباشد که ولی را کرامت بود فعلی ناقض عادت و انبیا از ایشان فاضل تر باشند؟ چون آنجا فعلی ناقض عادت علت تفضیل و تخصیص ایشان نگردد با یکدیگر، اینجا نیز فعلی ناقض عادت علت تخصیص ولی نگردد بر نبی؛ یعنی همسان نگردد با ایشان و آن که این دلیل خود را معلوم کند از عقلا این شبهت از دلش برخیزد.

و اگر یکی را صورت چنین بندد که: «اگر ولی را کرامت ناقض عادت بود دعوی نبوت کند»، این محال باشد؛ از آنچه شرط ولایت صدق قول باشد و دعوی به خلاف معنی کذب بود و کاذب ولی نباشد. و اگر ولی دعوی نبوت کند آن قدح باشد اندر معجز و آن کفر محض بود؛ و کرامت جز مؤمن مطیع را نبود و کذب معصیت بود نه طاعت و چون چنین باشد که کرامت ولی موافق اثبات حجت نبی باشد، هیچ شبهت نیفتد میان کرامات و معجزات؛ زیرا که پیغمبر به اثبات معجزه نبوت خود اثبات کند و ولی به کرامت هم نبوت وی اثبات می‌کند. پس این صادق اندر ولایت خود همان گوید که آن صادق اندر نبوت و کرامت وی عین اعجاز نبی باشد و مؤمن را رؤیت کرامت ولی زیادت یقین باشد بر صدق نبی نه شبهت اندر وی؛ از آنچه در دعوی، ایشان متضاد نی‌اند تا یکی مر یکی را نفی کند؛ که دعوی یکی بعین برهان دعوی دیگری است؛ چنانکه اندر شریعت چون از ورثه جمعی اندر دعوی متفق باشند، چون حجت یکی ثابت شود حجت وی دیگران را حجت شود به حکم اتفاق و استوای ایشان در درجه و دعوی. و اگر دعوی متضاد بود، حجت یکی حجت دیگری نبود. پس چون نبی مدعی بود به صحت نبوت به دلالت معجزه و ولی وی را مصدق اندر دعوی وی، پس اثبات شبهت اندر این محل محال باشد.

الكلامُ في الفرقِ بين المعجزات و الكرامات

و چون درست شده که بر دست کاذب معجزه و کرامات محال بود، لامحاله فرقی ظاهرتر بیايد تا ترا معلوم و مبین شود. پس بدان که شرط معجزات اظهار است و از آن کرامات کتمان، و ثمره معجزه به غیر بازگردد و کرامت خاص مر صاحب کرامت را بود. و نیز صاحب معجزه قطع کند که این معجزه است و ولی قطع نتواند کرد که این کرامت است یا استدراج و نیز صاحب معجز اندر شرع تصرف کند و اندر ترتیب نفی و اثبات آن به فرمان خدای بگوید و بکند و صاحب کرامات را اندر این، بجز تسلیم و قبول احکام روی نیست؛ از آنچه به هیچ وجه کرامت

ولی مر حکم شرع نبی را منافات نکند.

و اگر کسی گوید که: چون گفتی معجزه ناقض عادت است و دلالت صدق نبی، چون جنس آن بر نبی روا داری این معتاد گردد و عین حجت ترا بر اثبات معجز اثبات کرامت باطل کند.

گوییم: این امر بر خلاف صورت توست که مر ترا اعتقاد گشته است؛ از آنچه اعجاز، عادات خلق را ناقض است و چون کرامت ولی عین معجز نبی بود و همان برهان نماید که معجز نبی نمود اعجاز مر اعجاز را نقض نکند.

ندیدی که چون خُیب را کافران به مکه بردار کردند، رسول علیه السّلام به مدینه بود اندر مسجد نشسته، وی را همی دید و با صحابه می گفت آنچه با وی همی کردند و خدای تعالی حجاب از پیش چشم خُیب نیز برداشت تا وی نیز پیغمبر را علیه السّلام بدید و بر وی سلام گفت. سلام وی را خداوند تعالی به گوش رسول علیه السّلام رسانید و جواب رسول صلی الله علیه مر خُیب را رضی الله عنه بشنوانید و دعا کرد تا روی وی به قبله گشت. پس آن که پیغمبر علیه السّلام وی را بدید از مدینه و وی به مکه، فعلی بود ناقض عادت و معجز بود و آنچه وی رضی الله عنه پیغمبر را علیه الصّلوة بدید از مکه هم فعلی بود ناقض عادت و کرامت وی.

و باتفاق رؤیت غایب ناقض عادت است، پس هیچ فرق نبود میان غیبت زمان و غیبت مکان؛ چه کرامت خُیب اندر حال غیبت مکان از پیغمبر صلی الله علیه و چه کرامت متأخران اندر حال غیبت زمان از وی. این فرق سخت مبین است و برهان ظاهر واضح مر استحالت مضادت کرامت و اعجاز را؛ از آنچه کرامت جز اندر حال تصدیق صاحب معجزه ثابت نشود و جز بر دست مؤمن مصدق مطیع پیدا نیاید؛ از آنچه کرامت امت معجز پیغمبر است علیه السّلام از آنچه شرع وی باقی است، باید تا حجت وی نیز باقی باشد.

پس اولیا گواهان اند بر صدق رسالت رسول روا نباشد که بر دست بیگانه کرامتی ظاهر شود و اندر این معنی حکایتی آرند از ابراهیم خواص رحمة الله علیه و آن سخت اندر خور بود اینجا.

ابراهیم گفت: من به بادیه فرو رفتم به تجرید بر حکم عادت خود. چون لختی برفتم یکی از گوشه ای برخاست و از من صحبت درخواست. اندر وی نگاه کردم. از دیدن وی زجری مرا در دل آمد. گفتم: «این چه شاید بود؟» مرا گفت: «یا ابراهیم، رنجه دل مشوکه من یکی از نصارای راهبانم. از اقصای روم آمده ام به امید صحبت تو.» گفتا: چون دانستم که بیگانه است دلم بر آسود، طریق صحبت و گزاردن حق بر من آسانتر گشت گفتم «یا راهب النَّصاری» با من طعام و شراب نیست، ترسم که ترا اندر این بادیه رنج رسد.» گفت: «یا ابراهیم، چندین بانگ و نام تو در عالم و تو هنوز اندوه طعام و شراب می خوری؟!» گفتا: عجب داشتم از آن انبساط وی، صحبتش قبول کردم مر تجربت را تا در دعوی خود به چه جای است.

چون هفت شبانروز برآمد، تشنگی ما را دریافت. وی با استاد و گفت: «یا ابراهیم، چندین بانگ طبل تو اندر گرد جهان، بیار تا چه داری از گستاخیا بر این درگاه؛ که مرا طاقت نماند از تشنگی.» گفتا: من سر بر زمین نهادم و گفتم: «بار خدایا، مرا در پیش این کافر که در عین بیگانگی به من ظن نیکو می دارد رسوا مکن و ظن وی را در من وفا کن.» گفتا: سر بر آوردم، طبقی دیدم دو قرص و دو شربت آب بر آن نهاده. آن بخوردیم و از آنجا برفتیم. چون هفت روز دیگر برآمد، با خود گفتم که: این ترسا را تجربتی کنم تا دل خود ببیند، پیش از آن که وی مرا به چیزی دیگر امتحان کند. گفتم: «یا راهب النَّصاری، بیا که امروز نوبت توست، تا چه داری از ثمره مجاهدت؟» وی سر بر زمین نهاد و چیزی بگفت. طبقی پدید آمد و چهار قرص و چهار شربت آب. من از آن سخت عجب داشتم و رنجه دل شدم و از روزگار خود نومید شدم و با خود گفتم که: من از این نخورم که از برای کافری پدیدار آمده است و معونت وی باشد. من این را کی خورم؟ مرا گفت: «یا ابراهیم، بخور.» گفتم: «نخورم.» گفتا: «به چه علت نخوری؟» گفتم: «از آن که تو اهل نیستی، و این از جنس حال تو نیست و من در کار تو

متعجبم، اگر این برکرامت حمل کنم بر کافر کرامت روا نباشد و اگر گویم معونت است، تو مدعی مرا شُبّهت افتد.» گفت: «بخور، یا ابراهیم و دو بشارت مر ترا: یکی به اسلام من اَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ و دیگری آن که ترا نزدیک حق تعالی خطری بزرگ است.» گفتم: «چرا؟» گفت: «از آن که ما را از این جنس هیچ نباشد. من از شرم تو سر بر زمین نهادم و گفتم: بار خدایا، اگر دین محمد حق است و پسندیده، مرا دو قرص و دو شربت آب ده و اگر ابراهیم خواص ولی توست مرا دو قرص و دو شربت آب ده. چون سر بر آوردم طبق حاضر کرده بودند.» ابراهیم از آن بخورد و آن جوانمرد راهب، یکی از بزرگان دین شد.

و این عین اعجاز نبی بود موصول به کرامت ولی و سخت نادرست است که اندی غیبت نبی غیری را برهان نماید و اندر حضور ولی مر غیر وی را از کرامت وی نصیبی باشد و بحقیقت منتهی ولایت را جز مبتدی آن نشناسد.

و آن راهب از مکتومان بود چون سَحْرَهُ فرعون. پس ابراهیم صدق معجز نبی می اثبات کرد و آن دیگر هم صدق نبوت می طلبد و هم عزّ ولایت. خداوند تعالی به حسن عنایت خود مقصود وی حاصل گردانید و این فرقی ظاهر است میان کرامت و اعجاز و اندر این سخن بسیار است، این کتاب بیش از این تحمل نکند. و اظهار کرامت بر اولیا کرامتی دیگر بود و شرط آن کتمان است نه اظهار بتکلف. و شیخ من گفت، رحمة الله علیه که: «اگر ولی ولایت ظاهر کند و بدان دعوی کند مر صحت حالش را، زیان ندارد؛ اما تکلف وی به اظهار آن رعونت باشد.» واللّه اعلم.

الكلامُ في اظهار جنس المعجزة على يدى من يدعى الإلهية

اتفاق کرده اند مشایخ این طریقه و جمله اهل سنت و جماعت بر آن که: «روا باشد فعلی ناقض عادت، مانند معجزه و کرامت پیدا آید بر دست کافری که اسباب شبهت از ظهور آن منقطع باشد و کس را اندر کذب وی شک نماند و ظهور آن فعل بر کذب وی ناطق باشد و این چنان بود که فرعون چهارصد سال عمر یافت که اندر آن میان وی را بیماری نبود و آب از پس وی به بالا بر شدی و چون بیستادی آب بستادی و چون برفتی آب برفتی، و همچنین علامات. هیچ عاقل را شبهت نیفتاد؛ که وی در دعوی خدایی کاذب و کافر بود؛ از آن که مضطربند عقلا که خداوند تعالی مجسم و مرکب نیست و اگر از این افعال بسیار بر وی پدیدار آمدی عاقل را بر کذب دعوی وی شبهتی نماندی و آنچه از شداد صاحب ارم و از نمرود روایت آرند هم از این جنس، هم بر این قیاس می کن.

و مانند این مُخبر صادق ما را خبر داد که: اندر آخر الزّمان دجال بیرون آید و دعوی خدایی کند و دو کوه، یکی بر راست و یکی بر چپ وی، می رود. این که بر راست بود جایگاه نعیم بود و آن که بر چپ بود جایگاه عذاب و عقوبت بود. خلق را به خود دعوت کند، آن که بدو نگرود وی را عقوبت کند. خداوند تعالی به سبب ضلالت وی مر خلق را می میراند و زنده می گرداند و اندر عالم امر مطلق گسترانیده باشد. اگر به جای آن صد چندان از افعال ناقض عادت بر وی پدیدار آید، عاقل را اندر آن هیچ شبهت نیفتد؛ که عاقل را بضرورت معلوم بود که خداوند تعالی بر خر نشیند و متغیر و متلون نباشد و این را حکم استدراج باشد.

و نیز روا باشد که بر دست مدعی رسالتی که کاذب بود، فعلی پدیدار آید ناقض عادت؛ که آن دلیل کذب وی باشد، چنانکه بر دست صادق علامت صدق وی باشد. اما روا نباشد که فعلی پدیدار آید که اندر آن کسی را شبهتی افتد؛ که چون اثبات شبهت جایز باشد، صادق را از کاذب باز نتوان شناخت و آنگاه طالب نداننده را

تصدیق می‌باید کرد و که را تکذیب. آنگاه حکم نبوت بکلیت باطل شود.

و روا باشد که بر دست مدعی ولایت چیزی از جنس کرامت پدیدار آید که وی اندر دین درست باشد، اگرچه معاملاتش خوب نباشد؛ از آن که بدان صدق رسول اثبات می‌کند و فضل حق می‌ظاهر کند، نه نسبت آن فعل به حول و قوه خود می‌کند و آن که اندر اصل ایمان راستگویی بود بی برهان اندر همه احوال به اعتقاد اندر ولایت راستگویی بود به برهان؛ زانچه در وصف اعتقاد وی به اعتقاد ولی باشد اگرچه اعمال موافق اعتقاد نباشد دعوی ولایت از وی ترک معاملات، منافات نکند؛ چنانکه دعوی ایمان و بحقیقت کرامت و ولایت از مواهب حق است نه از مکاسب بنده. پس کسب مر حقیقت هدایت را علت نگردهد.

و پیش از این گفته‌ایم که اولیا معصوم نباشند؛ که عصمت مر ایشان را شرط نبوده است؛ اما محفوظ باشند از آفتی که وجود آن نفی ولایت اقتضا کند و نفی ولایت نعوذ بالله اندر ردّت بسته است نه اندر معصیت و این مذهب محمد ابن علی است و از آن جنید و ابوالحسن نوری و حارث محاسبی و جز ایشان از اهل حقایق، رحمة الله علیهم.

اما اهل معاملت چون سهل بن عبدالله و ابوسلیمان دارانی و حمدون قصار و جز ایشان را رحمهم الله مذهب آن است که شرط ولایت بر مداومت طاعت است. چون کبیره بر دل ولی گذر کند، وی از ولایت معزول شود و پیش از این گفتیم که به اجماع امت بنده به کبیره از ایمان بیرون نیاید، و ولایتی از ولایتی اولی تر نیست. چون ولایت معرفت که اصل همه کرامتهاست به معصیت زایل نشود، محال باشد که آنچه کمتر از آن است اندر شرف و کرامت، زایل شود.

و این اختلاف اندر میان مشایخ دراز شده است. اینجا مراد من اثبات آن جمله نیست؛ اما مهمترین چیزها اندر معرفت این باب آن است که بدانی به علم یقینی که این کرامت بر ولی اندر چه حال ظاهر شود، اندر حال صحو یا در حال سکر و اندر غلبه و یا تمکین؟ و شرح صحو و سکر اندر ذکر مذهب ابویزید رحمة الله علیه بتمامی بیاورده‌ام.

ابویزید و ذی النون المصری و محمد بن خفیف و حسین بن منصور و یحیی ابن مُعَاذ رضی الله عنهم و جماعتی بر آنند که اظهار کرامت بر ولی بجز اندر حال سکر وی نباشد، و آنچه اندر حال صحو باشد آن معجز انبیا بود و این فرقی واضح است میان معجز و کرامات اندر مذهب ایشان؛ که اظهار کرامات بر ولی اندر سکر وی باشد؛ که وی مغلوب باشد و پروای دعوی ندارد و اظهار معجز بر نبی اندر حال صحو وی باشد؛ که وی تحدی کند و خلق را به معارضه آن خواند و صاحب معجز مخیر بود میان دو طرف حکم: یکی اظهار وی آنجا که خواهد و دیگر کتمان آن. و باز اولیا را این نباشد؛ زیرا که گاهی بود که ایشان بخواهند و نباشد، و گاهی که نخواهند و بپاشد؛ از آنچه ولی داعی نباشد تا حالش به بقای اوصاف منسوب بود؛ که وی مکتوم باشد و حالش به فنای صفت موصول بود. پس یکی صاحب شرع بود و دیگر صاحب ستر. پس باید تا کرامت جز در حال غیبت و دهشت ظاهر نگردهد، و جمله تصرف وی به تصرف حق باشد و آن که وقت وی این بود جمله نطقش به تألیف حق باشد؛ از آنچه صحت بشریت یا لاهی را بود و یا ساهی را و یا مطلق الهی را. پس انبیا لاهی و ساهی نباشند و بجز انبیا مطلقا الهی نباشند. ماند اینجا ترددی و تلونی بدون تحقیقی و تمکینی، تا به اقامت حال بشریت با خود باشند محبوب باشند، و چون مکاشف شوند مدهوش و متحیر گردند اندر حقیقت الطاف حق.

و اظهار کرامت جز اندر حال کشف درست نیاید که آن درجه قرب باشد و آن وقتی بود که حَجَر و ذهب به نزدیک دلش یکسان بود و به هیچ حال از آدمی بجز انبیا را این حال صفت نگردهد الا اندر وی عاریت باشد و آن بجز

حالت سکر نباشد؛ چنانکه حارثه یک روز از دنیا گسسته شد و اندر دنیا به عقبی مکاشف گشت گفت، رضی الله عنه: «عَزَفْتُ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا فَاسْتَوَتْ عِنْدِي حَجْرًا وَ دَهَبًا وَ فِضَّةً وَ مَدْرَهَا.» روز دیگری وی را دیدند بر خرما بنی کاری می کرد. گفتند: «چه می کنی یا حارثه؟» گفتا: «طلب قوتی که از آن چاره نیست.» پس آن ساعت چنان بود و این ساعت چنین.

پس مقام صحو اولیا درجه عوام بود و مقام سکرشان درجه انبیا. هرگاه که به خود بازآیند خود را یکی از آحاد مردمان دانند و چون از خود غایب شوند و به حق راجع گردند سکرشان مذهب شود و مرحق را مذهب گردند. کل عالم اندر حق ایشان چون ذهب شود، چنانکه شبلی گوید، رحمه الله:

دَهَبٌ أَيَّمَا دَهَبِنَا وَ دُرٌّ حَيْثُ دُرُنَا، وَفِضَّةٌ فِي الْفِضَاءِ

و از استاد امام ابوالقاسم القشیری رضی الله عنه شنیدم که گفت: وقتی از طا برانی پرسیدم از ابتدای حالش. گفت: «وقتی مرا سنگی می بایست از رودخانه سرخس هر سنگ که برمی گرفتم جوهری می شد باز می انداختم.» و این از آن بود که هر دو به نزدیک وی یکسان بود؛ لا، بل که هنوز جوهر خوارتر؛ که ورا ارادت سنگی بود و از آن جوهر نه.

و از خواجه امام حزامی شنیدم به سرخس که گفت: کودک بودم به محله ای رفته بودم از محله های باغستان، به طلب برگ تود از برای مایه قَر. و بر درختی شدم گرمگاه، و شاخ آن درخت می زدم. شیخ ابوالفضل حسن رضی الله عنه بدان کوی برگذشت و من بر درخت بودم مراندید. هیچ شک نکردم که او از خود غایب است و به دل با حق حاضر. بر حکم انبساط سر برآورد و گفت: «بار خدایا، یکسال بیشتر است تا مرادنگی نداده ای که موی سر حلق کنم، با دوستان چنین کنی؟» گفت: هم اندر حال همه اوراق و اصول درختان زر گشته بود. آنگاه گفت: «عجب کاری! همه تعریض ما اعراض است! مرگشایش دل را با تو سخنی نتوان گفت؟»

و از شبلی می آید که چهار هزار دینار به یک جمله به دجله انداخت. گفتند: «چه می کنی؟» گفت: «سنگ به آب اولی تر.» گفتند: «چرا به خلق ندهی؟» گفت: «ای سبحان الله! من به خدای چه حجت آمم که حجاب از دل خود برگیرم و بر دل برادر مسلمان بنهم؟ شرط نباشد در دین که برادر مسلمان را از خود بتر خواهی.» و این جمله حالت سکر است و شرح این گفته ام، اما مراد اینجا اثبات کرامات است.

باز جنید و ابوالعباس سیاری و ابوبکر واسطی و محمد بن علی، صاحب مذهب - رضوان الله علیهم اجمعین بر آن اندکه: کرامت اندر حال صحو و تمکین ظاهر شود، بیرون سکر؛ از آن که اولیا را خداوند تعالی والیان عالم کرده است و حل و عقد بدیشان باز بسته و احکام عالم را موصول همت ایشان گردانیده. پس باید تا صحیح ترین همه رایها رای ایشان باشد و شفیق ترین همه دلها دل ایشان اخص بر خلق خدای؛ از آنچه ایشان رسیدگان اند. تلوین و سکر اندر ابتدای حال باشد. چون بلوغ حاصل آمد، تلوین با تمکین بدل گردد. آنگاه وی ولی بر حقیقت باشد و کرامات وی صحیح بود.

و اندر میان اهل این قصه معروف است که: مر اوتاد را باید تا هر شب به گرد جمله عالم برآیند و اگر هیچ جا باشد که چشم ایشان بر نیفتاده بود و خللی آنجا پدیدار آید، آنگاه به قطب بازگردند؛ تا وی همت برگمارد، آن خلل از عالم به برکات وی، خداوند تعالی زایل گرداند.

و آنان که گویند: زر و کلوخ به نزدیک وی یکسان شده است؛ این همه علامت سکر باشد و نادرستی دیدار و این را بس شرفی نباشد. شرف مر آن درست بین و راست دان را باشد که زر نزدیک وی، زر بود و کلوخ، کلوخ؛ اما به آفت آن بینا بود تا گوید: «یا صَفْرَاءُ یا بَيْضَاءُ غُرَى غَيْرِي.» یا زر زرد روی و یا سیم سفیدکار، بجز مرا فریبید که من به شما مغرور نگردم؛ از آنچه من آفت شما دیده ام. پس آن که آفت وی بدید مر آن را محل حجاب دانند به

ترک آن بگوید ثواب یابد؛ و باز آن را که زر چون کلوخ بود به ترک کلوخ گفتن راست نیاید. ندیدی که چون حارثه صاحب سکر بود گفت: «زر و کلوخ و سنگ و نقره به نزدیک من همه یکسان‌اند»، و ابوبکر صدیق رضی الله عنه صاحب صحو بود، آفت قبض دنیا بدید و ثواب ترک آن معلوم کرد، دست از آن برداشت؛ تا پیغمبر صلی الله علیه و سلم گفت: «عیال را چه ماندی؟» گفت: «خدای و رسول وی.» و ابوبکر وراق ترمذی روایت کند که: روزی محمد بن علی رضی الله عنهما مرا گفت: «یا بابکر امروز من ترا به جایی خواهم برد.» گفتم: «فرمان شیخ راست.» با وی رفتم. دیری برنیامد که بیابانی دیدم صعب بزرگ، و تختی زرین اندر میان آن بیابان در زیر درختی سبز برکنار چشمه آب نهاده و یکی بر آن تخت نشسته و لباسی خوب پوشیده چون محمد بن علی رضی الله عنهما به نزدیک وی رفت، سلام گفت. او برخاست، وی را بر تخت نشاند. چون زمانی برآمد از هر سوی گروهی می‌آمدند تا چهل کس آنجا جمع شدند. وی اشارتی کرد به آسمان، چیزی خوردنی پدیدار آمد، بخوردیم و محمد بن علی سؤالی کرد و آن مرد در آن باب سخن بسیار گفت؛ چنانکه من یک کلمه از آن فهم نکردم. چون زمانی بود، دستوری خواست و بازگشت. و مرا گفت: «یا بابکر، برو که سعید ابدگشتی.» چون زمانی بود به ترمذ باز آمدیم من وی را گفتم: «ایها الشیخ، آن چه جای بود؟ و آن مرد که بود؟» گفت: «آن تیه بنی اسرائیل و آن مرد قطب المدار علیه.» گفتم: «ایها الشیخ، اندر این ساعت از ترمذ چگونه به تیه رسیدیم؟» گفت: «یا ابابکر، ترا کار با رسیدن است نه با پرسیدن و با چگونگی.» و این علامت صحت صحو باشد نه از آن سکر.

اکنون این مختصر کردیم که اگر به تفصیل این مشغول شویم و اخوات این را شرح دهیم کتاب مطول شود و از مقصود بازماییم. پس بعضی از دلایل که تعلق آن بدین کتاب است به ذکر کرامات و حکایات ایشان موصول گردانم تا به خواندن آن مریدان را تنبیه باشد و علما را ترویج و محققان را مذاکرت و عوام را زیادت یقین و دفع شبهت.

الكلام فی ذکر کراماتهم

بدان که چون حجت عقل ثابت شد بر صحت کرامات، و دلیل بر ثبوت آن قایم شد، باید تا دلیل کتابی نیز معلوم گردد و آنچه آمده است اندر اخبار صحاح، که کتاب و سنت بر صحت کرامت و افعال ناقض عادت بر دست اهل ولایت ناطق است و انکار آن جمله انکار حکم نصوص باشد. از آن جمله یکی آن که در نص کتاب ما را خبر داد؛ قوله، تعالی: «وَوَضَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْعَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوى (٥٧/ البقره).» ابر پیوسته بر سر ایشان سایه داشتی و من و سلوی هر شبی تازه پدیدار آمدی. اگر کسی گوید از منکران که: «آن معجزه موسی بود صلوات الله علیه روا بود.» ما نیز گوییم که: «این کرامت اولیا، معجزه محمد است، صلی الله علیه.» اگر گوید که: «این در غیبت است واجب نکند که این معجزه وی باشد و آن اندر وقت او بود.» گوییم: «موسی علیه السلام از ایشان غایب شد و به طور رفت. همان حکم باقی می‌بود. پس چه غیبت زمان و چه غیبت مکان. چون آنجا معجز اندر غیبت مکان روا بود، اینجا نیز اندر غیبت زمان روا بود.»

و دیگر ما را خبر داد از کرامت آصف برخیا، که چون سلیمان را علیه السلام ارادت تخت بلقیس شد که پیش از آمدنش تخت ورا حاضر کنند، خداوند تعالی خواست تا شرف وی به خلق نماید و کرامت وی ظاهر گرداند و به اهل زمانه نماید که کرامت اولیا جایز بود. سلیمان گفت، علیه السلام: «کیست که تخت بلقیس پیش از آمدنش اینجا حاضر گرداند؟» قوله، تعالی: «قَالَ عَفْریتٌ مِنْ اَنَا اَتیکَ به قَبْلَ اَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِکَ (٣٩/ النمل).» من پیش از آن که تو چشم برهم زنی آن تخت ورا اینجا حاضر کنم.»

بدین گفتار سلیمان صلی الله علیه بر وی متغیر نشد و انکار نکرد، و وی را مستحیل نیامد و این به هیچ حال معجزه نبود؛ از آن که آصف پیغمبر نبود، لامحاله باید که کرامت باشد و اگر معجزه بودی اظهار آن بر دست سلیمان علیه السلام بایستی.

و دیگر ما را خبر داد از احوال مریم و زکریا که چون به نزدیک مریم درآمدی به تابستان میوه زمستان دیدی و به زمستان میوه تابستان دیدی؛ تا گفت: «أَنْتِي لِكِ هَذَا» مریم گفت: «مِنْ عِنْدِ اللَّهِ (۳۷/آل عمران).» و به اتفاق مریم پیغمبر نبود.

و نیز خداوند عزّ و جلّ ما را از حال وی به بیان صریح خبر داد: «وَهَزَى إِلَيْكَ بَجَدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا (۲۵/مریم).»

و نیز احوال اصحاب الکهف و سخن گفتن سگ با ایشان و خواب ایشان و تقلب ایشان اندر کهف بر یمن و شمال؛ لقوله، تعالی: «وَتَقَلَّبُوهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ وَكَلَّبَهُمْ بِاسِطٍ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ (۱۸/الکهف).» این جمله افعال ناقض عادت است و معلوم است که معجزه نیست؛ باید که کرامت باشد.

و روا بود که این کرامت به معنی استجابت دعوات بود به حصول امور موهوم اندر زمان تکلیف، و روا بود که قطع بسیاری از مسافت بود اندر ساعتی، و روا بود که پدید آمدن طعامی بود از جایگاهی نابیوس، و روا بود که اشراف بود اندر اندیشه‌های خلاق و مانند این.

و اندر احادیث صحیح از پیغمبر صلی الله علیه و سلم حدیث الغار آمده است. و آن چنان بود که روزی صحابه رضوان الله علیهم پیغمبر - صلی الله علیه را گفتند: «یا رسول الله، ما را از عجایب افعال امم ماضیه چیزی بگوی.»

وی گفت: پیش از شما سه کس به جایی می‌رفتند. شب درآمد، قصد غاری کردند و اندر آنجا بختند. چون پاره ای از شب بگذشت، سنگی از کوه درآمد و در آن غار سخت بگرفت. ایشان متحیر بماندند. با یکدیگر گفتند: نرهند ما را از این جای هیچ چیزی جز آن که کردارهای بی ریای خود را به حضرت خدای تعالی شفیع آریم.

یکی گفت: «مرا مادری و پدری بود و از مال دنیایی چیزی نداشتم بجز بُرکی که شیر او بدیشان دادمی و من هر روز یک حُرْمه هیزم بیاوردمی و بهای آن اندر وجه طعام خود نهادمی و از آن ایشان. شبی من بیگانه‌تر آمدم و تا آن بُرک را بدوشیدم و طعام ایشان اندر شیر آغشتم، ایشان خفته بودند. آن قدح اندر دست من بماند؛ و من بر پای استاده و چیزی نخورده، انتظار بیداری ایشان می‌کردم تا صبح برآمد و ایشان بیدار شدند و طعام بخوردند من آنگاه بنشستم.» پس گفت: «ای بار خدای، اگر من در این راست گویم، ما را فریادرس.» پیغمبر گفت صلی الله علیه که: آن سنگ یک بار بجنید و شکافی پدیدار آمد.

دیگری گفت: «مرا دختر عمی بود با جمال، و پیوسته دلم بدو مشغول بودی و وی را به خود می‌خواندم، اجابت نکردی تا وقتی به حیل صد و بیست دینار بدو فرستادم تا یک شب با من خالی کند. چون به نزدیک من آمد، ترسی اندر دلم پدیدار آمد از خدای، عزّ و جلّ. دست از وی برداشتم و آن زر با وی بگذاشتم.»

آنگاه گفت: «بار خدایا، اگر من اندر این راست گویم، ما را فرج فرست.»

پیغمبر گفت صلی الله علیه و سلم که: آن سنگ جنیبدنی دیگر بجنید و آن شکاف زیادت شد؛ فاما هنوز بیرون نتوانستند آمدن.

سدیگر گفت: «مرا مزدوران بودند که کار می‌کردند. همه تمام مزد بستند. یکی از ایشان ناپدیدار شد. من آن مزد وی را گوسفندی خریدم. سالی دیگر دو شد و سدیگر سال چهار شد. هر سال همچنین زیادت می‌شد. سالی چند برآمد، مالی عظیم وی را فراهم شد. مرد بیامد که: وقتی برای توکاری کرده‌ام، یاد داری؟ اکنون مرا بدان

حاجت است. گفتم: برو آن همه زانِ توست. گفت: مرا می فسوس داری؟ گفتم: نه، راست می گویم. آن همه وی را دادم تا برفت. «آنگاه گفت: «خدایا، اگر این سخن راست می گویم، ما را فرج فرست.» پیغمبرگفت صلی الله علیه که: آن سنگ از در غار فراتر شد تا هر سه بیرون آمدند. و این فعل ناقص عادت بود.

و معروف است از پیغمبر صلی الله علیه و سلم حدیث جریج راهب و ابوهیره رضی الله عنه راوی آن است که: پیغمبرگفت علیه السلام که: به خردگی اندرگاهواره سخن نگفت إلا سه کس: یکی عیسی علیه السلام و شما همه می دانید.

دیگر اندر بنی اسرائیل راهبی بود جریج نام، مردی مجتهد، و مادری مستوره داشت. روزی به دیدار پسر بیامد. وی اندر نماز بود، در صومعه نگشاد و دیگر روز و سدیگر روز همچنان. مادرش از تنگدلی گفت: «یا رب، رسوا گردان مر پسر مرا و به حق من بگیرش.» و اندر آن زمانه وی زنی بود بلایه، گفت گروهی را که: «من جریج را از راه ببرم.» به صومعه وی شد و جریج بدو التفات نکرد. با شبانی اندر آن راه صحبت کرد و حامله شد. چون به شهر آمدگفت: «این بار از جریج است.» و چون بار بنهاد مردمان قصد صومعه وی کردند و وی را به در سلطان آوردند. جریج گفت: «یا غلام، پدر تو کیست؟» گفت: «یا جریج، مادرم بر تو دروغ می گوید پدر من شبانی است.»

و سدیگر زنی کودکی داشت، بر در سرای خود نشسته بود. سواری نیکو روی و نیکو جامه برگذشت. گفت: «یا رب، تو این پسر مرا چون این سوارگردان.» کودک گفت: «یا رب، مرا چنان مگردان.» زمانی بود، زنی بد نام برگذشت. گفت: «یا رب، پسر مرا چون این زن مگردان.» کودک گفت: «یا رب، مرا چنان زن گردان.» مادر متعجب شد. گفت: «ای پسر، این چرا می گویی؟» گفت: «از آن که آن مرد جباری است از جبابره، و این زن زنی مصلحه؛ اما مردمان وی را بدگویند و من نخواهم که از جباران باشم، خواهم که از مصلحان باشم.» و دیگر معروف است حدیث زایده، کنیزک عمر بن الخطاب رضی الله عنه که روزی به نزدیک پیغمبر علیه السلام آمد و بر وی سلام گفت. پیغمبرگفت: «یا زایده، چرا نزدیک ما دیر به دیر می آیی؟ تو موفقه ای و من ترا دوست دارم.» گفت: «یا رسول الله، امروز با عجایی آمده ام.» گفت: «آن چه چیز است؟» گفت: «بامداد به طلب هیزم رفتم. چون حُزمه ای بیستم، بر سنگی نهادم تا برگیرم. سواری دیدم که از آسمان به زمین آمد و بر من سلام گفت، و مرا گفت: محمد را از من سلام رسان و بگوی که: رضوان، خازن بهشت، سلام رسانید و گفت: بشارت مر ترا که بهشت بهر امتان تو سه قسمت کرده اند: گروهی بی حساب اندر شوند و گروهی را حساب یَسیر کنند و گروهی را به شفاعت تو ببخشند. این بگفت و قصد آسمان کرد و از میان آسمان و زمین به من التفات کرد. مرا یافت که آن حُزمه را برنتافتم. بگفت: یا زایده، حُزمه را بر سنگ بگذار، و مر سنگ را گفت: یا سنگ، آن حُزمه را با زایده به در خانه عمر بر.»

پیغمبر علیه السلام برخاست و با صحابه به در خانه عمر رضی الله عنه آمد. اثر آمد و شد سنگ بدیدند. گفت: «الحمد لله، که خداوند تعالی مرا از دنیا بیرون نبرد تا رضوان مرا به درآمدن امت من به بهشت بشارت نداد.» و خدای عز و جل زنی را این کرامت داد و به درجه مریم رسانید.

و معروف است که پیغمبر علیه السلام مر علاء بن الحضرمی را به غزو فرستاد و بر راه پاره ای از دریا پیش آمد. قدم بر آن نهادند و بجمله برگذشتند که قدمهای ایشان تر نگشته بود.

و از عبدالله بن عمر رضی الله عنه معروف است که به راهی می رفت. گروهی را دید که بر قارعه طریق استاده بودند و شیری راه ایشان گرفته بود. عبدالله عمرگفت: «ای سگ، اگر از خدای فرمان داری بران، و اگر نی ما

را راه ده تا بگذریم.» شیر برخاست و مرا و او را تواضع کرد و اندر گذشت. و از ابراهیم پیغمبر علیه السلام اثری معروف است که: مردی را دید اندر هوا نشسته، گفت: «ای بنده خدای، این به چه یافتی؟» گفت: «به چیزی اندک.» گفت: «آن چه بود؟» گفت: «روی از دنیا بگردانیدم و به فرمان خدای آوردم. مرا گفتند: اکنون چه خواهی؟ گفتم: آن که مرا اندر هوا مسکنی باشد تا دلم از خلق گسسته شود.» و چون آن جوانمرد عجمی به مدینه آمد، قصد کشتن عمر کرد. گفتند: «امیرالمؤمنین اندر خرابه‌ها جایی خفته باشد.» رفت، وی را یافت بر خاک خفته و درّه زیر سر نهاده با خود گفت: «این همه فتنه در این جهان از این است و کشتن این به نزدیک من سخت آسان.» شمشیر برکشید دو شیر پدید آمدند و قصد وی کردند. وی فریاد خواست. عمر رضی الله عنه بیدار شد قصه با وی بگفت و اسلام آورد.

و اندر خلافت ابوبکر رضی الله عنه خالد بن ولید را، به سواد عراق، اندر میان هدیه‌ها حقه‌ای آوردند که: اندر این زهر قاتل است و اندر خزانه هیچ ملکی نیست. خالد رضی الله عنه آن حقه را بگشاد و آن برکف خود افکند و بسم الله بگفت و اندر دهان نهاد. مردمان متعجب شدند و بسیاری از ایشان به راه آمدند.

و حسن بصری رحمة الله علیه روایت کند که به عبادان سیاهی بود که اندر خرابه‌ها بودی. روزی من از بازار چیزی بخریدم و بدو بردم. مرا گفت: «این چه چیز است؟» گفتم: «طعامی است که آورده‌ام، بدان که مگر تو بدان محتاجی.» گفت: به دست اشارتی کرد و در من خندید من سنگ و کلوخ دیوارهای آن خرابه را جمله زر دیدم. از کرده خود تشویر خوردم و آنچه برده بودم بگذاشتم، و خود بگریختم از هیبت او.

و ابراهیم ادهم روایت کند که: بر راعی برگزیدم و از وی آب خواستم. گفت: «شیر دارم و آب، کدام خواهی؟» من گفتم: «آب خواهم.» برخاست و عصا بر سنگ زد و آبی خوش و پاکیزه از آن سنگ بیرون آمد؛ و من متعجب شدم، گفت: «تعجب مکن، که چون بنده حق را مطیع باشد همه عالم وی را مطیع گردند.»

و ابوالدرداء و سلمان رضی الله عنهما به هم نشسته بودند، و طعامی همی خوردند و تسبیح کاسه می‌شنیدند. و از ابوسعید خراز رضی الله عنه روایت می‌آرند که گفت: یک چندگاه من هر سه روزی طعام خوردمی. اندر بادیه می‌رفتم. روز سدیگر ضعفی اندر من پدید آمد و طعام نیافتم. طبع عادت خود طلب کرد بر جای فرو نشستم. هاتقی آواز داد که: «یا باسعید، اختیار کن تا سببی خواهی مرد دفع سستی را بی طعام و یا طعامی سکونت نفس را؟» گفتم: «الهی، سببی.» گفت: قوتی اندر من آمد. برخاستم و دوازده منزل دیگر برفتم بی طعام و شراب.

و معروف است که امروز در تُستر مر خانه سهل بن عبدالله را بیت السباع خوانند و متفق‌اند اهل تَستر بر آن که شیر و سباع به نزدیک وی اندر آمدندی و وی مر ایشان را طعام دادی و مراعات کردی و اهل تُستر خلقی بسیارند بر این.

و ابوالقاسم مروزی گوید که: من با ابوسعید خراز می‌رفتم بر کرانه بحر. جوانی دیدم مرقعه دار و محبره اندر رکوه ای آویخته. ابوسعید گفت: «سیمای این جوان عباپی است و معاملتش جبری. چون اندر وی نگریم، گویم از رسیدگان است و چون در محبره نگریم، گویم از طالبان است. بیا تا از وی بپرسیم که تا چیست.» خراز گفت: «ای جوان، راه به خدای چیست؟» گفت: «راه به خدای دو است: یکی راه عوام و یکی راه خواص و ترا از راه خواص هیچ خبر نیست؛ اما راه عوام این است که تو می‌سپری و معاملت خود را علت وصول به حق می‌نهی و محبره را از حجاب می‌دانی.»

و ذالنون مصری روایت کند که: من وقتی در کشتی نشستم که تا از مصر به جده رویم جوانی مرقعه دار با ما اندر کشتی بود، و مرا از وی التماس صحبت می‌بود؛ اما هیبت وی مرا می‌باز داشت از سخن گفتن با وی؛ که بس

عزیز روزگار مردی بود و هیچ از عبادت خالی نبود تا روزی صُرّه‌ای جواهر از آن مردی گم شد. خداوند صره مر این جوان را تهمت کرد. خواستند تا با وی جفایی کنند. من گفتم: «با وی بدین گونه سخن مگوئید، تامن از وی بخوبی بر رسم.» به نزدیک وی آمدم و با وی بتلطف بگفتم که: «این مردمان را صورتی بسته است از تو، و من ایشان را از درستی و جفا بازداشتم. چه باید کرد؟» وی روی سوی آسمان کرد و چیزی نگفت. ماهیان دیدم که بر روی آب آمدند و هر یکی جوهری اندر دهن گرفته چون مردمان کشتی آن بدیدند، وی پای بر روی آب نهاد و برفت. پس آن که صره برده بود از اهل کشتی مر آن را باز داد و مردمان کشتی بسیار ندامت خوردند.

و از ابراهیم رقی روایت کنند که گفت: من در ابتدای امر خود قصد زیارت مسلم مغربی کردم. چون به مسجد وی اندر آمدم، امامی کرد و الحمد خطا برخواند با خود گفتم: «رنج من ضایع شد.» روز دیگر به وقت طهارت خواستم تا به کناره آب روم. شیری بر راه خفته بود. بازگشتم. دیگری بر اثر من می آمد بانگ برگرفتم. مسلم از صومعه بیرون آمد. چون شیران وی را بدیدند تواضع کردند وی گوش هر یک بگرفت و بمالید و گفت: «ای سگان خدای، نه با شما گفته‌ام که با مهمانان من مچخید؟» آنگاه مرا گفتم: «یا اباسحاق شما به راست کردن ظاهر مشغول شدید مر خلق را تا از خلق می بترسید و ما به راست کردن باطن مر حق را تا خلق از ما می بترسند.» روزی شیخ من رضی الله عنه از بیت الجن قصد دمشق داشت. بارانکی آمده بود و ما اندر گل به دشواری می رفتیم. شیخ را نگاه کردم نعلین و پای جامه خشک بود با وی بگفتم. گفت: «آری، تا من تهمت از راه توکل برداشته‌ام و آن را از وحشت حرص نگاه داشته خداوند تعالی قدم مرا از وحل نگاهداشته است.»

وقتی مرا واقعه‌ای افتاد و طریق حل آن بر من دشوار شد. قصد شیخ ابوالقاسم گرکان کردم رضی الله عنه و وی به طوس بود. وی را اندر مسجد در سرای خود یافتم تنها، و بعین آن واقعه من بود که با ستونی می گفتم. گفتمش: «این با که می گویی؟» گفت: «ای پسر، این استون را خدای عز و جل اندر این ساعت با من به سخن آورد تا از من سؤال بکرد.»

و به فرغانه دهی است که آن را شلاتک خوانند پیری بود از اوتاد الارض آنجا که او را باب عمرگفتندی و همه درویشان آن دیار را باب خوانند و مر او را عجوزه‌ای بود فاطمه نام. قصد زیارت وی کردم از اوزکند. چون به نزدیک وی در آمدم، گفت: «به چه آمدی؟» گفتم: «تا شیخ را بینم بصورت، و وی به من نظری کند بشفقت.» گفت: «ای پسر، من خود از فلان روز باز ترا می بینم و تا از منت غایب نگردانند می خواهمت دید چون روز و سال شمار کردم، آن روز ابتدای توبه من بود گفت: ای پسر، سپردن مسافت کارکودکان است. از پسر این، زیارت به همت کن؛ که در حضور اشخاص هیچ چیز نبسته است.» پس گفت: «ای فاطمه، آنچه داری بیار تا این درویش بخورد.» طبقی انگور تازه بیاورد، و وقت آن نبود و بر آن طبق رطبی چند و به فرغانه رطب ممکن نشود.

وقتی به میهنه بر سر تربت شیخ بوسعید رحمة الله علیه نشسته بودم، تنها، بر حکم عادت. کبوتری دیدم سپید که بیامد و در زیر فوطه‌ای شده بر تربت وی انداخته بودند. گفتم مگر از کسی جسته است. و چون برخاستم نگاه کردم در زیر فوطه هیچ چیز نبود. دیگر روز و سدیگر روز بدیدم و اندر تعجب آن فرو ماندم. تا شبی وی را در خواب دیدم آن واقعه از وی پرسیدم. گفت: «آن کبوتر صفای معاملات من است که هر روز اندر گور به منادمت من آید.»

و اگر بسیاری از این حکایات بیارم هنوز سپری نشود و مراد از این کتاب اثبات اصول طریقت است؛ اندر فرع و معاملات نقالان خود کتب ساخته‌اند و بسیاری جمع کرده و مذکران بر سر منابر نشر می کنند. اکنون فصولی که بدین پیوسته است اندر این کتاب مشع بیارم تا به جایی دیگر به سر آن باز نیاید شد، ان شاء الله تعالی.

الكلام فی تفضیل الانبیاء علی الاولیاء

بدان که اندر همه اوقات و احوال، باتفاق جمله مشایخ این طریقت اولیا متابعان پیغمبران‌اند و مصدقان دعوت ایشان. و انبیا فاضل‌ترند از اولیا؛ از آنچه نهایت ولایت بدایت نبوت بود و جمله انبیا ولی باشند اما از اولیا کسی نبی نباشد و انبیا متمکنان‌اند اندر نفی صفات بشریت و اولیا عاریت‌اند، و اندر آنچه این گروه را حال است آن گروه را مقام است و آنچه این گروه را مقام است آن گروه را حجاب است. و هیچ کس از علمای اهل سنت و محققان این طریقت اندر این خلاف نکنند بجز گروهی از حشویان که مجسمه اهل خراسان‌اند و متکلم به کلام متناقض اندر اصول توحید که اصل این طریقت را نشاناسند و خود را ولی خوانند و بدرست ولی‌اند اما ولی شیطان و ایشان گویند: «اولیا فاضلتر از انبیا‌اند.» و این ضلالت مر ایشان را کفایت بود که جاهلی را فاضل‌تر از محمد مصطفی صلی الله علیه و سلم نهند و گروهی دیگر از مشبهه تولا بدین طریقت کنند و نزول حق به معنی انتقال روا دارند لعنهم الله و به جواز تجزیت بر ذات باری تعالی بگویند و آن اندر آن دو مذهب مذموم که وعده کرده‌ام بیارم اندر این کتاب بتمامی، ان شاء الله تعالی.

و در جمله این دو گروه که مدعی به اسلام‌اند موافق‌اند اندر نفی تخصیص انبیا و هر که مر نفی تخصیص انبیا را اعتقاد کند کافر شود. پس انبیا صلوات الله علیهم اجمعین داعیان و ائمه‌اند و اولیا متابعان ایشان به احسان، و محال باشد که مأموم از امام فاضل‌تر بود.

و در جمله بدان که اگر احوال و انفس روزگار جمله اولیا اندر جنب یک قدم صدق نبی صورت کنی آن جمله متلاشی شود؛ از آنچه این گروه می‌طلبند و می‌روند و آن گروه رسیده‌اند و یافته و به فرمان دعوت باز آمده و قومی را می‌برند.

و اگر کسی گوید از این ملاحظه مذکور لعنهم الله که: اندر عادت چنین رفته است که: «چون رسول به کسی آید از ملکی، باید تا این مبعوث الیه فاضل‌تر از وی باشد؛ چنانکه پیغمبران از جبرئیل فاضل‌ترند.» این صورت مر ایشان را خطاست.

گوییم: اگر ملکی رسولی فرستد به یک کس باید تا مُرْسَلٌ الیه فاضل‌تر باشد؛ چنانکه جبرئیل را به رسل فرستاد و ایشان هر یکی از وی فاضل‌تر بودند اما چون رسول به جماعتی باشد و قومی، لامحاله رسول فاضل‌تر از آن گروه باشد؛ چنانکه پیغمبران علیهم السلام از امم و اندر این هیچ عاقل را شبهت نیفتد و اشکال در خاطر نیاید. پس یک نفس انبیا فاضل‌تر از همه روزگار اولیا؛ از آنچه چون اولیا به نهایت رسند از مشاهدت خبر دهند و از حجاب بشریت خلاص یابند هر چند عین بشر باشند؛ و باز رسول را اول قدم اندر مشاهدت باشد. چون بدایت این، نهایت وی بود، این را با آن قیاس نتوان کرد. نبینی که همه طالبان حق از اولیا متفوق‌اند که مقام جمع از تفاریق کمال ولایت بود؟ و صورت این چنان بود که بنده به درجتی رسد از غلبه دوستی که عقلشان اندر نظر فعل مغلوب گردد و به شوق فاعل کل عالم را همه آن دانند و آن ببینند؛ چنانکه ابوعلی رودباری گفت، رحمة الله علیه: «لو زالت عَنَّا رُؤُوتُهُ مَاعَبَدْنَا.» اگر دیداروی از ما زایل شود اسم عبودیت از ما ساقط گردد؛ که ما شرب عبادت جز از دیدار وی نیابیم.

و این معانی مر انبیا را بدایت حال باشد؛ که اندر روزگار ایشان تفرقه صورت نگیرد. نفی و اثبات و مسلک و مقطع و اقبال و اعراض و بدایت و نهایت ایشان اندر عین جمع باشد؛ چنانکه اندر بدایت حال، ابراهیم صلوات الله علیه ستاره و ماه را دیدگفت: «هَذَا رَبِّي (۷۶، ۷۷/ الانعام)»، باز که آفتاب دیدگفت: «هَذَا رَبِّي (۷۸/ الانعام)». از غلبه حق بر دلش و اجتماع وی اندر عین جمع غیر می‌ندید و اگر بدید هم به دیده جمع بدید در عین دیدار از دیدار خود تبرا کرد و گفت: «لَا أُحِبُّ الْاَفْلِحِينَ (۷۶/ الانعام)»، ابتدا به جمع و انتها به

جمع. لاجرم ولایت را بدایت و نهایت است و نبوت را نیست تا بودند نبی بودند و تا باشند نبی باشند و پیش از آن که موجود نبوده‌اند اندر معلوم و مراد حق همان بوده‌اند.

و از بویزید رضی الله عنه پرسیدند که: «چه گویی اندر حال انبیا؟» گفت: «هیئات! ما را اندر ایشان هیچ تصرف نیست. هرچه اندر ایشان صورت کنیم آن همه ما باشیم، و حق تعالی اثبات و نفی ایشان اندر درجتی نهاده است که دیده خلق بدان نرسد.» پس همچنان که مرتبت اولیا از ادراک خلق نهان است، مرتبت انبیا از تصرف اولیا نهان است.

و ابویزید رضی الله عنه عجب روزگار مردی بوده است. وی گوید: سرّ ما را به آسمانها بردند به هیچ چیز نگاه نکرد و بهشت و دوزخ وی را بنمودند به هیچ چیز التفات نکرد و از مکنونات و حجب برگذاشتند، فصرت طیاراً، مرغی گشتم و اندر هوای هویت می‌پریدم تا به میدان ازلیت مشرف شدم و درخت احدیت اندر آن دیدم. چون نگاه کردم آن همه من بودم گفتم: «بار خدایا، با منی من مرا به تو راه نیست و از خودی خود مرا گذر نیست. مرا چه باید کرد؟» فرمان آمد که: «یا بایزید، خلاص تو از تویی تو در متابعت دوست ما بسته است، دیده را به خاک قدم وی اکتحال کن و بر متابعت وی مداومت کن.»

و این حکایتی دراز است و این را اهل طریقت «معراج بایزید» گویند؛ و معراج عبارت بود از قرب. پس معراج انبیا از روی اظهار بود به شخص و جسد و از آن اولیا از روی همت و آسرار و تن پیغمبران به صفا و پاکیزگی و قربت چونند اولیا باشد و سرّ ایشان و این فضلی ظاهر است و آن چنان بود که ولی را اندر حال خود مغلوب گردانند تا مست گردد، آنگاه به درجات سر وی را از وی غایب می‌گردانند و به قرب حق می‌آیند و چون به حال صحو بازآید آن جمله براهین در دلش صورت گشته بود و علم آن مر او را حاصل آمده. پس فرق بسیار بود میان کسی که شخص وی را آنجا برنده فکر دیگر را. و بالله العون والتّوفیق.

الكلامُ فی تفضیلِ الأنبياءِ و الأولیاءِ علی الملائكةِ و المؤمنینِ أيضاً

بدان که به اتفاق اهل سنت و جماعت و جمهور مشایخ طریقت رحمة الله علیهم اجمعین انبیا و آنان که محفوظان اند از اولیا، از فریستگان فاضل‌ترند به خلاف معتزله که ایشان ملائکه را افضل انبیا گویند و گویند: «ایشان به رتبت رفیع‌ترند و به خلقت لطیف‌تر و مر حق را تعالی و تقدس مطیع تر باید که فاضل تر باشند.»

گوییم: حقیقت، خلاف صورت شماس است؛ که تن مطیع و رتبت رفیع و خلقت لطیف مر فضل حق را جلّ جلاله علت نباشد. فضل آن را باشد که حق تعالی نهاده باشد و این جمله که می‌گویند مر ابلیس را بود اما به اتفاق ملعون و مخدول است. پس فضل مر آن را بود که خداوند تعالی و تقدس وی را فضل نهد و از خلق برگزیند و دلیل بر فضل انبیا آن است که خداوند تعالی ملائکه را به سجده کردن آدم فرمود و این ضرورت است که حال مسجد له عالی تر از حال ساجد بود.

و اگر گویند: خانه کعبه سنگی است و جمادی و مؤمن از وی فاضل‌تر و آن را سجده می‌کند؛ روا بود که ملائکه نیز از آدم فاضل‌تر بوده باشند و او را سجده کردند.

گوییم: هیچ کس نگوید مؤمن خانه را یا محراب یادویاری را سجده می‌کند الا همگان گویند خداوند خانه را سجده می‌کند و همه گویند که ملائکه آدم را سجده کردند بر موافقت کلام خداوند؛ که چون ذکر سجده ملائکه کرد گفت، قوله، تعالی: «أَسْجُدُوا لِآدَمَ (البقره/۳۴)». ما فرمودیم مر ملائکه را و گفتیم تا آدم را سجده کنند.» و چون مؤمنان را امر کرد گفت: «وَ اسْجُدُوا وَ اعْبُدُوا رَبَّكُمْ (الحج/۷۷)». خداوند را سجده کنید و بندگی وی را میان اندر بندید.» پس خانه نه چون آدم باشد؛ که مسافر چون خواهد که بر پشت ستور خداوند را پرستد اگر

روی به خانه نباشد معذور بود. و مُعْمی علیه اگر دلایل قبله اندر بیابانی گم کند روی به هر سو که آرد فرمان گزارده باشد و ملائکه را اندر سجده آدم هیچ عذری نبود؛ آن یکی از خود عذری نهاد ملعون ابدگشت و خاکسار شد این ادله واضح است آن را که بصیرت بودش.

و نیز بدان که ملائکه چون مضطری اند اندر حق معرفت؛ که مر ایشان را اندر خلقت شهوت نیست و اندر دل حرص و آفت نی و اندر طبع زرق و حیلت نی. غذایشان طاعت است و مشرب بر فرمان اقامت است؛ باز اندر طینت آدمی شهوت مرکب است و ارتکاب معاصی از وی محتمل و زینت دنیا اندر دلش مؤثر و حرص و حیلت اندر طبعش منتشر. شیطان را در شخصش چندان سلطنت که اندر عروق با خون همی گردد اندر مجاری آن و نَفْسِ بد فرمای بدو مقرون که داعی همه شرها آن است. پس کسی که این جمله وصف وجود او باشد: با امکان شهوت از فسق و فجور پرهیز کند و با عین حرص از دنیا اعراض نماید و با بقای وسواس شیطان اندر دل از معاصی رجوع کند و از آفت نفسانی روی بگرداند و به اقامت بر عبادت و مداومت بر طاعت و به مجاهدت با نفس و مجادلت با شیطان مشغول گردد بحقیقت این از آن فاضل تر بود؛ زیرا که اندر صفتشان معرکه گاه شهوت نباشد و اندر طبعشان ارادت غذا و لذت نه، اندوه زن و فرزند نه مشغولی خویش و پیوند نه، محتاج سبب و آلت نه مستغرق امل و آفت نه.

لَعْمَری عجب دارم از آن که فضل اندر افعال بیند با عزّ اندر جمال یا بزرگی اندر جذب منال! زود آن نعمت و بزرگی زوال بیند چرا نه فضل از مالک الاعیان بیند و عزّ از رضای سبحان و بزرگی از معرفت و ایمان بیند؟ تا این نعمت بر خود جاودان بیند و اندر دو جهان دل خود بدو شادمان بیند.

جبرئیل که چندین هزار سال به انتظار خلعتی عبادت کرد خلعتش غاشیه داری محمد بود صلی الله علیهما تا شب معراج ستور وی را خدمت کرد، چگونه فاضل تر بود از آن که در دنیا نفس را ریاضت کند روز و شب مجاهدت کند حق با وی عنایت کند دیدار خودش کرامت کند، از جمله خطراتش با سلامت کند؟

چون نخوت ملائکه از حد درگذشت و هر یک صفای معاملتشان را حجت گردانیدند و زبان ملامت اندر آدمیان دراز کردند، حق جلّ جلاله خواستتا حال ایشان بدیشان باز نماید و بدانند که پاکی ایشان محض عصمت و لطف عنایت حق است جلّ جلاله. گفت: «سه کس از میان شما که بزرگترند اختیار کنید بر ایشان اعتماد دارید تا به زمین شوند و خلفای زمین باشند و خلایق را به صلاح آرند و میان آدمیان داد و عدل کنند.» سه فریشته را اختیار کردند، یکی از ایشان پیش از آن که به زمین آمدی آفت آن بدید. از خدای تعالی اندر خواست تا بازگردد. دو به زمین آمدند و پیش از آن که به زمین آمدندی، خداوند تعالی خلقت ایشان مبدل گردانید و آرزومند طعام و شرابشان گردانید و به شهوتشان مبتلا کرد؛ تا بدیشان مر ایشان را عقوبت کرد و تفضیل آدمیان را بر ملائکه بعیان مشاهده کردند.

و در جمله خواص مؤمنان از خواص ملائکه فاضل ترند و عوام مؤمنان از عوام ملائکه فاضل ترند پس آنچه محفوظ و معصوم اند از آدمیان افضل جبرئیل و میکائیل اند علیهما السلام. و آنچه معصوم نی اند افضل حَفْظَه اند؛ یعنی کرام الکاتبین والله اعلم.

و اندر این معنی سخن بسیار گفته اند و هر یک از مشایخ چیزی گفته اند خداوند تعالی فضل نهد آن را که خواهد بر آن که خواهد والله تعالی اعلم و الطف.

این است متعلقات مذهب حکیمیان اندر تصوّف و اختلاف متصوفه با یکدیگر که یادکردم بر سبیل اختصار. و بحقیقت ولایت سری است از اسرار حق و جز به روش هویدا نگردهد، و ولی را جز ولی نشناسد. و اگر اظهار این حدیث بر جمله عقلا جایز بودی خود دوست از دشمن پدیدار نیامدی و واصل از غافل ممیز نبودی. پس

خداوند تعالی چنان خواست تا جوهر دوستی را اندر صدف خوار داشت خلق نهد و به دریای بلا اندر اندازد، تا طالبان به حکم عزیزی آن جان فدا کنند و بر آن دریای جان شکار جان نثار کنند و به قعر آن دریا فرو شوند تا مرادشان برآید و یا به کلی در سر آن شوند.

و من خواستم تا اصل این سخن را مطول گردانم؛ اما خوف ملالت تو و نفرت طبع مانع من گشت تا عنان بر صوب اقتصار تابیدم و مر مدخلی را بدین طریقت این مقدار بسنده بود. واللّه اعلم بالصواب.

اما الخرازیه

تولا خرازیان به ابی سعید خراز رضی الله عنه کنند و وی را اندر طریقت تصانیف از هراست و اندر تجرید و انقطاع شأنی عظیم داشت و ابتدای عبارات از حال فنا و بقا اوکرد و طریقت خود را جمله اندر این دو عبارت مضمهرگردانید. اکنون من معنی آن بگویم و غلطهای گروهی اندر آن بیارم تا بداننی که مذهب وی چیست و مقصود این طایفه از این دو عبارت متداول چیست.

الكلام فی البقاء و الفناء

قوله، تعالی: «ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ (۹۶/النحل)». و قوله، تعالی: «كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ وَبَقِيَّتُ اللَّهِ الْبَاقِيَّةُ وَرَبُّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ (۲۶ و ۲۷/الرحمن)». بدان که فنا و بقا بر زبان علم به معنی دیگر بود و بر زبان حال به معنی دیگر و ظاهریان اندر هیچ عبارت از عبارات متحیرتر نی اند که اندر این عبارت.

پس بقا بر زبان علم و مقتضای لغت بر سه گونه باشد:

یکی بقایی که طرف اول وی اندر فناست و طرف آخر اندر فنا؛ چون این جهان که ابتدا نبود و در انتها نباشد و اندر وقت هست و دیگر بقایی که هرگز نبود و بوده گشت و هرگز فانی نشود و آن بهشت است و دوزخ و آن جهان و اهل آن و سدیگر بقایی که هرگز نبود که نبود و هرگز نباشد که نباشد و آن بقای حق است و صفات وی جل جلاله لم یزل و لایزال وی با صفاتش قدیم است و مراد بقای وی دوام وجود وی است. تعالی اللّهُ عَمَّا يَقُولُ الظَّالِمُونَ. کس را اندر اوصاف وی با وی مشارکت نیست.

پس علم فنا آن بود که بداننی که دنیا فانی است، و علم بقا آن که بداننی که عقبی باقی است؛ لقوله، تعالی: «وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (۱۷/الاعلی)». اینجا «باقی» بر وجه مبالغت گفت؛ از آن که بقای عمر آن جهان اندر فنا نباشد.

اما بقای حال و فنای آن، آن بود که چون جهل فانی شود لامحاله علم باقی ماند، و معصیت فانی شود طاعت باقی ماند، چون بنده علم و طاعت خود را حاصل گردانید و نیز غفلت فانی شود به بقای ذکر؛ یعنی بنده چون به حق عالم گردد و به علم وی باقی شود از جهل بدو فانی شود و چون از غفلت فانی شود به ذکر وی باقی شود و این، اسقاط اوصاف مذموم باشد به قیام اوصاف محمود.

اما خواص اهل این قصه را بدین عبارت نه این باید که یاد کردیم و اشارت ایشان اندر این اصل، به علم و حال نیست و ایشان فنا و بقا را بجز در درجه کمال اهل ولایت استعمال نکنند؛ آنان که از رنج مجاهدت رسته باشند و از بند مقامات و تغیر احوال جسته و طلب اندر یافت برسیده و همه دیدنیهای دیده بدیده و همه شنیدنیهای گوش بشنیده و همه دانستنیهای دل بدانسته و همه یافتنیهای سر بیافته، و اندر یافت آن آفت یافت آن بدیده، و روی از جمله بگردانیده و قصد اندر مراد فانی شده و راه برسیده دعوی ساقط شده و از معنی منقطع گشته و

کرامات حجاب شده، مقامات غاشیه گشته احوال لباس آفت پوشیده در عین مراد از مراد بیمراد مانده مشرب از کل ساقط بوده، انس با مستأنسات هدرگشته؛ لقوله، تعالی: «لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ (۴۲/الانفال)».

و اندر این معنی من می گویم:

فَنَيْتُ فَنَائِي بِفَقْدِ هَوَائِي فَصَارَ هَوَائِي فِي الْأُمُورِ هَوَاك

«فاذا فَنَيْتُ الْعَبْدُ عَن أَوْصَافِهِ أَدْرَكَ الْبَقَاءَ بَتَمَامِهِ.» چون بنده اندر حالت وجود اوصاف، از آفت اوصاف فانی شد به بقای مراد اندر فنای مراد باقی شد؛ تا قرب و بعدش نباشد و وحشت و انشش نماند. صحو و سکر و فراق و وصال نبود. طمس و اصطلام نه و اسما و اعلام نه، سِمَات و ارقام نه. اندر این معنی یکی از مشایخ رضی الله عنهم می گوید:

وَطَاحَ مَقَامِي وَالرُّسُومُ كِلَاهُمَا
فَنَيْتُ بِهِ عَنِّي فَنَا زَلْنِي بِهِ
فَلَسْتُ أَرَى فِي الْوَقْتِ قُرْبًا وَلَا بُعْدًا
فَهَذَا ظَهْوَرُ الْحَقِّ عِنْدَ الْفَنَاءِ قَصْدًا

فی الجملة، فنا از چیزی جز به رؤیت آفت آن و نفی ارادت آن درست نیاید که هرکه را صورت بسته است که فنا از چیزی به حجاب آن چیز درست آید برخفا است. نه چنانکه آدمی چون چیزی را دوست دارد گوید که: «من بدان باقی ام.» و تا چیزی دشمن دارد گوید: «من از آن فانی ام.» که این هر دو صفت طالب است و اندر فنا محبت و عداوت نیست و اندر بقا رؤیت تفرقه نی.

و گروهی را اندر این معنی غلطی افتاده است و می پندارند که: «این فنا به معنی فقد ذات و نیست گشتن شخص است و این بقا آن که بقای حق به بنده پیوندد.» و این هر دو محال است.

و اندر هندوستان مردی دیدم که مدعی بود به تفسیر و تذکیر و علم که با من اندر این معنی مناظره کرد. چون نگاه کردم وی خود می فنا را نشناخت و بقا را و قدیم را از محدث فرق نمی دانست کرد. و از جهال این طایفه بسیارند که فنای کلیت می روا دارند و این مکابره عیان بود؛ که هرگز فنای اجزای طبیعتی و انقطاع آن روا نباشد. پس مر این مخطیان و جهله را گوئیم که: «بدین فنا چه می خواهید؟» اگر گویند: «فنای عین»، محال بود. و اگر گویند: «فنای وصف»، روا بود فنای صفتی به بقای صفتی دیگر؛ که حواله هر دو صفت به بنده باشد و محال باشد که کسی به صفت غیر قایم باشد و مذهب نسطوریان، از رومیان و نصاری، آن است که گویند: «مریم به مجاهدت از کل اوصاف ناسوت فانی شد و بقای لاهوت بدو پیوست. و وی بدان بقا یافت تا باقی شد به بقاء الله، و عیسی نتیجه آن بود. و اصل ترکیب عیسی نه از مایه انسانیست بود؛ که بقای وی به تحقیق بقای الهیت بود. پس وی و مادرش و خداوند هر سه باقیانند به یک بقا که آن قدیم است و صفت حق است.» و این جمله موافق است مر قول حشویان را که از مجسمه و مشبهه اند که ذات خداوند را محل محو ادث گویند و مر قدیم را صفت محدث روا دارند.

گوئیم با جمله که: چه محدث محل قدیم بود و چه قدیم محل محدث؟ و چه قدیم را وصفی محدث بود و چه محدث را وصفی قدیم؟ و جواز این مذهب دهر باشد و دلیل حدث عالم را باطل گرداند و صنع و صانع را یا قدیم باید گفت و یا هر دو را محدث به امتزاج مخلوق با نامخلوق و حلول نامخلوق به مخلوق و این خسران مر ایشان را بسنده باشد که چون قدیم را محل حوادث گویند و یا حادث را محل قدیم یا صنع و صانع را قدیم، چون به برهان ضرورت گردد محدثی صنع، صانعشان را محدث باید گفت؛ که محل چیز چون عین چیز بود. چون محل محدث بود باید تا حال هم محدث باشد. پس این جمله را یا لازم آید که محدث را قدیم گویند یا قدیم را محدث و این هر دو ضلالت بود. و فی الجملة، هر چیزی که به چیزی موصول و مقرون و متحد و ممتزج بود

حکم هر دو چیز چون یکی بود. پس بقای ما صفت ماست و فنای ما صفت ما و اندر تخصیص اوصاف ما را فنای ما چون بقای ما بود و بقا چون فنا. پس فنا وصفی بود به بقای وصفی دیگر. و باز اگر کسی عبارت از فنا کند که: «بقا را بدو تعلق نباشد»، روا بود و اگر از بقا که: «فنا را بدو تعلق نه»، هم روا بود؛ که مراد از آن فنا، ذکر غیر بود و بقا ذکر حق. «من فَنَى مِنَ الْمُرَادِ بَقَى بِالْمُرَادِ. هرکه از مراد خود فانی شود به مراد حق باقی شود؛» از آنچه مراد تو فانی است و مراد حق باقی. چون قایم به مراد خود باشی مراد تو فانی شود قیامت به فنا بود؛ و باز چون متصرف مراد حق باشی مراد حق باقی بود قیامت به بقا بود. و مثال این، چنان بود که هرچه اندر سلطان آتش افتد، به قهر وی به صفت وی گردد. چون سلطان آتش وصف شیء را اندر شیء مبدل می‌گرداند، سلطان ارادت حق از سلطان آتش اولی‌تر؛ اما این تصرف آتش اندر وصف آهن است و عین همان است، هرگز آهن آتش نگردد. واللّٰه اعلم.

فصل

مشایخ را رضی الله عنهم اندر این معنی هر یکی لطیفه‌ای است به رمز. ابوسعید خراز گوید رضی الله عنه، که صاحب مذهب است که: «الفناء فناء العبد عن رُؤیة العبودیة، و البقاء بقاء العبد بشاهد الالهیة.»

فنا فنای بنده باشد از رؤیت بندگی و بقا بقای بنده باشد به شاهد الهی؛ یعنی اندر کردار بندگی آفت بود و بنده به حقیقت بندگی آنگاه رسد که ورا به کردار خود دیدار نباشد و از دید فعل خود فانی گردد و به دید فضل خداوند تعالی باقی، تا نسبت معاملتش جمله به حق باشد نه به خود؛ که آنچه به بنده مقرون بود از فعل وی، بجمله ناقص بود و آنچه از حق تعالی بدو موصول بود، جمله کامل بود. پس چون بنده از متعلقات خود فانی شود به جمال الهیت حق باقی گردد.

و ابویعقوب نهر جوری گوید، رحمة الله علیه: «صِحَّةُ الْعُبُودِيَّةِ فِي الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ.» صحت بندگی کردن اندر فنا و بقاست؛ از آنچه تا بنده از کل نصیب خود تبرا نکند شایسته خدمت به اخلاص نگردد. پس تبرا از نصیب آدمیت فنا بود و اخلاص اندر عبودیت بقا.

ابراهیم شیبان گوید، رحمة الله علیه: «عِلْمُ الْفَنَاءِ وَالْبَقَاءِ وَ يَدْوَرُ عَلَى إِخْلَاصِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَ صِحَّةِ الْعُبُودِيَّةِ، وَ مَا كَانَ غَيْرَ هَذَا فَهَوَّ الْمَغَالِيطُ وَ الزَّنْدَقَةُ.»

قاعده علم فنا و بقا بر اخلاص وحدانیت است؛ یعنی چون بنده به وحدانیت حق مقرر آید خود را مغلوب و مقهور حکم حق بیند، و مغلوب اندر غلبه غالب فانی بود و چون فنای وی بر وی درست گردد، به عجز خود اقرار کند و جز بندگی او چاره‌ای نبیند چنگ اندر درگاه رضا زند. و هرکه فنا و بقا را بجز این عبارتی کند یعنی عبارتی که فنا را فنای عین داند و بقا را بقای عین زندقه باشد و مذهب نصاری؛ چنانکه پیش از این رفت.

و صاحب کتاب گوید رحمة الله علیه که: جمله اقاویل از روی معنی به یکدیگر نزدیک است، اگرچه به عبارت مختلف‌اند و حقیقت این جمله آن است که فنا مر بنده را از هستی خود با رؤیت جلال حق و کشف عظمت وی بَرَد؛ تا اندر غلبه جلالش دنیا و عقبی فراموش کند و احوال و مقام اندر خطر همتش حقیر نماید. کرامات اندر روزگارش متلاشی شود از عقل و نفس فانی گردد، و از فنا نیز فانی شود. اندر عین آن فنا زبانش به حق ناطق گردد و تن خاشع و خاضع؛ چنانکه اندر ابتدای اخراج ذریت از پشت آدم علیه السلام بی ترکیب آفات اندر حال عهد عبودیت.

و یکی گوید از مشایخ رضی الله عنه اندر این معنی:

كَيْفَ السَّيْلِ إِلَيْكَ
فَصِرْتُ ابْنِي عَلَيْكَ

لَا كُنْتُ إِنْ كُنْتُ أُدْرِي
أَفْنَيْتَنِي عَنْ جَمِيعِي

و دیگری گوید:

و فِي فَنَائِي وَجَدْتُ أَنْتَ
سَأَلْتُ عَنِّي فَقُلْتَ أَنْتَ

فَفِي فَنَائِي فَنَا فَنَائِي
مَحَوْتُ رَسْمِي وَرَسْمَ جَسْمِي

این است احکام فنا و بقا. اندر باب فقر و باب تصوّف طرفی بیاورده‌ام، و هر جا که اندر این کتاب از فنا و بقا عبارت کنم مراد این باشد. این است قانون مذهب خرازیان و اصل آن. آن پیر بزرگوار، نیکو روزگار مردی بوده است و این نیکو اصلی است و فصلی که دلیل وصل باشد بر اصل باشد و اندر جریان کلام این طایفه این عبارت سخت مشهور است. واللّه اعلم بالصواب و الیه المرجع و المآب.

و اما الخفیفة

خفیفیان تولا به ابی عبدالله محمد بن خفیف کنند. و وی از کبرای سادات این طایفه بوده است و از عزیزان وقت رضی الله عنه و عن جمیع أسلافهم و عالم به علوم ظاهری و باطنی و وی را تصانیف معروف است اندر فنون علم این طریقت و مناقبش اشهر آن است که کلیت آن احصا توان کرد فی الجمله، مردی عزیز روزگار و عزیز نفس بود و معرض از شهوات نفسانی.

و شنیدم که چهارصد نکاح کرده بود و آن از آن بوده بود که وی از ابنای ملوک بود. و چون توبه کرد، مردم شیراز بدو تقرب بسیار کردند و چون حالش بزرگ شد بنات ملوک و رؤسا مرتبرک را خواستندی تا با وی عقد کنند و وی قبول کری و قبل الدخول طلاق دادی. اما چهل زن پراکنده اندر عمر وی دوگان و سه گاه خادمان فریاش وی بودند و یکی را از ایشان با وی چهل سال صحبت بوده بود و آن دختر وزیری بود.

شنیدم از شیخ بوالحسن علی بکران الشیرازی رحمة الله علیه که: روزی از زنانی که به حکم وی بوده بودند هر یک از وی حکایتی می کردند. جمله متفق شدند که ایشان شیخ را اندر خلوت به حکم اسباب شهوت هرگز ندیده بودند و سواسی اندر دل هر یک پدیدار آمد و متعجب شدند و پیش از آن هر یک پنداشته بودند که او بدان مخصوص است. گفتند: «از سر صحبت وی بجز دختر وزیر خبر ندارد؛ که سالهاست تا اندر صحبت وی است و دوست ترین زنان بر وی اوست.» دو کس را از میان خود اختیار کردند و بدو فرستادند که: «شیخ را با تو انبساط بیشتر بوده است، باید که ما را از سر صحبت وی آگاه کنی.» گفت: «چون شیخ مرا اندر حکم خود آورد، کسی بیامد که: شیخ امشب به خانه تو خواهد آمد. من طبخهای خوب بساختم و مرزینت و زیب خود را تکلف کردم. چون بیامد، طعامی بیاوردند و مرا بخواندند. زمانی اندر من نگریست و زمانی اندر طعام. آنگاه دست من بگرفت و به آستین خود اندر کشید. از سینه وی تا ناف پانزده عقده افتاده بود. گفت: ای دختر وزیر، بپرس که این چه عقده هاست. پرسیدمش. گفت: این همه لُهب و شدت صبر است که گره بسته است. از چنین روی و از چنین طعام صبر کرده‌ام این بگفت و برخاست. بیشترین گستاخیهای وی با من این بوده است.

و طراز مذهب وی اندر تصوّف غیبت و حضور است و عبارت از آن کند و من به مقدار قوت بیان آن را بیارم،
إِنْ شَاءَ اللَّهُ الْعَزِيزُ.

الكلام في الغيبة والحضور

این عبارتهایی است که طردشان چون عکس بود اندر عین معنی مقصود، آنگاه متضاد نماید و مستعمل است و

متداول اندر میان ارباب لسان و اهل معنی.

پس مراد از حضور، حضور دل بود به دلالت یقین تا حکم غیبی ورا چون حکم عینی گردد؛ و مراد از غیبت، غیبت دل بود ازدون حق تا حدی که از خود غایب شود تا به غیبت خود از خود به خود نظاره نکند و علامت این، اعراض بود از حکم رسوم؛ چنانکه از حرام نبی معصوم باشد. پس غیبت از خود حضور به حق آمد و حضور به حق غیبت از خود؛ چنانکه هرکه از خود غایب، به حق حاضر و هرکه به حق حاضر از خود غایب بود. پس مالک دل خداوند است، عزّ و جلّ. چون جذبتی از جذبات حق جل جلاله مر دل طالب را مقهور گردانید، غیبت به نزدیک وی چون حضور گردانید و شرکت و قسمت برخاست و اضافت به خود منقطع شد؛ چنانکه یکی گوید از مشایخ، رحمهم الله:

وَلِي فُؤَادٌ وَأَنْتَ مَالِكُهُ بِلا شَرِيكَ فَكَيْفَ يَنْقَسِمُ

چون دل را جز وی مالک نباشد، اگر غایب دارد یا حاضر اندر تصرف وی باشد. و اندر حکم نظر به عین جمله برهان روش احباب این است؛ اما چون فرق افتد، مشایخ را رضی الله عنهم اندر این سخن است. گروهی حضور را مقدم دارند بر غیبت و گروهی غیبت را بر حضور؛ چنانکه اندر سکر و صحو بیان کردیم اما صحو و سکر بر بقیت اوصاف نشان کند و غیبت و حضور بر فنای اوصاف. پس این اعزّ آن بود اندر تحقیق.

و آنان که غیبت را مقدم دارند بر حضور، ابن عطاست و حسین بن منصور و ابوبکر شبلی و بُنّدار بن الحسین و ابوحمزه بغدادی و سمون المحب رضی الله عنهم و جماعتی از عراقیان، گویند که: حجاب اعظم اندر راه حق تویی چون تو از تو غایب شدی، آفات هستی تو اندر تو فانی شد و قاعده روزگار بگشت. مقامات مریدان جمله حجاب تو شد و احوال طالبان جمله آفتگاه تو گشت. اسرار زناز شد مُثبتات اندر همت خوار شد چشم از خود و از غیر فرو دوخته شد. اوصاف بشریت اندر مقرر خود به شعله قربت سوخته شد.

و صورت این چنان باشد که خداوند تعالی در حال غیبت تو مر تورا از پشت آدم بیرون آورد و کلام عزیز خود مر ترا بشنواند و به خلعت توحید و لباس مشاهدت مخصوص گردانید تا از خود غایب بودی به حق حاضر بودی بی حجاب، چون به صفت خود حاضر شدی از قربت غایب شدی پس هلاک تو اندر حضور توست. این است معنی قول خدای، عزّ و جلّ: «وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ (۹۴/الانعام)».

و باز حارث محاسبی و جنید و سهل بن عبدالله و ابوحنفص حداد و حمدون و ابومحمد جریری و حُصّری و صاحب مذهب، محمد بن خفیف رضی الله عنهم اجمعین با جماعتی دیگر، بر آنند که: حضور مقدم غیبت است؛ از آنچه همه جمالها اندر حضور بسته است و غیبت از خود راهی باشد به حق. چون پیشگاه آمد راه آفت گردد. پس هرکه از خود غایب بود، لامحاله به حق حاضر بود و فایده غیبت حضور است غیبت بی حضور جنون باشد و یا غلبه و یا مرگ و غفلت. باید تا مقصود این غیبت حضور باشد و چون مقصود موجود شد علت ساقط شود؛ چنانکه گفته اند: «لَيْسَ الْغَائِبُ مَنْ غَابَ مِنَ الْبِلَادِ، اِنَّمَا الْغَائِبُ مَنْ غَابَ مِنَ الْمَرَادِ. وَ لَيْسَ الْحَاضِرُ مَنْ لَيْسَ لَهُ مَرَادٌ، اِنَّمَا الْحَاضِرُ مَنْ لَيْسَ لَهُ فُؤَادٌ حَتَّى اسْتَفَرَّ فِيهِ الْمَرَادُ.»

نه غایب آن بود که از شهر خود غایب بود، غایب آن بود که از کل ارادت غایب بود تا ارادت حق ارادت وی آید. و نه حاضر آن بود که ورا ارادت اشیا نبود؛ که حاضر آن بود که ورا دل رعنا نبود، تا اندر آن فکرت دنیا و عقبی نبود و آرام با هوی نبود و اندر این معنی دو بیت است، یکی را از مشایخ، رحمة الله عليهم:

مَنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ فَانِيًا عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْهُوَى وَالْأَنْسِ بِالْأَحْبَابِ
فَكَأَنَّهُ بَيْنَ الْمَرَاتِبِ وَاقِفٌ لِمَنَالِ حَظٍّ أَوْ لِحُسْنِ مَرَاتِبِ

و مشهور است که یکی از مریدان ذالنون قصد بایزید کرد. چون به در صومعه وی رسید و در بزد، بایزید گفت:

«کیستی و که را خواهی؟» گفت: «بایزید را.» گفت: «بویزید که باشد و کجاست و چه چیز است؟ و من مدتی است تا بایزید را جستم و نیافتم.» چون آن کس بازگشت و حال با ذوالنون بگفت، گفت: «اخی بویزید رحمة الله علیه ذَهَبَ فِي الدَّاهِيَيْنِ إِلَى اللَّهِ.»

یکی به نزدیک جنید رضی الله عنه آمد و گفت: «یک زمان به من حاضر شو تا سخنی چند با تو بگویم.» جنید گفت: «ای جوانمرد، تو از من چیزی می‌طلبی که از دیرباز من همان می‌طلبم، سالهاست تا می‌خواهم که یک نفس به خود حاضر باشم می‌توانم. اندر این ساعت به تو حاضر چون توانم بود؟» پس اندر غیبت وحشت حجاب باشد و اندر حضور راحت کشف و اندر همه احوال کشف نه چون حجاب باشد و اندر این معنی شیخ ابوسعید گوید، رحمة الله علیه:

تَقْشَعُ غَيْمَ الْهَجْرِ عَنْ قَمَرِ الْحُبِّ وَأُسْفَرُ نُورَ الصُّبْحِ عَنْ ظِلْمَةِ الْعَنْبِ

و اندر فرق این، مشایخ را لطیفه‌ای است حالی و از روی ظاهر قال این عبارات به هم نزدیک است؛ که چه حضور به حق و چه غیبت از خود و آن که از خود غایب نیست به حق حاضر نیست و آن که حاضر است غایب است؛ چنانکه چون جَزَعِ ایوب صلوات الله علیه اندر حال ورود بلا نه به خود بود؛ که اندر آن حال از خود غایب بود، حق تعالی عین آن جزع را از صبر جدا نکرد، و گفت: «مَسَّنِيَ الضَّرَّ (۸۳/الانبیاء)»، خداوند تعالی فرمود: «أَنَا وَجَدَنَاهُ صَابِرًا (۲۴/ص)». و این حکم بعین اندر این قصه عیان است. نیک تأمل کن. و از جنید رضی الله عنه می‌آید که گفت: «روزگاری چنان بود که اهل آسمان و زمین بر حیرت من می‌گریستند. باز چنان شد که من بر غیبت ایشان می‌گریستم. کتون باز چنان است که نه از ایشان خبر دارم نه از خود.» و این اشارتی نیکوست به حضور.

این است معنی غیبت و حضور که مختصر بیاوردم تا هم مسلک خفیفان دانسته باشی و هم بدانی که مراد این قوم از غیبت و حضور چیست و اگر بیشتر غلو رود به تطویل انجامد و مذهب ما اختصار است اندر این کتاب.

أما السَّيَّارِيَّةُ

تولا سیاریان به ابی العباس سیاری کنند، رضی الله عنه و وی امام مرو بود اندر همه علوم، و صاحب ابوبکر واسطی بود و امروز اندر نسا و مرو از اصحاب وی طبقه‌ای بسیارند و هیچ مذهب اندر تصوّف بر حال خود نمانده است الا مذهب وی؛ که به هیچ وقت مرو یا نسا از مقتدایی خالی نبوده است که اصحاب وی را بر اقامت مذهب وی رعایت می‌کرده است تا الی یومنا هذا.

و مر اهل نسا را از اصحاب وی با اهل مرو رسایل لطیف است و سخن ایشان میان یکدیگر به نامه بوده است و من بعضی از آن نامه‌ها بدیدم به مرو، سخت خوش است و عبارات ایشان را بنا بر جمع و تفرقه باشد و این لفظی است مشترک میان جمله اهل علوم، و هر گروه اندر صنعت خود مر این لفظ را کار بندند مر تفهیم عبارات خود را، اما مراد هر یک از آن چیزی دیگر است؛ چنانکه حسابیان به جمع و تفرقه مراد اجتماع و افتراق اعداد چیزی خواهند و نحویان اتفاق اسامی لغوی و افتراق معانی آن، و فقها جمع قیاس و تفرقه نص و یا بر عکس این و اصولیان جمع صفات ذات و تفرقه صفات فعل؛ اما مراد این طایفه بدین، نه این جمله بود که یاد کردیم. کتون من مقصود این طایفه بدین عبارات و اختلاف مشایخ بیارم تا ترا حقیقت این معلوم گردد، ان شاء الله تعالی.

الكلام في الجمع و التفرقة

جمع کرد خدای تعالی خلق را اندر دعوت؛ قوله، تعالی: «وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ (۲۵/یونس)»، آنگاهشان فرق کرد اندر حق هدایت وگفت قوله، تعالی: «وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (۲۵/یونس)». جمله را بخواند از روی دعوت وگروهی را براند به حکم اظهار مشیت. جمع کرد و جمله را فرمان داد و فرق کرد و گروهی را به خذلان داد، بعضی را به توفیق قبول گردانید و نیز جمع کرد به نهی و فرق کرد. گروهی را عصمت داد و گروهی را میل آفت. پس بدین معنی جمع، حقیقت و سر معلوم و مراد حق باشد و تفرقه اظهار امر وی؛ چنانکه ابراهیم را فرمود که: «حلق اسماعیل بیبر»، و خواست که نبرد. ابلیس را گفت: «سجده کن آدم را»، و خواست که نکند و نکرد و مانند این بسی است. «الجمعُ ما جَمَعَ باوصافِهِ و التفرقةُ ما فَرَّقَ بافعاله». این جمله انقطاع ارادت باشد و ترک تصرف خلق اندر اثبات ارادت حق.

و اندر این مقدار که یاد کردیم اندر جمع و تفرقه، اجماع است مر جمله اهل سنت و جماعت را بدون معتزله با مشایخ این طریقت. و از بعد این اندر استعمال این عبارت مختلفانند: گروهی بر توحید رانند، و گروهی بر اوصاف و گروهی بر افعال. آنان که بر توحید رانند گویند: جمع را دو درجت است: یکی اندر اوصاف حق، و دیگری اندر اوصاف بنده. آنچه اندر اوصاف حق است آن سر توحید است، کسب بنده از آن منقطع و آنچه اندر اوصاف بنده است آن عبارت از توحید است به صدق نیت و صحت عزیمت، و این قول بوعلی رودباری است. و گروهی دیگر گویند آنان که بر اوصاف رانند که: جمع صفت حق است و تفرقه فعل وی، و کسب بنده از آن منقطع؛ از آنچه در الهیت وی را منازع نیست. پس جمع ذات و صفات وی است؛ از آنچه «الجمعُ التَّسْوِيَةُ فِي الْأَصْلِ» و جز ذات و صفات وی به قدم متساوی نیاند و اندر افتراقشان به عبارت و تفضیل خلق مجتمع نه. و معنی این آن بود که وی را تعالی صفاتی قدیم است و وی تعالی الله بدان مخصوص است و قیام آن بدوست و اختصاص وجودشان بدو. وی و صفات وی دو نباشد؛ که در وحدانیت وی فرق و عدد روا نیست، و بدین حکم جمع جز در این معنی روا نباشد؛ «أما التفرقة في الحكم»، این افعال خداوند است تعالی که جمله در حکم مفترقانند: یکی را حکم وجود است و یکی را حکم عدم که ممکن الوجود باشد یکی را حکم فنا و یکی را حکم بقا.

و باز گروهی دیگر بر علم رانند و گویند: «الجمعُ علمُ التَّوْحِيدِ و التفرقةُ علمُ الأحكام»، پس علم اصول، جمع باشد و از آن فروع تفرقه و مانند این نیز گفته است یکی از مشایخ، رحمة الله علیه: «الجمعُ ما اجتمع عليه أهل العلم و الفرقُ ما اختلفوا فيه.»

و باز جمهور محققان تصوف را أَنْصَرَ اللَّهُ و جوههم اندر مجاری عبارات و رموزشان مراد به لفظ تفرقه مکاسب است و به جمع، مواهب؛ یعنی مجاهدت و مشاهدت. پس آنچه بنده از راه مجاهدت بدان راه یابد، جمله تفرقه باشد و آنچه صرف عنایت و هدایت حق تعالی باشد جمع بود و عز بنده اندر آن بود که اندر وجود افعال خود و امکان مجاهدت به جمال حق از آفت فعل رسته گردد و افعال خود را اندر افضال حق مستغرق یابد و مجاهدت را اندر حق هدایت منفی و قیام کل وی به حق باشد و حق تعالی محول اوصاف او، و فعلش را جمله اضافت به حق تا از نسبت کسب خود رسته گردد؛ چنانکه پیغمبر علیه السلام ما را خبر داد؛ قوله علیه السلام خبراً عن الله، تعالی: «لَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ لَهُ سَمْعًا وَ بَصَرًا وَ يَدًا وَ مُؤَدًّا وَ لِسَانًا بِي يَسْمَعُ وَ بِي يَبْصُرُ وَ بِي يَنْطِقُ وَ بِي يَبْطِشُ.»

چون بنده ما به مجاهدت به ما تقرب کند ما وی را به دوستی خود رسانیم و هستی وی را اندر وی فانی گردانیم و نسبت وی از افعال وی بزدایم تا به ما شنود آنچه شنود و به ما گوید آنچه گوید و به ما بیند آنچه بیند و به ما

گیرد آنچه گیرد؛ یعنی اندر ذکر ما مغلوب ذکر ما شود، کسب وی از ذکر وی فنا شود ذکر ما سلطان ذکر وی گردد نسبت آدمیت از ذکر وی منقطع شود. پس ذکر وی ذکر ما باشد؛ تا اندر حال غلبه بدان صفت گردد که ابویزید رحمة الله علیه گفت: «سبحانی! سبحانی! ما اعظم شأنی!» و آن که گفت، نشانه گفتار وی و گوینده حق؛ کما قال رسول الله، صلی الله علیه: «الحقُّ ينطقُ علی لسانِ عُمَرَ.»

حقیقت این چنان بود که چون قهریتی از حق، سلطنت خود بر آدمی ظاهر کند بر هستی وی، وی را از وی بستاند؛ تا نطق این، جمله نطق وی گردد به استحالت، بی آن که حق را تعالی و تقدس امتزاج باشد با مخلوقات و یا اتحاد با مصنوعات یا وی حال باشد اندر چیزها. تعالی الله عن ذلك و عما یصفه الملاحدة علواً کبیراً. پس روا باشد که دوستی از حق بر دل بنده سلطان گردد و به غلبه و افراط آن عقل و طبایع از حمل آن عاجز گردند و امر وی از کسب وی ساقط گردد. آنگاه این درجه را جمع خوانند؛ چنانکه چون رسول علیه السلام مستغرق و مغلوب بود فعلی از وی حاصل آمد. خداوند تعالی نسبت فعل از وی دفع کرد و گفت: «آن فعل من بود نه فعل تو، هر چند نشانه فعل تو بودی. و ما رمیت اذ رمیت و لکن الله رمی (۱۷/الانفال). یا محمد آن مشتی خاک اندر روی دشمن نه تو انداختی، من انداختم.» چنانکه هم از آن جنس فعلی از داود علیه السلام حاصل آمد و گفت: «وقتل داود جالوت (۲۵۱/البقره). یا داود، جالوت را تو کشتی.» و این اندر تفرقه حال بود و فرق باشد میان آن که فعل وی را بدو اضافه کند و او محل آفت و حوادث و آن که فعل وی را به خود اضافه کند و وی قدیم و بی آفت.

پس چون فعلی ظاهر گردد بر آدمی نه از جنس افعال آدمیان، لامحاله فاعل آن حق بود جل و علا و اعجاز و کرامات جمله بدین مقرون بود. پس افعال معتاد، جمله تفرقه باشد و ناقض عادت جمع؛ از آنچه یک شب به قاب قوسین شدن معتاد نیست و آن جز فعل حق نباشد و از آتش ناسوختن معتاد نیست و آن جز فعل حق نیست. پس حق تعالی انبیا و اولیای خود را این کرامات بداد و فعل خود را بدیشان اضافه کرد و از آن ایشان را به خود. چون فعل دوستان فعل وی بود و بیعت ایشان بیعت وی بود و طاعت ایشان طاعت وی بود، گفت: عز من قائل: «إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ (۱۰/الفتح)»، و نیز گفت: «وَمَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (۸۰/النساء).» پس مجتمع باشند اولیای وی به اسرار و مفترق به اظهار معاملت؛ تا به اجتماع اسرار دوستی محکم بود و به افتراق اظهار، اقامت عبودیت صحیح؛ چنانکه یکی گوید از کبرای مشایخ، اندر حال جمع، رضی الله عنه:

قد تحققت بسری فتناجاک لسانی
و اجتمعنا لمعان و افترقنا لمعانی
فلئن غیبک التعظیم عن لحظ عیانی
فلقد صیرک الوجد من الاحشاء دانی

اجتماع اسرار را جمع گفته است و مناجات زیان را تفرقه و آنگاه جمع و تفرقه هر دو اندر خود نشان کرده است و قاعده آن خود را نهاده و این سخت لطیف است.

فصل

ماند اینجا خلافتی که هست میان ما و میان گروهی که گویند: «اظهار جمع نفی تفرقه باشد؛ از آنچه هر دو متضادند که چون سلطان هدایت مستولی شد ولایت کسب و مجاهدت ساقط شود.»

و این تعطیل محض باشد؛ از آنچه تا امکان معاملت و توانایی کسب بود و مجاهدت بود، هرگز آن از بنده ساقط نشود؛ از آنچه جمع از تفرقه جدا نیست، چون نور از آفتاب و عرض از جوهر و صفت از موصوف. پس مجاهدت از هدایت و شریعت از حقیقت و یافت از طلب جدا نباشد؛ اما باشد که مجاهدت مقدم بود و باشد که

مؤخر. آن را که مجاهدت مقدم بود بر وی مشقت زیادت بود؛ از آنچه در غیبت بود و آن را که مجاهدت مؤخر بود بر وی رنج و کلفت نبود؛ از آنچه در حضرت بود و آن را که نفی مشرب اعمال نفی عین عمل نماید بر غلطی عظیم باشد.

و روا باشد که بنده به درجتی رسد که کل اوصاف محمود خود را به چشم عیب نگرد و ناقص بیند. چون اوصاف محمود خود را معیوب و معلول بیند باید که تا اوصاف مذموم معیوب تر باشد و این بدان آوردم که قومی را از جهال اندر این معنی غلطی افتاده است که آن مقرون بیگانگی باشد؛ بدانچه گویند: «از یافت هیچ چیز اندر جهد ما نبسته است و افعال و طاعت ما معیوب است و مجاهدات ما ناقص. ناکرده اولی تر از کرده.»

گوییم با ایشان که: کردار ما را می فعل نهید و نهیم باتفاق، و افعال را محل علت و منبع آفت، لامحاله ناکرده را هم فعل باید نهاد. چون هر دو فعل آمد و فعل محل علت، پس چرا ناکرده از کرده اولی تر دانند؟ و این خسرانی ظاهر و غیبی فاحش است. پس این فرقی آمد نیکو میان کفر و ایمان؛ از آنچه مؤمن و کافر متفق اند که افعال ایشان محل علت است، پس مؤمن به حکم فرمان، گرد از ناکرد اولی تر داند و کافر به حکم نافرمانی، ناکرد از کرد اولی تر داند.

پس جمع آن بود که اندر رؤیت آفت تفرقه، حکم تفرقه از وی ساقط نگردد و تفرقه آن که اندر حجاب جمع تفرقه را جمع داند. و اندر این معنی مُزَّيْن کبیر گوید رحمة الله علیه: «الجمعُ الخصوصیَّةُ و التَّفْرِقَةُ العبودیَّةُ، موصولٌ أحدهما بالآخر غیر مَفْصُولٍ عنه.»

خصوصیت حق تعالی بنده را جمع باشد و عبودیت بنده وی را تفرقه، و این از آن جدا نیست؛ از آنچه نشان خصوصیت حفظ عبودیت است. چون مدعی اندر معاملات به معاملات قایم نباشد اندر دعوی خود کاذب بود. پس روا بود که ثقل مجاهدت و رنج کلفت اندر گزارد حق مجاهدت و تکلیف از بنده برخیزد و روا نباشد که عین مجاهدت و تکلیف برخیزد اندر عین جمع، جز به عذری واضح که آن اندر حکم شریعت عام باشد و من این را بیان کنم تا ترا بهتر معلوم گردد.

بدان که جمع بر دو گونه باشد: یکی جمع سلامت گویند، و دیگر را جمع تکسیر.

جمع سلامت آن بود که حق تعالی اندر غلبه حال و قوت وجد و قلق شوق که پدیدار آید حق تعالی حافظ بنده باشد و امر بر ظاهر وی می راند و وی را برگزاردن آن نگاه می دارد و وی را به مجاهدت می آراید؛ چنانکه سهل بن عبدالله و ابوحفص حداد و ابوالعباس سیاری صاحب مذهب و بایزید بسطامی و ابوبکر شبلی و ابوالحسن خُصری و جماعتی دیگر رضوان الله علیهم اجمعین پیوسته مغلوب بودند تا وقت نماز اندر آمدی، آنگاه به حال خود باز آمدندی و چون نماز بکردندی باز مغلوب گشتندی؛ از آنچه تا در محل تفرقه باشی تو تو باشی امر می گزاری و چون وی ترا جذب کند، وی به امر خود اولی تر که بر تو نگاه می دارد مردو معنی را: یکی تا نشان بندگی تو بر نخیزد و دیگر تا به حکم وعده قیام کند که: «من هرگز شریعت محمد را منسوخ نخواهم کرد.»

و جمع تکسیر آن بود که بنده اندر حکم واله و مدهوش شود و حکمش چون حکم مجانبین باشد.

پس یکی از این معذور بود و یکی مشکور و آن که مشکور بود، روزگارش عظیم با نور بود و قوی تر از آن باشد که معذور بود.

و فی الجمله، بدان که جمع را مقامی مخصوص نیست و حالی مفرد نه؛ که جمع جمع همت است اندر معنی مطلوب خود و گروهی را کشف این اندر مقامات باشد و گروهی را اندر احوال، و اندر هر دو وقت مراد صاحب جمع به بقای آن به نفی مراد محصول باشد؛ «لأنَّ التَّفْرِقَةَ فَضْلٌ و الجمعَ وَصْلٌ.» و این اندر جمله چیزها درست آید، چنانکه جمع همت یعقوب به یوسف علیهما السلام که جز همت او وی را همت نمانده بود، و جمع همت

مجنون اندر لیلی که چون وی را می ندید، جمله عالم وکل موجودات اندر حق وی صورت لیلی بود و مانند این؛ چنانکه ابویزید روزی در صومعه بود. یکی بیامد و گفت: «أبویزید فی البیت؟» فقال ابویزید: «هل فی البیت الا الله؟» یعنی: «بویزید اندر خانه هست؟» وی گفت، رضی الله عنه: «اندر این خانه بجز حق چیزی دیگر هست؟»

و یکی از مشایخ گوید، رحمة الله علیه: درویشی به مکه اندر آمد و اندر مشاهدت خانه یک سال بنشست که نه طعام خورد و نه شراب و نه بخفت و نه به طهارت شد؛ از اجتماع همتش به رؤیت خانه، که خداوند آن را به خود اضافه کرده است، غذای تن و مشرب جاننش گشته بود.

و اصل این جمله آن است که خداوند تعالی مائیت محبت خود را که آن یک جوهر بود، متجزی و مقسوم گردانید و هر یکی را از دوستان، به مقدار گرفتاری وی بدان جزو از اجزای آن کل مخصوص کرد. آنگاه جوشن انسانیت و لباس طبیعت و غاشیه مزاج و حجاب روح بدان فرو گذاشت تا وی به قوت خود مر اجزایی را که بدو موصول بود به صفت خود می گردانید؛ تا کل محب جمله محبوب شد و همه حرکات و لحظاته شرایط آن گرفت و از آن بود که ارباب معانی و اصحاب اللسان مر آن را جمع نام کردند و اندر این معنی حسین بن منصور گوید، رحمة الله علیه:

لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ يَا سَيِّدِي وَ مَوْلَائِي	لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ يَا قَصْدِي وَ مَعْنَائِي
يَا عَيْنَ عَيْنٍ وَ جُودِي يَا مَنَا هِمَمِي	يَا مَنْطِقِي وَ اَشَارَاتِي وَ اَنْبَائِي
يَا كُلَّ كَلْمِي وَ يَا سَمْعِي وَ يَا بَصْرِي	يَا جُمَّلْتِي وَ تَبَاعِضِي وَ اَجْزَائِي

پس آن که در اوصاف خود مستعار بود، اثبات هستی بر وی مر وی را عار بود و التفاتش به کونین زنار بود وکل موجودات اندر همتش خوار بود.

و باز گروهی از ارباب اللسان مر دقت کلام و تعجب عبارت را گویند که: جمع الجمع. و این عبارت از طریق عبارت نیکوست، اما به معنی بهتر آن باشد که جمع را جمع نگویی؛ از آنچه تفرقه ای باید تا جمع بر وی روا بود و چون جمع جمع شود تفرقه بوده باشد که جمع از حال خود بنگردد و این عبارت محل تهمت است؛ از آنچه مجتمع را به فوق و تحت بیرون از خود دیدار نباشد ندیدی که کونین و عالمین در شب معراج مر پیغمبر را علیه السلام بنمودند وی به هیچ چیز التفات نکرد؛ از آنچه وی به جمع جمع بود و مجتمع را تفرقه شاهد نگردد؛ تا خداوند تعالی فرمود: «ما زاع البصر و ما طغى (۱۷/النجم)».

و من اندر این معنی در حال بدایت کتابی ساختم و مر آن را البیان لأهل العیان نام نهاده و اندر نحو القلوب در باب جمع فصولی مشبع بگفته اکنون مر خفت را بدین مقدار بسنده کردم. این است طرف مذهب سیاریان از متصوفه پرداختن از فرق متصوفه، آنان که مقبول محقاند. کنون بازگردم به قول آن گروه که خود را بدیشان بر بسته اند از ملاحظه لعنهم الله و این عبارات ایشان آلت اظهار الحاد خود ساخته اند و ذل خود را اندر عز ایشان نهان کرده، تا غلطگاههای ایشان ظاهر گردد و مریدان از مکر و دعویهای ایشان بهره یزند و خویشان را رعایت کنند. والله اعلم.

أما الحلويّ، لعنهم الله

قوله، تعالی: «فماذا بعد الحق الا الضلال (۳۲/یونس)».

از آن دو گروه مطرود که تولا بدین طایفه کنند و ایشان را به ضلالت خود با خود یار دارند، یکی تولا به ابی حلّمان دمشقی کنند و از وی روایات آرند؛ به خلاف آن که در کتب مشایخ از وی مسطور است و اهل این قصه

مر آن پیر را از ارباب دل دارند؛ اما آن ملاحظه وی را به حلول و امتزاج و نسخ ارواح منسوب کنند و دیده‌ام اندر کتاب مقدمی که اندر وی طعن کرده است و علمای اصول را نیز از وی صورتی بسته است و خدای عز و جلّ بهتر داند از وی.

و گروهی دیگر نسبت مقاتل به فارس کنند و وی دعوی کنند که این مذهب حسین بن منصور است و بجز اصحاب حسین کسی را این مذهب نیست و من ابوجعفر صیدلانی را دیدم با چهار هزار مرد اندر عراق پراکنده که حلاجیان بودند، جمله بر فارس بدین مقاتل لعنت می‌کردند؛ و اندر کتب وی که مصنفات وی است بجز تحقیق نیست.

و من که علی بن عثمان الجلابی‌ام، می‌گویم: من ندانم که فارس و ابو حُلَمان که بودند و چه گفتند اما هرکه قائل باشد به مقاتلی به خلاف توحید و تحقیق، وی را اندر دین هیچ نصیب نباشد و چون دین که اصل است مستحکم نبود، تصوّف که نتیجه و فرع است اولی ترکه با خلل باشد؛ از آن که اظهار کرامات و کشف آیات جز بر اهل دین و توحید صورت نگیرد.

و مر قائلان این را جمله غلطها اندر روح افتاده است و من اکنون جمله احکام آن را بیان کنم و مقالات و مغالیط و شبهتهای ملاحظه اندر آن بیارم تا ترا قوآک الله بدین قوت باشد؛ که اندر این فساد بسیار است.

الكلام فی الروح

بدان که اندر هستی روح علم ضروری است و اندر چگونگی آن عقل عاجز و هرکسی از علما و حکمای امت بر حسب قیاس خود اندر آن چیزی گفته‌اند و اصناف کفر را نیز اندر آن سخن است که چون کفار قریش به تعلیم جهودان مر نصر بن الحارث را بفرستادند تا از رسول صلی الله علیه کیفیت روح پرسیدند و ماهیت آن، خداوند تعالی نخست عین آن اثبات کرد؛ قوله، تعالی: «و یسألونک عن الروح (۸۵/الإسراء)»، آنگاه قدم را از وی نفی کرد؛ قوله، تعالی: «قُلِ الروحُ من أمر ربّی (۸۵/الإسراء)».

و رسول صلی الله علیه فرمود: «الأرواحُ جنودٌ مجنّدةٌ، فما تعارفَ منها ائتلفَ و ما تناكرَ منها اختلفَ.» و مانند این دلایل بسیار است بر هستی آن، بی تصرف اندر چگونگی آن.

پس گروهی گفتند: «الروحُ هو الحيوةُ الذی یحیی به الجسدُ.» روح آن زندگی است که تن بدان زنده بود. و گروهی از متکلمان نیز هم بر این‌اند و بدین معنی روح عَرْضی بود که حیوان بدو زنده باشد به فرمان خدای عز و جلّ و آن از جنس تألیف و حرکت و اجتماع است و مانند این از أعراض که بدان شخص از حال به حال می‌گردد.

و گروهی دیگر گفتند: «هُوَ غیرُ الحيوةِ ولا یوجدُ الحيوةُ إلا معها كما لا یوجدُ الروحُ إلا مع البنيةِ ولن یجدَ أحدهما دونَ الآخرِ، كالألمِ و العِلْمِ بها؛ لأنَّهما شیئانِ لا یفترقانِ.» روح معنی است بجز حیات که وجود آن بی حیات روا نباشد؛ چنانکه بی شخص معتدل، و یکی زین دو بی دیگری نباشد؛ چنانکه درد و علم. و بدین معنی هم عرضی بود؛ چنانکه حیات.

و باز جمهور مشایخ و بیشتری از اهل سنت و جماعت رحمهم الله بر آن‌اند که: روح عینی است نه وصفی که تا وی به قالب موصول است بر مجرای عادت، خداوند تعالی اندر آن قالب حیات می‌آفریند و حیات آدمی صفتی است وحی بدان است. اما روح مودع است اندر جسد و روا باشد که وی از آدمی جدا شود و آدمی زنده ماند به حیات؛ چنانکه در حالت خواب وی برود و حیات بماند، اما روا نباشد که اندر حال رفتن وی علم و عقل بماند؛ از آنچه پیغمبر صلی الله علیه فرموده است که: «ارواح شهدا اندر حواصل طیور باشند»، و لامحاله باید تا این

عینی باشد؛ و پیغمبر علیه السّلام گفت: «الأرواحُ جنودٌ مجنّدةٌ»، لامحاله جنود باقی باشند و بر عرض بقا روا نباشد و عرض به خود قایم نباشد. پس آن جسمی بود لطیف که بیاید به فرمان خدای عزّ و جلّ و برود به فرمان وی و پیغمبر صلیّ الله علیه گفت: «من اندر شب معراج آدم و یوسف و هارون و موسی و عیسی و ابراهیم را علیهم السّلام اندر آسمانها دیدم.» لامحاله آن ارواح ایشان باشد و اگر روح عرضی بودی به خود قایم نبودی تا در حال هستی مر آن را بتوانستی دید؛ که وجود آن را محلی باید که وی عارض آن محل باشد و محل آن جوهر بود و جوهر مؤلّف و لطیف جسم باشند و چون جایز الرّویه باشد روا بود که در حواصل طیور باشد و روا باشد که لشکری باشد و مر ایشان را آمد و شدی باشد؛ چنانکه اخبار بدان ناطق است و آمد و شد ایشان به امر خداوند تعالی باشد؛ لقوله، تعالی: «قل الرّوح من امر ربّی (۸۵/الإسراء).»

ماند اینجا خلاف ملاحظه که ایشان روح را قدیم گویند و مر آن را پیرستند و فاعل اشیا و مدبر آن بجز وی را ندانند و آن را «روح الاله» خوانند و «لم یزل» و او را مُدیر گویند از شخصی به شخصی دیگر و بر هیچ شبهت که خلق را افتاده است چندان اجتماع نیست که بر این؛ از آنچه جمله نصاری بر این اندر چندانکه به عبارت خلاف آن کنند و جمله هندو تب و چین و ماچین بر این اند و اجتماع شیعیان و قرامطه و باطنیان بر این است، و آن دو گروه مُبطل نیز بدین مقالت قائل اند و هر گروهی از این جمله که یاد کردیم مر این قول را مقدمات دارند و به براهین دعوی کنند.

گوییم با این جمله که: به این لفظ قَدَم چه می خواهید؟ محدثی متقدم اندر وجود و یا قدیمی همیشه بود؟ اگر گویند: بدین قول مراد محدثی است متقدم اندر وجود، اندر اصل خلاف برخاست؛ که ما هم روح محدث می گوییم با تقدم وجودش بر وجود شخص؛ کما قال النبی، علیه السّلام: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَ الْأَرْوَاحَ قَبْلَ الْأَجْسَادِ»، و چون حدث آن درست شد لامحاله مُحدث به محدث مُحدث باشد و این یک جنس بود از خلق خدای که به دیگر جنس می پیوندد و از اندر پیوستن ایشان به یکدیگر، خداوند تعالی حیاتی پدید می آرد بر تقدیر خود؛ یعنی ارواح جنسی از خلق اند و اجساد جنسی دیگر. چون تقدیر حیات حیوانی کند فرمان دهد تا روح به جسد پیوندد، زندگانی اندر زنده حاصل آید اما گشتن وی از شخص به شخص، روا نباشد؛ از آنچه چون یک شخص را دو حیات روا نباشد، یک روح را دو شخص هم روا نباشد و اگر اخبار بدان ناطق نبود و رسول اندر اخبار خود صادق نبودی، معقول روح بجز حیات نبودی و آن صفتی بود نه عینی.

و اگر گویند که: «مراد ما بدین قول، قدیمی همیشه بود است.» گوییم: «به خود قایم است یا به غیر؟» اگر گویند: «قدیم قایم به نفس است.» گوییم: «خداوند عالم است یا نه خداوند عالم است؟» اگر گویند: «نه وی است»، اثبات قدیمین باشد و این معقول نیست؛ که قدیم محدود نباشد؛ که وجود ذات یکی حد دیگری باشد و این محال بود.

و اگر گویند: «خداوند عالم است.» گوییم: «پس وی قدیم است و خلق محدث. محال باشد که محدث را با قدیم امتزاج باشد و یا اتحاد و حلول و یا محدث مکان قدیم آید و یا قدیم حامل او باشد؛ که هر چه به چیزی پیوندد همچون وی بود و وصل و فصل جز بر محدثات روا نبود که اجناس یکدیگرند.» تعالی الله عن ذلک. و اگر گویند که: «به خود قایم نیست و قیام آن به غیر است.» از دو بیرون نبود: یا صفتی باشد یا عرضی. اگر عرض گوید، لامحاله اندر محلی باید گفت یا اندر لامحل. اگر اندر محلی گوید، محل آن چون وی بود و اسم قدم از هر دو باطل شود و اگر اندر لامحل گوید، محال باشد؛ که چون عرض که به خود قایم نبود اندر لامحل معقول نباشد.

و اگر گوید: «صفتی است قدیم»، چنانکه حلولیان و تناسخیه گویند و آن صفت را صفت حق خوانند، محال

باشد که صفت قدیم حق مر خلق را صفت گردد و اگر روا بود که حیات وی صفت خلق گردد، روا باشد که قدرت خلق گردد. آنگاه صفت به موصوف قایم بود، چگونه باشد مر صفت قدیم را موصوف محدث؟ پس لامحاله قدیم را با محدث هیچ تعلق نباشد و قول ملاحظه اندر این باطل است و روح مخلوق است و به فرمان حق. آن که جز این گوید مکابره عیان بود و محدث را از قدیم فرق نتواند کرد. و روا نباشد که ولی اندر صحت ولایت خود به اوصاف حق جاهل بود و نحمد الله تعالی که خداوند ما را از بدعت و خطر محفوظ گردانید، و عقل داد تا بدان نظر و استدلال کردیم و ایمان داد تا وی را به هدایت وی بشناختیم حمدی که آن به غایتی موصول نباشد؛ که حمد متناهی اندر برابر نعیم بی نهایت مقبول نباشد.

و چون ظاهریان این حکایت از اهل اصول بشنیدند، پنداشتند که جمله متصوفه را اعتقاد این است تا به غلطی بزرگ و خسروانی واضح از جمال این اختیار محبوب گشتند و لطیفه ولایت حق و لوامع و لوایح ربانی بر ایشان پوشیده شد؛ از بعد آن که بزرگان و سادات را رد کردند فاما رد خلق چون قبول ایشان بود و قبول ایشان چون رد.

فصل

یکی از مشایخ گوید رحمة الله علیه که: «الرَّوْحُ فِي الْجَسَدِ كَالنَّارِ فِي الْحَطَبِ، فَالنَّارُ مَخْلُوقَةٌ وَالْفَحْمُ مَصْنُوعَةٌ.» جان اندر تن چون آتش است اندر انگشت، آتش مخلوق و انگشت مصنوع و قدم جز بر ذات و صفات خداوند روا نیست.

و از مشایخ رضی الله عنهم ابوبکر واسطی بوده است که اندر روح بیشتر سخن گفته است. از وی می آید که گفت: «الأرواحُ على عشرة مقامات، جانها بر ده مقام قایم اند نخست جان مخلصان که محبوس اند اندر ظلمتی و ندانند که چه خواهند کرد با ایشان، و دیگر جان پارسا مردان که اندر آسمانهای دنیا به موارث اعمال شادمانه می باشند و به طاعتهای کرده و به قوت آن می روند، سدیگر جانهای مریدان که در آسمان چهارم اندر لذات صدق و ظل اعمال خود با ملائکه می باشند، چهارم جانهای اهل مین که اندر قنادیل نور از عرش آویخته اند که اغذیه ایشان رحمت است و اشربه ایشان لطف و قربت، پنجم جانهای اهل وفانند که اندر حجاب صفا و مقام اصطف طرب می کنند، ششم جانهای شهیدانند که اندر حواصل مرغان، اندر بهشت در ریاض آن، آنجا که خواهند می روند گاه و بیگاه، هفتم جانهای مشتاقانند که اندر حجب انوار صفات بر بساط ادب قیام کرده اند، هشتم جانهای عارفانند که اندر حظایر قدس بامداد و شبانگاه سخن خداوند می شنوند و اماکن خود اندر بهشت و دنیا می بینند، نهم جانهای دوستانند که اندر مشاهدت جمالو مقام کشف مستغرق شده اند و جز وی را ندانند و با هیچ چیز نیارامند، دهم جانهای درویشانند که اندر محل فنا مقرر شده اند و اوصافشان مبدل شده و احوال متغیر شده.»

و از مشایخ رضی الله عنهم می آید که ایشان آن را بدیده اند، هرکسی به صورتی و این روا باشد؛ از آنچه چون گفتیم که موجود است و جسمی لطیف، باید تا مرئی بود و چون حق تعالی خواهد، بنماید بنده را چنانکه خواهد و صاحب کتاب گوید که: در جمله زندگانی ما به خداوند است و پایدگی بدو و زنده داشتن ما فعل حق است و ما زنده به خلق وی ایم، نه به ذات و به صفات وی و قول روحانیان جمله باطل است و از ضلالتی عظیم اندر میان خلق یکی این است که روح را قدیم گویند؛ و هرچند که عبارت بدل کرده اند و گروهی نفس و هیولی می گویند و گروهی نور و ظلمت. مبطلان این طریقت می فنا و بقا گویند و یا جمع و تفرقه و یا مانند این. عبارتی مزخرف ساخته اند و کفر خود را بدان تحسین می کنند و متصوفه از آن گروه بیزارند؛ که اثبات ولایت

و حقیقت محبت خداوند جز به معرفت وی درست نیاید و چون کسی قدیم از محدث نشناسد آنچه گوید اندر گفت خود جاهلی باشد و عقلاً به سخن جاهل نگریند.

کنون آنچه مقصود این دو گروه مبطل بود اندر این باب بیامد و اگر بیش از این باید، اندر کتبی از آن من بیاید طلبید. اینجا مراد من تطویل نیست.

اکنون من کشف حجاب ابواب معاملات و حقایق اهل تصوف با براهین ظاهر اندر این کتاب بیان کنم تا طریق دانستن مقصود بر تو آسان گردد و از منکران آن را که بصیرتی بود با راه آید و مرا بدین دعا و ثوابی باشد، ان شاء الله، تعالی.

کشف الحجاب الأول فی معرفة الله، تعالی

قوله، تعالی: «وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ (۹۱/الأنعام)».

و قال النبی، علیه السلام: «لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور لزالت بدعائكم الجبال.»

پس معرفت خداوند تعالی بر دو گونه است: یکی علمی و دیگری حالی و معرفت علمی قاعده همه خیرات دنیا و آخرت است و مهترین چیزها مر بنده را اندر همه اوقات و احوال، شناخت خدای است، جل جلاله؛ قوله، تعالی: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (۵۶/الذاریات)»، ای ليعرفون. نیافریدیم پریان و آدمیان را مگر از برای آن که تا مرا بشناسند.» پس بیشتری از خلق از این معرض اند، سواى آن که خداوندشان برگزید و از ظلمات دنیا باز رهانید و دلشان را به خود زنده گردانید؛ لقوله، تعالی: «...وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس يعنى عمر كمن مثله فى الظلمات، يعنى ابا جهل (۱۲۲/الأنعام)».

پس معرفت حیات دل بود به حق و اعراض سر از جز حق و قیمت هر کس به معرفت بود و هر که را معرفت نبود وی بی قیمت بود. پس مردمان از علما و فقها و غیر آن صحت علم را به خداوند معرفت خواندند و مشایخ این طایفه صحت حال را به خداوند معرفت خواندند. و از آن بود که معرفت را فاضل تر از علم خواندند؛ که صحت حال جز به صحت علم نباشد و صحت علم سحت حال نباشد؛ یعنی عارف نباشد که به حق عالم نباشد، اما عالم بود که عارف نبود و آنان که بدین علم جاهل بودند از هر دو طایفه، اندر این مناظره بی فایده کردند و آن گروه بر این گروه انکار کردند و این گروه بر آن. و اکنون من سر این را کشف کنم تا هر دو گروه را فایده ظاهر گردد، ان شاء الله.

فصل

بدان اسعدک الله که مردمان را اندر معرفت خداوند تعالی و صحت علم بدو اختلاف است بسیار. معتزله گویند که: «معرفت حق عقلی است و جز عاقل را بدو معرفت روا نباشد.» و باطل است این قول، به دیوانگانی که اندر دار اسلام اند که حکمشان حکم معرفت بود و به کودکانی که عاقل نباشند و حکمشان حکم ایمان بود. اگر معرفت به عقل بودی، ایشان را چون عقل نیست حکم معرفت نبودى و کافران را که عقل است حکم کفر و اگر عقل معرفت را علت بودی، بایستی تا هر که عاقل بودی عارف بودی و همه بی عقلان جاهلان بودندى و این مکابره عیان است.

و گروهی گویند که: «علت معرفت حق استدلالی است، و بجز مستدل را معرفت روا نبود.» و باطل است این قول به ابلیس که وی آیات بسیار دید و بهشت و دوزخ و عرش و کرسی و رؤیت آنها وی را علت معرفت نیامد؛ قوله، تعالی: «ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة و كلمهم الموتي و حشرنا عليهم كل شىء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا الا ان يشاء الله (۱۱۱/الأنعام)». اگر ما فریشتگان را به کفار فرستیم تا با ایشان سخن گویند، و یا مردگان را ناطق گردانیم،

ایشان ایمان نیارند تا ما نخواهیم.» و اگر رؤیت آیت و استدلال آن، علت معرفت بودی خداوند تعالی علت معرفت آنرا گردانیدی نه مشیت خود را.

و به نزدیک اهل سنت و جماعت صحت عقل و رؤیت آیت سبب معرفت است نه علت آن؛ که علت آن جز محض عنایت و لطف مشیت خداوند نیست عمّت نعمائوه که بی عنایت، عقل نابینا بود؛ از آنچه عقل خود به خود جاهل است و از عقلا کس حقیقت آن را نشناخته است. چون وی به خود جاهل بود، غیر خود را چگونه شناسد؟ و بی عنایت، استدلال و فکرت اندر رؤیت آیت همه خطا بود؛ که اهل هوی و طایفه الحاد جمله مستدل اند، اما بیشتری عارف نه‌اند؛ و باز آن که از اهل عنایت است همه حرکات وی معرفت است و استدلالش طلب و ترک استدلال تسلیم و اندر صحت معرفت، تسلیم از طلب اولی‌تر نباشد که طلب اصلی است که ترک آن روی نیست و تسلیم اصلی که اندر آن اضطراب روی نیست، و حقیقت این هر دو معرفت نه و بحقیقت بدان که راهنمای و دلگشای بنده بجز خداوند نیست تعالی الله عن جمیع ما یقول الظالمون و وجود عقل و دلایل را امکان هدایت نباشد و دلیل از این واضح‌تر نباشد که خداوند تعالی فرمود: «وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لَمَا نُهَوُا عَنْهُ (۲۸/الأنعام)». اگر کفار باز دنیا آیند بدان کفر خود بازگردند.» و چون امیرالمؤمنین علی رضی الله عنه را پرسیدند از معرفت، گفت: «عرفتُ اللهَ باللهِ و عرفتُ ما دونَ اللهِ بنورِ اللهِ. خداوند را عزّ و جلّ بدو شناختم و جز خداوند را به نور او شناختم.»

پس خداوند تعالی تن را بیافرید و حوالت زندگانی آن به جان کرد و دل را بیافرید و حوالت زندگانی آن به خود کرد. پس چون عقل و آیت را قدرت زنده کردن تن نباشد، محال باشد که دل را زنده کند؛ چنانکه گفت: «أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ... (۱۲۲/الأنعام)». حوالت حیات جمله به خود کرد، آنگاه گفت: «وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ (۱۲۲/الأنعام)». آفریدگار نوری که روش مؤمنان در آن است منم.» و نیز گفت: «أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ (۲۲/الزمر)». گشادن دل را به خود حوالت کرد و بستن آن را هم به فعل خود باز بست و گفت: «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ (۷/البقره)»، و نیز گفت: «وَلَا تَطْعَمُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا (۲۸/الکهف)». پس چون قبض و بسط و ختم و شرح دل بدو بود، محال باشد که راهنمای جز وی را داند؛ که هرچه دون اوست جمله علت و سبب است و هرگز علت و سبب بی عنایت مسبب راه نتواند نمود؛ که حجاب راهبر باشد نه راهبر. قوله، تعالی: «وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَزَيْنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ (۷/الحجرات)». تزیین و تحبیب را به خود اضافت کرد و الزام تقوی که عین آن معرفت است از وی است و ملزم را اندر الزام خود اختیار دفع و جلب نی. پس بی تعریف وی نصیب خلق از معرفت وی بجز عجز نباشد.

و ابوالحسن نوری گوید، رضی الله عنه: «لا دلیل علی الله سواهُ، إِنَّمَا الْعِلْمُ يُطَلَّبُ لِإِدَاءِ الْخِدْمَةِ. جز او دلیل دلها نیست به معرفت خود، علم ادای خدمت را طلبند نه صحت معرفت را.»

و از مخلوقان کس را قدرت آن نیست که کسی را به خدای رساند. مستدل از ابوطالب عاقل تر نباشد و دلیل از محمد بزرگتر نه. چون جریان حکم ابوطالب بر شقاوت بود دلالت محمد وی را سود نداشت. نخست درجه از استدلال، اعراض است از حق؛ از آنچه استدلال کردن تأمل کردن اندر غیر است، و حقیقت معرفت اعراض کردن از غیر است و اندر عادت، وجود جمله مطلوبان به استدلال بود و معرفت وی خلاف عادت است. پس معرفت وی جز دوام حیرت عقل نیست و اقبال عنایت وی به بنده. کسب خلق را اندر آن سیبیل نیست و بجز انعام و الطاف وی مر بنده وی را دلیل نیست و آن از فتوح قلوب است و از خزاین غیوب؛ که آنچه دون وی است بجمله محدث‌اند. پس روا بود که محدث به چون خودی رسد روا نباشد که به آفریدگار خود رسد با وجود وی و آنچه اندر تحت کسب وی آید کسب کاسب غالب بود و مکتسب مغلوب بود. پس کرامت نه آن بود که

عقل به دلیل فعل، هستی فاعل اثبات کند؛ که کرامت آن بود که دل به نور حق سبحانه و تعالی هستی خود را نفی کند. آن یکی را معرفت قالت بود و این دیگر را حالت شود.

و آنچه گروهی مر آن را می علت معرفت دانند و آن عقل است، گو بنگرید تا آن چه چیز است که اندر دل از عین معرفت می اثبات کند و هرچه می عقل اثبات کند می معرفت نفی آن اقتضا کند؛ یعنی آنچه اندر دل به دلالت عقل صورت گیرد که خداوند آن است وی به خلاف آن است و اگر به خلاف آن صورت گیرد به خلاف آن است. پس چه مجال ماند اینجا مر عقل را تا به استدلال وی معرفت باشد؟ از آنچه عقل و وهم وی هر دو یک جنس باشند و آنجا که جنس اثبات شد معرفت نفی گشت. پس اثبات استدلال عقل، تشبیه آمد و نفی آن تعطیل و مجال آن جز اندر این دو اصل نیست و این هر دو معرفت نکرت بود که مشبهه و معطله موحد نباشند.

پس چون عقل به مقدار امکان خود برفت و آنچه از آن او می آمد خود همه او بود، دل‌های دوستان را از طلب چاره نبود بر درگاه عجز بی آلت بیارامیدند و اندر آرام خود بی قرار شدند. دست به زاری بردند و مردل‌های خود را مرهم جستند و راهشان از نوع طلب و قدرت ایشان برسید. قدرت حق اینجا قدرت ایشان آمد؛ یعنی از او بدو راه یافتند. از رنج غیبت بر آسودند و اندر روضه انس بیارامیدند و اندر رُوح و سرور مقرر شدند. چون عقل دل‌ها را به مراد رسیده دید، تصرف خود پیدا کرد. اندر نیافت بازماند. چون بازماند متحیر شد. چون متحیر شد معزول گشت. چون معزول گشت، آنگاه حق لباس خدمت اندر وی پوشید و گفت: «تا با خود بودی به آلت تصرف خود محجوب بودی. چون آلات فانی شد بماندی. چون بماندی برسدی.» پس دل را نصیب قربت آمد و عقل را خدمت و معرفت خود به تعریف بود. پس خداوند عزّ وجل بنده را به تعریف و تعرف خود شناسا کرد تا وی را بدو بشناخت. شناختنی نه که موصول آلت بود. شناختنی که وجود وی در آن عاریت بود تا به همه وجود عارف را انانیت خیانت آمد. تا ذکرش بی نسیان بود و روزگارش بی تقصیر و معرفت وی حال بود نه مقال.

و نیز گروهی گفته اند که: «معرفت الهامی است.» و آن نیز محال است؛ از آنچه معرفت را برهان باطل و حق است و اهل الهام را بر خطا و صواب برهان نباشد؛ از آنچه یکی گوید که: «به من الهام است که خداوند تعالی اندر مکان نیست.» و یکی گوید: «مرا الهام چنان است که ورا مکان است.» لامحاله اندر دو دعوی متضاد حق به نزدیک یکی باشد و هر دو به الهام می دعوی کنند و لامحاله ممیزی بیاید تا فرق کند میان صدق و کذب این دو مدعی. آنگاه به دلیل دانسته باشد و حکم الهام باطل بود و این قول براهمه است و الهامیان.

و اندر زمانه دیدم که قومی اندر این غلوی بسیارکنند و نسبت روزگار خود به طریق پارسا مردان دارند و جمله بر ضلالت‌اند و قولشان مخالف همه عقلاست از اهل کفر و اسلام؛ از آنچه ده مدعی به الهام به ده قول متناقض می دعوی کنند اندر یک حکم، همه باطل بود و هیچ کس بر حق نباشند.

و اگر گوید گوینده‌ای که: «آنچه خلاف شرع است آن الهام نباشد.» گوئیم که: تو اندر اصل خود مخطی و غلطی؛ که چون شریعت را می به قیاس الهام به خود گیری و گویی که ثبات این الهام بدان است. پس معرفت شرعی و نبوی و هدایتی بود نه الهامی و حکم الهام اندر معرفت به همه وجوه باطل است.

و گروهی دیگر گفته اند که: «معرفت خداوند تعالی ضروری است.» و این نیز محال است؛ از آن که اندر هر چیزی که علم بنده بدان ضرورت بود باید تا عاقلان اندر آن مشترک باشند و چون می بینیم که گروهی از عاقلان بدو جحد و انکارکنند و تشبیه و تعطیل می روا دارند، درست شد که ضروری نیست و نیز اگر معرفت خداوند تعالی ضروری بودی، بدان تکلیف نیامدی؛ از آنچه محال بود تکلیف به معرفت چیزی که علم بدان ضرورت بود؛ چنانکه بر معرفت خود و آن آسمان و زمین و روز و شب و آلام و لذات و امثالهم که عاقل خود را اندر حال

وجود آن به شک نتواند انداخت؛ که اندر آن اضطراری بود و اگر خواهد که نشناسد نتواند که نشناسد. اما گروهی از متصوفه که اندر صحت یقین خود نگاه کردند گفتند که: «ما وی را بضرورت شناسیم؛ از آنچه اندر دل هیچ شک نیافتند، یقین را ضرورت، نامزد آن کردند. اندر معنی مُصیب‌اند اما اندر عبارت مُخطی‌اند؛ که اندر علم ضرورت مرصیح را تخصیص روا نباشد، که همه عقلا یکسان باشند و نیز ضرورت علمی بود که اندر دل احیا بی سببی پدید آید و علم به خداوند و معرفت وی سببی است.

اما استاد ابوعلی دقاق و شیخ ابوسهل پدر این سهل که رئیس و امام نشابور بود رحمة الله علیهم، بر آن‌اند که ابتدا معرفت استدلال است و انتها ضرورت شود، همچنان که علم به طاعتها که ابتدا مکتسب باشد و انتها ضرورت شود به یک قول اهل سنت و گویند: «نبینی که اندر بهشت علم به خداوند ضرورت شود، و چون روا باشد که آنجا ضرورت بود روا باشد که اینجا نیز ضرورت گردد و نیز اینجا پیغمبران علیهم السلام اندر آن حال که کلام وی می‌شنوند بی واسطه وی را بضرورت می‌شناختند و یا فریسته‌ای که وحی می‌گزارد همچنان و مانند این.»

گوییم: بهشتیان اندر بهشت وی را بضرورت شناسند؛ از آنچه بهشت دار تکلیف نیست و نیز پیغمبران علیهم السلام مأمون العاقبه باشند و از قطیعت ایمن و آن که او را بضرورت شناخت نیز وی را خوف قطیعت نباشد و ایمان و معرفت را فضل بدان است که غیبی است چون عینی گردد، ایمان خبرگردد و اختیار اندر عین آن برخیزد و اصول شرع مضطرب شود و حکم ردّت باطل گردد و تکفیر بلعم و برصیصا و ابلیس درست نیاید که ایشان باتفاق عارف بودند به خدای عزّ و جلّ؛ چنانکه از ابلیس ما را خبر داد از حال طرد و رجم وی: «فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (ص/۸۲)»؛ و بحقیقت «فبعزّتک» و سخن گفتن و جواب شنیدن تقاضای معرفت کند و عارف تا عارف بود از قطیعت ایمن باشد و قطیعت به زوال معرفت حاصل آید و زوال علم ضرورتی صورت نگیرد.

و این مسأله‌ای پرآفت است اندر میان خلق و شرط آن است که این مقدار بدانی تا از آفت رسته باشی؛ که علم بنده و معرفت وی به خداوند تعالی جز به اعلام و هدایت ازلی وی نیست و روا باشد که یقین بندگان اندر معرفت گاه زیادت شود و گاه نقصان اما اصل معرفت زیادت و نقصان نشود؛ که زیادتش نقصان بود و نقصان هم نقصان.

و به شناخت خداوند تقلید نشاید کرد و وی را به صفات کمال باید شناخت و آن جز به حسن رعایت و صحت عنایت حق تعالی راست نیاید و دلایل و عقول بجمله ملک وی‌اند و اندر تحت تصرف وی. خواهد فعلی را از افعال خود دلیل یکی کند و وی را به خود راه نماید و خواهد همان فعل را حجاب وی گرداند تا هم بدان فعل از وی بازماند؛ چنانکه عیسی علیه السلام دلیل گشت قومی را به معرفت و قومی را حجاب آمد از معرفت؛ تا گروهی گفتند: «این بنده خدای است عزّ و جلّ»؛ و گروهی گفتند: «پسر خدای است، عزّ و جلّ.» و بت و ماه و آفتاب همچنان، گروهی را به حق دلیل شد و گروهی هم بدان بازماندند و اگر دلیل علت معرفت بودی بایستی تا هرکه مستدل بودی عارف بودی و این مکابره عیان باشد.

پس خداوند تعالی یکی را برگزیند و وی را راهبر خود گرداند تا به سبب او بدو رسند و او را بدانند. پس دلیل وی را سبب آمد نه علت و سببی از سببی اولی‌تر نباشد اندر حق مسبب مر مسبب را.

لَعَمْرِي اثبات سبب مر عارفان را اندر معرفت زنا باشد و التفات به غیر معروف، شرک: «مَنْ يُضِلِلِ اللَّهَ فَلَا هَادِيَ لَهُ (الأعراف/۱۸۶)» چون اندر لوح محفوظ، لا، بل اندر مراد و معلوم حق، کسی را نصیب شقاوت بود دلیل و استدلال چگونه هادی وی گردد؟ «مَنْ التَفَّتْ إِلَى الْآخِيَارِ فَمَعْرِفَتُهُ زُنَّارٌ.» آن که اندر قهر خداوند متلاشی

و مستغرق است، چگونه وی را بدون حق چیزی گریبان گیرد؟

چون ابراهیم علیه السلام از غار بیرون آمد به روز هیچ چیز ندید و اندر روز بیشتر برهان بود و عجایب ظاهرتر بود و چون شب برون آمد، «رای کوباً (۷۶/الأنعام)». اگر علت معرفت وی دلیل بودی، دلایل به روز پیداتر و عجایب آن مهیاتر. پس خداوند تعالی چنانکه خواهد، بدانچه خواهد، بنده را به خود راه نماید و در معرفت بر وی بگشاید تا در عین معرفت به درجه‌ای برسد که عین معرفت غیر آید و صفت و معرفت وی آفت وی گردد و به معرفت از معروف محجوب شود تا حقیقت معرفت دعوی وی شود.

و ذوالنون مصری گوید، رحمة الله علیه: «إياك أن تكون بالمعرفة مدعياً.»

بر تو بادا که دعوی معرفت نکنی؛ که اندر آن هلاک شوی. تعلق به معنی آن کن تا نجات یابی.

پس هرکه به کشف جلال وی مکرم شود، هستی وی وبال وی گردد و صفات وی جمله آفتگاه وی گردد و آن که از آن حق بود و حق از آن وی، وی را هیچ چیز نباشد که نسبت وی بدان چیز درست آید اندر کونین و عالمین و حقیقت معرفت دانستن ملک است مر حق را تعالی و تقدس و چون کسی کل ممالک را متصرف وی داند و با خلق چه کار ماند تا به خود یا به خلق محجوب شود؟ و حجاب از جهل بود چون جهل فانی شد حجاب متلاشی گشت. دنیایی، به معرفت، عقبایی شود. والله اعلم.

فصل

مشایخ را اندر این معنی رموز بسیار است و من حصول فواید را بعضی از اقاویل ایشان بیارم، ان شاء الله، عز و جل.

عبدالله مبارک گوید، رحمة الله علیه: «المعرفة أن لا تتعجب من شيء.»

معرفت آن بود که از هیچ چیز تعجب نیاید؛ از آنچه عجب از فعلی آید که کسی بکند زیادت از مقدور خود. چون وی تعالی و تقدس قادر بر کمال است عارف را به افعال وی تعجب محال باشد و اگر عجب صورت گیرد آنجا بایستی که مستی خاک را بدان درجه رسانید که محل فرمان وی گشت و قطره خون را بدان مرتبت که حدیث دوستی و معرفت وی کند و طالب رؤیت وی شود و قصد قربت و وصلت وی کند.

ذوالنون مصری گوید، رحمة الله علیه: «حقیقة المعرفة اطلاع الحق على الأسرار بمواصلة لطائف الأنوار.»

حقیقت معرفت اطلاع حق است بر اسرار بدانچه لطایف انوار معرفت بدان پیوندد؛ یعنی تا حق تعالی به عنایت خود دل بنده را به نور خود نیاراید و از جمله آفتها بزداید؛ چنانکه موجودات و مثبتات را اندر دلش به مقدار خردکای وزن نماند، مشاهدات اسرار باطن و ظاهر وی را غلبه نکند و چون این بکند مغایه جمله مشاهده گردد.

و شبلی گوید، رحمة الله علیه: «المعرفة دوام الحيرة.»

و حیرت بر دو گونه است: یکی اندر هستی و دیگر اندر چگونگی. حیرت اندر هستی، شرک باشد و کفرو اندر چگونگی، معرفت؛ زیرا که اندر هستی وی عارف را شک صورت نگیرد و اندر چگونگی وی عقل را مجال نباشد. ماند اینجا یقینی در وجود حق و حیرتی در کیفیت وی و از آن بود که گفت: «یا دلیل المتحیرین زدنی تحیراً.» نخست معرفت وجود کمال اوصاف اثبات کرد و بدانت که وی مقصود خلق است و استجاب کننده دعوات ایشان و متحیران را تحیر به جز وی نیست، آنگاه زیادت حیرت خواست و دانست که اندر مطلوب عقل را حیرت و سرگردانی شرک و وقفت بود و این معنی سخت لطیف است.

و احتمال کند که معرفت هستی بحق تحیر به هستی خود تقاضا کند؛ از آن که بنده چون خداوند را بشناخت، کل خود را دربند قهر وی بیند. چون وجود و عدمش بدو بود و از او و سکونت و حرکت به قدرت او، متحیر شود

که: «چون کل مرا بقا بدوست، من خود کیستم و برچیستم؟» و از این بود که پیغمبرگفت، علیه السّلام: «مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ فَقَدْ عَرَفَ رَبَّهُ.» هرکه خود را بشناسد به فنا حق را تعالی الله بشناسد به بقا و از فنا عقد و صفت باطل بود و چون عین چیزی معقود نباشد، اندر معرفت وی بجز تحیر ممکن نشود.

و ابویزیدگفت، رحمة الله علیه: «المعرفة أن تعرف أن حركات الخلق و سكيناتهم بالله.» معرفت آن است که بدانی که حركات خلق و سکونشان به حق است، و هیچ کس را بی اذن وی اندر ملک وی تصرف نیست عین بدو عین است و اثر بدو اثر. صفت بدو صفت. متحرک بدو متحرک و ساکن بدو ساکن. تا اندر بنیت استطاعت نیافریند و اندر دل ارادت، بنده هیچ فعل نتواند کرد و فعل بنده بر مجاز است و فعل حق بر حقیقت.

و محمد بن واسع گوید در صفت عارف، رحمة الله علیه: «مَنْ عَرَفَهُ قَلَّ كَلَامُهُ وَ دَامَ تَحِيرُهُ.» آن که بشناخت سخنش اندک است و حیرتش مدام؛ از آن که عبارت از چیزی توان کرد که اندر تحت عبارت گنجد و اندر اصول عبارات را حدی بود و چون معبر محدود نباشد که اساس عبارت بر آن نهند، عبارت معبر چگونه ثبات یابد؟ و چون مقصود اندر عبارت نیاید و بنده را از وی چاره نباشد بجز حیرت دایم و راه چه چاره باشد؟

شبللی گوید، رحمة الله علیه: «حَقِيقَةُ الْمَعْرِفَةِ الْعَجْزُ عَنِ الْمَعْرِفَةِ.» حقیقت معرفت عجز است از معرفت؛ که از حقیقت بر بنده جز عجز اندر آن نشان نکند و روا باشد که بنده را اندر ادراک آن به خود دعوی بیشتر نباشد؛ از آنچه عجز ورا طلب بود و تا طالب اندر آلت و صفت خود قایم است، اسم عجز بر وی درست نباشد و چون این آلت و اوصاف برسد آنگاه فنا بود نه عجز. و گروهی مدعیان اندر حال اثبات صفت آدمیت و بقای تکلیف به صحت خطاب و قیام حجت خداوند بر ایشان، گویند که: «معرفت عجز بود و ما عاجز شدیم و از همه بازماند.» و این ضلالت و خسران بود.

گوییم که: اندر طلب چه چیز عاجز شدید؟ و این عجز را دو نشان بود، و هر دو با شما نیست: یکی نشان، فنای آلت طلب و دیگری اظهار تجلی. آنجا که فنای آلت بود عبارت متلاشی شود که از عجز عبارت کند؛ که عبارت از عجز عجز نباشد و آنجا که اظهار تجلی بود، نشان نپذیرد و تمیز صورت نبندد تا عاجز ندانند که او عاجز است یا آنچه وی بدان منسوب است آن را عجز خوانند؛ از آنچه عجز غیر بود و اثبات معرفت غیر معرفت نباشد و تا غیر را اندر دل جای است و تا عارف را از غیر عبارت، هنوز عارف عارف نباشد.

و ابوحفص حداد گوید، رحمة الله علیه: «مَنْ عَرَفْتُ اللَّهَ مَا دَخَلَ فِي قَلْبِي حَقٌّ وَ لَا بَاطِلٌ.» تا بشناخته ام خداوند را تعالی و تقدس اندر نیامده است به دل من اندیشه حق و باطل؛ از آنچه چون خلق را کام و هوی بود به دل بازگردد تا دل ورا به نفس دلالت کند که آن محل باطل است و چون عزای بر دوام یابد هم به دل بازگردد تا دل وی را به روح دلالت کند؛ که آن منبع حق و حقیقت است. چون دل غیر بود رجوع عارف بدان نکرت آمد. پس همه خلق طلب برهان معرفت از دل کردند و طلب کام و هوی نیز از آن. مر ایشان را کام نبود، که از دل باطل طلبیدند و جز با حق آرام نه تا حق از دل طلبیدند. چون نشان برهان بایست رجوع با حق کردند فرق میان بنده ای که رجوع او به دل بود و از آن بنده ای که رجوع او به حق بود این است.

و ابوبکر واسطی گوید، رحمة الله علیه: «مَنْ عَرَفَ اللَّهَ انْقَطَعَ، بَلْ خَرَسَ وَ انْقَمَعَ.» و قال النبی، علیه السّلام: «لَا أَحْصَى ثَنَاءً عَلَيَّ.»

آن که خداوند را بشناخت از همه چیزها ببرد بلکه از عبارت همه چیزها گنگ شد و از اوصاف خود فانی گشت؛ چنانکه پیغمبرگفت علیه السّلام، تا اندر غیبت بود افصح عرب و عجم وی بود، چونش از غیبت به

حضرت بردندگفت: «زبان مرا امکان کمال ثنای تو نیست، چه گویم؟ ازگفت بی گفت شدم، از حال بی حال گشتم، تو آنی که تویی، گفتار من به من باشد یا به تو؟ اگر به خود گویم به گفت خود محبوب باشم و اگر به تو گویم به کسب خود اندر تحقیق قربت معیوب باشم. پس نگویم.» فرمان آمدکه: «اگر تو نگوئی، یا محمد، ما بگوئیم لَعْمَرُكَ إِذَا سَكَتَ عَنْ ثَنَائِي فَالْكَُلُّ مِنْكَ ثَنَائِي. چون خود را از اهل ثنای ما ندانی، ما همه اجزای عالم را نایب توگردانیدیم، تا ثنای ما گویند و حواله به توکنند.» و بالله التَّوْفِيقُ وَ حَسْبُنَا اللهُ وَ نِعْمَ الرَّفِيقُ.

کشف الحجاب الثانی فی التوحید

قوله، تعالی: «وَالْهَكْمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ (البقره/۱۶۳)».

و قوله، تعالی: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ (۱/الاحلاص)...الی آخر.»

و قوله، تعالی: «لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ (۵۱/النحل)».

و قال النبی، علیه السلام: «بَيْنَا رَجُلٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ إِلَّا التَّوْحِيدَ. فَقَالَ لِأَهْلِهِ: إِذَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اسْحَقُونِي ثُمَّ ذَرُونِي نِصْفِي فِي الْبَرِّ وَ نِصْفِي فِي الْبَحْرِ فِي يَوْمِ رَائِحٍ، ففعلوا. فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَ جَلَّ لِلرَّيْحِ: اجْنِي مَا أَخَذْتَ. فَذَا هُوَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ فَقَالَ: اسْتَحْيَاءٌ مِنْكَ. فَغَفَرَ لَهُ.»

:«مردی بود پیش از شما که هیچ کردار نیکو نداشت الا توحید وفاتش قریب شد. مر اهل خود را گفت: چون من بمیرم مرا بسوزید و خاکستر من گرد کنید و اندر روز بادناک نیمی به دریا اندازید و نیمی به باد بر دهید در بیابان، تا از من اثری نماند. همچنان کردند. خدای عز و جل مر باد و آب را فرمود: نگاه دارید آنچه بستید؛ یعنی خاکستر را. تا قیامت آن را نگاه می دارند آنگاه که خدای عز و جل وی را زنده کندگوید: ترا چه چیز بر آن داشت تا خود را بسوختی؟ گوید: بارخدایا، می شرم داشتم از تو، سخت جافی بدم. آنگاه خداوند تعالی گوید: پیامرزیدمت.»

و حقیقت توحید حکم کردن بود بر یگانگی چیزی به صحت علم به یگانگی آن و چون حق تعالی یکی است بی قسم اندر ذات و صفات خود و بی بدیل و شریک اندر افعال خود، و موحدان وی را بدین صفت دانند دانش ایشان را به یگانگی توحید خوانند.

و توحید سه است: یکی توحید حق مر حق را، و آن علم او بود به یگانگی خود و دیگر توحید حق مر خلق را و آن حکم وی بود به توحید بنده و آفرینش توحید اندر دل وی و سدیگر توحید خلق باشد مر حق را و آن علم ایشان بود به وحدانیت خدای، عز و جل.

پس چون بنده به حق عارف بود بر وحدانیت وی حکم تواندکرد؛ بدانکه وی تعالی یکی است که وصل و فصل نپذیرد و دوی بر وی روا نباشد، و یگانگی وی عددی نیست تا به اثبات عددی دیگر دوگردد یا وحدانیتش عددی بود و محدود نیست تا وی را سته جهات بود و هر جهتی را دیگر سته جهات باید و این اثبات اعداد بی نهایت باشد وی را مکان نیست و اندر مکان نیست تا به اثبات مکان متمکن بود و مکان را نیز مکانی باید و حکم فعل و فاعل و قدیم و محدث باطل شود، و عرضی نیست تا محتاج جوهری باشد و اندر دو حال اندر محل خود باقی نماند و جوهری نیست که وجودش جز با چون خودی درست نیاید، طبعی نیست تا مبدأ سکون و حرکت باشد و روحی نیست تا حاجتمند بنیتی باشد، و جسمی نیست تا اجزای مؤلف بود و اندر چیزها قوت و حال نیست تا جنس چیزها بود، و به هیچ چیز وی را پیوند نیست تا آن چیز جز وی وی را روا بود. بری است از همه نقصان و نقایص. پاک از همه آفات. متعالی از همه عیوب. ورا مانند نیست تا او با مانند خود دو چیز باشند. فرزند ندارد تا نسل وی اقتضای وصل واصل وی کند. و تغیر بر ذات و صفات وی روا نیست تا وجود

وی بدان متغیر شود و اندر حکم متغیر چون تغیر باشد. موصوف است به صفات کمال، آن صفاتی که موحدان مر او را به حکم بصیرت و هدایت می اثبات کنند که وی خود را بدان صفت کرده است بری است از آن صفاتی که ملحدان وی را به هوای خود صفت کنند که وی خود را بدان صفت نکرده است. تعالی الله عما یقول الظالمون. حی و علیم است. رؤوف و رحیم است. مرید و قدیر است. سمیع و بصیر است. متکلم و باقی است. علمش اندر وی حال نیست. قدرتش اندر وی صلابت نی. سمع و بصرش اندر وی متجدد نی. کلامش اندر وی تبعیض و تحدید نی. همیشه با صفات خود قدیم. کل معلومات از علم وی بیرون نیست. موجودات را از ارادتش چاره نی. آن کند که خواسته است. آن خواهد که دانسته است. خلاق را بر اسرارش اشراف نی. حکمش همه حق، دوستانش را بجز تسلیم روی نه. امرش جمله حتم، مریدانش را بجز گزاردن فرمان چاره نی. مقدر خیر و شر. امید و بیم جز بدو سزاوار نی. خالق نفع و ضر. حکمش بجمله حکمت و جز رضا روی نه. کس را از وصل وی بوی نه، و بدو رسیدن روی نه. دیدارش مر بهشتیان را روا. تشبیه وجهات را ناسزا. مقابله و مواجهه را بر هستی وی صورت نه. اندر دنیا مر اولیا را مشاهدت وی جایز و انکار شرط نی. آن که ورا چنین داند از اهل قطیعت نی و هر که به خلاف این داند ورا دیانت نی.

اندر این معنی سخن بسیار اید اصولی و فصولی، اما مر خوف تطویل را بدین اقتصار کردم. و در جمله من که علی بن عثمان الجلابی ام، می گویم که: اندر ابتدای این فصل بگفتم که: توحید حکم کردن بود بروحدانیت چیزی، و حکم جز به علم نتوان کرد. پس اهل سنت حکم کردند بر یگانگی خداوند تعالی به تحقیق؛ از آنچه صنعی لطیف دیدند و فعلی بدیع با اعجوبه و لطیفه بسیار. نظر کردند، بودن آن صنایع به خود محال داشتند و اندر هر چیزی علامات حدت ظاهر یافتند. لامحاله فاعلی بایستی تا مر آن را از عدم به وجود آرد؛ یعنی عالم را با زمین و آسمان و آفتاب و ماه و بر و بحر و کوه و صحرا با چندین صور و حرکات و سکینات و علم و نطق و موت و حیات ایشان. پس این جمله را از صناعی چاره نبود و از دو سه مستغنی بودند، یک صانع کامل حی علیم عالم قادر و مختار از شریکی با شرکای دیگر بی نیاز. چون فعل را از یک فاعل چاره نباشد و وجود دو فاعل مر یک فعل را احتیاج نه، و لامحاله باید تا یکی باشد.

و این خلاف با ما ثنویان کردند به اثبات نور و ظلمت، و گبرکان به اثبات یزدان و اهرمن و طبایعیان به اثبات طبع و قوت، و افلاکیان به اثبات هفت کواکب و معتزلیان به اثبات خالقان و صانعان بی نهایت و من رد جمله را دلیلی کوتاه بگفتم و این کتاب جای اثبات کردن ترهات آن طوایف نیست و طالب این علم را این مسأله از کتابی مطول تر باید طلبیده کرده ام و آن را الرعاية لحقوق الله، تعالی نام کرده ام و یا اندر کتب مقدمان اصول، رضی الله عنهم.

اکنون بازگردم به رموزی که مشایخ گفته اند اندر توحید. بتوفیق الله، تعالی.

فصل

از جنید رضی الله عنه می آید که گفت: «التَّوْحِيدُ إِفْرَادُ الْقَدَمِ عَنِ الْحَدَثِ.»

توحید دانستن قدم بود از حدت؛ یعنی آن که قدیم را محل حوادث ندانی و حوادث را محل قدیم ندانی و معلوم گردانی که حق تعالی قدیم است و تو ضرورتاً محدثی، از جنس تو هیچ چیز بدو نپیوندد و از صفات وی هیچ چیز اندر تو نیامیزد، که قدیم را با محدث مجانست نبود؛ از آنچه قدیم پیش از وجود حوادث بود و چون قبل وجود الحوادث قدیم به محدث محتاج نبود تا بوده گشتی، بعد وجود الحوادث بدو نیز محتاج نگردد و این خلاف، آن کسان راست که به قدم ارواح بگویند و ذکر ایشان گذشت و چون کسی قدیم را اندر محدث نازل

گوید و یا محدث را به قدم تعلق داند بر حدث عالم دلیل نماند و این به مذهب دهریان گفتند. فعوذ بالله من اعتقاد السوء.

و در همه حرکات محدثات توحید است و گواه بر قدرت خداوند عزّ و جلّ و اثبات قدم وی.

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَّهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّهُ وَاحِدٌ

اما بنده از آن جمله غافل است؛ که مراد جز از او خواهد و یا جز با ذکر او آرامد چون در نیست کردن و هست کردن ورا شریک نباید، محال باشد که اندر تربیت شریک باید.

حسین بن منصور گوید، رحمة الله: «أولُ قدم التَّوْحِيدِ فناءُ التَّفْرِيدِ.»

اول قدم اندر توحید فنای تفرید است؛ از آنچه تفرید حکم کردن بود به جداگشتن کسی از آفات و توحید حکم کردن بود به وحدانیت چیزی پس اندر فردانیت اثبات غیر روا بود و بجز وی را نشاید بدین صفت کرد، و بروحدانیت اثبات غیر روا نباشد و بجز حق را بدین صفت نشاید کرد. پس تفرید عبارتی مشترک آمد و توحید نفی کننده شرکت. اول قدم توحید نفی کردن شریک باشد و رفع مزاج از منهاج؛ که مزاج اندر منهاج چون طلب منهاج باشد به سراج.

حُصْرِيْ گوید، رحمة الله عليه: «أصولنا في التَّوْحِيدِ خَمْسَةٌ أَسْيَاءٌ: رَفْعُ الْحَدَثِ، وَإِثْبَاتُ الْقِدَمِ وَهَجْرُ الْاَوْطَانِ وَ مَفَارِقَةُ الْاِخْوَانِ وَ نَسْيَانُ مَا عَلِمَ وَ جُهْلٌ.»

اصول ما اندر توحید پنج چیز است: اول برداشتن حدّث و اثبات کردن قدم، و هجر وطن و مفارقت برادران و فراموشی آنچه داند و نداند. اما رفع حدث نفی محدثات باشد از مقارنه توحید و استحالت حوادث از ذات مقدر وی، جل جلاله. و اثبات قدم اعتقاد به همیشه بودن خداوند، رضی الله عنه. و از هجر اوطان مراد بریدن بود از کل مألوفات نفس و آرامگاههای دل و قرارگاههای طبع و هجرت کردن از رسومات دنیا مریدان را و از مقامات سنی و حالات بهی و کرامات رفیع مراد را و از مفارقت برادران، مراد اعراض است از صحبت خلق و اقبال به صحبت حق؛ که هر خاطرکه اندیشه غیر بر او برگردد حجابی باشد و آفتی و بدان مقدارکه خاطر را با سر موحدگذر بود وی از توحید محجوب ماند؛ از آنچه باتفاق امم توحید جمع هم باشد، و آرام با غیر نشانه تفرقه همت بود و از فراموشی علم و جهل از توحید، مراد آن است که علم خلق به چون و چگونگی بود یا به جنسی یا به طبعی و هرچه علم خلق اندر توحید حق اثبات کند توحید آن را نفی کند و هرچه جهلشان اثبات کند بر خلاف علمشان بود؛ از آنچه جهل توحید نیست و علم به تحقیق توحید جز به نفی تصرف درست نیاید و اندر علم و جهل جز تصرف نیست یکی بر بصیرت و دیگر بر غفلت.

یکی از مشایخ گوید رحمة الله عليه که: اندر مجلس حُصْرِيْ بودم. اندر خواب شدم دو فریسته دیدم که از آسمان به زمین آمدند و زمانی سخن وی بشنیدند. یکی گفت مر دیگری را که: «اینچه این مرد می گوید علم است از توحید نه عین توحید.» چون بیدار شدم وی عبارت از توحید می کرد. روی به من کرد و گفت: «یا بافلان، از توحید بجز علم آن نتوان گفت.»

از جنید می آید، رضی الله عنه: «التَّوْحِيدُ أَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ شَبْحًا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ، تَجْرِي عَلَيْهِ تَصَارِيفُ تَدْبِيرِهِ فِي مَجَارِي أَحْكَامِ قُدْرَتِهِ فِي لُجَجِ بَحَارِ تَوْحِيدِهِ، بِالْفَنَاءِ عَنْ نَفْسِهِ وَ عَنْ دَعْوَةِ الْخَلْقِ لَهُ وَ عَنِ اسْتِجَابَتِهِ لَهُمْ، بِحَقَائِقِ وَجُودِ وَحْدَانِيَّتِهِ فِي حَقِيقَةِ قُرْبِهِ، بِذَهَابِ حَسَّةٍ وَ حَرَكَةِ لِقِيَامِ الْحَقِّ لَهُ فِيمَا أَرَادَ مِنْهُ، وَ هُوَ أَنْ يَرْجِعَ آخِرَ الْعَبْدِ إِلَى أَوَّلِهِ فَيَكُونَ كَمَا كَانَ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ.»

حقیقت توحید آن بود که بنده چون هیکلی شود اندر جریان تصرف تقدیر حق اندر مجاری قدرتش، خالی از اختیار و ارادت خود، اندر دریای توحید وی به فنای نفس خود و انقطاع دعوت خلق از وی و محو استجابت

وی مر دعوت خلق را به حقیقت معرفت وحدانیت اندر محل قرب به ذهاب حرکت و حس او و قیام حق بدو اندر آنچه ارادت اوست از او، تا آخر بنده اندر این محل چون اول شود و چنان گردد که از اول بوده است پیش از آن که بوده است.

و مراد از این جمله آن است که موحد را اندر اختیار حق اختیاری نماند و اندر وحدانیت حق به خودش نظاره ای نه؛ از آنچه اندر محل قرب، نفس وی فانی بود و حسش مذهب. احکام حق بر وی می‌رود چنانکه حق خواهد به فنای تصرف بنده؛ تا چنان گردد که ذره‌ای بود اندر ازل اندر حق عهد توحید که گوینده حق بود و جواب دهنده حق، نشانه آن ذره بود و آن که چنین بود خلق را با وی آرام نماند تا وی را به چیزی دعوت کنند و وی را با کس انس نماند تا دعوت ایشان را اجابت کند و اشارت این به فنای صفت است و صحت تسلیم اندر حال قهرکشف جلال که بنده را از اوصاف خود فانی گرداند تا آلتی گردد و جوهری لطیف چنانکه اگر بر جگر حمزه زنده بگذرد بی تصرف و اگر بر پشت مسیلمه رسد ببرد بی تمیز. و در جمله از جمله فانی باشد شخص وی تعبیه گاه اسرار حق بود؛ تا نطقش را حواله بدو بود و فعلش را اضافت بدو و وصفش را قیام بدو و مر اثبات حجت را حکم شریعت بروی باقی، و وی از رؤیت کل فانی.

و این صفت پیغمبر است صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ که اندر شب معراج ورا به مقام قرب رسانیدند و مقام را مسافت بود، اما قرب بی مسافت بود و حالش از نوع معلوم خلق بعیدگشت و از او هام منقطع شد؛ تا حدی که کون وی را گم کرد و وی خود را گم کرد. اندر فنای صفت بی صفت متحیر شد ترتیب طبایع و اعتدال مزاج مشوش شد. نفس به محل دل رسید و دل به درجه جان، و جان به مرتبه سر و سر به صفت قرب. اندر همه از همه جدا شد. خواست تا بنیت خراب شود و شخص بگذارد. مراد حق از آن اقامت حجت بود فرمان آمده که: «بر حال باش.» بدان قوت یافت و آن قوت قوت وی شد از نیستی از خود، هستی به حق پدیدار آمد تا باز آمد و گفت: «إِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ، إِنِّي أَيْتُ عِنْدَ رَبِّي فَيُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِي. مَنْ جِئْتُ مِنْكُمْ بِشَيْءٍ مِنْكُمْ فَأَنَا فِيهِ شَرَابِي أَسْتَكْفِيهِ مِنْ بَدَانِ اسْتِ وَبِأَيْدِي بَدَانِ؛ كَمَا قَالَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لِي مَعَ اللَّهِ وَقْتُ لَا يَسْعُ مَعِي فِيهِ مَلِكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ. مَرَا بِأَخْدَاوِنْدِ تَعَالَى وَقْتِي اسْتِ كِهْ اِنْدِر نَكْنَجْدِ اِنْدِر اَن هِيْجْ مَلِكْ مُقَرَّبْ وَ نِهْ پِيْغَامْبِرْ مُرْسَل.»

و از سهل بن عبدالله رضی الله عنه می‌آید: «ذاتُ اللهِ مَوْصُوفَةٌ بِالْعِلْمِ غَيْرُ مُدْرَكَةٍ بِالْإِحَاطَةِ وَلَا مَرْتَبَةٌ بِالْأَبْصَارِ فِي دَارِ الدُّنْيَا، مَوْجُودَةٌ بِحَقَائِقِ الْإِيمَانِ مِنْ غَيْرِ حُدٍّ وَلَا إِحَاطَةٍ وَلَا حُلُولٍ وَ تَرَاهُ الْعَيُونَ فِي الْعَقْبِيِّ ظَاهِرًا فِي مَثَلِكِهِ وَ قَدْرَتِهِ. قَدْ حُجِبَ الْخَلْقُ عَنْ مَعْرِفَةِ كُنْهِ ذَاتِهِ، وَ دَلَّهْمُ عَلَيْهِ بِأَيَاتِهِ، وَ الْقُلُوبُ تَعْرِفُهُ، وَ الْعُقُولُ لَا تُدْرِكُهُ، يَنْظُرُ إِلَيْهِ الْمُؤْمِنُونَ بِالْأَبْصَارِ مِنْ غَيْرِ إِحَاطَةٍ وَلَا إِدْرَاكِ نَهَائَةٍ.»

توحید آن بود که بدانی که ذات خداوند تعالی موصوف است به علم، بی از آن که آن را در توانند یافت به حس، و یا بتوانند دید در دنیا به چشم، و به حقیقت ایمان موجود است بی حد و نهایت و اندر یافت و آمد شدن، و ظاهر است اندر ملک خود به صنع و قدرت خود. خلق از معرفت کنه ذات وی محجوب‌اند و وی به اظهار عجایب و آیات راه نماینده است، و دلها می‌شناسند وی را به یگانگی و عقلها ادراک نکنندش از روی چگونگی و ببینند وی را یعنی در عقبی به چشم سر، بی از آن که ذات وی را ببینند و یا نهایتی را ادراک کنند.

و این لفظی جامع است مرکل احکام توحید را و

و جنید رضی الله عنه گفت: «أَشْرَفُ كَلِمَةٍ فِي التَّوْحِيدِ قَوْلُ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سُبْحَانَ مَنْ يَجْعَلُ لِخَلْقِهِ سَبِيلًا إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا بِالْعَجْزِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ. پاك است آن خدایی که خلق را به معرفت خود راه نداد الا به عجز ایشان اندر معرفت او.»

و عالمی اندر این کلمه به غلط افتاده‌اند پندارند که عجز از معرفت بی معرفتی بود و این محال است؛ از آن که عجز اندر حالت موجود صورت گیرد، بر حالت معدوم عجز صورت نگیرد؛ چنانکه مرده اندر حیات عاجز نبود که اندر موت عاجز بود با استحالت اسم عجز و قوت و اعمی از بصر عاجز نبود که اندر نابینایی عاجز بود و زَمَنُ از قیام عاجز نبود که اندر قعود از قعود عاجز بود؛ چنانکه عارف از معرفت عاجز نبود و معرفت موجود بود و این چون ضرورتی بود و بر آن حمل کنیم این قول صدیق رضی الله عنه که ابوسهل صعلوکی و استاد ابوعلی دقاق رحمهما الله گفتند: «معرفت ابتدا کسبی بود و در انتها ضروری گردد.» و علم ضرورت آن بود که صاحب آن اندر حال وجود آن مضطر و عاجز بود از دفع و جلب آن. پس بدین قول، توحید فعل حق باشد تعالی و تقدس اندر دل بنده.

و باز شبلی گوید، رحمة الله علیه: «التَّوْحِيدُ حِجَابُ الْمُوَحَّدِ عَنْ جَمَالِ الْأَحَدِيَّةِ.» توحید حجاب موحد بود از جمال احدیت حق؛ از آنچه اگر توحید را فعل بنده گوید، لامحاله فعل بنده مرکشف جلال حق را علت نگردد اندر عین کشف؛ از آنچه هر چه کشف را علت نگردد، حجاب باشد و بنده با کل اوصاف خود غیر باشد چون صفت خود را حق شمرد، لامحاله موصوف صفت را و آن وی است هم حق باید شمرد. آنگاه موحد و توحید و احد، هر سه، وجود یکدیگر را علت کردند و این ثالث ثلاثه نصاری بود بعین و تا هیچ صفت مر طالب را از فنای خود اندر توحید مانع است، هنوز بدان صفت محجوب است و تا محجوب است موحد نیست؛ «لَأَنَّ مَاسِوَاهُ مِنَ الْمَوْجُودَاتِ بَاطِلٌ.» چون درست شد که هر چه جز وی است باطل است و طالب جز وی است؛ صفت باطل اندر کشف جمال حق باطل بود و این تفسیر «لا اله الا الله» باشد.

و اندر حکایات معروف است که: چون ابراهیم خواص رضی الله عنه به کوفه به زیارت حسین بن منصور شد، وی را گفت: «یا ابراهیم، روزگار خود اندر چه گذاشتی؟» گفت: «خود را بر توکل درست کرده‌ام.» گفتا: «ضَيِّعَتْ عُمْرَكَ فِي عُمْرَانَ بَاطِنِكَ، فَايْنَ الْفَنَاءُ فِي التَّوْحِيدِ؟ ضَايِعَ كَرْدِي عَمْرَ اَنْدَرِ اَبَادَانِي بَاطِنِ، فَنَايَ تُو اَنْدَرِ تَوْحِيدِ كَجَاسْت؟»

و اندر عبارات از توحید مر مشایخ را رحمهم الله سخن بسیار است که گروهی آن را فنا گفته‌اند که جز در بقای صفت درست نیاید و گروهی گفته‌اند که: جز فنای صفت، خود توحید نباشد و قیاس این بر جمع و تفرقه باید کرد تا معلوم شود.

و من که علی بن عثمان الجلابی ام می‌گویم: توحید از حق به بنده اسرار است و به عبارت هویدا نشود تا کسی آنرا به عبارت مزخرف بیاراید؛ که عبارت و معبر غیر باشد و اثبات غیر اندر توحید، اثبات شریک باشد. آنگاه آن لهُوگَرَدَد و موحد الهی بود نه لاهی.

این است احکام توحید و مسلک ارباب معرفت اندر وی بر سبیل اختصار و بالله العونُ و العصمةُ.

کشف الحجاب الثالث فی الایمان

قوله، تعالی: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا (النساء/۱۳۶).»

و جای دیگر گفت: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا.»

و پیغمبر گفت، علیه السلام: «الایمانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ.»

ایمان از روی لغت تصدیق باشد و مردمان را اندر اثبات حکم آن در شریعت سخن بسیار است و اختلاف بسیار. معتزله جمله طاعات را، علمی و عملی ایمان گویند و از آن است که بنده را به گناه از ایمان بیرون آرند و خوارج همین گویند و بنده را به گناهی که بکند کافر گویند و گروهی دیگر مر ایمان را قول فرد گویند و گروهی معرفت

تنها و گروهی از متکلمان سنت، تصدیق مطلق گویند.

و من اندر بیان این، کتابی کرده‌ام جدا مراد اینجا اثبات اعتقاد مشایخ است از متصوِّفه و جمهور ایشان اندر ایمان به دو قسمت‌اند، چنانکه فقهای فریقین:

گروهی گویند که: «قول و تصدیق و عمل ایمان است.» چون فضیل عیاض و بشر حافی و خیر النَّسَّاج و سمنون المحبّ و ابو حمزه بغدادی و محمد جریری رضوان الله علیهم و جز ایشان جماعتی بسیار. و گروهی گویند: «ایمان قول و تصدیق است.» چون ابراهیم ادهم و ذی النّون المصری و ابویزید و حاتم و ابوسلیمان دارانی و حارث محاسبی و جنید و سهل ابن عبدالله و شقیق و محمد بن الفضل البلخی و بجز ایشان، رضوان الله علیهم اجمعین.

و جماعتی دیگر از فقهای امت چون مالک و شافعی و احمد و بجز ایشان جماعتی بر آن قول پیشین‌اند. و باز ابوحنیفه و الحسین بن فضل البلخی، و اصحابهم چون محمد بن الحسن و داود طایی و ابویوسف رحمهم الله بر این قول بازپسین‌اند.

و بحقیقت این خلاف به عبارت باز می‌گردد بدون معنی. کنون من این معنی را بیان کنم به طریق اقتضای آن تا معلوم گردد تا بدین خلاف کس را اندر ایمان مخالف الاصل نگویی، ان شاء الله.

فصل

بدان که اتفاق است میان اهل سنت و جماعت و اهل تحقیق و معرفت که: ایمان را اصلی و فرعی است، اصل آن تصدیق به دل باشد و فرع آن مراعات امر و اندر عادت عرب است که فرع چیزی را، بر وجه استعارت به نام اصل آن باز خوانند؛ چنانکه نور آفتاب را آفتاب خوانند به همه لغات. و هم بدان معنی گروهی طاعت را ایمان خوانند؛ که بنده جز بدان ایمن نشود از عقوبت، و تصدیق مجرد امن اقتضا نکند تا احکام فرمان به جای نیارد. پس هرکه را طاعت بیشتر بود، امن وی از عقوبت زیادت بود چون آن علت امن آمد به تصدیق و قول مر آن را ایمان گفتند.

باز این گروه دیگر گفتند که: علت امن معرفت است نه طاعت. اگر چه طاعت حاصل بود چون معرفت موجود نباشد سود ندارد و چون معرفت موجود باشد اگر طاعت نباشد آخر بنده نجات یابد هرچند که حکمش اندر مشیت بود؛ که خداوند عزّ و جلّ یا به فضل زلّتش درگذارد، یا به شفاعت پیغمبر علیه السلام بخشد، یا به مقدار جرمش عذاب فرماید آنگاه به بهشت فرستدش. پس چون اصحاب معرفت باشند اگر چه مجرم بوند به حکم معرفت جاوید به دوزخ نمانند و اصحاب عمل به عمل مجرد بی معرفت به بهشت اندر نیایند. پس اینجا طاعت علت امن نیامد؛ کما قال رسول الله، صلی الله علیه و سلم: «لَنْ يَنْجُوَ أَحَدُكُمْ بِعَمَلِهِ.» قیل: «ولانت، یا رسول الله؟» قال: «ولا انا، الا ان يتعمدني الله برحمته.»

: «نرهد یکی از شما به عمل خود.» گفتند: «تو نیز نرهی به عمل خود، یا رسول الله؟» گفت: «من نیز نرهم، الا خدای عزّ و جلّ به رحمت خویش اندر گذارد.»

پس از روی حقیقت بی خلاف میان امت «ایمان معرفت است و اقرار و پذیرفت عمل.» و هرکه ورا بشناسد به وصفی شناسد از اوصاف و اخص اوصاف وی بر سه قسمت است: بعضی آن که تعلق به جمال دارد و بعضی آن که به جلال، و بعضی آن که به کمال. پس خلق را به کمال وی راه نیست بجز آن که وی را کمال اثبات کنند و نقص از وی نفی کنند مانند اینجا جمال و جلال. آن که شاهد وی جمال حق باشد اندر معرفت، پیوسته مشتاق رؤیت بود و آن که شاهد وی جلال حق باشد، پیوسته از اوصاف خود با نفرت بود. دلش اندر محل هیبت بود.

پس شوق تأثیر محبت باشد و نفرت از اوصاف بشریت همچنان؛ از آنچه کشف حجاب وصف بشریت جز به عین محبت نبود. پس ایمان و معرفت محبت آمد و علامت محبت طاعت؛ از آنچه چون دل محل دوستی بود و دیده محل رؤیت عبرت و دل موضع مشاهدت، تن باید که تارک الامر نباشد، و آن که تارک الامر بود از معرفت بی خبر باشد.

و این آفت اندر زمانه، اندر میان متصوّفه ظاهر شد؛ که گروهی از ملاحده جمال ایشان بدیدند و قدر و منزلت ایشان معلوم گردانیدند، خود را بدیشان مانده کردند و گفتند که: «این رنج چندان است که نشناخته‌ای چون بشناختی، کلفت برخاست.»

گوییم که: لا، بل چون بشناختی دل محل تعظیم شد. تعظیم فرمان زیادت گشت و روا داریم که مطیع به درجتی رسد که رنج طاعت از وی بردارند و برگزاردن امرش توفیق زیادت دهند تا آنچه خلق به رنج گزارند وی را از گزارد آن رنجی نباشد. و این جز به شوقی مُقلق و مُزعج نتواند بود.

و باز گروهی ایمان را همه از حق می‌گویند و گروهی همه از بنده. و این خلاف اندر میان خلق دراز شده است به ماوراء النهر. پس آن که همه از وی گوید جبر محض بود؛ از آنچه بنده اندر آن باید تا مضطر باشد و آن که همه از خود گوید قَدَر محض بود؛ که بنده جز به اعلام وی، وی را نداند و طریق توحید دون جبر باشد و فوق قدر. و بحقیقت ایمان فعل بنده باشد به هدایت حق مقرون؛ که گم کرده وی به راه نداند آمد و به راه آورده وی گم نگردد؛ لقوله، تعالی: «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا (۱۲۵/الأنعام).»

پس بر این اصل باید تا گروه هدایت حق بود و گروهی بنده. پس علامت گرویدن بر دل اعتقاد توحید است و بر دیده حفظ از منْهیات و عبرت کردن اندر علامات و آیات و برگوش استماع کلام وی، و بر معده تخلی از حرام کرده وی و بر زبان صدق قول و بر تن پرهیزکردن از منْهیات تا دعوی با معنی موافق بود و از این بود که آن گروه زیادت و نقصان در ایمان روا داشتند و اتفاق است میان همه که اندر معرفت زیادت و نقصان روا نباشد؛ که اگر معرفت زیادت و نقصان شدی بایستی که معروف زیادت و نقصان شدی. چون بر معروف زیادت و نقصان روان بود، بر معرفت نیز روا نبود؛ که معرفت ناقص معرفت نباشد. پس باید تا زیادت و نقصان در عمل و فرع باشد و باتفاق بر طاعت زیادت و نقصان – که در عمل و فرع باشد روا بود و مر حشویانی را که به فریقین نسبت کنند این بر دل دشوار آید؛ که از حشویان گروهی طاعت را از جمله ایمان گویند و باز گروهی ایمان را بجز قول مجرد نگویند و این هر دو عدم انصاف باشد.

و در جمله ایمان بر حقیقت استغراق کل اوصاف بنده باشد اندر طلب حق، و جمله گرویدگان را بر این اتفاق باید کرد که غلبه سلطان معرفت قاهر اوصاف نکرت بود و آنجا که ایمان بود اسباب نکرت منفی بود؛ که گفته اند: «إِذَا طَلَعَ الصَّبَاحُ بَطَلَ المَصْبَاحُ». چون صبح منتشر شد جمال چراغ ناچیز گشت، و روز را به دلیل بیان بنمود؛ چنانکه گفته‌اند: «از روز روشن تر دلیل نباید.» قوله، تعالی: «إِنَّ المُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا (۳۴/النمل).» چون حقیقت معرفت اندر دل عارف حاصل آمد ولایت ظن و شک و نکرت فانی شد و سلطان آن مر حواس و هوای وی را مسخر خود گردانید تا در هر چه کند و گوید و نگیرد همه اندر دایره امر باشد.

و یافتیم که: ابراهیم خواص را پرسیدند از حقیقت ایمان. گفت: «اکنون این را جواب ندارم؛ از آنچه هرچه گویم عبارت بود و مرا باید تا به معاملت جواب گویم. اما من قصد مکه دارم و تونیز بر این عزمی، اندر این راه با من صحبت کن تا جواب مسأله خود بیایی.» گفتا: چنان کردم چون به بادیه فرو رفتم، هر شب دو قرص و دو شربت آب پدید آمدی. یکی به من دادی و یکی بخوردی. تا روزی اندر میان بادیه، پیری همی آمد سواره. چون وی را

بدید از اسب فرو آمد و یکدیگر را پیرسیدند و زمانی سخن گفتند و پیر برنشست و بازگشت. گفتم: «ایها الشیخ، مرا بگوی تا آن پیرکه بود.» گفت: «آن جواب سؤال تو بود.» گفتم: «چگونه؟» گفت: «آن خضر پیغمبر بود علیه السلام که از من می صحبت طلبید و من اجابت نکردم؛ که بترسیدم که اندر آن صحبت اعتماد ازدون حق با وی کنم توکل مرا ببشولانند.» و حقیقت ایمان حفظ توکل باشد با خداوند، عزّو جلّ. قوله، تعالی: «وَعَلَّ اللَّهُ فِتْوَكُلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (۲۳/المائده).»

و محمد بن خفیف گوید، رحمة الله علیه: «الایمانُ تصدیقُ القلبِ بما أعلمه الغیوبُ.» ایمان باور داشتن دل است بدانچه اندر غیب بر وی کشف کنند و وی را بیاموزند و ایمان به غیب و خداوند تعالی از چشم سر غایب، جز به قوت الهی اندر یقین بنده پدیدار نتوان آوردن و آن جز به اعلام خداوند تعالی نباشد چون معرف و معلم عارفان و عالمان وی است جلّ جلاله و عمّ نواله که اندر دلهای ایشان معرفت و علم آفرید و حواله آن از کسب ایشان منقطع کرد، پس هرکه دل را به معرفت حق باور داشت مؤمن بود. و به حکم آن که مرا بجز اندر این کتاب در این باب سخن بسیار است، اینجا بدین مقدار اقتصار کردم تا کتاب مطول نشود و نیز اگر هدایت حق باشد این مایه بسنده بود. اکنون با سر معاملات رویم و حجب آن کشف گردانیم تا طالبان را فواید باشد، ان شاء الله.

کشف الحجاب الرابع فی الطهارة

از پس ایمان نخستین چیز که بر بنده فریضه شود طهارت کردن بود مرگزارد نماز را و آن طهارت بدن بود از نجاست و جنابت و شستن سه اندام و مسح کردن بر سر بر متابعت شریعت و یا تیمم در حال فقد آب یا شدت مرض و یا خوف مرض؛ چنانکه احکام این معلوم است.

پس بدان که طهارت بر دو گونه بود: یکی طهارت تن و دیگر طهارت دل.

چنانکه بی طهارت بدن نماز درست نیاید، بی طهارت دل معرفت درست نیاید پس طهارت تن را آب مطلق باید به آب مشوش و مستعمل نشاید و طهارت دل را توحید محض باید به اعتقاد مختلط و مشوش نشاید. پس این طایفه پیوسته بظاهر بر طهارت باشند و بباطن بر توحید؛ كما أمر النبی، علیه السلام: «داوم علی الوضوء یحبیبک حافظاک.» و قوله، تعالی: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (۲۲۲/البقره).»

پس هرکه به ظاهر بر طهارت مداومت کند ملائکه وی را دوست دارند، و هرکه به باطن بر توحید قیام کند خداوند تعالی وی را دوست دارد و رسول صلی الله علیه پیوسته می گفتی: «اللهم طهر قلبی من النفاق.» بار خدایا دلم را از نفاق پاک گردان، و به هیچ حال نفاق اندر دلش صورت نگرفتی، اما رؤیت کرامات خویشتن مر او را می اثبات غیر نمود و اثبات غیر نفاق بود اندر محل توحید هر چند یک ذره از کرامات مشایخ سرمه دیده مریدان کردند، آخر اندر محل کمال آن حجاب مکرم بوده است؛ از آنچه هرچه غیر بود رؤیت آن آفت بود، خواه خود را بیند خواه دیگری را.

و ابویزدگفت، رضی الله عنه: «نفاق العارفين أفضل من إخراج المریدین.»

نفاق رسیدگان فاضل تر از اخلاص طالبان؛ یعنی آنچه مرید را مقام باشد کامل را حجاب باشد مرید را همت آن که کرامات یابد و کامل را همت آن که مکرم یابد.

و در جمله اثبات کرامات مر اهل حق را نفاق نماید؛ از آنچه آن معانقه غیر باشد. پس آفت دوستان خدای، نجات جمله اهل معصیت بود از معصیت و آفت اهل معصیت، نجات جمله اهل ضلالت از ضلالت؛ که اگر کافران بدانندی که معصیت ایشان ناپسند خدای عزّ و جلّ است، چنانکه عاصیان دانند، جمله از کفر نجات

یابندی و اگر عاصیان بدانندی که جمله معاملات ایشان محل علت است، چنانکه دوستان دانند جمله از معصیت نجات یابندی و از همه آفات طاهر شوندی.

پس بایدکه طهارت ظاهر موافق طهارت سرّ بود؛ یعنی چون دست بشوید بایدکه دل از دوستی دنیا بشوید و چون استنجا کند، چنانکه از نجاست ظاهر نجات جست از دوستی غیر به باطن نجات جوید و چون آب اندر دهان کند بایدکه دهان از ذکر غیر خالی گرداند و چون استنشاق کند بایدکه بوی شهوتها بر خود حرام کند و چون روی بشوید بایدکه از جمله مألوفات یکبارگی اعراض کند و به حق اقبال کند و چون دست بشوید بایدکه تصرف از جمله نصیبه‌های خود منقطع گرداند و چون مسح سر کند بایدکه امور خود به حق تسلیم کند و چون پای بشوید بایدکه نیز جز بر حق فرمان خدای تعالی نیت اقامت نکند تا هر دو طهارت وی را حاصل آید؛ که جمله امور شرعی ظاهر به باطن پیوسته است. چون ایمان قول زبان ظاهر و تصدیق به دل باطن، حقیقت نیت به دل و احکام طاعت بر تن پس طریق طهارت دل تفکر و تدبّر بود اندر آفت دنیا و دیدن آن که دنیا سرای غدار است و محل فنا، دل از آن خالی نشود جز به مجاهدت بسیار و مهمترین مجاهدتها حفظ آداب ظاهر است و ملازمت بر آن اندر همه احوال.

از ابراهیم خواص رحمة الله علیه می‌آید که گفت: «مرا از خدایتعالی عمر ابد می‌باید اندر دنیا، تا همه خلق اندر نعمت دنیا مشغول گردند و خدمت حق فراموش کنند و من اندر بلای دنیا به حفظ آداب شریعت قیام کنم و حق را یاد دارم.»

و می‌آید که بوطالب حرمی چهل سال به مکه مجاور بود، اندر مکه طهارت نکرد هر بار از مکه به طهارت بیرون آمدی گفتی: «زمینی را که خداوند تعالی به خود اضافت کرده است، من کراهیت دارم که آب مستعمل من بر آن زمین ریزد.»

و از ابراهیم خواص رحمة الله علیه می‌آید که: وی اندر جامع ری مبطون بود. اندر یک شبانروز شصت غسل بکرده بود. آخر وفاتش در میان آب بود.

ابوعلی رودباری رحمة الله علیه یک چندگاه به بلای وسواس اندر طهارت مبتلا شد. گفتا: روزی سحرگاه به آب فرو شدم تا به وقت آفتاب برآمدن بماندم اندر آن میانه رنجور دل بی‌بوم و گفتم: «بار خدایا، العافیة.» هاتفی آواز داد که: «العافیة فی العلم.»

از سفیان ثوری می‌آید رحمة الله علیه که: مر یک نماز را شصت بار طهارت کرده بود، اندر بیماری در حال بیرون رفتن از دنیا. گفت: «تا چون فرمان اندر آید من طاهر باشم.»

گویند شبلی رحمة الله علیه روزی طهارت کرد به قصد آن که به مسجد اندر آید از هاتفی شنید که: «ظاهر شستی، صفای باطن کجاست؟» گفتا: بازگشتم و همه ملک و میراث بدادم و یک سال جز بدان مقدار جامه که نماز بدان روا بود نپوشیدم آنگاه به نزدیک جنید آمدم. وی گفت، رضی الله عنه: «یا بابکر، این سخت سودمند طهارتی بود که کردی. خدای ترا پیوسته طاهر دارد.» گفت: از پس آن هرگز بی طهارت نبود؛ تا حدی که چون از دنیا بخواست رفتن طهارتش را نقض افتاد. اشارت به مریدی کرد که: مرا طهارتی ده. مرید وی را طهارت داد و تحلیل محاسن فراموش کرد. وی رادر آن حال زبان نبود که سخن گفتی. دست آن مرید بگرفت و به محاسن خود اشارت فرمود تا تحلیل کرد.

از وی می‌آید که گفت: من هیچ وقتی ادبی ترک نکرده‌ام از آداب طهارت که نه در باطنم بندی پدیدار آمد. و از ابویزید رحمة الله علیه می‌آید که گفت: هرگاه که اندیشه دنیا بر دلم گذر کند طهارتی بکنم و چون اندیشه عقبی گذرد غسلی؛ از آنچه دنیا محدث است اندیشه آن حدث باشد و عقبی محل غیبت و آرام با آن جنابت.

پس از حدث طهارت واجب شود و از جنابت غسل.

و از شبلی می‌آید رحمة الله علیه که: روزی طهارت کرد. چون اندر مسجد آمد به سرش ندا کردند که: «یا بابکر، طهارت آن داری که بدین بُستاخی به خانه ما خواهی آمد؟» این بشنید بازگشت. ندا آمد که: «از درگاه ما می بازگردی، کجا خواهی شد؟» گفتا: نعره‌ای بزد، ندا آمد که: «بر ما می شناعت کنی؟» بر جای خموش بیستاد ندا آمد که: «دعوی تحمل بلای ما می کنی؟» فریاد برآورد که: «المستغاثُ بِکَ مِنْکَ.»

و مشایخ این قصه را رحمهم الله اندر تحقیق طهارت سخن بسیار است و مریدان را مداومت طهارت ظاهر و باطن فرموده‌اند و قصدشان به درگاه حق بود. چون کسی به ظاهر قصد خدمت کند باید که به ظاهر طهارت کند و چون به باطن قصد قربت کند باید که طهارت باطن کند. طهارت ظاهر به آب و از آن باطن به توبه و رجوع کردن به درگاه حق، تعالی.

کنون من حکم توبه و متعلقاتش را بشرح بیارم تا حقیقت آن ترا معلوم گردد ان شاء الله.

باب التَّوْبَةِ وَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا

بدان که اول مقام سالکان طریق حق توبه است؛ چنانکه اول درجه طالبان خدمت طهارت؛ کما قال الله، تعالی: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا (٨/التَّحْرِيمِ).» و نیز گفت: «وتوبوا إلى الله جميعاً (٣١/النُّور).» و رسول صلی الله علیه و سلم گفت: «ما مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ شَابِّ تَائِبٍ. نیست چیزی بر خداوند تعالی دوست تر از جوانی توبه کرده.» و نیز گفت، صلی الله علیه: «التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ»، ثم قال: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا لَمْ يَضُرَّهُ ذَنْبٌ.» ثم تلا: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ (٢٢٢/البقره).»

: «تائب از گناه بی گناه شود و چون خدای تعالی بنده ای را دوست دارد گناه وی را زیان ندارد.» گفتند: «علامت توبه چیست؟» گفتا: «ندامت.»

اما آنچه گفت: «گناه مر دوستان را زیان ندارد؛ یعنی بنده به گناه کافر نشود و اندر ایمانش خلل در نیاید و چون سرمایه را گناه زیان ندارد زیان معصیتی که عاقبت آن نجات باشد، بحقیقت زیان نباشد.

و بدان که توبه اندر لغت به معنی رجوع باشد؛ چنانکه گویند: «تاب، ای رَجَع.» پس بازگشتن از نهی خداوند تعالی بدانچه خوب است از امر خداوند تعالی حقیقت توبه بود و پیغمبرگفت، علیه السلام: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ. پشیمانی توبه باشد.» و این لفظی است که شرایط توبه به جمله اندر این مودع است؛ از آنچه یک شرط توبه را اسف است بر مخالفت و دیگر اندر حال ترک زَلَّتْ، و سدیگر عزم ناکردن به معاودت به معصیت و این هر سه شرط اندر ندامت بسته است؛ که چون ندامت به حاصل آمد اندر دل این دو شرط دیگر تبع آن باشد.

و ندامت را سه سبب باشد؛ چنانکه توبه را: یکی خوف عقوبت بر دل سلطان شود و اندوه کرده‌ها بر دل صورت گیرد ندامت حاصل آید و دیگر آن که ارادت نعمت بر دل مستولی شود معلوم گردد که به فعل بدو نافرمانی آن نیابد از آن پشیمان شود به امید آن که بیابد و سدیگر شرم خداوند شاهد شود و از مخالفت پشیمان گردد. پس یکی از این سه تائب بود و یکی مُتَّيِبٌ و یکی اواب.

و توبه را سه مقام است: یکی توبه، و دیگر انابت و سدیگر اُوبِت. توبه خوف عقاب را، انابت طلب ثواب را، اُوبِت رعایت فرمان را؛ از آنچه توبه مقام عامه مؤمنان است و آن از کبیره بود؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا (٨/التَّحْرِيمِ).» و انابت مقام اولیاست و مقربان؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ (٣٣/ق).» و اُوبِت مقام انبیاست و مرسلان؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ

پس توبه رجوع از کبایر بود به طاعت، و انابت رجوع از صغایر به محبت و اوبت رجوع از خود به خداوند، تعالی. فرق میان آن که از فواحش به اوامر رجوع کند و از آن آن که از کم و اندیشه به محبت رجوع کند و میان آن که از خودی خود به حق رجوع کند، ظاهر است.

و اصل توبه از زواجر حق تعالی باشد و بیداری دل از خواب غفلت و دیدن عیب حالی، و چون بنده تفکر کند اندر سوء احوال و قبح افعال خود و از آن خلاص جوید، حق تعالی اسباب توبه بر وی سهل گرداند و وی را از شومی معصیت وی برهاند و به حلاوت طاعت برساند.

و روا باشد به نزدیک اهل سنت و جماعت و جمله مشایخ معرفت که کسی از یک گناه توبه کند و گناهان دیگر می کند، خداوند تعالی بدانچه وی از آن یک گناه باز بوده است وی را ثواب دهد و باشد که به برکات آن از گناهان دیگرش باز آرد؛ چنانکه شخصی میخواره و زانی باشد از زنا توبه کند و بر می خوردن مصر می باشد توبه وی از آن یک گناه درست باشد با ارتکابش بر این گناه دیگر.

و بهشیمان از معتزله گویند: «اسم توبه درست نیاید، جز بر کسی که از همه کبایر مجتنب باشد.» و این قول محال است؛ از آنچه بر هر معاصی که بنده نکند وی را بدان عقوبت نکنند، و چون به ترک یک نوع بگوید از عقوبت آن ایمن شود، لامحاله بدان تائب بود و نیز کسی اگر بعضی از فرایض بکند و بعضی دست باز دارد، لامحاله بدانچه می کند وی را ثواب باشد؛ چنانکه بر آن که می نکند عقاب باشد و اگر کسی را آلت معصیت موجود نباشد و اسباب آن مهیا نه، از آن توبه کند تائب باشد؛ از آنچه توبه را یک رکن ندامت بود که وی را بدان توبه برگزیده ندامت حاصل آید و اندر حال از آن جنس معصیت معرض است و عزم دارد که اگر آلت موجود گردد و اسباب مهیا، من هرگز به سر این معصیت باز نگردم.

و مشایخ مختلف اند اندر وصف توبه و صحت آن.

سهل بن عبدالله با جماعتی رحمهم الله بر آن اند که: «التَّوْبَةُ أَنْ لَا تُنْسَى دُنْبُكَ.»

توبه آن باشد که هرگز گناه کرده را فراموش نکنی و پیوسته اندر تشویر آن باشی تا اگر چه عمل بسیار داری بدان معصیت نگردي؛ از آنچه حسرت کردار بد مقدم بود بر اعمال صالح. و هرگز این کس معجب شود که گناه فراموش نکند؟

و باز جنید و جماعتی رحمهم الله بر آن اند که: «التَّوْبَةُ أَنْ تَنْسَى دُنْبُكَ.»

توبه آن باشد که گناه را فراموش کنی؛ از آنچه تائب محب بود و محب اندر مشاهدت بود و اندر مشاهدت ذکر جفا جفا باشد چندگاه با جفا باشد باز چندگاه با ذکر جفا و ذکر جفا از وفا حجاب باشد.

و رجوع این خلاف اندر خلاف مجاهدت و مشاهدت بسته است. ذکر این در مذهب سهلان باید جست. آن که تائب را به خود قایم گوید نسیانِ ذنب وی را غفلت داند و آن که به حق قایم گوید ذکر ذنب وی را شرک نماید و در جمله اگر تائب باقی الصِّفَة باشد عقده اسرارش حل نگشته باشد و چون فانی الصِّفَة باشد ذکر صفت ورا درست نیاید. موسی علیه السلام گفت: «تُبْتُ إِلَيْكَ (۱۴۳/الأعراف)»، در حال بقای صفت و رسول صلی الله علیه گفت: «لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ»، در حال فنای صفت. فی الجملة ذکر وحشت اندر محل قربت وحشت باشد و تائب را باید که از خودی خود یاد نیاید، گناهش چگونه یاد آید؟ و بحقیقت یادگناه گناه بود؛ از آنچه محل اعراض است و همچنان که گناه محل اعراض است یاد آن هم محل اعراض باشد و ذکر غیر آن همچنان. و چنانکه ذکر جرم جرم باشد نسیان او هم جرم بود؛ از آنچه تعلق ذکر و نسیان هر دو به تو باز بسته است.

جنید گفت رحمة الله علیه که: کتب بسیار بر خواندم مرا چندان فایده نبود که اندر این بیت:

إِذَا قُلْتُمْ مَا أُذْنِبْتُ قَالَتْ مُجِيبَةٌ حَيَاتُكَ ذَنْبٌ لَا يُقَاسُ بِهِ ذَنْبٌ

چون وجود دوستی اندر حضرت دوستی جنایت بود و صفش را چه قیمت بود؟ و فی الجمله توبه تأیید ربانی بود و معاصی فعل جسمانی. چون بر دل ندامت اندر آید، بر تن هیچ آلت نماند که ندامت دل را دفع کند. چون در ابتدا فعل وی دافع توبه نبود، چون بیامد اندر انتها نیز فعلش حافظ توبه نباشد. و خداوند گفت، عزّ وجلّ: «فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (۳۷/البقره)». و مر این را در نص کتاب نظایر بسیار است؛ تا حدی که از معروفی به اثبات کردن حاجت نیاید.

پس توبه بر سه گونه باشد: یکی از خطا به صواب و دیگری از صواب به اصوب و سدیگر از صواب خود به حق. از خطا به صواب؛ لقله، تعالی: «وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ ... الْآيَةَ (۱۳۵/آل عمران)».

و از صواب به اصوب آن که موسی گفت، علیه السلام: «تُبْتُ اليك (۱۴۳/الأعراف)». و از خود به حق؛ کما قال النبی، صلی الله علیه: «وإنه لیغان علی قلبی و انی لأستغفر الله کلّ یوم سبعین مرّة». ارتکاب خطا زشت و مذموم است و رجوع از خطا به صواب خوب و محمود و این توبه عام است و حکم این ظاهر است، و تا اَصُوبَ باشد با صواب قرار گرفتن وَقَفَتْ است و حجاب؛ و رجوع از صواب به اصوب اندر درجه اهل همت ستوده و این توبه خاص است و محال باشد که خواص از معصیت توبه کنند. ندیدی که همه عالم اندر حسرت رؤیت خدای عزّ وجلّ می سوختند و موسی علیه السلام از آن توبه کرد؟ از آنچه رؤیت به اختیار خواست و اندر دوستی اختیار آفت بود، ترک آفت اختیار وی مر خلق را ترک رؤیت نمود.

فصل

بدان که توبه را شرط تأیید نیست؛ از بعد آن که عزم بر رجوع ناکردن به معصیت درست باشد. اگر تایی را فترتی افتد و به معصیت بازگردد به غیر صحت عزم رجوع، اندر آن ایام گذشته حکم و ثواب توبه یافته باشد. و از مبتدیان و تائبان این طایفه بودند که توبه کردند و باز فترت افتادشان و به خرابی بازگشتند، آنگاه به حکم تنبیهی به درگاه آمدند؛ تا یکی از مشایخ رحمهم الله گفته است که: «من هفتاد بار توبه کردم و باز به معصیت بازگشتم تا هفتاد و یکم بار استقامت یافتم.»

و ابو عمرو نُجَید رضی الله عنه گفت: من ابتدا توبه کردم اندر مجلس بوعثمان حیری و یک چندگاه بر آن بیوادم. آنگاه اندر دلم معصیت را متقاضی پدیدار آمد مر آن را متابع شدم و از صحبت این پیر اعراض کردم. هر جا که ورا از دور بدیدمی از تشویر بگریختمی تا مرا نبیند روزی ناگاه بدو رسیدم مرا گفت: «ای پسر، با دشمنان خود صحبت مکن، مگر آنگاه که معصوم باشی؛ از آنچه دشمن عیب تو ببیند و چون معیوب باشی دشمن شادگردد و چون معصوم باشی اندوهگین گردد. و اگر ترا می باید که معصیت کنی، به نزدیک ما آی تا ما بلای تو بکشیم و تو دشمن کام نگردی.» گفت: دلم از گناه سیر شد و توبه درست گشت.

و نیز شنیدم که یکی از معاصی توبه کرد و باز به سر آن بازگشت. آن گاه پشیمان شد. روزی با خود گفت که: «اگر به درگاه باز آیم حالم چگونه باشد؟» هاتفی آواز داد: «أَطَعْتَنَا فَشَكَرْنَا، ثُمَّ تَرَكْتَنَا فَأَمْهَلْنَاكَ. فَانْ عُدْتَ إِلَيْنَا قَبْلَنَاكَ. مَا رَا طَاعَتَ دَاشْتِي تَرَا شَكَرْ كَرْدِيْمِ بِي وَفَايِي كَرْدِي وَ مَا رَا بَغْدَاشْتِي تَرَا مَهْلَتْ دَادِيْمِ. اَكْنُونِ اَكْرَ بَا زَايِي بَهْ اَشْتِي تَرَا قَبُولْ كْنِيْمِ.»

کنون بازگردیم به اقاویل مشایخ، رُضِيَّ عَنْهُمْ.

فصل

ذوالنون مصری گوید: «تَوْبَةُ الْعَوَامِ مِنَ الذُّنُوبِ وَ تَوْبَةُ الْخَوَاصِّ مِنَ الْغَفْلَةِ.»

توبه عام از گناه باشد و توبه خاص از غفلت؛ از آنچه عام را از ظاهر حال پرسند و خواص را از تحقیق معاملت؛ از آنچه غفلت مر عوام را نعمت است و مر خواص را حجاب.

ابوحفص حداد رحمه الله گوید: «لَيْسَ لِلْعَبْدِ فِي التَّوْبَةِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّ التَّوْبَةَ إِلَيْهِ لَا مِنْهُ.» از توبه به بنده هیچ چیز نیست؛ از آنچه توبه از حق به بنده است نه از بنده به حق و بدین قول باید تا توبه مکتسب بنده نباشد که موهبه ای بود از مواهب حق سبحانه و تعالی. و تعلق این قول به مذهب جنید باشد.

و ابوالحسن بوشنجه رضی الله عنه گوید در توبه: «إِذَا ذَكَرْتَ الذَّنْبَ، ثُمَّ لَا تَجِدُ حَلَاوَةً عِنْدَ ذِكْرِهِ فَهُوَ التَّوْبَةُ.» چون گناه را یاد کنی و از یاد کردن آن در دل لذتی نیابی آن توبه باشد؛ از آنچه ذکر معصیت یا به حسرتی بود یا به ارادت. چون کسی به حسرت و ندامت معصیت خود یاد کند تائب باشد و هر که به ارادت معصیت یاد کند عاصی باشد؛ از آنچه در فعل معصیت چندان آفت نباشد که اندر ارادت آن؛ از آن که فعل آن یک زمان بود و ارادتش همیشه. پس آن که یک ساعت به تن با معصیت بود نه چنان باشد که روز و شب به دل با آن صحبت کند.

ذوالنون مصری گوید، رحمة الله عليه: «التَّوْبَةُ تَوْبَتَانِ: تَوْبَةُ الْإِنَابَةِ، وَ تَوْبَةُ الْإِسْتِجَابَةِ. فَتَوْبَةُ الْإِنَابَةِ دِنٌ يَتَوَبُّ الْعَبْدُ خَوْفًا مِنْ عِقَابِهِ، وَ تَوْبَةُ الْإِسْتِجَابَةِ أَنْ يَتَوَبَّ حَيَاءً مِنْ كَرَمِهِ.»

توبه دو گونه باشد: یکی توبه انابت، و دیگر توبه استجابت توبه انابت آن بود که بنده توبه کند از خوف عقوبت خدای عز و جل و توبه استجابت آن که توبه کند از شرم کرم خدای، عز و جل. توبه خوف از کشف جلال بود، و از آن حیا از نظاره جمال. پس یکی در جلال از آتش خوف وی می سوزد و یکی اندر جمال از نور حیا می فروزد یکی از این دو سکران بود و دیگری مدهوش. اهل حیا اصحاب سکر بوند و اهل خوف اصحاب صحو. و سخن اندر این دراز است، من کوتاه کردم خوف تطویل را. و بالله العون والعصمة وحسبنا الله ونعم الرفیق.

کشف الحجاب الخامس فی الصلوة

قوله، تعالی: «أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ اتُّوا الزَّكَاةَ (۴۳/البقره).»

وقوله، علیه السلام: «الصَّلَاةُ وَ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ.»

نماز به معنی ذکر و انقیاد باشد از روی لغت و اندر جریان عبارات فقها را عبارتی مخصوص است بر این احکام که معتاد است و آن از حق تعالی فرمان است که: پنج نماز اندر پنج وقت بگزارید و قبل دخول آن مر آن را شرایط است: یکی از آن طهارت به ظاهر از نجاست و به باطن از شهوت و دیگر طهارت جامه به ظاهر از نجس و به باطن آن که از وجه حلال باشد، سدیکر طهارت جای به ظاهر از حوادث و آفت و به باطن از فساد و معصیت، چهارم استقبال قبله قبله ظاهر کعبه و آن باطن عرش و از آن سر مشاهدت پنجم قیام ظاهر اندر حال قدرت و قیام باطن اندر روضه قربت به شرط دخول وقت آن به ظاهر شریعت و دوام وقت اندر درجه حقیقت و ششم خلوص نیت به اقبال حضرت، هفتم تکبیری اندر مقام هیبت و قیامی اندر محل وصلت و قرائتی به ترتیل و عظمت و رکوعی به خشوع و سجودی به تذلل و تشهدی به اجتماع و سلامی به فنای صفت؛ کما کان النبی علیه السلام خیراً عنه: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يُصَلِّي وَفِي جَوْفِهِ أَرِيْزُكَأَزِيْرُ الْمَرْجَلِ.» چون پیغمبر علیه السلام نماز کردی اندر دلش جوشی بودی چون جوش دیگر روین که اندر زیر آن آتش افروخته باشد.

و چون امیرالمؤمنین علی کرم الله وجهه قصد نماز کردی، مویهای وی سر از جامه وی بیرون کردی و لرزه بر وی

افتادی وگفتی: «آمد وقت گزاردن امانتی که آسمانها و زمینها از حمل آن عاجز آمدند.» و یکی از مشایخ گوید: از حاتم اصم رحمة الله علیه پرسیدم که: «نماز چگونه کنی؟» گفت: «چون وقت اندر آید، وضویی ظاهری و باطنی بکنم ظاهر به آب و باطن به توبه. آنگاه در مسجد اندر آیم، و مسجد حرام را شاهد کنم و مقام ابراهیم را میان دو ابروی خود نهم و بهشت را بر راست خود دانم و دوزخ را بر چپ خود و صراط را زیر قدم خود، و ملک الموت را از پس پشت خود. آنگاه تکبیری کنم با تعظیم و قیامی به حرمت و قرائتی با هیبت و رکوعی به تواضع و سجودی به تضرع و جلوسی به حلم و وقار و سلامی به شکر.» و بالله العون.

فصل

بدان که نماز عبادتی است که از ابتدا تا انتها، مریدان، راه حق اندر آن یابند و مقاماتشان اندر آن کشف گردد؛ چنانکه توبه مریدان را به جای طهارت بود و تعلق به پیری به جای اصابت قبله و قیام به مجاهدت نفس به جای قیام و ذکر دوام به جای قرائت و تواضع به جای رکوع و معرفة النفس به جای سجود و مقام انس به جای تشهد و تفرید از دنیا و بیرون آمدن از بند مقامات به جای سلام. و از آن بود که چون رسول صلی الله علیه از کل مشارب منقطع شدی اندر محل کمال حیرت، طالب شوقی گشتی و تعلق مشربی کردی، گفتی: «أرْحُنَا يَا بِلَالُ بِالصَّلَاةِ. يَا بِلَالُ مَا رَأَى نَبِيًّا يَبْتَغِي النَّبِيَّ بِالنَّاسِ» یا بلال ما را به نماز و بانگ نماز خرم گردان.

و مشایخ را رضی الله عنهم اندر این سخن است و هر یکی را درجتی. گروهی گویند که: «نماز آلت حضور است.» و گروهی گویند: «آلت غیبت.» گروهی که غایب بودند، اندر نماز حاضر شدند و گروهی که حاضر بودند، اندر نماز غایب شدند؛ چنانکه اندر آن جهان اندر محل رؤیت، گروهانی که خداوند را ببینند غایب باشند حاضر شوند و گروهانی که حاضر باشند غایب شوند.

و من که علی بن عثمان الجلابی ام، می گویم که: نماز امر است نه آلت حضور و نه آلت غیبت؛ از آنچه امر هیچ چیز را آلت نگردهد؛ که علت حضور عین حضور بود و علت غیبت عین غیبت و امر خداوند تعالی را به هیچ سبب تعلق نیست؛ که اگر نماز علت و آلت حضور بودی بایستی تا غایب را حاضر کردی و اگر علت و آلت غیبت بودی غایب به ترک آن حاضر شدی و چون غایب و حاضر را به ترک آن عذر نیست آن خود اندر نفس خود سلطانی است، اندر غیبت و حضور نبسته است.

پس نماز اهل مجاهدت و اهل استقامت بیشترکنند و فرمایند؛ چنانکه مشایخ مریدان را در شبانروزی چهارصد رکعت نماز فرمایندمر عادت تن را بر عبادت؛ و مستقیمان نیز نماز بسیارکنند، مر شکر قبول را در حضرت مانند اینجا ارباب احوال و ایشان بر دوگونه باشند: گروهی آنان که نمازهاشان اندر کمال مشرب به جای مقام جمع بود، بدان مجتمع شوند و گروهی آنان که نمازهاشان اندر انقطاع مشرب به جای مقام تفرقه بود، بدان مفترق شوند. پس آنان که اندر نماز مجتمع باشند، روز و شب اندر نماز باشند و آنان که مفترق باشند بجز فرایض و سنن زیادتی کمترکنند.

و رسول علیه السلام گفت: «جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ.»

روشنایی چشم من اندر نماز نهاده اند؛ یعنی همه راحت من اندر نماز است؛ از آنچه مشرب اهل استقامت اندر نماز بود و آن چنان بود که چون رسول را صلی الله علیه و سلم به معراج بردند و به محل قرب رسانیدند، نفسش از کون گسسته شد. بدان درجه رسید که دلش بود. نفس به درجه دل رسید و دل به درجه جان، و جان به محل سر و سر از درجات فانی گشت و از مقامات محو شد و از نشانیها بی نشان ماند و اندر مشاهدت از مشاهدت غایب شد و از مغایبه برمید. شرب انسانی متلاشی شد. مادت نفسانی بسوخت. قوت طبیعی نیست گشت. شواهد

ربانی اندر ولایت خود. از خود به خود نماند، معنی به معنی رسید، و اندر کشف لم یزل محو شد بی اختیار خود تشوقی اختیار کرد، گفت: «بارخدا یا، مرا بدان سرای بلا باز مبر و اندر بند طبع و هوی مکن.» فرمان آمد که: «حکم ما چنین است که بازگردی به دنیا مراقامت شرع را، تا ترا اینجا آنچه بداده‌ایم آنجا هم بدهیم.» چون به دنیا باز آمد، هرگاه که دلش مشتاق آن مقام معلا و معالی گشتی، گفتی: «أرْحٰنَا يَا بِلَالُ، بِالصَّلٰوةِ.» پس هر نمازی وی را معراجی بودی و قربتی. خلق ورا اندر نماز دیدی، جان وی اندر نماز بودی و دلش اندر نیاز و سرش اندر پرواز و نفسش اندر گداز؛ تا قره عین وی نماز شدی، تنش اندر ملک بودی، جان اندر ملکوت. تنش انسی بود و جانش اندر محل اُنس.

و سهل بن عبدالله گوید، رضی الله عنه: «عَلَامَةُ الصَّادِقِ أَنْ يَكُونَ لَهُ تَابِعٌ مِنَ الْجَنِّ إِذَا دَخَلَ وَقْتُ الصَّلٰوةِ يَحْتُهُ عَلَيْهَا وَيُنْبَهُهُ إِنْ كَانَ نَائِمًا.»

صادق آن بود که خداوند عزّ و جلّ فریسته‌ای را بر وی گماشته بود، که چون وقت نماز آید بنده را برگزارد نماز حث کند و اگر خفته باشد بیدارگرداندش و این اندر سهل عبدالله رضی الله عنه ظاهر بود؛ از آنچه از پیری زَمَن گشته بود. چون وقت نماز بودی تندرست گشتی. چون نماز بکردی بر جای بماندی.

یکی گوید از مشایخ، رضی الله عنه: «يَحْتَاجُ الْمُصَلِّي إِلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءٍ: فَنَاءِ النَّفْسِ، وَ ذَهَابِ الطَّعْنِ، وَ صَفَاءِ السَّرِّ وَ كَمَالِ الْمُشَاهَدَةِ.»

نمازکننده را از فنای نفس چاره نیست و آن جز به جمع همت نباشد چون همت مجتمع شود ولایت نفس برسد؛ از آنچه وجود وی تفرقه است اندر تحت عبارت جمع نیاید، و ذهاب طبع جز به اثبات جلال نباشد؛ که جلال حق زوال غیر باشد و صفای سر جز به محبت نباشد و کمال مشاهدت جز به صفای سر نه.

همی آید که: حسین بن منصور اندر شبانروزی چهارصد رکعت نماز کردی و بر خود فریضه داشتی. گفتند: «اندر این درجه که تویی چندین رنج از بهر چراست؟» گفت: «این رنج و راحت اندر حال تو نشان کند و دوستان فانی الصغه باشند، نه رنج اندر ایشان نشان کند نه راحت. نگر تا کاهلی را رسیدگی نام نکنی و حرص را طلب نه.»

یکی گفت: من از پس ذوالنون نماز می کردم چون ابتدای تکبیر کرد و گفت: «اللَّهُ أَكْبَرُ»، بیهوش بیفتاد؛ چون جسدی که اندر او حس نباشد.

و جنید رضی الله عنه چون پیر شد، هیچ ورد از اوراد جوانی ضایع نکرد. وی را گفتند: «إِيَّهَا الشَّيْخُ، ضَعِيفَ كَشْتِي بَعْضِي مِنْ نَوَافِلِ دَسْتِ بَدَارِ.» گفت: «این چیزهایی است که اندر بدایت هرچه یافته‌ام بدین یافته‌ام بعد از قضای خدای، محال باشد که دست از این بدارم اندر نهایت.»

و معروف است که ملائکه پیوسته اندر طاعت اند و عبادت. مشربشان از طاعت است و غذاشان از عبادت؛ از آنچه روحانی اند و نفسشان نیست و زاجر و مانع بنده از طاعت خدای، نفس بد فرمای بود هر چند که وی مقهورتر می شود طریق بندگی کردن سهل تر می شود و چون نفس فانی شود غذا و مشرب او عبادت گردد؛ چنانکه از آن ملایکه، اگر فنای نفس درست آید.

و عبدالله مبارک گوید: من زنی دیدم از متعبدات که اندر نماز، کژدم وی را چهل بار بزد و هیچ تغیر اندر وی پدیدار نیامد. چون از نماز فارغ شد، گفتمش: «ای مادر، چرا آن کژدم از خود دفع نکردی؟» گفت: «ای پسر، تو کودکی، چگونه روا باشد که من اندر میان کار حق، کار خود کنم؟»

و ابوالخیر اقطع را آکله اندر پای افتاده بود. اطبا گفتند که: «این پای را بیاورد برید.» وی بدان رضا نداد. مریدان گفتند که: «اندر نماز پای وی بیاورد برید، او خود خبر ندارد.» چنان کردند. چون از نماز فارغ شد پای بریده

دید.

و از ابوبکر صدیق رضی الله عنه می‌آید که: چون نماز شب کردی قرائت نرم خواندی و عمر رضی الله عنه بلند خواندی. پیغمبر صلی الله علیه گفت: «یا بابکر، چرا می‌نرم خوانی؟» گفت: «يَسْمَعُ مَنْ أَنَا جِي. می‌شنود آن که می‌خوانمش، اگر نرم خوانم یا بلند.» و عمر را گفت: «چرا بلند خوانی؟» گفت: «أَوْقِظُ الْوَسْطَانَ وَأَطْرُدُ الشَّيْطَانَ. بیدارکنم خفته را و برانم دیو را.» رسول علیه السلام گفت: «بر تو باد، یا ابابکر، که بلندتر خوانی»، و عمر را گفت: «تو نرم تر خوان»، و مر ترک عادت را.

پس بعضی از این طایفه فرایض آشکارا کنند و نوافل اندر نهران و بدان آن خواهند تا از ریا رسته باشند؛ که چون کسی اندر معاملت ریا برزد خلق بدو مُرّائی گردند و گویند: «اگر چه ما معاملت نبینیم، خلق ببینند و آن هم ریا بود.» و گروهی دیگر فرایض و نوافل آشکارا کنند، گویند: «ریا باطل است و طاعت صحیح و حق، محال باشد که از برای باطلی را حقی نهران کنیم. پس ریا از دل بیرون باید کرد و عبادت هر جا که خواهی می‌کرد.» و مشایخ رضی الله عنهم حق آداب آن نگاه داشته‌اند و مریدان را بدان فرموده‌اند یکی می‌گوید از ایشان که: «چهل سال سفر کردم. هیچ نماز از جماعت خالی نبود و هر آدینه به قصبه‌ای بودم.» و احکام این بیش از آن است که حصر توان کرد. آنچه به نماز پیوندد از مقامات، محبت بود. کنون من احکام آن بیارم، ان شاء الله، تعالی.

باب المحبة و ما يتعلق بها

قوله، تعالی: «يا ايها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه (٥٣/ المائدة).» و نیز گفت، عزّ و جلّ: «ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله (١٦٥/ البقره).» و پیغمبر علیه السلام گفت که: از جبرئیل شنیدم که گفت که: خداوند عزّ و جلّ گفت: «من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة و ما ترددت في شيء كترددت في قبض نفس عبدی المؤمن يكره الموت و اكره مساءته و لا بد له منه و ما تقرب إلى عبدی بشيء أحب إلى من أداء ما افترضت عليه و لا يزال عبدی يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فاذا أحببته كنت له سمعاً و بصراً و يداً و مؤيداً.» و نیز گفت، علیه السلام: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.» و قوله، علیه السلام: «إذا أحب الله العبد، قال لجبرئيل: يا جبرئيل، اني أحب فلاناً فأحبه، فيحبه جبرئيل، ثم يقول جبرئيل لأهل السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبه، فيحبه أهل السماء. ثم يضع له القبول في الأرض فيحبه أهل الأرض، و في البغض مثل ذلك.»

بدان که محبت خداوند تعالی مر بنده را و محبت بنده مر خداوند تعالی را درست است و کتاب و سنت بدین ناطق و امت بر این مجتمع و خداوند سبحانه و تعالی به صفتی است که دوستان و را دوست دارند و وی دوستان خود را دوست دارد.

و به معنی لغت گویند: محبت مأخوذ است از «حبه» به کسر حاء و آن تخمهایی بود که اندر صحرا بر زمین افتد. پس حُبّ را حُبّ نام کردند از آن که اصل حیات اندر آن است چنانکه اصل نبات اندر حِبّ؛ چنانکه آن تخم اندر صحرا بریزد و اندر خاک پنهان شود و بارانها بر آن می‌آید و آفتابها بر آن می‌تابد و سرما و گرما بر آن می‌گذرد و آن تخم به تغیر از منته متغیر نمی‌گردد محبت نیز اندر دل به تغیر محتتهای الوان متغیر نگردد؛ کما قال الشاعر:

يَا مَنْ سَقَامُ جُفُونِهِ لِسَقَامِ عَاشِقِهِ طَيْبُ
حُزْتُ الْمَوْدَّةِ فَاسْتَوَى عِنْدِي حُزُّورُكُ وَالْمَغِيبُ

و نیز می‌گویند: مأخوذ است از «حُب» ی که اندر وی آب بسیار باشد و آن پرگشته باشد و چشمها را اندر آن مساعی نباشد و باز دارنده آن شده باشد همچنین دوستی چون اندر دل طالب مجتمع شود و دل وی را ممتلی گرداند بجز حدیث دوست را اندر دل وی جای نماند؛ چنانکه چون خداوند سبحانه و تعالی مرخلیل را به خَلَّتْ مَكْرَمَ گردانید، و وی علیه السَّلام بجز از حدیث حق مجرد شد عالم حجاب وی شدند، وی در آن دوستی دشمن حُجْبُ گشت. آنگاه ما را خبر داد؛ قوله تعالی: «فَانَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ (۷۷/الشُّعْرَاء)».

و اندر این معنی شبلی گوید، رحمة الله علیه: «سَمِيَتِ الْمَحَبَّةُ مَحَبَّةً لِأَنَّهَا تُمَحُّو مِنَ الْقَلْبِ مَا سِوَى الْمَحْبُوبِ». و نیز گویند: «حُب» نام آن چهارچوب باشد در هم ساخته که کوزه آب بر آن نهند. پس حُب را بدان معنی حب خوانند که محب، عزوڈل و رنج و راحت و بلا و جفای دوست تحمل کند و آن بر وی گران نباشد؛ از آن که کارش آن بود؛ چنانکه کار آن چوبها و ترکیب و خلقتش مر آن را بود. و اندر این معنی گوید:

إِنْ شِئْتَ جُودِي وَ انْ مَا شِئْتَ فَاْمْتَبِعِي كَلَاهُمَا مِنْكَ مَنْسُوبٌ إِلَى الْكُرْمِ

و نیز گویند که: مأخوذ است از «حَب» و آن جمع حَبَّة دل بود و حَبَّة دل محل لطیفه و قوام آن باشد که اقامت آن بدان بود. پس محبت را حُب نام کردند به اسم محل آن، که قرارش اندر حَبَّة دل است و عرب نام کنند چیزی را به اسم موضع آن.

و نیز گویند: مأخوذ است از «حَبَابُ الْمَاءِ» و غَلْيَانُهُ عِنْدَ الْمَطَرِ الشَّدِيدِ، آن غلیان آبی بود اندر حال بارانی عظیم. پس محبت را حب نام کردند؛ «لَأَنَّهُ غَلْيَانُ الْقَلْبِ عِنْدَ الْإِشْتِيَاقِ إِلَى لِقَاءِ الْمَحْبُوبِ». پیوسته دل دوست اندر اشتیاق رؤیت دوست مضطرب باشد و بی قرار؛ چنانکه اجسام به ارواح مشتاق چگونه باشند، دلهاى محبان به لقای احباب مشتاق باشند و چنانکه قیام جسم به روح بود، قیام دل به محبت بود و قیام محبت به رؤیت و وصل محبوب بود. فی معناه:

إِذَا مَا تَمَنَّى النَّاسُ رَوْحاً وَ رَاحَةً تَمَنَيْتُ أَنْ أَلْقَاكَ يَا عَزَّ خَالِيَا

و نیز گویند که: «حُب» اسمی است مر صفای مودت را موضوع؛ از آنچه عرب مر صفای بیاض انسان چشم را «حَبَّة الانسان» خوانند (!)، چنان که صفای سویدای دل را «حَبَّة القلب». پس این یکی محل محبت آمد و آن یکی محل رؤیت از آن معنی را که دل و دیده اندر دوستی مقارن بودند.

و اندر این معنی گوید:

الْقَلْبُ يَحْسُدُ عَيْنِي لَذَّةِ النَّظَرِ وَ الْعَيْنُ تَحْسُدُ قَلْبِي لَذَّةِ الْفِكْرِ

فصل

بدان که محبت اندر استعمال علما بر وجوه است: یکی به معنی ارادت به محبوب بی سکون نفس و میل و هوی و تمنای قلب و استیناس و تعلق این جمله بر قدیم روا نباشد و این جمله مخلوقان را باشد با یکدیگر و اجناس را و خداوند تعالی متعالی است از این جمله، غلواً کبیراً و دیگر به معنی احسان باشد و تخصیص بنده که ورا برگزیند و به درجه کمال ولایت رساند و به گونه گونه کرامتها مخصوص گرداند و سدیگر به معنای ثنای جمیل باشد بر بنده.

و گروهی از متکلمان گویند که: محبت حق که ما را خبر داده است از جمله صفات سمعی است، همچون وجه و ید و استواء، که اگر کتاب و سنت بدان ناطق نبودی وجود آن مر حق تعالی را از روی عقل مستحیل بودی. پس

آن را اثبات کنیم و بدان بگرویم اما اندر تصرف کردن آن توقف کنیم و مراد این طایفه آن است که روا ندارند به اطلاق این لفظ مر حق تعالی را. این جمله اقاویل است که یاد کردیم و مر ترا حقیقت این بیان کنم، ان شاء الله.

کِيفِيَّةُ الْمَحَبَّةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَوْلِيَائِهِ وَ مِنْ أَوْلِيَائِهِ إِلَى حَضْرَتِهِ

بدان که محبت حق تعالی مر بنده را ارادت خیر بود و رحمت کردن بر وی و محبت اسمی است از اسامی ارادت چون رضا و سخط و رأفت، و آنچه بدین ماند. حمل این اسامی جز به ارادت حق تعالی نشاید کرد و آن یک صفت است او را قدیم که بدان خواهان است مر افعال خود را. پس اندر حکم مبالغت و اظهار فعل از این بعضی اخص بعضی است.

و فی الجملة محبت خداوند تعالی مر بنده را آن است که: با وی نعمت بسیار کند و وی را اندر دنیا و عقبی ثواب دهد و از محل عقوبت ایمن گرداند و وی را از معصیت معصوم دارد و احوال رفیع و مقامات سنی وی را کرامت کند و سرش را از التفات به اغیار بگسلاند و عنایت ازلی را بدو پیونداند؛ تا از کل مجرد شود و مر طلب رضای وی را مفرد گردد و چون حق تعالی بنده‌ای را بدین معانی مخصوص گرداند آن تخصیص ارادت وی را محبت نام کنند و این مذهب حارث محاسبی و جنید و جماعتی از مشایخ است، و فقهای فریقین و متکلمان سنت بیشتر هم بر این اند. رضوانُ الله علیهم اجمعین.

و آن که گوید: «محبت حق تعالی به معنای ثنای جمیل است بر بنده»، ثنای وی کلام وی بود و کلامش نامخلوق است و آن که گوید: «به معنی احسان است»، احسان وی فعل وی بود به حکم معنی متقارب است این اقاویل و حکم جمله موجود.

اما محبت بنده مر خداوند را صفتی است که اندر دل مؤمن مطیع پدیدار آید، به معنی تعظیم و تکبیر؛ تا رضای محبوب را طلب کند و اندر طلب رؤیت وی بی صبر گردد و اندر آرزوی قربت وی بی قرار گردد و بدون وی با کس قرار نیابد و خو با ذکر وی کند و از دون ذکر وی تبرا کند و آرام بر وی حرام شود. قرار از وی نفور گردد و از جمله مألوفات و مستأنسات منقطع گردد و از هواها اعراض کند. به سلطان دوستی اقبال کند و مر حکم او را گردن نهد و به نُعوت کمال مر حق را تعالی و تقدس بشناسد.

و روا نباشد که محبت حق مر بنده را از جنس محبت خلق باشد یکدیگر را؛ که آن میل باشد به احاطت و ادراک محبوب و این حکم صفت اجسام بود. پس محبان حق تعالی مستهلکان قرب وی اند نه طالبان کیفیت وی؛ که طالب به خود قایم بود اندر دوستی و مستهلک به محبوب قایم بود و درست‌ترین کسان در معرکه گاه محبت مستهلکان اند و مقهوران؛ از آنچه محدث را به قدیم جز به قهر قدیم توسل نباشد و هرکه تحقیق محبت را معلوم کند ابهام برخیزد و شبهت نماند.

و محبت بر دو گونه باشد: یکی محبت جنس به جنس و آن میل و توطین نفس باشد و طلب ذات محبوب از راه مماس و ملازقت و دیگر محبت جنس نه با جنس و این طلب قرار کند با صفتی از اوصاف محبوب که با آن بیارامد و انس گیرد چون شنیدن کلام و یا دیدار.

و گرویدگان اندر محبت بر دو قسمت اند: یکی آن که انعام حق با خود بینند و رؤیت انعام و احسان، محبت منعم و محسن تقاضا کند و دیگر آن که کل انعام را از غلبه دوستی اندر محل حجاب نهند و راهشان از رؤیت نعم به منعم بود و این عالی تر است. والله اعلم.

فصل

در جمله محبت اندر میان همه اصناف خلق معروف است، و به همه زبانها مشهور و به همه لغتها متداول و هیچ صنف از عقلا مر آن را بر خود بنتوانند پوشید.

و از مشایخ این طایفه سَمْنون المحب رضی الله عنه اندر محبت مذهبی و مشربی دارد مخصوص و گوید که: «محبت اصل و قاعده راه حق تعالی است و احوال و مقامات نازلاند و اندر هر محل که طالب اندر آن باشد

زوال بر آن روا باشد، الا در محل محبت و به هیچ حالی زوال بر آن روا نباشد مادام تا راه موجود بود.»

و مشایخ دیگر جمله اندر این معنی با وی موافقت کردند؛ اما به حکم آن که این اسمی عام بود ظاهر، خواستند که حکم این اندر میان خلق بپوشند و اسم را مبدل کنند اندر تحقیق وجود معنی آن، صفای محبت را صفوت نام کردند و محب را صوفی خواندند و گروهی مر ترک اختیار محب را اندر اثبات اختیار حبیب فقر خواندند و

محب را فقیر نام کردند؛ از آنچه کمترین درجه اندر محبت موافقت است و موافقت حبیب غیرمخالفت بود.

و من اندر ابتدای کتاب حکم فقر و صفوت را کشف کرده‌ام و اندر این معنی آن پیر بزرگوار گوید: «الحبُّ عندَ الزُّهادِ أَظْهَرُ مِنَ الاجْتِهَادِ، حَبٌّ بِه نَزْدِیْکَ زَهَادٌ ظَاهِرٌ تَرْتِزُ اجْتِهَادَکَ بِه مَعْرُوفِی وَ عِنْدَ التَّائِبِیْنَ أَوْجَدُ مِنْ حَنْبِیْنَ وَ أُنِیْنَ، وَ بِه نَزْدِیْکَ تَأْیِیَانُ آسَانِ یَابِ تَرْتِزُ نَالَه وَ فَعَانِ اسْت. وَ عِنْدَ الْأَتْرَاکِ أَشْهَرُ مِنَ الْفِتْرَاکِ، وَ بِه نَزْدِیْکَ تَرْتِکَانَ مَشْهُورٌ تَرْتِزُ آلتِ سَوَارِیْ اِیْشَانِ وَ سَبَبِ الْحُبِّ عِنْدَ الْهِنُودِ أَظْهَرُ مِنْ سَبَبِ مَحْمُودِ وَ زَخْمِ وَ لَهَبِ مَحَبَّتِ بِه نَزْدِیْکَ هِنْدَوَانَ اِنْدِر شَهْرَکِیْ چُون زَخْمِ مَحْمُودِ اسْت اِنْدِر هِنْدُوسْتَانَ. وَ قِصَّةُ الْحُبِّ وَ الْحَبِیْبِ عِنْدَ الرُّومِ أَشْهَرُ مِنْ الصَّلِیْبِ وَ قِصَّةُ حَبِّ وَ حَبِیْبِ اِنْدِر رُومِ ظَاهِرٌ تَرْتِزُ اسْت اِز صَلِیْبِ. وَ فِی الْعَرَبِ فِی کُلِّ حَیٍّ مِنْهُ طَرِبٌ وَ وِیْلٌ وَ حَزْنٌ، وَ اِز مَحَبَّتِ اِنْدِر عَرَبِ اِنْدِر هَر حَبِیِّ طَرِبِیْ اسْت وَ یَا حَزْنِیْ وَ یَا نِیْلِیْ وَ یَا وِیْلِیْ.»

و مراد از این جمله آن است که هیچ جنس مردم نیست که وی را اندر غیب کاری افتاده نیست که نه اندر دل از محبت فرحی دارد و یا دلش به شراب آن مست است و یا از قهر آن مخمور مانده؛ از آنچه ترکیب دل از انزعاج و اضطراب است و بجز عقد دوستی اندر آن به جای سراب است و دل را محبت چون طعام و شراب است و هر دل که از آن خالی است آن دل خراب است و تکلف را به دفع و جلب آن راه نیست و نفس از لطایف آنچه بر دل گذرد آگاه نیست.

و عمرو بن عثمان المکی گوید رحمة الله علیه اندر کتاب محبت که: خداوند تعالی دلها را پیش از تنها بیافرید و به هفت هزار سال و اندر مقام قرب بداشت؛ و جانها را پیش از دلها بیافرید به هفت هزار سال و اندر روضه انس بداشت؛ و سرها را پیش از جانها بیافرید به هفت هزار سال و اندر درجه وصل بداشت؛ و هر روز سیصد و شصت بار به کشف جمال بر سر تجلی کرد و سیصد و شصت نظر کرامت کرد و کلمه محبت مر جان را بشنوانید و سیصد و شصت لطیفه انس بر دل ظاهر کرد؛ تا بجمله اندر کون نگاه کردند از خود گرامی تر کسی ندیدند. زهوی و فرحی اندر میان ایشان پدیدار آمد. حق جل جلاله بدان مر ایشان را امتحان کرد سر را اندر جان به زندان کرد و جان را اندر دل محبوس کرد و دل را اندر تن باز داشت. آنگاه عقل را اندر ایشان مرکب گردانید و انبیاء صلوات الله علیهم بفرستاد و فرمانها داد. آنگاه هرکسی از اهل آن مر مقام خود را جویان شدند. حق تعالی نماز بفرمودشان؛ تا تن اندر نماز شد دل به محبت پیوست جان به قربت رسید سر به وصلت قرار گرفت.

و در جمله عبارت از محبت نه محبت بود؛ از آنچه محبت حال است و حال هرگز قال نباشد. و اگر عالمی خواهند که محبت را جلب کنند نتوانند کرد و اگر تکلف کنند تا دفع کنند نتوانند کرد؛ که آن از مواهب است نه از مکاسب و اگر همه عالم مجتمع شوند تا محبت را جلب کنند به کسی که طالب آن بود نتوانند و اگر خواهند تا دفع کنند از کسی که اهل آن بود نتوانند کرد و عاجز شوند؛ که آن الهی است و آدمی لاهی و لاهی الهی را

ادراک نتواند کرد. والسّلام.

فصل

اما اندر عشق مشایخ را سخن بسیار است:

گروهی از آن طایفه آن بر حق روا داشتند، اما از حق تعالی روا نباشد و گفتند که: «عشق صفت منع باشد از محبوب خود و بنده ممنوع است از حق و حق تعالی ممنوع نیست پس عشق بنده را بر وی جایز بود و از وی روا نباشد.»

و باز گروهی گفتند که: «بر حق تعالی بنده را عشق روا نباشد؛ از آنچه عشق تجاوز حد بود و خداوند تعالی محدود نیست.»

و باز متأخران گفتند: «عشق اندر دو جهان درست نیاید الا بر طلب ادراک ذات و ذات حق تعالی مُدرک نیست و محبت با صفت درست آید باید که عشق درست نیاید بر وی.»

و نیز گویند که: عشق جز به معاینه صورت نگیرد و محبت به سمع روا باشد. چون آن نظری بود بر حق روا نباشد؛ که اندر دنیا کس وی را نبیند. چون این خبری بود هر یک دعوی کردند که اندر خطاب همه یکسان اند پس حق تعالی به ذات مدرک و محسوس نیست تا خلق را با وی عشق درست آید و به صفات و افعال محسن و مکرم، اولیا را محبت درست آید ندیدی که چون یعقوب را محبت یوسف علیه السّلام مستغرق گردانید در حال فراق چون بوی پیراهن به دماغش رسید چشم نابینا بینا شد. و چون زلیخا را عشق مستهلک گردانید، تا وصلت وی نیافت چشم باز نیافت و این طریقی پس عجب است که یکی هوی پرورد و یکی هوی گذارد.

و نیز گفته اند که: «عشق را ضد نیست و حق تعالی را ضد نیست تا بر وی آن روا باشد.»
و اندر این، فصول لطیف آید اما مر خوف تطویل را بر این مقدار کفایت کردم و هواعلم.

فصل

و مشایخ این طایفه را اندر تحقیق دوستی رموز بیش از آن است که مر آن را احصا توان کرد و من لختی از گفته های ایشان بیارم تا وجه تبرک به جای آورده باشم.

استاد ابوالقاسم قشیری رحمه الله علیه گوید: «المحبةُ مَحْوُ الْمُحِبِّ بِصِفَاتِهِ وَإِثْبَاتُ الْمَحْبُوبِ بِذَاتِهِ.»
محبت آن بود که محب کل اوصاف خود را اندر حق طلب محبوب خود نفی کند مر اثبات ذات حق را؛ یعنی چون محبوب باقی بود محب فانی باید؛ که غیرت دوستی بقای محب را نفی کند تا ولایت مطلق وی را گردد و فنای صفت محب جز به اثبات ذات محبوب نباشد و روا نباشد که محب به صفت خود قایم بود؛ که اگر به صفت خود قایم بودی از جمال محبوب بی نیاز بودی. چون می دانند که حیاتش به جمال محبوب است طالب نفس اوصاف خود باشد بضرورت؛ از آنچه معلوم وی است که با بقای صفت خود از محبوب محبوب است. پس از دوستی دوست دشمن خود گشته است.

و معروف است که چون حسین بن منصور را رحمه اللّٰه بهر دار کردند آخرین سخنان وی این بود: «حَسْبُ الْوَاحِدِ إِفْرَادُ الْوَاحِدِ لَهُ.»

و محب را آن بسنده باشد که هستی او از راه دوستی پاک گردد و ولایت نفس اندر وجد وی برسد و متلاشی شود.

ابویزید رحمه الله علیه گوید: «المحبةُ اسْتِقْلَالُ الْكَثِيرِ مِنْ نَفْسِكَ وَ اسْتِكْثَارُ الْقَلِيلِ مِنْ حَبِيبِكَ.»
محبت آن بود که بسیار خود اندک دانی و اندک دوست بسیار دانی و این معاملت حق است بر بنده؛ که نعمت

دنیا و آنچه در دنیا داده است به بنده، اندک خواند و گفت: «قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ (۷۷/النساء)». بگویی یا محمد که: متاع دنیا اندک است آنچه به شما داده‌ام.» آنگاه اندر این عمر اندک و متاع اندک و جای اندک مر ذکر اندک ایشان را بسیار خواند؛ قوله، تعالی: «وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ (۳۵/الأحزاب)»؛ تا خلق عالم بدانند که دوست بر حقیقت خدای است جل جلاله و این صفت مر خلق را درست نیاید و آنچه از حق است به بنده هیچ اندک نیست.

سهل بن عبدالله گوید، رضی الله عنه: الْمَحَبَّةُ مُعَانَقَةُ الطَّاعَاتِ وَ مَبَايِنَةُ الْمَخَالَفَاتِ. «معیت آن است که با طاعات محبوب دست در آغوش کنی و از مخالفت وی اعراض کنی؛ از آنچه هرگاه که دوستی اندر دل قوی‌تر بود فرمان دوست بر دوست آسان‌تر بود. و این رد آن گروه است از ملاحظه که گویند: «بنده اندر دوستی به درجتی رسد که طاعت از وی برخیزد.» و این محال بود که اندر حال صحت عقل حکم تکلیف از بنده ساقط شود؛ از آنچه اجماع است که شریعت محمد مصطفی صلی الله علیه و سلم هرگز منسوخ نشود، و چون از یک کس روا باشد برخاستن آن در حال صحت از همه کس روا باشد؛ و این زندقه محض باشد و باز مغلوب و معتوه را حکمی دیگر است و عذری دیگر.

اما روا باشد که بنده را خداوند تعالی اندر دوستی خود به درجتی رساند که رنج گزاردن طاعت از وی برخیزد؛ از آنچه رنج امر بر مقدار محبت امر صورت گیرد. هر چند که محبت قوی‌تر بود رنج طاعت سهل‌تر بود. و این ظاهر است اندر حال پیغمبر صلی الله علیه که چون از حق بدو قسم آمد «لَعَمْرُكَ (۷۲/الحجر)»، وی چندان عبادت کرد به شب و روز که از همه کارها بازماند و پایهای مبارک وی بیاماسید؛ تا خداوند تعالی گفت: «طه ما أنزلنا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِيَتَشَفَى (۲۱/طه)». و نیز روا بود که اندر حال گزاردن فرمان رؤیت طاعت از بنده برخیزد؛ کما كانَ لِلنَّبِيِّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَإِنَّهُ لَيَعَانُ عَلَيَّ قَلْبِي حَتَّى كُنْتُ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً». هر روزی هفتاد بار من بر کردار خویش استغفار کنم؛ از آنچه به خود و به کردار خود می‌نگریست تا معجب شدم. به طاعت خود از تعظیم امر حق می‌نگریست و می‌گفت: «طاعت من سزای وی نیست.»

سَمْنُونِ مَحَبَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غَوِيْدُ: «ذَهَبَ الْمُحِبُّونَ لِلَّهِ بِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ.»

دوستان خدای تعالی اندر شرف دنیا و آخرت اند؛ از آنچه پیغمبر می‌گوید صلی الله علیه که: مرد با آن کس باشد که او را دوست گیرد. پس ایشان در دنیا و عقبی با حق باشند و خطا روا نباشد با آن که با وی بود. پس شرف دنیا آن بود که حق با ایشان است، و شرف عقبی آن که ایشان با حق باشند.

و یحیی بن مُعَاذِ الرَّازِي رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ غَوِيْدُ: «حَقِيقَةُ الْمَحَبَّةِ مَا لَا يَنْقُصُ بِالْجَفَاءِ وَلَا يَزِيدُ بِالْبَرِّ وَالْعَطَاءِ.» محبت به جفا کم نشود و به بر و عطا زیادت نگردهد؛ از آنچه این هر دو اندر محبت سبب‌اند و اسباب اندر حال عیان متلاشی بود و دوست را بلای دوست خوش باشد و وفا و جفا اندر تحقیق محبت متساوی بود؛ چون محبت حاصل بود وفا چون جفا باشد و جفا چون وفا.

و اندر حکایات معروف است که: شبلی را به تهمت جنون اندر بیمارستان بازداشتند. گروهی به زیارت وی آمدند پرسید: «مَنْ أَنْتُمْ؟» قالوا: «أَحِبَّاؤُكَ». سنگ اندر ایشان انداختن گرفت. جمله به‌زیمت شدند. گفت: «لَوْ كُنْتُمْ أَحِبَّائِي لِمَا فَرَرْتُمْ مِنْ بَلَائِي؟ فَاصْبِرُوا عَلَيَّ بَلَائِي.» اگر دوستان من اید از بلای من چرا می‌گریزید؟ که دوست از بلای دوست نگریزد.

اندر این معنی سخن بسیار اید و من بر این مایه بسنده کردم. و بالله التَّوْفِيقِ.

کشف الحجاب السادس في الزکوة

قوله، تعالى: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ (البقره/۴۳)».

و مانند این آیات و اخبار بسیار است.

و از احکام فرایض ایمان یکی زکات است بر آن کس که واجب شود و اعراض از آن روی نیست اما زکات بر اتمام نعمت واجب شود؛ چون دویست درم که نعمتی تمام بود اندر تحت تصرف کسی باشد به حکم ملک بر وی پنج درم واجب شود؛ و بیست دینار نعمتی بود تمام بعد از گذشتن سال بر آن نیم دینار واجب شود؛ و پنج اشتر نعمتی تمام بود بر آن گوسفندی واجب شود و آنچه بدین مانند از اموال.

اما جاه را نیز زکات بود، چنانکه مال را؛ از آنچه آن نیز نعمتی تمام است؛ كما قال رسول الله، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ عَلَيْكُمْ زَكَاةَ جَاهِكُمْ؛ كَمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ زَكَاةَ مَالِكُمْ.» و أيضاً قوله، عليه السَّلام: «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةً وَ زَكَاةُ الدَّارِ بَيْتُ الضِّيَافَةِ.»

و حقیقت زکوة گزارد شکر نعمت بود هم از آن جنس نعمت و تندرستی نعمتی عظیم است و هر عضوی را زکاتی است و آن آن است که کل اعضای خود را مستغرق خدمت و مشغول عبادت دارد و به هیچ لهُو و لعب نگراید تا حق زکات نعمت گزارده باشد. پس نعمت باطن را نیز زکات باشد و حقیقت آن را احصا نتوان کرد از بسیاری که هست. پس مر آن را نیز زکاتی باید اندر خور آن، و آن عرفان نعمت بود ظاهری و باطنی. و چون بنده بدانست که نعمت حق تعالی بر وی بی کران است، شکر بیکرانه ای مر زکات نعمت بیکرانه را واجب بود.

و در جمله زکات نعمت دنیا به نزدیک این طایفه محمود نباشد؛ از آنچه بخل ناستوده باشد و بخلی تمام باید تا دویست درم را کسی دربند کند و یک سال اندر تحت تصرف خود محبوس کند، آنگاه پنج درم از آن بدهد. و چون کریمان را طریق بذل مال باشد و سیرت سخاوت زکات بر چه مال واجب شود؟

یافتم که یکی از علمای ظاهر بر حکم تجربه مر شبلی را پرسید از زکات که: «چه باید کرد؟» گفت: «چون بخل موجود بود و مال حاصل، از هر دویست درم پنج درم بیاید داد و از هر بیست دینار نیم دینار به مذهب تو؛ اما به مذهب من هیچ چیز ملک نباید کرد تا از مشغله زکات رسته باشی.» گفت: «امام تو اندر این مسأله کیست؟» گفت: «ابابکر الصدیق رضی الله عنه که هر چه داشت بداد. رسول علیه السَّلام وی را گفت: مَا خَلَّفْتَ لِإِيَالِك؟ گفت: اللَّهُ وَرَسُولُهُ.»

و از امیرالمؤمنین علی کرم الله وجهه روایت کنند که اندر قصیده ای چنین گفته است:

فَمَا وَجَبَتْ عَلَيَّ زَكَاةُ مَالٍ وَهَلْ تَجِبُ الزَّكَاةُ عَلَيَّ جَوَادٍ

پس مال کریمان مبذول باشد و خونشان هدر. نه به مال بخیلی کنند و نه بر خون خصومت؛ از آنچه ایشان را ملک نباشد. اما اگر کسی مر جهل را ارتکاب کند و گوید که: «چون مرا مال نیست از علم زکات مستغنی ام.» این محال باشد؛ از آنچه آموختن علم فرض عین است و استغنا نمودن از علم، کفر محض.

و از فتنه های زمانه یکی این است که مدعیان صلاح و فقر به جهل علم را می ترک کنند. وقتی من جماعتی از متصوفه را که مبتدی بودند می عبادت تلقین کردم، جاهلی اندر افتاد و من باب «صدقة الابل» می گفتم و حکم «بنت لبون» و «بنت مخاض» و «حقیقه» را می ظاهر کردم. آن مرتکب جهل را دل از آن مسأله تنگ شد برخاست و گفت: «مرا اشتر نیست تا علم بنت لبون به کار آیدم.» گفتم: «ای هذا! همچندان که مر دادن زکات را علم باید، ستن آن را نیز بیاید. اگر کسی بنت لبونی به تو دهد و بستانی آنگه به ترک علم بنت لبون هم نباشد گفت. و اگر کسی را مال نباشد و بایست مال هم نباشد، هم فرض علم از وی بنیافتد.» فنعود بالله من الجهل.

فصل

و از مشایخ متصوّفه بوده‌اند که زکات بسته‌اند، و کس بوده است که نسته است؛ از آنچه فقرشان به اختیار بوده است نسته‌اند که: «چون مال جمع نکنیم تا زکات نباید داد از ارباب دنیا هم نستائیم تا یدشان علیا نباشد و از آن ما سُفلی.» و آن که اندر فقر مضطر بوده‌اند بسته‌اند نه مر بایست خود راه، بل آن خواسته‌اند تا فریضه‌ای از گردن برادر مسلمانی بردارند. چون نیست این بود ید علیا این بود نه آن اگر دست دهنده علیا بودی و دست ستاننده سفلی باطل بودی؛ لقله، تعالی: «وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ (۱۰۴/التَّوْبَةِ)»، و بایستی تا زکات دهنده فاضل تر بودی از ستاننده و این اعتقاد عین ضلالت بود. پس ید علیا آن باشد که چیزی به حکم و جوب آن از برادر مسلمان بستاند تا بار آن از گردن آن کس بردارد و درویشان دنیایی نی‌اند که ایشان عقبایی‌اند.

اگر عقبایی بار دنیا از گردن دنیایی برنگیرد حکم فریضه بر وی لازم آید و به قیامت بدان مأخوذ گردد. پس حق تعالی مر عقبایی را به بایستکی سهل امتحان کرد تا دنیائیان بدان بار فریضه را بتوانستند گزارد، و لامحاله ید علیا ید فقرا باشد که بر موافقت حق ستاننده است؛ از آن که حق خدای بر وی واجب بود و اگر ید ستاننده سفلی بودی چنانکه گروهی از اهل حشو می‌گویند ید پیغمبران بایستی که سفلی بودی؛ که ایشان حق خدای می بستانند و بر غلط‌اند و می ندانند که به امر سته‌اند و از پس پیغمبران ائمه دین هم بر این بوده‌اند که حق بیت المال می بسته‌اند. و بر غلط است که آن ید سفلی ستاننده را گوید و خیر ید دهنده داند و این هر دو اصلی قوی است اندر تصوّف و مضمون این محل به باب الجود و السّخاء بود و من طرفی بدین پیوندم ان شاء الله. و حسبنا الله و نعم الرفیق.

باب الجود و السّخاء

قله، علیه السلام: «السّخِيُّ قَرِيبٌ مِّنَ اللَّهِ، قَرِيبٌ مِّنَ الْجَنَّةِ، بَعِيدٌ مِّنَ النَّارِ. وَ الْبَخِيلُ بَعِيدٌ مِّنَ اللَّهِ، بَعِيدٌ مِّنَ الْجَنَّةِ، قَرِيبٌ مِّنَ النَّارِ.»

و به نزدیک علما جود و سخا هر دو به یک معنی باشند اندر صفات خلق، اما مر حق تعالی را جواد خوانند و سخی نخوانند مر عدم توقیف را؛ که وی خود را بدین نام نخوانده است. و از رسول صلی الله علیه و سلم خبری نیز نیامده است و به اجماع اهل سنت روا نیست که کسی مر خداوند تعالی را نامی نهد بر مقتضای عقل و لغت تا کتاب و سنت بدان ناطق نباشد؛ چنانکه خداوند تعالی عالم است به اجماع امت و را عالم توان خواند اما عاقل و فقیه نشاید خواند. پس چون این هر سه به یک معنی بود نام عالمی و را اطلاق کردند مر صحت توقیف را و از این دو نام احتراز کردند مر عدم توقیف را. همچنان نام جواد وی را اطلاق کردند مر صحت توقیف را و از سخی احتراز کردند مر عدم توقیف را.

و مردمان فرقی کرده‌اند میان جود و سخا و گفته‌اند: سخی آن بود که اندر جود تمیز کند و آن موصول غرضی و سببی باشد، و این مقام ابتدا بود از جود؛ و جواد آن که تمیز نکند و کردارش بی غرض بود و فعلش بی سبب و این حال دو پیغمبر بود، صلوات الله علیهما: یکی خلیل و دیگر حبیب.

و اندر اخبار صحاح است که ابراهیم خلیل صلوات الله علیه چیزی نخوردی تا مهمانی نیامدی. وقتی سه روز بود تا کسی نیامده بود. گبری بر در سرای وی آمد وی را گفت: «تو چه مردی؟» گفتا: «گبری.» گفت: «برو که مهمانی و کرامت مرا نشایی.» تا از حق تعالی بدو عتاب آمد که: «کسی را که من هفتاد سال بپروردم ترا کرا نکند که گرده‌ای فرا وی دهی؟»

و چون پسر حاتم به نزدیک پیغمبر صلی الله علیه آمد پیغمبر ردای خود برگرفت و اندر زیر وی بگسترانید، و گفت: «اذا أتاكم كريم قوم فأكرموه.»

آن که تمیزکرد دو گرده دریغ داشت و آن که تمیز نکرد طیلسان نبوت بساط کافری گردانید؛ از آنچه مقام ابراهیم سخاوت بود و از آن پیغمبر جود، علیهما السلام. و نیکوترین مذهب اندر این آن است که گفته اند که: «جود متابعت خاطر اول بود و اگر خاطر ثانی مر اول را غلبه کند علامت بخل باشد.» و اهل تحصیل مر آن را بزرگ داشته اند؛ که لامحاله خاطر اول از حق باشد.

و یافتیم که اندر نشابور مردی بازرگان بود که پیوسته به مجلس شیخ بوسعید بودی. روزی شیخ از بهر درویشی چیزی خواست. این مرد گفت: من دیناری داشتم و قراضه‌ای. اول خاطر مرا گفت: دینار بده. و خاطر دیگر گفت: قراضه بده. من قراضه بدادم. چون شیخ فراسر سخن شد، از وی پرسیدم که: «روا باشد که کسی حق را منازعت کند؟» گفت: «تو منازعت کردی، که وی گفت: دینار بده، تو قراضه بدادی.»

و نیز یافتیم که شیخ ابو عبدالله رودباری رحمه الله به خانه بریدی اندر آمد وی حاضر نبود. بفرمود تا متاع خانه وی را به بازار بردند. چون مرد اندر آمد بدان خرم شد به حکم انبساط شیخ؛ اما چیزی نگفت و چون زن اندر آمد آن بدید اندر خانه شد و جامه خود جدا کرد و اندر انداخت و گفت: «این هم از جمله متاع خانه است و همان حکم دارد.» مرد بانگ بر وی زد که: «این تکلف کردی و اختیار.» زن گفت: «ای مرد، آنچه شیخ کرد حق کرد. باید که ما تکلف کنیم تا جود ما نیز پدیدار آید.» مرد گفت: «بلی، ولیکن چون ما شیخ را مسلم کردیم آن از ما عین جود بود.»

و جود اندر صفت ادبی تکلف بود و مجاز و پیوسته مرید باید که ملک و نفس خود را مبذول دارد اندر موافقت امر خداوند و از آن بود که سهل بن عبدالله رضی الله عنه گفتی: «الصَّوْفِيُّ دَمُهُ هَدْرٌ وَ مَلِكُهُ مُبَاحٌ.»

و از شیخ بومسلم فارسی رحمه الله شنیدم که گفت: وقتی من با جماعتی قصد حجاز کردم و اندر نواحی حُلوان گردان راه ما بگرفتند و خرجه‌هایی که داشتیم از ما جدا کردند. ما نیز با ایشان نیاویختیم و فراغ دل ایشان جستیم یکی بود اندر میان ما اضطراب کرد. کردی شمشیر بکشید و قصد کشتن او کرد. ما جمله مر آن کرد را شفاعت کردیم. گفت: «روا نباشد که این کذاب را بگذاریم لامحاله او را بخواهیم کشتن.» ما علت کشتن از وی پرسیدیم. گفت: «از آنچه وی صوفی نیست و اندر صحبت اولیا می خیانت کند این چنین کس نابوده به.» گفتیم: «از برای چرا؟» گفت: «از آنچه کمترین درجه تصوف جود است و او را اندر این خرجه پاره چندین بند است او چگونه صوفی باشد و چندین خصومت با یاران خود می کند؟ ما چندین سال است تا کار شما می کنیم و راه شما می رویم و علایق از شما می قطع کنیم.»

و گویند: عبدالله بن جعفر به منهل گروهی برگذشت. غلامی را دید حبشی که گوسفندان را رعایت می کرد و سگی آمده بود و اندر پیش وی نشسته. وی قرصی بیرون کرد و فرا سگ داد و دیگری و سدیگری. عبدالله پیش رفت و گفت: «ای غلام، قوت تو هر روز چند است؟» گفت: «اینچه دادم.» گفت: «پس چرا همه به سگ دادی؟» گفت: «از آن که وی از راه دور به امیدی آمده است، و این جای سگان نیست. از خود نپسندم که رنج وی ضایع گردانم.» عبدالله را آن خوش آمد مر آن غلام را با آن گوسفندان و آن منهل بخريد و آزاد کرد و گفت: «این گوسفندان و حیاط ترا بخشیدم.» وی بر وی دعا کرد و گوسفندان صدقه کرد و مال سیبل کرد و از آنجا برفت.

مردی به در سرای حسن بن علی رضی الله عنهما آمد و گفت: «ای پسر پیغامبر، مرا چهارصد درم وام است.» حسن فرمود تا چهارصد دینار بدو دادند و گریان اندر خانه شد. گفتند: «چرا می گری، ای فرزند پیغمبر؟»

گفت: «از آنچه اندر تفحص حال این مرد تقصیر کردم تا وی را به دُلّ سؤال آوردم.»
 و ابوسهل صُعلوکی هرگز صدقه بر دست درویش نهاده و چیزی که ببخشیدی هرگز به دست کس ندادی، بر زمین بنهادی تا برداشتندی تا از وی پرسیدند. گفت: «دنیا را آن خطر نیست که اندر دست مسلمانی باید داد تا ید من علیا باشد و از آن وی سفلی.»
 و از پیغمبر علیه السّلام می‌آید که: دو من مشک او را ملک حبشه بفرستاد. وی بیکبار اندر آب کرد و بر خود مالید.
 و از آنس می‌آید که: مردی به نزدیک پیغمبر علیه السّلام آمد و پیغمبر وی را یک وادی میان دو کوه پرگوسفند بخشید چون وی به قوم خود بازگشت، گفت: «یا قوما، مسلمان شوید که محمد عطای کسی می‌بخشد که وی از درویشی نترسد.»
 و هم آنس روایت کند که: پیغمبر را صلی الله علیه و سلم هشتاد هزار درم بیاوردند. برگلی می ریخت تا همه بندها از جای برنخاست. علی رضی الله عنه گوید: «من نگاه کردم اندر آن حال سنگی بر شکم بسته بود از گرسنگی.»
 درویشی را از متأخران سلطان ششصد درم سنگ زر ساو فرستاد که: «این به گرمابه بده.» وی به گرمابه شد. تمام به گرمابه بان داد.
 و پیش از این در باب ایثار اندر مذهب نوریان اندر این معنی کلماتی گفته‌ایم بر این اختصار کردیم. والله اعلم.

کشف الحجاب السّابع فی الصّوم

قوله، تعالی: «یا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ (البقره/۱۸۳)»
 و قال النبی، علیه السّلام: «الصّومُ لی و أنا أُجزی به.»
 روزه از ان من است و به جزای آن من اولی‌ترم؛ از آنچه آن عبادتی سری است به ظاهر هیچ تعلق ندارد و غیر را اندر آن هیچ نصیب نباشد جزای آن بی نهایت است و گفته‌اند که: «دخول بهشت خلق را به رحمت است و درجت به عبادت و خلود به جزای روزه؛ از آنچه خداوند گفت: انا أُجزی به.»
 جنید گفت، رضی عنه: «الصّومُ نصفُ الطّریقه. روزه داشتن نیمی از طریقت است.»
 و دیدم از مشایخ که روزه پیوسته داشته‌اند و دیدم که جز ماه رمضان نداشته‌اند. آن مر التماس اجر را بود و این ترک اختیار را و ریا را و دیدم که روزه داشتندی و کس ندانستی چون طعام پیش آوردندی بخوردی و این موافق تراست مر سنت را.
 و از عایشه و حفصه رضی الله عنهما آمده است: چون پیغمبر نزدیک ایشان درآمد، گفتند: «إِنَّا قَدْ خَبَأْنَا لَكَ حَيْسًا.» قال علیه السّلام: «أَمَا إِنِّي كُنْتُ أُرِيدُ الصّومَ، و لکن قَرَّیبه، سَأَصُومُ صَوْمًا مَكَانَهُ.»
 و دیدم که ایام بیض و عشرهای مبارک بداشتندی و رجب و شعبان و ماه رمضان بداشتندی و دیدم که صوم داود صلوات الله علیه بداشتندی؛ که آن را پیغمبر علیه السّلام گفت: «خَيْرُ الصَّيَامِ»، و آن صوم روزی بود و فطری روزی.
 وقتی من به نزدیک شیخ احمد نجار رحمه الله علیه اندر آمدم طبقی حلوا اندر پیش وی نهاده بود و همی خورد به من اشارت کرد. من، بر حکم عادت کودکی، گفتم: «روزه می‌دارم.» گفت: «چرا؟» گفتم: «بر موافقت فلان کس.» گفت: «خلق را بر خلق موافقت درست نیاید.» من قصد کردم تا روزه بگشایم. گفت: «ای جوان، از موافقت وی تبرا می‌کنی، پس موافقت من هم مکن؛ که من نیز از خلقم، و این هر دو یکی باشد.»
 و حقیقت روزه را امساک باشد و کل طریقت اندر این مضمهر است و کمترین درجه اندر روزه گرسنگی است.

«والجوعُ طعامُ الله في الأرض، گرسنگی طعام خدای است در زمین.» وگرسنگی به همه زبانها ستوده است اندر میان خلق شرعاً و عقلاً. پس وجوب روزه یک ماه باشد بر عاقل بالغ مسلم صحیح مقیم و ابتدای آن از رؤیت هلال رمضان باشد، یا کمال ماه شعبان، و مر هر روز را نیتی صحیح باید و شرطی صادق.

اما امساک را شرایط است: چنانکه حلق را از طعام و شراب نگاه داری، بایدکه چشم را از نظاره حرام و شهوت و گوش را از استماع لهو و غیبت و زبان را از گفتن لغو و آفت، و تن را از متابعت دنیا و مخالفت نگاه داری. آنگاه این روزه بود بر حقیقت؛ کما قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ «إِذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعَكَ وَبَصْرَكَ وَ لِسَانَكَ وَ يَدَكَ»؛ و قوله، عليه السلام: «رُبَّ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَ الْعَطَشُ». بسیار روزه دارا که با پنداشت روزه گرسنه و تشنه بوده است.»

و من که علی بن عثمان الجلابی ام، پیغمبر را صلی الله علیه و سلم به خواب دیدم. گفتم: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوْصِنِي» گفت: «أَحْبِسْ حَوَاسَكَ.»

حواس خویش را اندر حبس کردن تمامی مجاهدت باشد؛ از آنچه کلیت علوم را حصول از این پنج در بود: یکی دیدن و دیگر شنیدن و سدیگر چشیدن، چهارم بوئیدن، پنجم بسودن و این پنج حواس سپاه سالاران علم و عقل اند. چهار را از این محل خصوصیت است و یکی اندر همه اندام شایع. چشم محل بصر و آن کون و لون دیدن است و گوش محل سمع و آن خبر و صوت شنیدن است کام محل ذوق و آن چشیدن است. بینی محل شم و آن بوئیدن است. لمس را خصوصیت نیست که شایع است اندر همه اعضا و آن نرمی و درشتی و گرمی و سردی دانستن است و هیچ چیز نبود که آن معلوم آدمی گردد از علوم که نه حصول آن از این پنج در باشد، مگر بدیهی و الهام حق تعالی و اندر آن آفت روا نباشد.

و اندر هر دری از حواس خمس صفو و کدری است؛ چنانکه عقل و علم و روح را اندر آن مساع و مجال است مر نفس و هوی را نیز مجال است؛ که این آلت مشترک است میان طاعت و معصیت و سعادت و شقاوت. پس ولایت حق اندر سمع و بصر رویت و استماع خیر است و از آن نفس استماع دروغ و نظر شهوت و اندر لمس و ذوق و شم موافقت امر است و متابعت آن، و از آن نفس مخالفت فرمان شریعت. پس باید تا روزه دار این جمله حواس را بندکند از مخالفت تا روزه دار بود.

و روزه از طعام و شراب کارکودکان و پیرزنان بود. روزه از ملجا و مشرب و مهرب باید؛ کما قال الله، تعالی: «تَوَمَا جَعَلْنَاَهُمْ جَسَدًا لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ (۸/الأنبياء)»، و نیزگفت، جل جلاله: «أَفَحَسِبْتُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا (۱۱۵/المؤمنون)». ما مر مطبوع رانیازند طعام گردانیدیم و خلق را برای بازی نیافریدیم. پس امساک از لهو و حرام می باید نه از اکل حلال. عجب دارم از آن که گوید روزه تطوع دارم و فریضه دست بدارد؛ که معصیت ناکردن، فریضه است و روزه پیوسته داشتن سنت. فعوذ بالله من قسوة القلب.

و چون کسی را از معصیت عصمت بود همه احوال وی صوم بود که سهل این عبدالله تستری رضی الله عنه آن روز که از مادر بزاد صایم بود و آن روز که بیرون شد صایم بود. گفتند: «چگونه باشد این؟» گفت: «آن روز که مولود وی بود وقت صبح بود تا نماز شام هیچ شیرنخورد چون از دنیا بیرون شد روزه دار بود.» و این روایت ابوطلحة المالکی آرد رضی الله عنه.

اما اندر روزه وصال نهی آمده است از پیغمبر علیه السلام که چون وی وصال کردی صحابه نیز با وی موافقت کردند. گفت: «شما وصال مکنید. اِنِّي لَسْتُ كَأَحَدِكُمْ، اِنِّي اَبِيْتُ عِنْدَ رَبِّي يُطْعِمُنِي وَ يَسْقِينِي. که من چون شما نیستم مرا هر شب از حق تعالی طعام و شراب آرند.» پس ارباب مجاهدت گفتند که: «این نهی شفتت است نه نهی تحریم» و گروهی گفتند که: «خلاف سنت باشد وصال کردن.» اما بحقیقت وصال خود محال بود؛ از

آنچه چون روز بگذشت شب روزه نباشد و چون عقد روزه به شب نبندد وصال نباشد.

و از سهل بن عبدالله روایت آرند که: هر پانزده روز یک بار طعام خوردی و چون ماه رمضان بودی تا عید هیچ نخوردی و هر شب چهارصد رکعت نماز کردی پس این از امکان طاقت آدمیت بیرون است و جز به مشرب الهی نتوان کرد و آن تأییدی باشد که عین آن غذای وی گردد یکی را غذا طعام دنیا بود و یکی را تأیید مولی.

و درست است از شیخ ابونصر السراج طاووس الفقراء، صاحب لَمَع که وی ماه رمضان به بغداد رسید اندر مسجد شونیزیه وی را خانه‌ای به خلوت بدادند و امامی درویشان بدو تسلیم کردند وی تا عید، اصحابنا را امامی کرد و اندر تراویح پنج ختم بکرد هر شب خادم قرصی بدان در خانه وی اندر دادی. چون روز عید بود، وی رضی الله عنه برفت. خادم نگاه کرد هر سی قرص بجای بود و علی بن بکار روایت کند که: حفص مصیصی را دیدم اندر ماه رمضان که جز پانزدهم روز هیچ نخورد.

و از ابراهیم ادهم روایت آرند که: ماه رمضان از ابتدا تا انتها هیچ نخورد و ماه تموز بود هر روز به مزدوری گندم درودی، و آنچه بستدی به درویشان دادی و همه شب تا روز نماز کردی وی را نگاه داشتند بنخورد و بنخفت.

و از شیخ ابوعبدالله خفیف رحمة الله علیه می‌آید که: چون از دنیا بیرون شد چهل چهل پشاپشت بداشته بود. و من پیری دیدم که هر سال دو چهل بداشتی و دانشمند ابومحمد باثغری، چون از دنیا بیرون شد من آنجا حاضر بودم هشتاد روز بوده بود که هیچ نخورده بود و هیچ نمازش از جماعت نرفت.

درویشی بود از متأخران که هشتاد روز هیچ نخورده بود و هیچ نمازش از جماعت فوت نشده.

اندر مرو دو پیر بودند: یکی مسعود نام، و یکی شیخ ابوعلی سیاه. گفتا: مسعود بدو کس فرستاد که: «از این دعاوی تا چند؟ بیا تا چهل روز بنشینیم هیچ چیز نخوریم.» وی گفت: «نباید، بیا تا روزی سه بار چیزی بخوریم و چهل روز بر یک طهارت باشیم.»

و اشکال این مسأله هنوز بر جای است. جهال بدین تعلق کنند که وصال روا نباشد و اطبا اصل این را انکارکنند و من بیان این بتمامی بگویم تا سخن از حیز اشکال مهیا شود، ان شاء الله.

بدان که وصال کردن بی از آن که خلل اندر فرمان خداوند عزّ و جلّ آید کرامت بود؛ و کرامت محل خصوص است نه محل عموم، و چون حکم آن عام نباشد امر بدان درست نیاید. و اگر اظهار کرامت عام بودی ایمان جبر شدی و بر معرفت عارفان را ثواب نبود. پس چون رسول علیه السلام صاحب معجزه بود وصال به آشکارا کرد و مر اهل کرامات را از اظهار آن نهی کرد که کرامات را شرط ستر باشد و معجزه را کشف و این فرقی واضح است میان معجزه و کرامات و این مقدار کفایت بود آن را که هدایت بود.

و اصل چهلۀ ایشان تعلق به حال موسی علیه السلام دارد و اندر مقام مکالمه درست آید، و چون خواهند که کلام خداوند عزّ و جلّ به سر بشنوند چهل روز گرسنه باشند و چون سی روز بگذرد مسواک کنند و از بعد آن ده روز دیگر بیاشند، لامحاله خداوند به سر ایشان سخن گوید؛ از آنچه هرچه انبیا را بر اظهار روا بود اولیا را بر آسرار روا بود. پس شنیدن کلام وی با بقای طبع روا نباشد و چهار طبع را چهل روز نفی مشرب و غذا باید تا مقهور گردند و کل ولایت مر صفای محبت و لطافت روح را شود. و بدین موافق است باب الجوع، و ما مر حقیقت آن را مکشوف گردانیم تا معلوم شود. و بالله العون.

باب الجوع

قوله، تعالی: «و لَنَبُؤَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَ نَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ وَ بَشِّرِ الصَّابِرِينَ

(۱۵۵/البقره).

و قوله، علیه السلام: «بَطْنٌ جَائِعٌ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ سَبْعِينَ عَابِدًا غَافِلًا.»

بدان که گرسنگی را شرفی بزرگ است و به نزدیک امم و ملل ستوده است؛ از آنچه از روی ظاهرگرسنه را خاطر تیزتر بود و قریح مهذب تر و تن درست تر آن را که شرهی بیشتر نباشد که خود را بر ریاضت مهیا گردانیده باشد: «لَأَنَّ الْجُوعَ لِلنَّفْسِ خُضُوعٌ وَ لِلْقَلْبِ خُشُوعٌ.» جایع را تن خاضع بود و دل خاشع؛ از آنچه قوت نفسانی بدان ناچیز گردد.

و قال رسول الله، صلى الله عليه و سلم: «أَجِيعُوا بُطُونَكُمْ وَأَظْمَأُوا أَكْبَادَكُمْ وَأَعْرُوا أَجْسَادَكُمْ، لَعَلَّ قُلُوبَكُمْ تَرَى اللَّهَ عَيَانًا فِي الدُّنْيَا.»

شکم را گرسنه دارید و جگر را تشنه و تن را برهنه دارید تا مگر خداوند تعالی را ببینید به دل.

اگر تن را از گرسنگی بلا بود، دل را بدان ضیا بود و جان را صفا بود و سر را لقا بود. و چون سر لقا یابد و جان صفا یابد و دل ضیا یابد چه زیان اگر تن بلا یابد؛ که سیرخوردگی را بس خطری نبود؛ که اگر خطری بودی ستوران را سیر نگردانیدندی؛ که سیرخوردگی کار ستوران است، و گرسنگی علاج مردان و گرسنگی عمارت باطن کند و سیرخوردگی عمارت بطون. یکی عمر اندر عمارت باطن کند که تا مرحق را مفرد شود و از علایق مجرد شود، چگونه برابر بود با آن که عمر اندر عمارت بدن کند و خدمت هوای تن کند؛ یکی را عالم از برای خوردن باید و یکی را خوردن از برای عبادت کردن. «كَانَ الْمُتَقَدِّمُونَ يَأْكُلُونَ لِيَعِشُونَ وَ أَنْتُمْ تَعِشُونَ لِتَأْكُلُونَ.» متقدمان از برای آن خوردندی تا بزیستندی، شما از برای آن می‌زیید تا بخورید.» پس فرق بسیار باشد میان این و آن. «الْجُوعُ طَعَامُ الصَّادِقِينَ وَ مَسَلِكُ الْمُرِيدِينَ.» بعد قضاء الله و قدره، بیرون افتادن آدم علیه السلام از بهشت و دورگشتن وی از جوار حق از برای لقمه‌ای بود.

و بحقیقت آن که اندر جوع مضطر بود جایع نبود؛ از آنچه طالب اکل به اکل بود. پس آن که ورا درجه جوع بود تارک اکل بود نه از اکل ممنوع بود و آن که اندر حال وجود اکل به ترک آن بگوید و بار و رنج آن بکشد، وی جایع باشد و قید شیطان وی بجز گرسنگی نباشد و حبس هوای نفس جز به گرسنگی نباشد. کتانی گوید، رحمة الله علیه: «مِنْ حُكْمِ الْمُرِيدِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَشْيَاءٍ: نَوْمُهُ غَلْبَةٌ وَ كَلَامُهُ ضَرُورَةٌ وَ أَكْلُهُ فَاقَةٌ.» شرط مرید آن بود که اندر وی سه چیز موجود باشد: یکی خواب وی بجز غلبه نباشد و سخنش بجز ضرورت نبود و خوردنش بجز فاقه نه.

و به نزدیک بعضی فاقه دو شبانروز بود و به نزدیک بعضی سه شبانروز و به نزدیک بعضی یک هفته و به نزدیک بعضی چهل روز؛ از آنچه محققان بر آن اند که جوع صادق هر چهل روز یک بار بود، و این جاننداری بود. و در میان آنچه پدیدار آید آن شره و غرور نفس و طبع باشد. بدان عافاک الله و الحمد لله رب العالمین. که عروق اهل معرفت جمله برهان اسرار خداوندی است، و دلهای ایشان موضع نظر متعالی. و از دلها اندر صدور ایشان درها گشاده است و عقل و هوی بر درگاه آن نشسته. روح مر عقل را مدد می‌کند و نفس مر هوی را. و هر چند طبایع به اغذیه غذا بیش یابد، نفس قوی‌تر می‌شود و هوی تربیت بیشتر می‌یابد، غلوات وی اندر اعضا پراکنده‌تر باشد و اندر هر عرقی از انتشاروی حجابی دیگرگونه پدیدار آید و چون طالب، اغذیه از وی بازگیرد، هوی ضعیف‌تر می‌شود و عقل قوی‌تر و قوت نفس از عروق گسسته‌تر می‌شود و اسرار و براهین ظاهرتر می‌گردد چون نفس از حرکات خود فروماند و هوی از وجود خود فانی گردد ارادت باطل اندر اظهار حق محو شود. آنگاه کل مراد مرید حاصل گردد.

و از ابوالعباس قصاب می‌آید رحمة الله علیه که گفت: «طَاعَتُ وَ مَعْصِيَةُ مَنْ دَرِ دو گِرْدَه بسته است: چون

بخورم مایه همه معاصی اندر خود بیابم، و چون دست از آن بدارم اصل همه طاعت از خود بیابم.»
 اما گرسنگی را ثمره مشاهدت بود که مجاهدت قاید آن است. پس سیری با مشاهدت بهتر از گرسنگی با
 مجاهدت؛ از آنچه مشاهدت معرکه گاه مردان است و مجاهدت ملاعب صبیان، «فالشَّيْخُ بِشَاهِدِ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ
 الْجَوْعِ بِشَاهِدِ الْجَدِّ.»
 و اندر معنی این لفظ سخن بسیار آید، اما تخفیف را اختصار کردم و الله اعلم.

کشف الحجاب الثامن فی الحجّ

قوله، تعالی: «و لِلّٰهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ اِلَيْهِ سَبِيلاً (۹۷/آل عمران).»
 و از فرایض اعیان یکی حج است بر بنده اندر حال صحت عقل و بلوغ و اسلام و حصول استطاعت و آن حُرْم
 بود به میقات و وقوف اندر عرفات و طواف زیارت به اجماع و به اختلاف سعی میان صفا و مروه و بی حُرْم
 اندر حَرَم نشاید شد و حَرَم را بدان حَرَم خوانند که اندر او مقام ابراهیم است و محل امن.
 پس ابراهیم را علیه السّلام دو مقام بوده است: یکی مقام تن و دیگر از آن دل. مقام تن مکه و مقام دل خُلت.
 هرکه قصد مقام تن وی کند، از همه شهوات و لذات اعراض باید کرد تا مُحْرَم بود و کفن اندر پوشید و دست از
 صید حلال برداشت و جمله حواس را اندر بند کرد و به عرفات حاضر شد و از آنجا به مُزدلفه و مشعرالحرام شد
 و سنگ برگرفت و به مکه کعبه را طواف کرد و به مینا آمد و آنجا سه روز بیود و سنگها بشرط بینداخت. و آنجا
 موی باز کرد و قربان کرد و جامه‌ها درپوشید تا حاجی بود.

و باز چون کسی قصد مقام دل وی کند از مألوفات اعراض باید کرد و به ترک لذات و راحت بیاید گفت و از
 ذکر غیر مُحْرَم شد و از آنجا التفات به کون محظور باشد آنگاه به عرفات معرفت قیام کرد و از آنجا قصد مزدلفه
 الفت کرد و از آنجا سر را به طواف حرم تزیه حق فرستاد و سنگ هواها و خواطر فاسد را به مینای امان
 بینداخت، و نفس را اندر منحرگاه مجاهدت قربان کرد تا به مقام خُلت رسد. پس دخول آن مقام امان باشد از
 دشمن و شمشیر ایشان، و دخول این مقام امان بود از قطیعت و اخوات آن.
 و رسول صلی الله علیه گفت: «الْحَاجُّ وَفَدُّ اللّٰهِ يُعْطِيهِمْ مَا سَأَلُوا وَ يَسْتَجِيبُ لَهُمْ مَا دَعَّوْا. حاج وفد خداوند باشند
 بدهدشان آنچه خواهند و اجابت کند بدانچه خوانند و دعا کنند.»

و این گروه دیگر نه بخواهند و نه دعا کنند، فاما تسلیم کنند؛ چنانکه ابراهیم علیه السّلام کرد، «إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ
 أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (۱۳۱/البقره).» چون ابراهیم علیه السّلام به مقام خُلت رسید از علایق فرد شد و
 دل از غیر بگسست. حق تعالی خواست تا وی را بر سر خلق جلوه کند؛ نمرود را برگماشت تا میان وی و از آن
 مادر و پدرش جدا افکند و آتشی برافروخت. ابلیس بیامد و منجیق بساخت تا وی را در خام گاو دوختند و اندر
 پله منجیق نهادند. جبرئیل بیامد و پله منجیق بگرفت و گفت: «هَلْ لَكَ حَاجَةٌ؟» ابراهیم علیه السّلام گفت:
 «أَمَّا إِلَيْكَ، فَلَا.» پس گفت: «به خدای عزّ و جلّ هم حاجتی نداری؟» گفت: «حَسْبِيَ مِنْ سَوَالِي عِلْمُهُ
 بِحَالِي.» مرا آن بسنده است که او می‌داند که مرا از برای او در آتش می‌اندازند. علم او به من زبان مرا از سؤال
 منقطع گردانیده است.

و محمد بن فضل گوید، رحمة الله علیه: «عجب از آن دارم که اندر دنیاخانه وی طلبد، چرا اندر دل مشاهدت
 وی نطلبد؟ که خانه را، باشد که یابد و باشد که نیابد و مشاهدت لامحاله یابد اگر زیارت سنگی که اندر سالی
 بدو نظری باشد فریضه بود، دلی که بدو روزی سیصد و شصت نظر باشد به زیارت او اولی تر.»
 اما اهل تحقیق را اندر هر قدم از راه مکه نشانی است و چون به حرم رسند از هر یکی خلعتی یابند.

و ابویزیدگوید، رضی الله عنه: «هرکه را ثواب عبادت به فردا افتد، خود امروز وی عبادت نکرده بود؛ که ثواب هر نفسی از مجاهدت حاصل است اندر حال.»

و هموگوید، رحمة الله علیه: «به نخستین حج من بجز از خانه هیچ چیز ندیدم و دوم بار خانه و خداوند خانه دیدم و سدیگر بار همه خداوند خانه دیدم و هیچ خانه ندیدم.»

و در جمله حرم آنجا بود که مشاهدت تعظیم بود و آن را که کل عالم میعاد قرب و خلوتگاه انس نباشد وی را از دوستی هنوز خبر نبود و چون بنده مکاشف بود عالم جمله حرم وی باشند و چون محجوب بود حرم وی را از اظلم عالم بود «أظلم الأشياء دارُ الحبيب بلا حبيب.»

پس قیمت، مشاهدت راست اندر محل خُلت، که خداوند سبب آن را دیدار کعبه گردانیده است نه قیمت کعبه راست؛ اما مسیب را به هر سبب تعلق می باید کرد تا عنایت حق تعالی از کدام کمینگاه روی نماید و از کجا پیدا شود. پس مراد مردان اندر قطع مفازات و بَوادی نه حرم بوده است؛ که دوست را رؤیت حرم حرام بود؛ که مراد مجاهدتی بوده است اندر شوقی مُقلقل و یا روزگاری اندر محنتی دایم.

یکی به نزدیک جنید رضی الله عنه آمد وی را گفت: «از کجا می آیی؟» گفت: «به حج بودم.» گفت: «حج کردی؟» گفت: «بلی.»

گفت: «از ابتدا که از خانه برفتی و از وطن رحلت کردی از همه معاصی رحلت کردی؟» گفتا: «نی.» گفت: «پس رحلت نکردی.»

گفت: «چون از خانه برفتی و اندر هر منزلی هر شب مقام کردی، مقامی از طریق حق اندران مقام قطع کردی؟» گفت: «نی.» گفت: «پس منازل نسپردی.»

گفت: «چون مُحرم شدی به میقات از صفات بشریت جدا شدی؛ چنانکه از جامه؟» گفتا: «نی.» گفت: «پس محرم نشدی.»

گفت «چون به عرفات واقف شدی، اندر کشف مشاهدت وقت پدیدار آمد؟» گفتا: «نی.» گفت: «پس به مزدلفه نشدی.» گفت: «چون طواف کردی خانه را، سرّ را اندر محل تنزیه لطایف جمال حق دیدی؟» گفتا: «نی.» گفت: «پس طواف نکردی.»

گفت: «چون سعی کردی میان صفا و مروه، مقام صفا و درجه مروّت را ادراک کردی؟» گفتا: «نی.» گفت: «هنوز سعی نکردی.»

گفت: «چون به منا آمدی، مُنیتهای تو از تو ساقط شد؟» گفتا: «نه.» گفت: «هنوز به منا نرفتی.» گفت: «چون به منحرگاه قربان کردی، همه خواستههای نفس را قربان کردی؟» گفتا: «نی.» گفت: «پس قربان نکردی.»

گفت: «چون سنگ انداختی هرچه با تو صحبت کرد از معانی نفسانی همه بینداختی؟» گفتا: «نه.» گفت: «پس هنوز سنگ نینداختی و حج نکردی بازگرد و بدین صورت حجی بکن تا به مقام ابراهیم برسی.»

شنیدم که یکی از بزرگان در مقابله کعبه نشسته بود و می گریست و این ابیات می گفت:

وَاصْبَحْتُ يَوْمَ النَّفْرِ وَالْعَيْسُ تَرَحَّلُ	وَكَانَ حُدَى الْحَادِي بِنَا وَهُوَ مُعْجَلُ
أَسْأَلُ عَنْ سَلْمَى فَهَلْ مِنْ مُخْبِرٍ	بَسَانَ لَهُ عِلْمًا بِهَا أَيَّنَ تَنْزَلُ
لَقَدْ أَفْسَدَتْ حَجِّي وَنُسْكَى وَعُمْرَتِي	وَفِي الْبَيْنِ لِي شُغْلٌ عَنِ الْحَجِّ مُشْغِلُ
سَأَرْجِعُ مِنْ عَامِي لِحَجَّةِ قَابِلٍ	فَإِنَّ الَّذِي قَدَّكَانَ لَا يُتَقَبَّلُ

فضیل بن عیاض گوید، رحمة الله علیه: جوانی دیدم اندر موقف خاموش استاده و سر فرو افکنده همه خلق اندر

دعا بودند و وی خاموش می بود گفتم: «ای جوان، تو نیز چرا دعایی نکنی؟» گفت: «مرا وحشتی افتاده است. وقتی که داشتم از من فوت شد. هیچ روی دعا کردنم ندارد.» گفتم: «دعا کن تا خدای تعالی به برکت این جمع ترا به سر مراد تو رساند.» گفت: خواست که دست بردارد و دعا کند نعره ای از وی جدا شد و جان با آن از وی جدا شد.

ذوالنون مصری گوید، رحمة الله علیه: جوانی دیدم به منا ساکن نشسته و همه خلق به قربانها مشغول. من اندر وی نگاه می کردم تا چه کند و کیست. گفت: «بارخدا یا، همه خلق به قربانها مشغول اند و من می خواهم تا نفس خود را قربان کنم اندر حضرت تو، از من بپذیر.» این بگفت و به انگشت سبابه به گلو اشارت کرد و بیفتاد. چون نیکو نگاه کردم، مرده بود.

پس حجها بر دوگونه بود: یکی اندر غیبت و دیگر اندر حضور. آن که اندر مکه در غیبت باشد چنان بود که اندر خانه خود؛ از آن که غیبتی از غیبتی اولی تر نیست. و آن که اندر خانه خود حاضر بود چنان بود که به مکه حاضر بود؛ از آن که حضرتی از حضرتی اولی تر نیست. پس حج مجاهدتی مرکشف مشاهدت را بود و مجاهدت علت مشاهدت نی، بل که سبب است و سبب را اندر معانی تأثیری بیشتر نبود. پس مقصود حج نه دیدن خانه بود که مقصود کشف مشاهدت باشد.

اکنون من اندر مشاهدت بابی که متضمن این معانی است بیاورم تا به حضور مقصود تو متقرب بود. و بالله التوفیق.

باب المشاهدات

قال النَّبِيُّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ «أَجِيعُوا بُطُونَكُمْ، دَعُوا الْحِرْصَ؛ وَأَعْرُوا أَجْسَادَكُمْ، فَصَرُوا الْأَمَلَ؛ وَأَظْمَأُوا أَكْبَادَكُمْ، دَعُوا الدُّنْيَا، لَعَلَّكُمْ تَرَوْنَ اللَّهَ بِقُلُوبِكُمْ.»
و نیز گفتم علیه السلام در جواب سؤال جبرئیل از احسان که: «أَعْبُدُ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَانَّهُ يَرَاكَ.»

و وحی فرستاد به داود، علیه السلام: «یا داود، أَتَدْرِي مَا مَعْرِفَتِي؟» قال «لا.» قال: «حَيَوَةُ الْقَلْبِ فِي مَشَاهِدَتِي.»

و مراد این طایفه از عبارت مشاهدت دیدار دل است که به دل حق تعالی را می بیند اندر خلأ و ملأ. و ابوالعباس عطا گوید رحمة الله علیه از قول خدای، عز و جل: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ (۳۰/فَصَلَّتْ)، بِالْمُجَاهَدَةِ، ثُمَّ اسْتَقَامُوا عَلَى بَسَاطِ الْمَشَاهِدَةِ.»

و حقیقت مشاهدت بر دوگونه باشد: یکی از صحت یقین و دیگر از غلبه محبت، که چون دوست اندر محل محبت به درجه ای رسد که کلیت وی همه حدیث دوست گردد جز او را نبیند؛ چنانکه محمد بن واسع گوید، رحمة الله علیه: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا وَرَأَيْتُ اللَّهَ فِيهِ، أَيْ بِصِحَّةِ الْيَقِينِ. نَدِيدُمْ هِيَ حَيْزُ الْأَكْهَ حَقِّ تَعَالَى رَا فِي دَرِ أَنْ بَدِيدُمْ.»

شبلی گوید، رحمه الله: «مَا رَأَيْتُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا اللَّهَ.» یعنی بغلبات المحبة و غلبان المشاهدة. پس یکی فعل بیند و اندر دید فعل به چشم سر فاعل بیند و به چشم سر فعل و یکی را محبت از کل بر باید تا همه فاعل بیند. پس طریق این استدلالی بود و از آن آن جذبی. معنی آن بود که یکی مستدل بود تا اثبات دلایل حقایق آن بر وی عیان کند و یکی مجذوب و ربوده باشد؛ یعنی دلایل و حقایق وی را حجاب آید؛ «لأنَّ مَنْ

عَرَفَ شَيْئاً لَا يَهَابُ غَيْرَهُ، وَ مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً لَا يُطَالِعُ غَيْرَهُ، فَتَرَكَوا الْمَنَازَعَةَ مَعَ اللَّهِ وَ الْإِعْتِرَاضَ عَلَيْهِ فِي أَحْكَامِهِ وَ أَعْمَالِهِ.» آن که بشناسد با غیر نیارآمد و آن که دوست دارد غیر نبیند. پس بر فعل خصومت نکند تا منازع نباشد و بر کردار اعتراض نکند تا متصرف نباشد.

و خداوند تعالی از رسول صلی الله علیه و سلم و معراج وی ما را خبر داد و گفت: «ما زاعَ البصرُ و ما طغى (۱۷/النجم).» مِنْ شِدَّةِ الشَّوْقِ إِلَى اللَّهِ، چشَمَ بِهِ هَيْجٌ حَيْزٌ بَازْ نَكَرْدَ تَا أَنْجَهْ بَبَايَسْتْ بَهْ دَلْ بَدِيدِ. هرگاه که محب چشم از موجودات فراقند لامحاله به دل موجد را ببیند؛ لقلوله، تعالی: «لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى (۱۸/النجم)»؛ و قوله، تعالی: «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ (۳۰/النور)؛ ای ابصار العيون من الشهوات و ابصار القلوب عن المخلوقات.» پس هرکه به مجاهدت چشم سر را از شهوات بخواباند، لامحاله حق را به چشم سر ببیند. «فَمَنْ كَانَ أَخْلَصَ مَجَاهِدَةً كَانَ أَصْدَقَ مَشَاهِدَةً.» پس مشاهدت باطن مقرون مجاهدت ظاهر بود.

و سهل بن عبدالله گوید، رحمة الله عليه: «مَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنِ اللَّهِ طَرْفَةً عَيْنٍ لَا يَهْتَدِي طَوْلَ عَمْرِهِ.» هرکه بصر بصیرت به یک طرفه العین از حق فراقند هرگز راه نیابد؛ از آن که التفات به غیر را ثمره بازگذاشتن به غیر بود و هرکه را به غیر بازگذاشتند هلاک شد. پس اهل مشاهدت را عمر آن بود که اندر مشاهدت بود، و آنچه اندر مغایبه بود آن را عمر نشمرند؛ که آن مر ایشان را مرگ بر حقیقت بود. چنانکه از ابویزید پرسیدند رحمة الله عليه که: «عمر تو چند است؟» گفت: «چهار سال.» گفتند: «این چگونه باشد؟» گفت: «هفتاد سال است تا در حجاب دنیایم، اما چهارسال است تا وی را می بینم و روز حجاب از عمر نشمرم.»

شبلی گفت: رحمة الله عليه: «اللَّهُمَّ اخْبَأ الْجَنَّةَ وَ النَّارَ وَ فِي خَبَايَا عَيْبِكَ حَتَّى تُعْبَدَ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ.» بار خدایا، بهشت و دوزخ را به خبایای غیب خویش پنهان کن و یاد آن از دل خلق بزدا و بمحوا ای فراموش گردان تا ترا از برای آن نپرستند. چون اندر بهشت طبع را نصیب است امروز به حکم یقین غافل عبادت از برای آن می کند چون دل را از محبت نصیب نیست غافل را، لامحاله از مشاهدت محجوب باشد. و مصطفی صلی الله علیه و سلم از شب معراج مر عایشه را خبر داد که: «حَقَّ رَا نَدِيدِم.» و ابن عباس رضی الله عنهما روایت کند که: «رَسُولٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرَا كَفْتُ: حَقَّ رَا بَدِيدِم.»

خلق با این خلاف بماندند و آنچه بهتر بایست وی از میانه ببرد. اما آنچه گفت: «دیدمش»، عبارت از چشم سیر کرد و آنچه گفت: «ندیدم»، بیان از چشم سر. یکی از این دو، اهل باطن بودند و یکی اهل ظاهر. سخن با هر یک بر اندازه روزگار وی گفت. پس چون سر دید اگر واسطه چشم نباشد چه زیان؟ و جنید گفت رحمة الله عليه که: «اگر خداوند مرا گوید که: مرا ببین، گویم: نبینم؛ که چشم اندر دوستی، غیر بود و بیگانه و غیرت غیریت مرا از دیدار می باز دارد؛ که اندر دنیا بی واسطه چشم می دیدمش.»

إِنِّي لِأَحْسُدُ نَاطِرِيَّ عَلَيْكَ فَأَغْضُ طَرْفِي إِذْ نَظَرْتُ إِلَيْكَ
دوست را خود از دیده دریغ دارند؛ که دیده بیگانه باشد.

آن پیر را گفتند: «خواهی تا خداوند را ببینی؟» گفتا: «نه.» گفتند: «چرا؟» گفت: «چون موسی بخواست ندید و محمد نخواست بدید.» پس خواست ما حجاب اعظم ما بود از دیدار حق، تعالی؛ از آنچه وجود ارادت اندر دوستی مخالفت بود و مخالفت حجاب باشد و چون ارادت اندر دنیا سپری شد مشاهدت حاصل آمد و چون مشاهدت ثبات یافت دنیا چون عقبی بود و عقبی چون دنیا.

ابویزید گوید، رحمة الله عليه: «إِنَّ لِلَّهِ عِبَاداً لَوْ حُجِبُوا عَنِ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ لَأَرْتَدُّوا.»

خداوند را تعالی بندگان اند که اگر در دنیا و عقبی به طرفه العینی از وی محبوب گردند مرتد شوند، ای پیوسته مرایشان را به دوام مشاهدت می‌پرورد و به حیات محبتشان زنده می‌دارد و لامحاله چون مکاشف محبوب گردد مطرود شود.

ذوالنون گوید، رحمه الله: روزی در مصر می‌گذشتم. کودکانی را دیدم که سنگ بر جوانی می‌انداختند. گفتم: «از وی چه می‌خواهید؟» گفتند: «دیوانه است.» گفتم: «چه علامت دیوانگی بر وی پدید می‌آید؟» گفتند: «می‌گوید که: من خداوند را می‌بینم.» گفتم: «ای جوانمرد، این تو می‌گویی یا بر تو می‌گویند؟» گفتا: «نه، که من می‌گویم؛ که اگر یک لحظه من حق را نبینم و محبوب باشم طاعت ندارم.»

اما اینجا قومی را غلطی افتاده است از اهل این قصه، می‌پندارند که رؤیت قلوب و مشاهدت از وجه صورتی بود که اندر دل وهم مرآن را اثبات کند اندر حال ذکر و یا فکر و این تشبیه محض بود و ضلالت هویدا؛ از آنچه خداوند تعالی را اندازه نیست تا اندر دل به وهم اندازه گیرد، یا عقل بر کیفیت وی مطلع شود. هرچه موهوم بود از جنس وهم بود و هرچه معقول از جنس عقل و وی تعالی و تقدس مجانس اجناس نیست و لطایف و کثایف جمله جنس یکدگرند اندر محل مُضادّت ایشان مر یکدیگر را؛ از آنچه اندر تحقیق توحید ضد جنس بود اندر جنب قدیم؛ که اصداد محدث‌اند و حوادث یک جنس‌اند. تعالی الله عن ذلك و عما يقول الظالمون.

پس مشاهدت اندر دنیا چون رؤیت بود اندر عقبی. چون به اتفاق و اجماع جمله صحابه اندر عقبی رؤیت روا بود، اندر دنیا نیز مشاهدت روا بود. پس فرق نباشد میان مُخبری که از رؤیت عقبی خبر دهد و میان مخبری که از مشاهدت دنیا خبر دهد. و هر که خبر دهد از این دو معنی به اجازت خبر دهد نه به دعوی؛ یعنی گوید که دیدار و مشاهدت روا بود و نگوید که مرا دیدار هست؛ از آنچه مشاهدت صفت سرّ بود و خبر دادن عبارت زیان و چون زیان را از سرّ خبر بود تا عبارت کند این مشاهدت نباشد که دعوی بود؛ از آنچه چیزی که حقیقت آن اندر عقول ثبات نیابد زبان از آن چگونه عبارت کند؟ الا به معنی جواز؛ «لأنّ المشاهدة قُصورُ اللسانِ بحضورِ الجنان.» پس سکوت را درجه برتر از نطق باشد؛ از آنچه سکوت علامت مشاهدت بود و نطق نشان شهادت و بسیار فرق باشد میان شهادت بر چیزی و میان مشاهدت چیزی و از آن بود که پیغمبر صلی الله علیه و سلم اندر درجه قرب و محل اعلی که حق تعالی وی را بدان مخصوص گردانیده بود «لأحصى ثناءً عليك» گفت؛ یعنی من ثنای ترا احصا نتوانم کرد؛ از آنچه اندر مشاهدت بود و مشاهدت اندر درجه دوستی یگانگی بود و اندر یگانگی عبارت بیگانگی بود. آنگاه گفت: «انت كما أثبتت علي نفسك. تو آنی که بر خود ثنا گفته‌ای»؛ یعنی اینجا گفته تو، گفته من باشد و ثنای تو، ثنای من. زفان را اهل آن ندارم که از حال من عبارت کند و بیان را مستحق نبینم که حال مرا ظاهر کند.

و اندر این معنی یکی گوید:

تَمَنَيْتُ مَنْ أَهْوَى فَلَمَّا رَأَيْتُهُ بَهْتُ فَلَمْ أَمْلِكْ لِسَانًا وَلَا طَرْفًا

این است احکام مشاهدات بتمامی بر سبیل اختصار، و بالله العون و التوفيق.

کشف الحجاب التاسع في الصحبة مع آدابها وأحكامها

قوله، تعالی: «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً (٦/التحریم)، ای ادبوهم.»

وقال النبي، عليه السلام: «حسن الأدب من الأيمان.»

و نیز گفت: «أدبني ربي فأحسن تأديبي.»

پس بدان که زینت و زیب همه امور دینی و دنیایی متعلق به آداب آن است و هر مقامی را از مقامات اصناف

خلق ادبی است و متفق اند کافر و مسلمان و ملحد و موحد و سنی و مبتدع بر آن که حسن ادب اندر معاملات نیکوست و هیچ رسم اندر عالم بی استعمال ادب ثابت نگردد.

و آداب اندر مردمی حفظ مروت است و اندر دین حفظ سنت و اندر محبت حفظ حرمت و این هر سه با یکدیگر پیوسته است؛ از آنچه هرکه را مروت نباشد متابعت سنت نباشد و هرکه را حفظ سنت نباشد رعایت حرمت نباشد.

و حفظ ادب اندر معاملات از تعظیم مطلوب حاصل آید اندر دل، و تعظیم حق و شعایر وی از تقوی بود و هرکه به بی حرمتی تعظیم شواهد حق به زیر پای آرد وی را اندر طریقت متصوفه هیچ نصیبی نباشد و به هیچ حال سکر و غلبه مر طالب را از حفظ آداب منع نکند؛ از آنچه ادب مر ایشان را عادت بود و عادت قرین طبیعت بود و سقوط طبایع از حیوان اندر هیچ حال تا حیات بر جای است، محال باشد. پس تا شخص ایشان بر جای است در کل احوال آداب متابعت بر ایشان جاری است گاه به تکلف و گاه بی تکلف. چون حال ایشان صحو باشد ایشان به تکلف حفظ آداب می کنند و چون حال ایشان سکر بود، حق تعالی ادب بر ایشان نگاه می دارد و به هیچ صفت تارک الادب ولی نباشد؛ «لأنَّ المودَّةَ عندَ الآدابِ وحسُنُ الآدابِ صِفَةُ الأَحبابِ.» و هرکه را حق تعالی کرامتی دهد دلیل آن بود که حکم آداب دین را بر وی نگاه می دارد. به خلاف گروهی از ملاحده لعنهم الله که گویند: «چون بنده اندر محبت مغلوب شود حکم متابعت از وی ساقط شود.» و این به جای دیگر مبین بیارم، ان شاء الله.

اما آداب بر سه قسمت است: یکی اندر توحید با حق عزّ و جلّ و آن چنان بود که اندر خلأ و ملأ، خود را از بی حرمتی نگاه دارد در خلأ معاملت چنان کند که اندر مشاهده ملوک کنند.

و اندر اخبار صحاح است که روزی پیغمبر صلی الله علیه و سلّم گرد پای نشسته بود. جبرئیل آمد و گفت: «یا محمد، اجلسْ جِلْسَةَ العبيد. بنده ای، چون بندگان نشین اندر حضرت خداوند، تعالی.»

و گویند حارث محاسبی چهل سال روز و شب پشت به دیوار باز نهاد و جز به دو زانو نشست. از وی پرسیدند که: «خود را رنجه چرا می داری؟» گفت: «شرم دارم که اندر مشاهدت حق جز بنده وار بنشینم.»

و من که علی بن عثمان الجلابی ام رضی الله عنه مردی دیدم اندر نهایت دیار خراسان به دیهی که آن را کُمند می خوانند و معروف بود آن مرد وی را ادیب کُمندی خواندندی. فضلی تمام داشت. این مرد بیست سال بر پای استاده بود؛ جز به تشهد نماز نشستگی. از وی علت آن پرسیدند. گفت: «مرا هنوز درجت آن نیست که اندر مشاهده حق بنشینم.»

و از بویزید پرسیدند، رحمه الله: «بِمَ وَجَدْتَ ما وَجَدْتَ؟» قال: «بِحَسَنِ الصَّحْبَةِ مَعَ الله، عزّ و جلّ.» گفتندش: «به چه یافتی آنچه یافتی؟» گفت: «بدانکه با حق تعالی صحبت نیکو کردم و با ادب بودم و اندر خلأ همچنان بودم که اندر ملأ.»

و عالمیان را باید که حفظ آداب اندر مشاهدت معبود خود از زلیخا آموزند که چون با یوسف خلوت کرد و از یوسف حاجت خود را اجابت خواست، نخست روی بت خود به چیزی ببوشید. یوسف علیه السلام گفت: «از چه می کنی؟» گفت: «روی معبود ببوشیدم تا وی مرا بر بی حرمتی نبیند؛ که آن شرط ادب نباشد.» و چون یوسف به یعقوب رسید و خداوند تعالی وی را وصال وی کرامت کرد زلیخا را جوان گردانید و به اسلام راه نمود و به زنی به یوسف داد. یوسف قصد وی کرد زلیخا از وی بگریخت. گفت: «ای زلیخا من آن دلربای توام از من چرا همی گریزی؟ مگر دوستی من از دلت پاک شده است؟» گفت: «لا، والله؛ که دوستی زیادت است اما من پیوسته آداب حضرت معبود خود نگاه داشته ام آن روز که با تو خلوت کردم معبود من بتی بود و وی هرگز

ندیدی، فاما به حکم آن که ورا دو چشم بی بصر بود، چیزی بر آن پوشیدم تا تهمت بی ادبی از من برخیزد. کنون من معبودی دارم که بیناست بی مُقلت و آلت و به هر صفت که باشم مرا می بیند من نخواهم که تارک الادب باشم.»

و چون رسول را صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ به معراج بردند از حفظ ادب به کونین ننگریست؛ کما قال اللهُ تعالی: «ما زاعَ البَصْرُ و ما طغى (۱۷/النجم)، ای: ما زاعَ البَصْرُ برؤية الدنيا و ما طغى برؤية العقبی.» و دیگر قسمت، ادب با خود اندر معاملات و آن چنان باشد که اندر همه احوال مروت را مراعات کند با نفس خود؛ تا آنچه اندر صحبت خلق و حق بی ادبی باشد اندر صحبت با خود استعمال نکند و بیان این آن بود که جز راست نگوید و آنچه خود می داند خلاف آن بر زبان راندن روا ندارد؛ که اندر آن بی مروتی باشد و دیگر آن که کم خورد تا به طهارتگاه کمتر باید شد و سدیگر آن که اندر چیزی ننگرد از آن خود که بجز او را نشاید نگریست؛ که از امیرالمؤمنین علی کرم الله وجهه می آید که: هرگز عورت خود ندیده بود. از وی پرسیدند، گفت: «من شرم دارم از خویشانم که در چیزی نگرم که نظر به اجناس آن حرام بود.» و دیگر قسمت، ادب با خلق اندر صحبت، و مهم ترین، ادب صحبت خلق است اندر سفر و حضر به حسن معاملات و حفظ سنت.

و این هر سه نوع را از آداب از یکدیگر جدا نتوان کرد و اکنون من به مقدار امکان مر این را ترتیب دهم تا بر تو و خوانندگان، طریق آن سهل تر گردد. و بالله العون و التوفيق و حسنا الله.

باب الصّحبة و ما يتعلّق بها

قال اللهُ، تبارک و تعالی: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا (۹۶/مریم)، ای: بحسن رعایتهم الإخوان.»

مؤمنانی که کردار ایشان نیکو بود، خداوند عزّ و جلّ مر ایشان را دوست گیرد و دوست گرداند اندر دلها، بدانکه دلها نگاه دارند و حقهای برادران بگزارند و فضل ایشان بر خود ببینند. وقال رسول اللهُ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «ثَلَاثٌ يُصَفِّينَ لَكَ وُدًّا أَحَبَّ إِلَيْكَ: تُسَلِّمُ عَلَيْهِ إِنْ لَقَيْتَهُ، وَ تُوسِعُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ، وَ تَدْعُوهُ بِأَحَبِّ أَسْمَائِهِ.»

اینچه رسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ فرمود از حسن رعایت و حفظ حرمت بود. گفت: «دوستی برادران مسلمان را سه چیز مصفا کند: یکی چون بینی ورا سلام کنی اندر راهها و دیگر جای بر وی فراخ کنی اندر مجلسها و سدیگر او را به نامی خوانی که آن به نزدیک وی دوست ترین نامها بود.»

قوله، تعالی: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ (۱۰/الحجرات).»

جمله را تعطف و تطف فرمود میان دو برادر مسلمان تا دلهایشان با یکدیگر خراشیده نباشد.

و قوله، عليه السلام: «أَكْثَرُوا مِنَ الْإِخْوَانِ، فَإِنَّ رَبَّكُمْ حَيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي أَنْ يُعَدَّبَ عَبْدُهُ بَيْنَ إِخْوَانِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.» برادران بسیارگیرید به حفظ ادب و معاملات نیکوکنید با ایشان که خدای عزّ و جلّ حیی و کریم است به شرم کرم خود بنده را عذاب نکند میان برادران وی روز قیامت. اما باید که صحبت از برای خداوند را باشد عزّ و جلّ نه از برای هوای نفس را و حصول مراد و اغراض را؛ تا به حفظ ادب، آن بنده مشکور گردد.

مالک دینارگفت مر داماد خود را مغیره بن شعبه، رضی اللهُ عنهما: «كُلُّ أَخٍ وَ صَاحِبٍ لَمْ تَسْتَفِدْ مِنْهُ فِي دِينِكَ خَيْرًا، فَانْبِذْ عَنْكَ صَحْبَتَهُ حَتَّى تَسَلَّمَ.»

هر برادری و یاری که دین ترا از صحبت وی فایده‌ای آن جهانی نباشد با وی صحبت مکن که صحبت آن کس بر تو حرام بود. معنی این آن بود که صحبت با مه از خود باید کرد یا با کیه؛ که اگر با مه از خود کنی ترا از وی فایده‌ای باشد و اگر با که از خود کنی او را از تو فایده باشد اندر دین؛ که اگر وی از تو چیزی آموزد دینی فایده دینی حاصل آید و اگر تو چیزی آموزی همچنان. و از آن بود که پیغمبر علیه السلام گفت: «إِنَّ مِنْ تَمَامِ التَّقْوَى تَعْلِيمُ مَنْ لَا يَعْلَمُ. کمال پرهیزگاری آموختن علم بود مرکسی را که نداند.»

و از یحیی بن مُعَاذِ الرَّازِي رَحِمَهُ اللهُ عَلَيْهِ می‌آید که گفت: «بَسَّ الصَّدِيقُ صَدِيقٌ تَحْتَاجُ أَنْ تَقُولَ لَهُ إِذْ كُرْنِي فِي دُعَائِكَ، وَ بَسَّ الصَّدِيقُ صَدِيقٌ تَحْتَاجُ أَنْ تَعِيشَ مَعَهُ بِالْمُدَارَاةِ، وَ بَسَّ الصَّدِيقُ صَدِيقٌ يُلْجِئُكَ إِلَى الْإِعْتِدَارِ فِي زَلَّةٍ كَانَتْ مِنْكَ.»

بد یاری بود آن که او را به دعا وصیت باید کرد؛ که حق صحبت یک ساعته دعای پیوسته باشد؛ و بد یاری بود آن که با وی زندگانی به مدارا باید کرد؛ که سرمایه صحبت انبساط بود؛ و بد یاری بود آن که به گناهی که بر تو رفته باشد از وی عذر باید خواست؛ از آنچه عذر شرط بیگانگی بود و اندر صحبت بیگانگی جفا بود.

و قال النبی، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: «المرءُ علی دینِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَال.»

مرد آن دین دارد و آن طریق رود که دوست وی، نگاه کن تا دوستی و صحبت با که می‌دارد اگر صحبت با نیکان دارد، وی گرچه بد است نیک است؛ از آنچه آن صحبت او را نیک گرداند و اگر صحبت با بدان دارد وی گرچه نیک است بد است؛ از آنچه بدانچه در ایشان است و رضاست چون به بد راضی باشد اگرچه وی نیک بود بد گردد.

که اندر حکایات است که مردی گرد کعبه طواف می‌کرد و می‌گفت: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ إِخْوَانِي. یا ربّ تو برادران مرا نیک گردان.» وی را گفتند: «بدین مقام شریف رسیده‌ای، چرا خود را دعایی نکنی که همه برادران را دعا کنی؟» گفت، رحمه الله: «إِنَّ لِي إِخْوَانًا أَرْجِعُ إِلَيْهِمْ. فَإِنْ صَلَحُوا صَلَحْتُ مَعَهُمْ وَ إِنْ فَسَدُوا فَسَدْتُ مَعَهُمْ. مرا برادران اند، چون بدیشان بازگردم اگر ایشان را در صلاح یابم من به صلاح ایشان صالح شوم و اگر به فسادشان یابم من به فساد ایشان مفسد شوم چون قاعده صلاح من صحبت مصلحان بود، من برادران خود را دعا کنم تا مقصود من و از آن ایشان برآید، ان شاء الله.»

و اساس این جمله آن است که نفس را سکون با عادت بود در میان هر گروهی که باشد عادت فعل ایشان گیرد؛ از آنچه جمله معاملات و ارادت حق و باطل اندر وی مرکب است آنچه بیند از معاملات ارادت آن پرورش یابد اندر وی و غلبه گیرد بر ارادت دیگری. و صحبت را اثری عظیم است اندر طبع و عادت را صولتی صعب؛ تا حدی که باز به صحبت آدمی عالم می‌شود و طوطی به تعلم ناطق و اسب به ریاضت از حد عادت بهیمی به عادت آدمی آید و مثلهم. این جمله نشان تأثیر صحبت است که کل عادت غریزی ایسان مقلوب گشته است.

و مشایخ این قصه رضی الله عنهم نخست از یکدیگر حق صحبت طلبند و مریدان را بدان فرمایند؛ تا حدی که صحبت اندر میان ایشان چون فریضه گشته است. و پیش از این مشایخ رضی الله عنهم اندر آداب صحبت این گروه کتب ساخته‌اند شرح؛ چنانکه جنید رضی الله عنه کتابی کرد نام آن تصحیح الارادة، و یکی احمد بن خضویه کرد نام آن الرعاية بحقوق الله، و محمد بن علی الترمذی رحمه الله علیه نیز کتابی کرده است آن را بیان آداب المریدین نام کرده و ابوالقاسم حکیم رضی الله عنه و ابوبکر و راق و سهل بن عبدالله و ابوعبدالرحمان السُّلَمِي و استاد ابوالقاسم قشیری رحمه الله عليهم اجمعين نیز اندر این معنی کتب ساخته‌اند مستوفای این جمله ائمه این فن بوده‌اند.

و مقصود من اندر این کتاب آن است تا هر که را این باشد کتب دیگر حاجتمند نگردد و پیش از این گفتم اندر

مقدمه کتاب اندر حال سؤال توکه این کتاب مر ترا غُنیه‌ای باشد و مر طالبان این طریقت را. اکنون این ابواب اندر انواع معاملات ایشان مرتب بیارم، ان شاء الله تعالی وحده وکفی.

باب آدابهم فی الصّحبة

چون مهم‌ترین چیزها بدانستی که مرید را حق صحبت بود، لامحاله رعایت صحبت فریضه باشد؛ از آنچه تنها بودن مرید را هلاکت بود؛ لقوله، علیه السّلام: «الشَّيْطَانُ مَعَ الْوَاحِدِ. ديو با آن کس بود که تنها بود»؛ و قوله، تعالی: «ما یكونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ (۷/المجادله)، نباشد از شما سه کس الا که چهارم ایشان خداوند تعالی باشد.» پس هیچ آفت مرید را چون تنها بودن نیست.

و اندر حکایات یافتیم که مریدی را از آن جنید رُضی عنه صورت نیست که: «من به درجت کمال رسیدم و تنها بودن مرا از صحبت بهتر.» به گوشه‌ای اندر شد و سر از صحبت جماعت درکشید. چون شب اندر آمدی اشتی و بی‌آوردندی و وی را گفتندی که: «ترا به بهشت می‌باید شدن.» وی بر آن نشستی و می‌رفتی تا جایگاهی پدید آمد خرم و گروهی خوب صورت و طعامهای خوش و آبهای روان تا سحرگاه وی را آنجا بداشتندی. آنگاه به خواب اندر شدی، چون بیدار شدی خود را بر در صومعه خود دیدی تا رعونت آدمیت اندر وی تعبیه کرد و نخوت جوانی اندر دل وی تأثیر خود ظاهر کرد. زبان دعوی بگشاد و می‌گفت: «مرا چنین می‌باشد.» تا خبر به جنید بردند وی برخاست و به در صومعه وی آمد. وی را یافت زهوی اندر سر افکنده و تکبری فروگستریده. حال از وی پرسید. وی جمله با جنید بگفت. جنید رضی الله عنه گفت: «چون امشب بدان جای برسی، سه بار بگویی: لا حولَ ولا قُوَّةَ الا بالله العلیّ العظیم.» چون شب اندر آمد وی را می‌بردند و وی بر جنید به دل انکار می‌کرد. چون زمانی برآمد مر تجربه را سه بار کلمه «لا حول» بگفت آن جمله بخروشیدند و برفتند. وی یافت خود را اندر میان مژبانه‌ای نشسته و لختی استخوانهای مردار برگرد وی نهاده. بر خطای خود واقف شد و تعلق به توبه کرد و به صحبت پیوست.

و مرید را هیچ آفت چون تنهایی نباشد. و شرط صحبت ایشان آن است که هرکسی را اندر درجت وی بدارند، چون با پیران به حرمت بودن و با هم جنسان به عشرت زیستن و با کودکان شفقت برزیدن؛ چنانکه پیران را اندر درجه پدران داند و همجنسان را اندر درجه برادران داند و کودکان را اندر محل فرزندان و از حقد تبرا کند و از حسد بپرهیزد و از کینه اعراض کند و نصیحت از هیچ کس دریغ ندارد. و روا نیست اندر صحبت، یکدیگر را غیبت کردن و خیانت برزیدن و به قول و فعل با یکدیگر انکار کردن؛ از آنچه چون ابتدا صحبت از برای خدای بود عزّ و جلّ باید تا به فعلی یا به قولی که از بنده ظاهر شود آن را بریده نگردانند.

و من از شیخ المشایخ ابوالقاسم کُرکان پرسیدم رضی الله عنه که: «شرط صحبت چیست؟» گفت: «آن که حظ خود نجویی اندر صحبت؛ که همه آفات صحبت از آن است که هرکسی از آن حظ خود طلبند و طالب حظ را تنهایی بهتر از صحبت و چون حظّ خود فروگذارد و حظوظ صاحب خود را رعایت کند اندر صحبت مُصیب باشد.»

یکی گوید از درویشان که: وقتی از کوفه برفتم به قصد مکه، ابراهیم خواص را یافتم رضی الله عنه در راه. از وی صحبت خواستم. مرا گفت: «صحبت را امیری باید یا فرمانبرداری، چه خواهی امیر تو باشی یا من؟» گفتم: «امیر تو باش.» گفت: «هلا، تو از فرمان امیر بیرون می‌ای.» گفتم: «روا باشد.» گفت: چون به منزل رسیدیم، مرا گفت: «بنشین.» چنان کردم. وی آب از چاه برکشید. سرد بود، هیزم فراهم آورد و آتش برافروخت اندر زیر

میلی و به هرکارکه من قصد کردمی گفتمی: «شرط فرمان نگاه دار.» چون شب اندر آمد بارانی عظیم اندر گرفت. وی مرقعه خود بیرون کرد و تا بامداد بر سر من استاده بود و مرقعه بر دو دست افکنده و من شرمنده می بودم به حکم شرط هیچ نتوانستم گفتم. چون بامداد شد، گفتم: «ایها الشیخ، امروز امیر من باشم.» گفت: «صواب آید.» چون به منزل رسیدیم، وی همان خدمت بر دست گرفت. من گفتم: «از فرمان بیرون میای.» مرا گفت: «از فرمان کسی بیرون آید که امیر را خدمت خود فرماید.» تا به مکه هم بر این صفت با من صحبت کرد و چون به مکه آمدم از شرم وی بگریختم تا در منا مرا بدید و گفت: «ای پسر بر تو بادا که با درویشان صحبت چنان کنی که من با تو کردم.»

رُوی عن انس بن مالک، انه قال: «صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرَ سِنِينَ وَخَدَمْتُهُ، فَوَاللَّهِ مَا قَالَ لِي: أُمَّ قَطُّ، وَ مَا قَالَ لِشَيْءٍ فَعَلْتُ: لِمَ فَعَلْتَ كَذَا؟ وَلَا لِشَيْءٍ لَمْ أَفْعَلْهُ إِلَّا فَعَلْتَ كَذَا.» گفت: «ده سال رسول را علیه السلام خدمت کردم به خدای که هرگز مرا نگفت که: اُف، و هرگز هیچ کار نکردم که مرا بگفت که: چرا کردی؟ و آنچه نکردم، هرگز مرا نگفت که: فلان کار چرا نکردی؟»

پس جمله درویشان بر دو قسمت اند: یکی مقیمان و دیگری مسافران و مشایخ را رُضِيَ عَنْهُمْ سنت آن است که: باید تا مسافران مر مقیمان را بر خود فضل نهند؛ از آنچه ایشان بر نصیب خود می روند و مقیمان به حق خدمت نشسته اند و اندر مسافران علامت طلب است و اندر مقیمان امارت یافت. پس فضل باشد آن را که یافت و فرو نشست و از طلب بیاسود بر آن کس که می طلبد و مقیمان را باید که مسافران را بر خود فضل نهند؛ از آنچه ایشان اصحاب علایق اند و مسافران از علایق فرد گشته اند و آنان اندر طلب اند و اینان اندر وَفَّقَتْ اند. و باید تا پیران جوانان را بر خود فضل نهند؛ که ایشان اندر دنیا قریب العهد ترند و گناهشان کمتر است و باید تا جوانان پیران را بر خود فضل نهند که ایشان اندر عبادت سابق اند و اندر خدمت مقدم و چون چنین باشد هر دو گروه به یکدیگر نجات یابند و الا هلاک گردند.

فصل

و بحقیقت بدان که آداب، اجتماع خصال خیر باشد و «مأدبه» را از آن مأدبه خوانند که هرچه بر وی بیاید جمله باشد؛ پس «فَالَّذِي اجْتَمَعَ فِيهِ خِصَالُ الْخَيْرِ فَهُوَ اَدِيبٌ.» و اندر مجاری عادت کسی را که علم لغت داند و صرف و نحو او را ادیب خوانند.

باز به نزدیک این طایفه «الادبُ هو الوقوفُ مَعَ الْمُسْتَحْسِنَاتِ، و معناه: ان تعاملِ اللّٰهَ بِالادبِ سِرّاً و علانيةً، و إذا كنتَ كذلكَ كنتَ أدیباً و إن كنتَ أعجمياً، و إن لم تكن كذلكَ تكونَ علی ضده.»

ادب و قوف باشد بر کردارهای ستوده. گفتند: «معنی این چه بود؟» گفت: «آن که با خداوند تعالی معاملت به ادب کنی اندر ظاهر و باطن. و چون معاملت به ادب آراسته شود، تو ادیب باشی اگرچه زبانت اعجمی باشد.» که عبارت را اندر معاملت قدری زیادت نباشد و اندر همه احوال عاملان بزرگوارتر از قائلان اند. و یکی را از مشایخ رضی الله عنه پرسیدند که: «شرط ادب چه چیز است؟» گفت: من اندر بیتی جواب تو بگویم که شنیده ام:

اِذَا نَطَقْتَ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلَا حَةٍ و ان سَكَتَتْ جَاءَتْ بِكُلِّ مَلِيحٍ

یعنی ادب آن بود که اگر بگویی گفتارت صدق بود و اگر معاملت آری معاملت حق و گفتار صدق اگرچه درشت باشد ملیح بود، و معاملت خوب اگرچه دشوار بود نیکو بود. پس چون بگوید، اندر گفت خود مُصِيب باد و چون خاموش بود، اندر خاموشی خود مُحِقٌّ.

و فرقی نیکو کرده است شیخ ابونصر سراج رحمة الله علیه صاحب لُمع، اندر کتاب خود میان آداب که گفته است:

النَّاسُ فِي الْأَدَبِ عَلَى ثَلَاثِ طَبَقَاتٍ: أَمَّا أَهْلُ الدُّنْيَا فَأَكْثَرُ آدَابِهِمْ فِي الْفَصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَحِفْظِ الْعُلُومِ وَأَسْمَارِ الْمُلُوكِ وَأَشْعَارِ الْعَرَبِ، وَ أَمَّا أَهْلُ الدِّينِ فَأَكْثَرُ آدَابِهِمْ فِي رِيَاضَةِ النَّفْسِ وَتَأْدِيبِ الْجَوَارِحِ وَحِفْظِ الْحُدُودِ وَ تَرْكِ الشَّهَوَاتِ وَ أَمَّا أَهْلُ الْخُصُوصِيَّةِ فَأَكْثَرُ آدَابِهِمْ فِي طَهَارَةِ الْقُلُوبِ وَ مُرَاعَاةِ الْأَسْرَارِ وَ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ وَ حِفْظِ الْوَقْتِ وَ قَلَّةِ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْخَوَاطِرِ وَ حُسْنِ الْأَدَبِ فِي مَوَاقِفِ الطَّلَبِ وَ أَوْقَاتِ الْحُضُورِ وَ مَقَامَاتِ الْقُرْبِ.

مردمان اندر ادب سه قسمت اند: یکی اهل دنیا که ادب به نزدیک ایشان فصاحت و بلاغت و حفظ علوم و سمرهای ملوک و اشعار عرب است و دیگر اهل دین که ادب به نزدیک ایشان ریاضت نفس و تأدیب جوارح و نگاهداشت حدود و ترک شهوات است و سدیگر اهل خصوصیت اند که ادب به نزدیک ایشان طهارت دل بود و مراعات سر و وفا کردن عهد و نگاه داشتن وقت و کمتر نگرستن به خواطر پراکنده و نیکوکرداری اندر محل طلب و وقت حضور و مقام قرب.

و این سخنی جامع است و تفصیل این در کتاب پراکنده بیاید، ان شاء الله عز و جل.

بَابُ آدَابِ الْإِقَامَةِ فِي الصَّحْبَةِ

چون درویشی اقامت اختیار کند بدون سفر، شرط ادب وی آن بود که چون مسافری بدو رسد به حکم حرمت به شادی پیش وی بازآید و وی را به حرمت قبول کند و چنان داند که وی یکی از آن ضیف ابراهیم خلیل است، علیه السلام. از مکرمی با وی آن کند که ابراهیم کرد علیه السلام که بی تکلف آنچه بود وی را پیش آورد؛ چنانکه خدای عز و جل گفت: «فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ (۲۶/الذَّارِيَاتِ)». و نپرسد که از کدام سوی آمدی یا کجا می روی و یا چه نامی مر حکم ادب را. آمدنشان از حق بیند و رفتن به سوی حق بیند و نامشان بنده حق داند آنگاه نگاه کند تا راحت وی اندر خلوت بود یا صحبت؛ اگر اختیار وی خلوت بود، جایی خالی کند و اگر اختیار وی صحبت بود، تکلف صحبت کند به حکم انس و عشرت و چون شب سر به بالین باز نهد باید تا مقیم دستی بر پای وی نهد و اگر بنگذارد و گوید: «عادت ندارم»، اندر نیاویزد تا وی گرانبار نشود و دیگر روز گرمابه بر وی عرضه کند و به گرمابه پاکیزه ترین بردش، و جامه وی را از میزهای گرمابه نگاه دارد و نگذارد که خادم اجنبی وی را خدمت کند، باید که همجنسی و را خدمت کند به اعتقادی تا به پاک گردانیدن وی آن کس از همه آفات پاک شود. و باید که تا پشت وی بخارد و زانوها و کف پای و دستش بمالد و بیشتر از این شرط نیست.

و اگر این مقیم را دسترس آسان باشد که وی را جامه نو سازد، تقصیر نکند و اگر نباشد تکلف نکند همان خرقة وی را نمازی کند تا چون از گرمابه برآید درپوشد. و چون از گرمابه به جای بازآید و روز دیگر شود اگر در آن شهر پیری بود یا جماعتی از ائمه اسلام وی را گوید: «اگر صواب باشد، تا به زیارت ایشان رویم.» اگر اجابت کند صواب و اگر گوید: «رای و دل آن ندارم»، بر وی انکار نکند؛ از آنچه وقت باشد مر طالبان حق را که دل خود هم ندارند ندیدی که چون ابراهیم خواص را رحمة الله علیه گفتند: «از عجایب اسفار خود ما را خبری بگوی.» گفت: عجب تر آن بود که خضر پیغمبر علیه السلام از من صحبت درخواست، دل وی نداشتم و اندر آن ساعت بدون حق نخواستم که کسی را به نزدیک دل من خطر و مقدار باشد که وی را رعایت باید کرد.»

و البته روا نباشد که مقیم مر مسافر را به سلامگری اهل دنیا برد و یا به ماتمها و عیادتهای ایشان و هر مقیمی را که از مسافران این طمع بود که ایشان را آلت گدایی خود سازد و از این خانه بدان خانه می بردشان، خدمت

ناکردن وی مرایشان را اولی‌تر از آن که آن دُلّ بر تن ایشان نهادن و رنج به دل ایشان رسانیدن. و مرا که علی بن عثمان الجلابی‌ام اندر اسفار خود هیچ رنج و مشقت صعب‌تر از آن نبود که خادمان جاهل و مقیمان بی باک مرا گاهگاه برداشتندی و از خانه این خواجه به خانه آن دهقان می‌بردندی و من به باطن بر ایشان سینه می‌خواندمی و به ظاهر مسامحتی می‌کردمی. و آنچه مقیمان بر من کردند از بی طریقتی من نذر کردی که اگر وقتی من مقیم‌گردم با مسافران این نکنم و از صحبت بی ادبان فایده بیش از این نباشد که آنچه ترا خوش نیاید از معاملات ایشان تو آن نکنی.

و باز اگر درویشی مسافر منبسط شود و روزی چند صحبت و بایست دنیا اظهارکنند، مقیم را از آن چاره نباشد که وی را به دم بایست وی فرا برد و اگر این مسافر مدعی بود بی همت، مقیم را نباید که بی همتی کند و متابع وی باشد اندر بایستهای محال وی؛ که این طریقت منقطعان است. چون بایست آمد به بازار باید شد به ستد و داد کردن، و یا به درگاه سلطانی به عوانی. وی را با صحبت منقطعان چه کار باشد؟

و گویند که جنید رضی الله عنه با اصحاب خود به حکم ریاضتی نشسته بودند. مسافری درآمد. بر نصیب وی تکلفی کردند و طعامی پیش آوردند. وی گفت: «بجز این مرا فلان چیز بایستی.» جنید گفت: «ترا به بازار باید شد که تو مرد اسواقی نه از آن مساجد و صوامع.»

وقتی من از دمشق با دو درویش قصد زیارت ابن العلام کردم و وی به روستای رمله می‌بود اندر راه با یکدیگر گفتیم: که ما هر یکی را با خویشتن واقعه‌ای که داریم، اندیشه باید کرد تا آن پیر از باطن ما را خبر دهد و واقعه ما حق شود. من با خود گفتم: «مرا از وی اشعار و مناجات حسین بن منصور باید.» آن دیگری گفت: «مرا دعایی باید تا طحالم بشود.» و آن دیگری گفت: «مرا حلوی صابونی باید.» چون به نزدیک وی رسیدیم فرموده بود تا جزوی نبشته بودند از اشعار و مناجات حسین منصور. پیش من نهاد و دست بر شکم آن درویش مالید طحال از وی بشد و آن دیگری را گفت: «حلوی صابونی غذای عوانان بود، و تو لباس اولیای خدای داری. لباس اولیا با مطالبت عوانان راست نیاید از دو یکی اختیارکن.»

و در جمله مقیم را جز رعایت آن کس واجب نیاید که او به رعایت حق مشغول بود و تارک حظ خود باشد، و چون کسی به حظوظ خود اقامت کرد دیگری را باید تا وی را خلاف کند و چون باز به ترک حظ خود گرفت وی به حظ وی اقامت کند شاید تا اندر هر دو حال راه برده باشد نه راه زده.

و معروف است اندر اخبار پیغمبر علیه السلام که وی سلمان را با بوذر غفاری برادری داده بود، و هر دو از سرهنگان اهل صغه بودند و از رئیسان و خداوندان باطن. روزی سلمان به خانه ابوذر اندر آمد به زیارت. عیال بوذر با سلمان از بوذر شکایت کرد که: «برادر تو به روز چیزی نمی‌خورد و به شب نمی‌خسبد.» سلمان گفت: «چیزی خوردنی بیار.» چون بیاورد بوذر را گفت: «ای برادر، مرا می‌باید تا با من موافقت کنی، که این روزه بر تو فریضه نیست.» ابوذر موافقت کرد. چون شب اندر آمد، گفت: «ای برادر، می‌باید که اندر خفتن با من موافقت کنی.» الاثر: «إِنَّ لِحَسَدِكَ عَلِيكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِرُؤُوجِكَ عَلِيكَ حَقًّا وَإِنَّ لِرَبِّكَ عَلِيكَ حَقًّا.»

چون دیگر روز بود، بوذر به نزدیک پیغمبر علیه السلام آمد. وی گفت: «من همان گویم یا باذر، که دوش سلمان گفت: إِنَّ لِحَسَدِكَ عَلِيكَ حَقًّا.» چون بوذر به ترک حظوظ خود بگفته بود، سلمان به حظوظ وی اقامت کرد و ورد خود فرو گذاشت. بر این اصل هر چه کنی صحیح و مستحکم آید.

وقتی من اندر دیار عراق اندر طلب دنیا و فنای آن ناباکی می‌کردم و اوام بسیار برآمده بود و حشو هرکسی با بایستی روی به من آورده بودند و من اندر رنج حصول هوای ایشان مانده سیدی از سادات وقت به من نامه‌ای نوشت:

«نگر ای پسر، تادل خویش از خدای عزّ و جلّ مشغول نکنی به فراغت دلی که مشغول هواست. پس اگر دلی یابی عزیزتر از دل خود، روا باشد که به فراغت آن دل خود را مشغول گردانی، و الا دست از آن کار بدار؛ که بندگان خدای را خدای عزّ و جلّ بسنده باشد.» اندر وقت مرا بدین سخن فراغتی پدید آمد. این است احکام مقیمان اندر صحبت مسافران بر سیل اختصار. و بالله التّوفیق.

بابُ الصّحبة فی السّفر و آدابهُ

چون درویشی سفر اختیار کند بدون اقامت، شرطِ ادبِ وی آن بود که:

نخست باری سفر از برای خدای تعالی کند نه به متابعت هوی و چنانکه به ظاهر سفری می کند به باطن از هواهای خود نیز سفر کند و مدام بر طهارت باشد و اوراد خود ضایع نکند و باید تا بدان سفر مرادش یا حجی باشد یا غزوی یا زیارت موضعی یا گرفتن فایده‌ای و طلب علمی یا رؤیت شیخی از مشایخ، و الاّ مُخطی باشد اندر آن سفر.

و وی را اندر آن سفر از مرقعه‌ای و سجاده‌ای و عصایی و رکوه‌ای و حبلی و کفشی یا نعلینی چاره نباشد؛ تا به مرقعه عورت بپوشد و بر سجاده نماز کند و به رکوه طهارت کند و به عصا آفتها از خود دفع کند و اندر آن وی را مآرب دیگر بود و کفش اندر حال طهارت در پای کند تا به سر سجاده آید و اگر کسی آلت بیشتر از این دارد مر حفظ سنت را، چون شانه و سوزن و ناخن پیرای و مکحله روا باشد؛ و باز اگر کسی زیادت از این سازد خود را و تجمل کند نگاه کنیم تا در چه مقام است. اگر در مقام ارادت است، این هر یکی بندی و بتی و سدی و حجابی است، و مایه اظهار رعونت نفس وی آن است و اگر در مقام تمکین و استقامت است وی را این و بیش از این مسلم است.

و من از شیخ ابومسلم فارس بن غالب الفارسی شنیدم رضی الله عنه که: روزی من به نزدیک شیخ ابوسعید بن ابی الخیر در آمدم رضی الله عنه به قصد زیارت.

وی را یافتم بر تختی، اندر چهار بالشی خفته و پایها بر یکدیگر نهاده و دقّی مصری پوشیده؛ و من جامه‌ای داشتم از وسّخ چون دوال شده تنی از رنج گذاخته و گونه‌ای از مجاهدت زرد شده. از دیدن وی بر آن حالت، انکاری در دل من آمد. گفتم: «این درویش و من درویش! من در چندین مجاهدت و وی اندر چندین راحت!» وی اندر حال بر باطن و اندیشه من مشرف شد و نخوت من بدید. مرا گفت: «یا بامسلم، در کدام دیوان یافتی که خویشتن بین خدای بین باشد؟ ای درویش، چون ما همه حق را دیدیم، گفت: جز بر تخت ننشانیم و چون تو همه خود را دیدی، گفت: جز اندر تحت ندارم از آن ما مشاهدت آمد و از آن تو مجاهدت.» و این هر دو دو مقام است از مقامات راه. و حق تعالی از این منزله و درویش از مقامات فانی و از احوال رسته. شیخ بومسلم گفت: هوش از من بشد و عالم بر من سیاه گشت. چون به خود باز آمدم توبه کردم و وی توبه من بپذیرفت. آنگاه گفتم: «ایّها الشّیخ مرا دستوری ده تا بروم؛ که روزگار من رؤیت ترا تحمل نمی‌تواند کرد.» گفت: «صدّقْت، یا بامسلم.» آنگاه بر وجه مثل این بیت بگفت:

آنچه گوشم نتوانست شنیدن به خبر همه چشمم به عیان یکسره دید آن به بصر

پس باید مسافر را تا پیوسته حافظ سنت باشد و چون به مقیمی فرا رسد به حرمت نزدیک وی درآید و سلام گوید. نخست پای چپ از پای افزار بیرون کند؛ که پیغمبر علیه السّلام چنین کردی و چون پای افزار در پای کند نخست پای راست در پای افزار کند و چون پای افزار بیرون کند، پای بشوید و دو رکعت نماز کند بر حکم تحیت.

آنگاه به رعایت حقوق درویشان مشغول شود و نباید که به هیچ حال بر مقیمان اعتراض کند و یا با کسی زیادتى کند به معاملتى یا سخن سفره‌هاى خود کند یا علم و حکایات و روایات گوید اندر میان جماعت؛ که این جمله اظهار رعونت بود و باید که رنج جهله بکشد و بار ایشان تحمل کند از برای خدای را؛ که اندر آن برکات بسیار باشد.

و اگر این مقیمان و یا خادم ایشان بر وی حکمى کنند و وی را سلامى و یا زیارتى دعوت کنند، اگر تواند خلاف نکند؛ اما به دل مراعات اهل دنیا را منکر باشد، و افعال آن برادران را عذرى مى‌نهد و تأویلى مى‌کند و باید که به هیچ گونه رنج بایست مُحال خود بر دل ایشان نهد و مرایشان را به درگاه سلطان نکشد به طلب راحت و هوای خود.

و اندر جمله احوال مسافر و مقیم را اندر صحبت، طلب رضای خداوند تعالی باید کرد و به یکدیگر اعتقاد نیکو باید داشت و مر یکدیگر را برابر بد نباید گفت و از پس پشت غیبت نباید کرد؛ از آنچه شوم باشد بر طالب حق سخن خلق گفتن خاصه به ناخوب؛ از آنچه محققان اندر رؤیت فعل فاعل بینند و چون خلق بدان صفت که باشند از آن خداوند بوند و آفریده‌ی وی بوند معیوب و بی عیب، محجوب و مکاشف خصومت بر فعل، خصومت بر فاعل بود. و چون به چشم آدمیت اندر خلق نگرد از همه باز رهد؛ که جمله خلق محجوب و مهجور و مقهور و عاجزاند، و هرکسى جز آن نتواند کرد و نتواند بود که خلقتش بر آن است و خلق را اندر مُلک وی تصرف نیست و قدرت بر تبدیل عین جز حق را تعالی و تقدس نباشد و الله اعلم.

باب آدابهم فی الأکل

بدان که آدمی را از اکل چاره نیست؛ که اقامت تألیف طبایع جز به طعام و شراب نیست؛ اما شرط مروت آن است که اندر آن مبالغت نکند و روز و شب خود را در اندیشه آن مشغول نگرداند. شافعی گوید، رحمة الله علیه: «مَنْ كَانَ هَمُّهُ مَا يَدْخُلُ فِي جَوْفِهِ، فَإِنَّ قِيَمَتَهُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ.» و مر مرید حق را هیچ چیز مضرتر از خوردن بسیار نیست. و پیش از این اندر این کتاب، اندر «باب الجوع» طرفی از این معنی گفته‌ام؛ اما اینجا این مقدار اندر خور مى‌باشد.

و اندر حکایات یافتیم که: ابویزید را رضی الله عنه پرسیدند که: «چرا تو مدح گرسنگی بسیار گویی؟» گفت: «آری، اگر فرعون گرسنه بودی، هرگز انا ربکم الاعلی (۲۴/النّازعات) نگفتی و اگر قارون گرسنه بودی باغی نگشتی؛ و ثعلبه تا گرسنه بود به همه زبانها ستوده بود، چون سیر شد نفاق ظاهر کرد.» و قال الله تعالی: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (۱۲/محمد).»

و سهل بن عبدالله رضی الله عنه گفت: «شکم پر از خمر حرام دوست‌تر دارم که پر از طعام حلال.» گفتند: «چرا؟» گفت: «از برای آن که چون شکم پر از خمر بود، عقل بیارامد و آتش شهوت بمیرد و خلق از دست و زبان وی ایمن شوند؛ اما چون پر طعام حلال بود فضول آرزو کند و شهوت قوت گیرد و نفس به طلب نصیبه‌های خود سر برآرد.»

و گفته‌اند مشایخ در صفت ایشان که: «أَكْلُهُمْ كَأَكْلِ الْمَرْضَى وَ نُومُهُمْ كَنَوْمِ الْغَرَقَى.» خوردنشان چون از آن بیماران بود و خوابشان چون خواب غرقه شدگان.»

پس شرط آداب اکل آن است که تنها نخورند و ایثار کنند مر یکدیگر را؛ لقوله، علیه السلام: «شَرُّ النَّاسِ مَنْ أَكَلَ وَحَدَهُ وَضَرَبَ عَبْدَهُ وَمَنْعَ رِفْدَهُ.» چون بر سفره نشینند خاموش نباشند و ابتدا به نام خدای کنند و حدیثی نگویند

از نهاد و برداشت که اصحاب را از آن کراهیت آید و لقمه اول بر نمک زنند و مر رفیق خود را انصاف دهند. و سهل بن عبدالله را پرسیدند از معنی «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ (۹۰/ النحل)». گفت: «عدل آن بود که انصاف رفیق اندر لقمه بدهد و احسان آن که وی را بدان لقمه اولی تر از خود داند.» و شیخ من رضی الله عنه گفتی که: «عجب دارم از آن مدعی که گوید من به ترک دنیا گفتم، و اندر اندیشه لقمه باشد.»

آنگاه باید که طعام به دست راست خورد و جز اندر لقمه خود ننگرد و در طعام خوردن آب کمتر خورد مگر اندر حال تشنگی صادق و چون بخورد اندک خورد چندان که جگرتر شود و لقمه بزرگ نکند و خرد بخاید و شتاب نکند؛ که از این چیزها بیم تخمه‌ها بود و مخالفت سنت و چون از طعام فارغ شود حمد گوید و دست بشوید. و اگر از میان جماعت دو یا سه کس یا بیشتر پنهان جماعت به دعوتی شوند و چیزی خورند بعضی از مشایخ گفته‌اند که: «آن حرام باشد و اندر صحبت کردن خیانت بود؛ اولئک ما یأکلون فی بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ (۱۷۴/ البقره)»، و گروهی گفته‌اند که: «چون جماعتی باشند بر موافقت یکدیگر روا باشد.» و گروهی گفته‌اند که: «اگر یک کس باشد هم روا باشد؛ که وی را انصاف نه در حال وحدت می‌باید داد که اندر حال صحبت می‌باید داد. چون تنها باشد حکم صحبت یک ساعته از وی برخیزد و بدان مأخوذ نباشد.»

و مهم‌ترین اصلی اندر این مذهب آن است که دعوت درویشی را رد نکند و دعوت دنیاداری نرود و طعام ایشان را اجابت نکند و از ایشان چیزی اندر نخواهد؛ که اندر آن وهنی باشد مر طریقت را؛ از آنچه اهل دنیا محرم نیند مر درویشان را.

و در جمله مرد به کثرت متاع، دنیا دار نباشد و به قلت آن درویش نه؛ که هر که به تفضیل فقر بر غنا مُقَرَّب بود، وی دنیادار نباشد اگر چه ملکی باشد و هر که منکر بود دنیادار بود اگر چه مضطری بود.

و چون به دعوت حاضر شد به چیزی خوردن و ناخوردن تکلف نکند بر حکم وقت برود. و چون صاحب دعوت محرم باشد روا بود که متأهلی زله‌ای برگیرد و اگر نامحرم بود به خانه وی رفتن روا نبود. اما همه وقت زله ناکردن اولی تر باشد؛ که سهل بن عبدالله رضی الله عنه گوید: «الزَّلَّةُ زَلَّةٌ. زَلَّةٌ زَلَّتْ بُوْد.» و الله اعلم بالصواب.

بَابُ آدَابِهِمْ فِي الْمَشْيِ

قوله، تعالی: «و عِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا (۶۳/ الفرقان)».

باید که طالب حق پیوسته بر روش خود می‌رود و بدانند که هر قدمی که می‌نهد بر چه می‌نهد آن بر وی است یا از آن وی است؟ اگر بر وی است، استغفار کند و اگر از آن وی است، در آن جد کند تا زیادت شود.

و از داود طائی رضی الله عنه می‌آید که: روزی دارو خورده بود وی را گفتند: «زمانی بدین صحن سرای اندر شو تا فایده دارو ظاهر شود.» گفت: «من شرم دارم که به قیامت خدای عز و جل مرا سؤال کند: چرا قدمی چند بر نصیب هوای خود نهادی؟ لقله، تعالی: وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (۶۵/ یس)».

پس درویش باید که به مراقبت و بیداری رود سرافکنده، و به هیچ سو ننگرد جز اندر برابر روی خود و راه و اگر کسی وی را پیش آید خود رادرنکشد مر نگاهداشت جامه خود را که تا بدو باز نیاید؛ که مؤمنان و جامه‌های ایشان پاک باشند و این خصله جز رعونت و خویشتن پیدا کردنی نباشد؛ و باز اگر آن کس کافر باید یا پلیدی بر

وی ظاهر بود، روا بود که خود را از وی نگاه دارد و چون با جماعتی می‌رود قصد پیش رفتن نکند و زیادت جستن به تکبر و نیز قصد بازپس رفتن نکند و زیادت جستن به تواضع و از نمودن تواضع به مردمان به معاملتی پرهیز کند؛ که تواضع را چون بدید، عین تکبر شود و نعل کفش را تا بتواند از پلیدها نگاه دارد به روز؛ تا خداوند تعالی به برکات آن، جامه وی را به شب نگاه دارد و باید که چون جماعتی، و یا یک درویش، با کسی باشند اندر راه با کسی نایستند به سخن و ورا انتظار خود نفرمایند و آهسته رود و شتاب نکند؛ که به حریمان ماند و نرم نرم نرود؛ که متکبران ماند و گام تمام نهد.

و در جمله باید که روش طالب پیوسته بدان صفت بود که اگر کسی گوید: «کجا می‌روی؟» بقطع بتواند گفت: «إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي (۹۹/الصَّافَّاتِ)». و اگر جز چنین باشد رفتن وی بر وی وبال باشد؛ از آنچه صحت خُطُوات از صحت خطرات باشد پس هر که اندیشه وی مجتمع باشد مر حق را، اقدام وی متابع اندیشه وی باشد. و از بویزید رضی الله عنه روایت آرند که گفت: روش بر درویش نشان غفلت بود؛ که هر چه هست خود اندر دو قدم حاصل آید که یکی بر نصیبه‌های خود نهد و یکی بر فرمانهای حق این یک قدم را بردارد و آن دیگر بر جای بدارد و روش طالب علامت قطع مسافت بود و قرب حق به مسافت نیست و چون قرب وی مسافتی نباشد طالب را جز قطع پایها اندر محل سکون چه وجه باشد؟ و الله اعلم بالصواب.

بابُ نَوْمِهِمْ فِي السَّفَرِ وَ الْحَضَرِ

بدان که مشایخ را رضی الله عنهم اندر این معنی اختلاف بسیار است به نزدیک گروهی مسلم نیست مرید را که بخسبد جز اندر حال غلبه، آنگاه که خواب را از خود باز نتواند داشت؛ که رسول گفت، صلی الله علیه و سلم: «النَّوْمُ أَخُ الْمَوْتِ. خواب برادر مرگ است.» پس زندگانی از خداوند تعالی نعمت است و مرگ بلا و محنت، لامحاله نعمت اشرف از بلا بود.

و از شبلی رحمة الله علیه می‌آید که گفت: «أَطَّلَعَ الْحَقُّ عَلَيَّ، فَقَالَ: إِنَّ نَامَ غَفَلَ وَ مِنْ غَفَلٍ حُجْبٌ.» و به نزدیک گروهی روا باشد که مرید به اختیار بخسبد و اندر خواب تکلف بکند از پس آن که حق امور به جای آورده باشد؛ لقله، علیه السلام: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثٍ: عَنِ النَّائِمِ حَتَّى يَنْتَبِهَ وَ عَنِ الصَّبِيِّ حَتَّى يَحْتَلِمَ وَ عَنِ الْمَجْنُونِ حَتَّى يُفِيقَ.» و چون از خفته قلم برداشته باشند تا آنگاه که بیدار گردد و خلق از بد او ایمن شده باشند و اختیار وی از وی کوتاه شده باشد و نفسش از مرادات معزول گشته و کراماً کاتبین از نیشنن بیاسوده و زبانش از دعاوی فرو بسته و از دروغ و غیبت بازمانده و از کل معاصی منقطع گشته، «لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَ لَا مَوْتًا وَلَا حَيَاتًا وَ لَا نُشُورًا»؛ کما قال ابن عباس رضی الله عنهما: «لَا شَيْءَ أَشَدُّ عَلَى إِبْلِيسَ مِنْ نَوْمِ الْعَاصِي، فَإِذَا نَامَ الْعَاصِي يَقُولُ: مَتَى يَنْتَبِهُ وَ يَقُومُ حَتَّى يَعْصِيَ اللَّهَ؟»

و این خلاف جنید راست با علی بن سهل الإصفه‌ای رحمة الله علیهما و اندر این معنی نامه‌ای نیک لطیف است که علی به جنید نبشت و آن مسموع من است. و علی بن سهل گوید که مقصود از این آن است اندر این نامه که: «خواب غفلت است و قرار اعراض. باید که محب را روز و شب خواب و قرار نباشد؛ که اگر بغنود اندر آن حال از مقصود بماند و مفقود از خود و از روزگار خود غافل بود و از حق تعالی بازماند؛ چنانکه خداوند تعالی وحی فرستاد به داود علیه السلام و گفت: كَذَّبَ مَنْ ادَّعَى مَحَبَّتِي فَإِذَا جَنَّهُ اللَّيْلُ نَامَ عَنِّي. دروغ گفت آن که دعوی محبت من کرد و چون شب درآمد بخفت و از دوستی من برداخت.»

و جنید می‌گوید رحمة الله علیه اندر جواب آن نامه که: «بیداری ما معاملت ماست اندر راه حق، و خواب ما

فعل حق بر ما. پس آنچه بی اختیار ما بود از حق به ما تمام تر از آن بود که به اختیار ما بود از ما به حق. و النَّوْمُ مَوْهَبَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى الْمُحْيِينَ وَآن عَطَائِي بُوَد اَزْحَق تَعَالَى بِر دُوسْتَان.»

و تعلق این مسأله به صحو سُکر است و سخن اندر آن بتمامی گفته‌ام اما عجب آن است که جنید رضی الله عنه صاحب صحو بود اینجا قوت مر سُکر را کرده است و ما نا که اندر آن وقت مغلوب بوده است و ناطق بر زبانش وقت بوده است و نیز روا باشد که بر ضد این بوده است؛ که خواب خود عین صحو باشد و بیداری عین سُکر؛ از آنچه خواب صفت آدمیت است و تا آدمی اندر مظلّه اوصاف خود باشد به صحو منسوب باشد و ناخفتن صفت حق است و چون آدمی از صفت خود فراتر شود مغلوب باشد.

و من دیدم گروهی از مشایخ که خواب را بر بیداری می فضل نهادند بر موافقت جنید؛ از آنچه نمود اولیا و بزرگان و بیشتر از پیغمبران صلوات الله علیهم و رضی عنهم به خواب پیوسته است؛ لِقَوْلِهِ، عَلَيْهِ السَّلَام: «إِنَّ اللَّهَ يُبَاهِي بِالْعَبْدِ الَّذِي نَامَ فِي سُجُودِهِ، وَيَقُولُ: انظُرُوا مَلَائِكَتِي إِلَى عَبْدِي وَرُوحُهُ فِي مَحَلِّ النَّجْوَى وَبَدَنُهُ عَلَى بَسَاطِ الْعِبَادَةِ. خدای عزّ و جلّ مباحث کند به بنده‌ای که اندر سجود بخسبد. گوید مر فریشتگان را: بنگرید اندر آن بنده من، جانش با من اندر رازگفتن است و تنش بر بساط عبادت.» و قوله، عَلَيْهِ السَّلَام: «مَنْ نَامَ عَلَى طَهَارَةٍ يُؤَدِّنُ لِرُوحِهِ أَنْ يَطُوفَ بِالْعَرْشِ وَيَسْجُدَ لِلَّهِ، تَعَالَى. هر که بر طهارت بخسبد جان وی را دستوری دهند که: برو و عرش را طواف کن و خداوند را تعالی و تقدس سجده کن.»

و اندر حکایات یافتیم که شاه شجاع کرمانی چهل سال بیدار بود. چون شبی بخفت خداوند را تعالی در خواب دید از پس آن هر شب بختی امید آن را. و اندر این معنی قیس عامری گوید رحمه الله:

وَإِنِّي لَأَسْتَتَعِسُ وَمَا بِي نَعْسَةٌ لَعَلَّ خَيْالاً مِنْكَ يَلْقَى خِيَالِيَا

و دیدم گروهی را که بیداری را بر خواب فضل نهادند بر موافقت علی بن سهل رحمه الله علیه از آنچه وحی رسل و کرامات اولیا را تعلق به بیداری بوده است. و یکی از مشایخ گوید، رحمه الله: «لَوْ كَانَ فِي النَّوْمِ خَيْرٌ لَكَانَ فِي الْجَنَّةِ نَوْمٌ.»

اگر اندر خواب هیچ خبر بودی و یا مر محبت و قربت را علت گشتی بایستی تا در بهشت که سرای قربت است خواب بودی چون اندر بهشت خواب و حجاب نبود دانستم که خواب حجاب است.

و ارباب لطایف گویند که: چون آدم علیه السلام اندر بهشت بخفت، حوا از پهلوی چپ وی پدیدار آمد. و همه بلای وی از حوا بود.

و نیز گویند: چون ابراهیم گفت مر اسماعیل را: «يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ (۱۰۲/الصافات)، اسماعیل گفت: «ای پدر، هذا جَزَاءٌ مِنْ نَامٍ عَنْ حَبِيبِهِ، لَوْلَمْ تَنْمَ لَمَا أَمْرَتْ بِذَبْحِ الْوَلَدِ.» این جزی آن کس است که بخسبد و از دوست غافل شود اگر نخفتی نفرمودندی که پسر را بباید کشتن. پس خواب تو مر ترا بی پسر گردانید و مرا بی سر. درد من یک ساعته باشد و درد تو همیشه.

و از شبلی رحمه الله علیه می‌آید که: هر شب سُکره‌ای نمک با آب و با میلی پیش نهاده بودی چون در خواب خواستی شد میلی از آن در دیده کشیدی.

و من که علی بن عثمان الجلابی ام دیدم پیری را که چون از ادای فرایض فارغ گشتی بخفتی و دیدم شیخ احمد سمرقندی نجار را که چهل سال بود تا شب نخفته بود و به روز اندکی بخفتی و رجوع این مسأله بدان بازگردد که چون مرگ به نزدیک کسی دوست‌تر از زندگانی بود، باید تا خواب دوست‌تر از بیداری بود و چون زندگانی دوست‌تر از مرگ دارد، باید تا بیداری به نزدیک وی دوست‌تر از خواب بود. پس قیمت نه آن را بود که بتکلف بیدار بود؛ که قیمت آن را بود که بی تکلفش بیدار کرده‌اند؛ چنانکه رسول را خدای عزّ و جلّ برگزید و به درجت

اعلی رسانید، وی نه اندر خواب تکلف کرد نه اندر بیداری؛ تا فرمان آمد که: «قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (۲/الْمَزْمَل)». و قیمت نه آن را بود که بتکلف بخشید قیمت آن را بود کش بخوابانند؛ چنانکه خدای عز و جل اصحاب کهف را برگزید و به محل اعلی رسانید و لباس کفر از گردن ایشان برکشید ایشان نه اندر خواب تکلف کردند نه اندر بیداری؛ تا حق تعالی خواب بر ایشان افکند و بی اختیار ایشان مرایشان را می پرورد؛ لقله، تعالی: «و تَحْسِبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَ نُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَ ذَاتَ الشَّمَالِ (۱۸/الْكَهْف)». و این هر دو اندر حال بی اختیاری بود و چون بنده به درجتی رسد که اختیار وی برسد و دستش از کل بریده گردد و همتش از غیر اعراض کند اگر بخشید یا بیدار باشد به هر صفت که بود عزیز و بزرگوار باشد.

پس شرط خواب مرید را آن باشد که اول خواب خود را چون آخر عهد خود داند از معاصی توبه کند و خصمان خشنود کند و طهارتی پاکیزه کند و بر دست راست، روی سوی قبله کند و بخشید، کارهای دنیا راست کرده؛ و نعمت اسلام را شکر کند و شرط کند که اگر بیدار گردد با سر معاصی نشود. پس هر که به بیداری کار خود ساخته باشد، وی را از خواب و مرگ باکی نباشد.

و اندر حکایات مشهور است که آن پیر به نزدیک آن امامی که اندر رعایت جاه و کلاه رعونت نفس اندر مانده بود، درآمدی و گفتی: «یا بافلان، می باید مرد.» وی را از آن سخن رنجی به دل آمدی که: «این مرد گدای، هر زمان مرا این سخن می گوید.»

روزی گفت من فردا ابتدا کنم. دیگر روز آن پیر اندر آمد. امام گفت: «یا بافلان، می باید مرد.» وی سجاده باز افکند و سر باز نهاد و گفت: «مردم.» اندر حال جانش برآمد. امام را از آن تنبیهی بود. دانست که وی را می فرمود که: «بسیج راه مرگ کن چنین که من کردم.»

و شیخ من رضی الله عنه مریدان را بر آن داشتی که: جز اندر حال غلبه مخسید و چون بیدار شدید نیز مخسید که خواب ثانی بر مرید حق حرام بود و بیکاری و اندر این معنی سخن بسیار آید و الله اعلم.

باب آدابهم فی الکلام و السکوت

قله، تعالی: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ (۳۳/فَصَّلَتْ)».

و نیز گفت: «قَوْلٌ مَعْرُوفٌ (۲۶۳/البقره)».

و نیز گفت: «قُولُوا مَنَّا (۱۳۶/البقره)».

بدان که گفتار از حق به بنده فرمان است، چون اقرار به یگانگی وی و ثناهای وی، و خلق را به درگاه وی خواندن و نطق نعمتی بزرگ است از حق تعالی به بنده و آدمی بدان مُمیز است از دیگر حیوانات؛ قله، تعالی: «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ (۷۰/الإسراء)» یک قول مفسران اندر این، قول است. پس هر چند که گفتار از حق به بنده نعمتی ظاهر است آفت آن نیز بزرگ است؛ لقله، علیه السلام: «أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي اللِّسَانُ.»

و در جمله گفتار چون خمر است که عقل را سست کند و مرد چون اندر شرب آن افتاد هرگز بیرون نتواند آمد و خود را از آن باز نتواند داشت. و چون این معلوم اهل طریقت شد که گفتار آفت است، سخن جز بضرورت نگفتند؛ یعنی در ابتدا و انتهای سخن خود نگاه کردند، اگر جمله حق را بود بگفتند و الا خاموش بودند؛ از آنچه معتقد بودند که خداوند عالم الاسرار است و مذموم اند خلائق اگر خداوند تعالت کبریاؤه جز چنین دانند؛ لقله، تعالی: «أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَ نَجْوَاهُمْ بَلَى وَ رُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ (۸۰/الزخرف)» یا می پندارند که من نمی دانم نهانیهای ایشان؟ بلی می دانم و ملائکه نیز بر ایشان می نویسند و من عالم الغیب و مطلع

الاسرارم. و قوله، علیه السّلام: «مَنْ صَمَّتْ نَجَا. أَنْ كَهْ خَامُوشٌ بَاشِدْ نَجَاتٌ يَابِد.» پس اندر خاموشی فواید و فتوح بسیار است و درگفتن آفت بسیار.

و گروهی از مشایخ را بر کلام فضل نهاده‌اند و گروهی کلام را بر سکوت. از آن جمله جنید گفت رضی الله عنه که: «عبارت جمله دعاوی است و آنجا که اثبات معانی است دعاوی هذر باشد.» و وقت باشد که به سقوط قول اندر حال اختیار معذور گردد؛ یعنی اندر حال تقیه اندر حال خوف، با وجود اختیار و قدرت بر قول و انکار قولش مر حقیقت معرفت را زیان ندارد و به هیچ وقت بنده بی معنی به مجرد دعوی معذور نباشد و حکم این حکم منافقان کنند. پس دعوی بی معنی نفاق آمد و معنی بی دعوی اخلاص؛ «لِإِنَّ مَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى بَيَانٍ اسْتَعْنَى فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ مِنَ اللِّسَانِ»؛ یعنی چون راه بر بنده گشاده شد، از گفتار مستغنی گشت؛ از آنچه عبارت مراعلام غیر را بود، و حق تعالی بی نیاز است از تعییر احوال و غیر وی کرای آن نکند که به وی مشغول باید شد و مؤکد شود این سخن به قول جنید که گفت: «مَنْ عَرَفَ اللّٰهَ كَلَّ لِلسَّائِئِ.» آن که به دل حق را بشناخت زبانش از بیان بازماند؛ که اندر عیان، بیان حجاب نماید.

و از شبلی رضی الله عنه می‌آید که: اندر مجلس جنید رضی الله عنه بر پای خاست و به آواز بلند گفت: «یا مرادی»، و اشارت به حق کرد. جنید گفت: «یا بابکر، اگر مرادت حق است این اشارت چرا کردی؟ که وی از این مستغنی است و اگر مرادت نه حق است خلاف چرا گفتی؟ که حق تعالی به قول تو علیم است؟» شبلی بر گفته خود استغفار کرد.

و آن گروهی که کلام را بر سکوت فضل نهادند، گفتند که: «بیان احوال از حق به ما امر است که دعوی به معنی قایم بود و اگر کسی هزار سال به دل و به سر عارف باشد و ضرورتی مانع نبود، تا اقرار به معرفت نپونند حکمش حکم کافران باشد؛ و خداوند تعالی مؤمنان را بجملگی شکر و حمد و ثنا فرمود؛ قوله، تعالی: «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ (۱۱/الضحی)»، و ثنا و تحدث نعمت هرینه گفتاروی بود. پس گفتار ما تعظیم ربوبیت را باشد؛ لقوله، تعالی: «أُدْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ (۶۰/المؤمن)»، و نیز گفت، جل جلاله: «أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا (۱۸۶/البقره)» و مانند این.

و یکی گوید از مشایخ، رضی الله عنهم: «هر که را بیانی نباشد از روزگار خویش و را روزگار نباشد؛ که ناطق وقت تو وقت توست.»

لِسَانُ الْحَالِ أَفْصَحُ مِنْ لِسَانِي وَصَمَّتِي عَنْ سَأْلكَ تَرْجُمَانِي

و اندر حکایات یافتیم که: روزی ابی بکر شبلی رضی الله عنه در کرخ بغداد می‌رفت. یکی را دید از مدعیان که می‌گفت: «السُّكُوتُ خَيْرٌ مِنَ الْكَلَامِ.» فقال: «سُكُوتُكَ خَيْرٌ مِنْ كَلَامِكَ: لِأَنَّ كَلَامَكَ لَعْنٌ وَ سُكُوتُكَ هَزْلٌ، وَ كَلَامِي خَيْرٌ مِنْ سُكُوتِي؛ لِأَنَّ سُكُوتِي حِلْمٌ وَ كَلَامِي عِلْمٌ.» خاموشی تو بهتر از گفتار تو؛ از آنچه گفتار تو لغو است و خاموشی تو هزل و گفتار من بهتر از خاموشی من؛ از آنچه سکوت من حلم است و کلام من علم. اگر علم نگویم حلم بر آن دارم، و اگر بگویم علم بر آن دارد چون نگویم حلیم باشم و چون بگویم علیم باشم.

و من که علی بن عثمان الجلابی ام می‌گویم: کلامها بر دو گونه باشند و سکوتها بر دو گونه: کلام، یکی حق بود و یکی باطل و سکوت، یکی حصول مقصود و آن دیگر غفلت. پس هر کسی را گریبان خود باید گرفت اندر حال نطق و سکوت، اگر کلامش به حق بود گفتارش بهتر از خاموشی و اگر باطل بود خاموشی بهتر از گفتار، و اگر خاموشی از حصول مقصود و مشاهده بود خاموشی بهتر از گفتار و اگر از حجاب و غفلت بود گفتار بهتر از خاموشی.

و عالمی اندر این دو معنی سرگردانند. گروهی از مدعیان مشتی هذر و هوس و عبارتی از معانی خالی بر دست

گرفته‌اند، و می‌گویند که: «گفتار فاضل‌تر از سکوت»، و گروهی از جهال، که مناره از چاه شناسند، سکوت به جهل خود بازبسته‌اند و می‌گویند: «خاموشی بهتر از گفتار.» و این هر دو همچون یکدیگر باشند. پس تا که را فرا گفتار آرند و که را خاموش کنند؛ که اصل این معانی آن است؛ «لِأَنَّ مَنْ نَطَقَ أَصَابَ أَوْ غَلِطَ وَ مَنْ أُنْطِقَ عَصِمَ مِنَ الشُّطُطِ.» هر که بگوید، یا خطا گوید یا صواب و هر که را بگویند از خطا و خللش نگاه دارند؛ چنانکه چون ابلیس بگفت: «أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ (۱۲/الأعراف)»، تا دید آنچه دید، و چون آدم را بگویند: «رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا (۲۳/الأعراف)» گفت، تاش برگزیدند.

پس داعیان این طریقت اندر گفتار خود مأذون و مضطر باشند و اندر خاموشی شرم زده و بیچاره. «مَنْ كَانَ سَكُوتُهُ حَيَاءً كَانَ كَلَامُهُ حَيَوَةً.» آن را که خاموشی از حیا بود کلامش مر دلها را حیات بود؛ از آنچه گفتار ایشان از دیدار بود و گفت بی دیدار به نزدیک ایشان خوار بود و ناگفتن دوست‌تر از گفتن دارند تا با خود بودند و چون غایب شدند خلق مر قول ایشان را بر جان نگارند. از آن بود که آن پیرگفت، رضی الله عنه: «مَنْ كَانَ سَكُوتُهُ لَهُ ذَهَابًا، كَانَ كَلَامُهُ لِغَيْرِهِ مَذْهَبًا.» پس باید تا طالب، زبانی را که خوضش اندر عبودیت بود، خاموش کند تا زبانی که نطقش به ربوبیت بود فراگفتن آید و عبارات وی صیاد دل‌های مریدان گردد.

و ادب اندر گفتار آن است که بی امر نگوید، و اگر خاموش بود جاهل نباشد و غافل و مرید را باید تا اندر سخن پیران دخل و تصرف نکند و به عبارت بر ایشان غریب نیارد و بدان زبان که شهادت گفته است دروغ و غیبت نگوید و مسلمانان را نرنجاند و درویشان را به نام مجرد نخواند و تا چیزی از وی نپرسند نگوید و سخن گفتن ابتدا نکند و شرط خاموشی درویش آن بود که بر باطل خاموش نباشد و شرط گفت آن که جز حق نگوید و این را فرع بسیار است و لطایف بیشمار فاما بدین مقدار بسنده کردم مر خوف تطویل را. و الله اعلم بالصواب و الیه المرجع و المآب.

بابُ ادابهم فی السّؤال و ترکہ

قوله، عزّ و جلّ: «لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا (۲۷۳/البقره).»

سؤال به الحاف نکنند و چون کسی از ایشان سؤالی کند منع نکنند؛ لقوله، تعالی: «وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ (۱۰/الضحی).» و تا توانند سؤال جز از حق تعالی نکنند و غیر وی را در محل سؤال ننهند؛ که سؤال اعراض باشد از حق به غیر حق و چون بنده اعراض کرد بیم آن باشد که ورا اندر محل اعراض بگذارند.

یافتم که یکی گفت از اهل دنیا مر رابعه را رضی الله عنها که: «یا رابعه، چیزی بخواه از من تا مرادت حاصل کنم.» وی گفت: «یا هذا! من شرم دارم که از خالق دنیا دنیا خواهم شرم ندارم که از چون خویشنی خواهم؟» گویند که: اندر وقت بومسلم مروزی درویشی بیگناه را به تهمت دزدی بگرفتند و به چهار طاق مرو باز داشتند چون شب اندر آمد، بومسلم پیغمبر را علیه السلام به خواب دید که وی را گفت: «یا با مسلم، مرا خداوند به تو فرستاده است که دوستی از دوستان من بی جرمی اندر زندان توست. برخیز و وی را بیرون آر.» بومسلم از خواب بجهت و سر و پای برهنه به در زندان دوید و بفرمود تا در بگشادند و آن درویش را بیرون آورد و از وی عذر خواست و گفت: «حاجتی بخواه.» درویش گفت: «ایها الأمير، کسی که او خداوندی دارد که چنین نیم شبان بومسلم را سر و پا برهنه از بستر گرم برانگیزد و بفرستد تا او را از بلاها برهاند روا باشد که او از دیگری سؤال کند و حاجت خواهد؟» بومسلم گریان گشت و درویش برفت.

و بازگروهی گویند که: روا باشد درویش را که از خلق سؤال کند؛ لقوله، تعالی: «لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا»

(۲۷۳/البقره)»، رد می‌کند از سؤال، اما به وجه الحاف.

و قوله، علیه السلام: «أَطْلُبُوا الْحَوَائِجَ عِنْدَ حِسَانِ الْوَجْوهِ.»

و مشایخِ رُضِيِّ عَنْهُمْ به سه علت سؤال کردن روا داشته‌اند:

یکی مر فراغت دل را که لابد بود و گفته‌اند که: ما دو گرده را آن قیمت ننهیم که روز و شب در انتظار آن گذاریم؛ از آنچه هیچ مشغولی چون شغل طعام نیست و از آن بود که چون بایزید مرید شقیق را پرسید از حال شقیق رضی الله عنهم در آن حالت که به زیارت وی آمده بود، مرید گفت: «او از خلق فارغ شده است و بر حکم توکلی نشسته.» بویزد گفت او را که: «چون بازگردی، بگویی او را که: نگر تا خدای را به دو گرده نیازمایی. چون گرسنه گردی دو گرده از همجنس خود بخواه و بارنامهٔ توکل یک سونه تا آن شهر و ولایت از شومی معاملات تو به زمین فرو نشود.»

و دیگر ریاضت نفس را سؤال کرده‌اند تا دُلَّ آن بکشند و رنج بر دل خود نهند و قیمت خود بدانند که ایشان مر هرکسی را به چه ارزند، و تکبر نکنند ندیدی که چون شبلی به جنید رضی الله عنهما آمد، گفت: «یا بابکر، ترا نخوت آن در سر است که: من پسر حاجب الحُجَّابِ خلیفه‌ام و امیر سامره از تو هیچ کار نیاید تا به بازار بیرون نشوی و از هر که بینی سؤال نکنی؛ تا قیمت خود بدانی.» چنان کرد. هر روز بازارش سست‌تر بودی تا سر سال به درجتی رسید که اندر همه بازار بگشت، هیچ کسش هیچ نداد. باز آمد با جنید رضی الله عنهما بگفت. جنید گفت: «یا بابکر، اکنون قیمت خود بدانی؛ که خلق را به هیچ می‌نیزی. دل اندر ایشان میند و ایشان را به هیچ نیز برمگیرد.» و این مر ریاضت را بود نه مرکب را.

و از ذوالنون مصری رحمه الله روایت آرند که گفت: من رفیقی داشتم موافق.

خدای عزّ و جلّ او را پیش خواست و از محنت دنیا به نعمت عقبی رسید. وی را به خواب دیدم، گفتمش: «خدای تعالی با تو چه کرد؟» گفت: «مرا بیامرزید.» گفتم: «به چه خصلت؟» گفت: «مرا بر پای کرد و گفت: بندهٔ من، بسیار دُلَّ و رنج کشیدی از سفلگان و بخیلان و دست پیش ایشان دراز کردی و اندر آن صبر کردی. ترا بدان بخشیدم.»

و سدیگر مر حرمت حق را از خلق سؤال کردند. همه املاک دنیا و مال از آن وی دانستند و همه خلقان و کیلان وی دیدند. چیزی که به نصیب نفس ایشان بازگشت از وکیل وی بخواستند و سخن خود با وی بگفتند و اندر شاهد بایست بنده که بر وکیل عرضه کند به حرمت و عزت نزدیک‌تر باشد از آن که بر خداوند. پس سؤال ایشان از غیر، علامت حضور و اقبال بود به حق نه غیبت و اعراض از حق.

یافتم که یحیی بن مُعَاذ را دختری بود. روزی مر مادر را گفت: «مرا می‌فلان چیز باید.» مادر گفت: «از خدای بخواه.» گفت: «ای مادر، من شرم دارم که بایست نفسانی خود از حضرت وی بخواهم، و آنچه تو دهی هم از آن وی بود و روزی مقدر من باشد.»

پس آداب سؤال آن باشد که: اگر مقصود بر آید خرم‌تر از آن نباشی که بر نیاید و خلق را اندر میانه نبینی و از زنان و اصحاب اسواق سؤال نکنی، و راز خود جز با آن نگویی که بر حلالی مال وی موقن باشی و تا توانی کرد سؤال بر نصیب خود نکنی و از آن تجمل و کدخدایی نسازی و مر آن را ملک خود نگردانی و مر حکم وقت را باشی حدیث فردا بر دل نگذرانی تا به هلاک جاودانه مأخوذ نشوی و خدای را عزّ و جلّ بر دام گدایی خود نبندی و از خود پارسایی نکنی تا از راه آن ترا چیزی دهند.

یافتم پیری را از محتشمان متصوّفه که از بادیه برآمد فاقه زده و رنج انقطاع کشیده به بازار کوفه اندر آمد، گنجشکی بر دست نشانده و می‌گفت: «از برای این گنجشک مرا چیزی دهید.» گفتند: «ای هذا! این چه

می‌گویی؟» گفت: «محال باشد که من گویم: مرا از بهر خدای چیزی دهید؛ از آن که به دنیا شفیع جز حقیری نتوان آورد.» این اندکی است از بسیار آنچه اندر این باب شرط است. والسلام.

باب آدابهم فی التزویج و التجرید

قوله، تعالی: «هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ (البقره/۱۸۷)». قوله، علیه السلام: «تَنَاقَضُوا تَكْثُرُوا. فَأَنْتَى أَبَاهِي بِكُمْ الْأَمَمَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَ لَوْ بِالسَّقَطِ.» و قوله، علیه السلام: «إِنَّ أَعْظَمَ النَّسَاءِ بَرَكَةً أَحْسَنُهُنَّ وَجَوْهًا وَ أَرْخَصُهُنَّ مُهُورًا.» و این از صحاح اخبار است. و در جمله نکاح مباح است بر مردان و زنان و فریضه بر آن که از حرام نتواند پرهیزد و سنت مرآن را که حق عیال بتواند گزارد.

و مشایخ این قصه رضی الله عنهم گروهی گفته‌اند که: «اهل مرد دفع شهوت را باید و کسب مرد فراغت دل را.» و گروهی گفتند که: «مرا اثبات نسل را باید تا فرزندی باشد. و چون فرزند بیود اگر پیش از پدر بشود شفیعی بود یوم القیامه و اگر پدر پیش برود دعاگویی بماند.»

و اندر خبر است که: عمر بن الخطاب رضی الله عنه مر ام کلثوم را دختر فاطمه بنت مصطفی، صلی الله علیه و آله خطبه کرد از پدرش علی، رضی الله عنهم اجمعین. علی گفت: «او بس خرد است و تو مردی پیری، و مرا نیت است که به برادرزاده خودش دهم عبدالله بن جعفر، رَضِيَ عَنْهُمْ.» عمر پیغام فرستاد: «یا بالحسن، اندر جهان زنان بسیارند بزرگ و مراد من از ام کلثوم اثبات نسل است نه دفع شهوت؛ لقوله، علیه السلام: كُلُّ سَبَبٍ يَنْقَطِعُ إِلَّا سَبَبِي وَ نَسَبِي. کنون مرا سبب هست، بایدم تا نسب نیز با آن یار باشد تا هر دو طرف به متابعت وی محکم گردانیده باشم.» علی رضی الله عنه وی را بدو داد و زید بن عمر رضی الله عنهم از وی بیامد. و قال النبی، صلی الله علیه و سلم: «تُنْكَحُ النَّسَاءُ عَلَى أَرْبَعَةٍ عَلَى الْمَالِ وَ الْحَسَبِ وَ الْحُسْنِ وَ الدِّينِ؛ فَعَلَيْكُمْ بَذَاتِ الدِّينِ، فَإِنَّهُ مَا اسْتَفَادَ امْرَأَةً بَعْدَ الْإِسْلَامِ خَيْرًا مِنْ زَوْجَةٍ مُؤْمِنَةٍ لَيْسَرًا إِذَا نَظَرَ إِلَيْهَا.»

فوائد و زواید بهترین از پس اسلام، زنی مؤمنه موافقه باشد تا بدو انس گیرد مرد مؤمن، و اندر دین به صحبت وی قوتی باشد و اندر دنیا مؤانستی؛ که همه وحشتها در تنهایی است و همه راحتها اندر صحبت و رسول گفت، علیه السلام: «الشَّيْطَانُ مَعَ الْوَاحِدِ.» و بحقیقت مرد یا زن که تنها بود قرین وی شیطان بود؛ که شهوت را اندر پیش دل وی می‌آراید. و هیچ صحبت اندر حکم حرمت و امان چون زناشویی نیست، اگر مجانست و مؤانست و موافقت باشد؛ و هیچ عقوبت و مشغولی چندان نه، چون نه جنس باشد. پس درویش را باید که نخست اندر کار خود تأمل کند و آفتهای تجرید و تزویج اندر پیش دل صورت کند؛ تا دفع کدام آفت بر دلش سهل تر باشد، متابعت آن شود.

و در جمله در تجرید دو آفت است: یکی ترک سنتی از سنن، و دیگر پروردن شهوتی در دل و در تن و خطر افتادن اندر حرامی و تزویج را نیز دو آفت است؛ یکی مشغولی دل به دیگری و دیگر شغل تن از برای حظ نفس و اصل این مسأله به عزلت و صحبت بازگردد. آن که صحبت اختیار کند با خلق و تزویج شرط باشد و آن که عزلت جوید از خلق، ورا تجرید زینت بود؛ لقوله، علیه السلام: «سَيُرُوا سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ.» و حسن بن الحسین البصری گوید، رحمة الله علیه: «نَجَى الْمُخْفُونَ وَ هَلَكَ الْمُتَقَلِّبُونَ.»

از ابراهیم خواص رحمة الله علیه می‌آید که گفت: «به دیهی رسیدم به قصد زیارت بزرگی که آنجا بود. چون به خانه وی رفتم خانه‌ای دیدم پاکیزه؛ چنانکه معبد اولیا بود و اندر دو زاویه آن خانه دو محراب ساخته و در یک

محراب پیری نشسته و اندر دیگر یک عجزه‌ای پاکیزه روشن، و هردو ضعیف گشته از عبادت بسیار به آمدن من شادی نمودند. سه روز آنجا بودم. چون باز خواستم گشت، پرسیدم از آن پیرکه: «این عقیفه ترا که باشد؟» گفت: «از یک جانب دختر عم و از دیگر جانب عیال.» گفتم: «اندر این سه روز سخت بیگانه وار دیدمتان اندر صحبت!» گفت: «آری، شصت و پنج سال است تا چنان است.» علت آن پرسیدم گفت: «بدان که ما به کودکی عاشق یکدیگر بودیم، و پدر وی او را به من نمی‌داد که دوستی ما مر یکدیگر را معلوم گشته بود. مدتی رنج آن بکشیدم تا پدرش را وفات آمد پدر من عم وی بود، او را به من داد. چون شب اول اتفاق ملاقات شد، وی مرا گفت: دانی که خدای تعالی بر ما چه نعمت کرده است که ما را به یکدیگر رسانید و دل‌های ما را از بند و آفت‌های ناخوب فارغ گردانید؟ گفتم: بلی. گفت: پس ما امشب خود را از هوای نفس بازداریم و مراد خود را در زیر پای آریم و مر خداوند را عبادت کنیم، شکر این نعمت را. گفتم: صواب اید. دیگر شب همان گفت. شب سدیگر من گفتم: دو شب از برای تو شکر بگزاریم امشب از برای من نیز عبادت کنیم. کنون شصت و پنج سال برآمده که ما یکدیگر را ندیده‌ایم به حکم مُلامست و همه عمر اندر شکر نعمت می‌گذاریم.»

پس چون درویشی صحبت اختیار کند، باید تا قوت آن مستوره از وجه حلال دهد و مهرش از حلال گزارد و تا از حقوق خداوند تعالی و اوامر وی چیزی باقی باشد بر وی به حظ نفس خود مشغول نشود و چون آن را بگزارد، قصد فراش وی کند و حرص و مراد خود اندر خود گُشد، و با خداوند تعالی بر وجه مناجات بگوید: «بارخدا، شهوت اندر خاک آدم تو سرشتی مر آبادانی عالم را و اندر علم قدیم خود خواستی که مرا این صحبت باشد. یا رب، این صحبت من دو چیز را گردان: یکی مر دفع حرص حرام را به حلال، و دیگر فرزندی ولی و رضی به ارزانی دار. نه فرزندی که دل من از تو مشغول گرداند.»

و از سهل عبدالله رضی الله عنه می‌آید که: وی را پسری آمد. هرگاه که به خردگی از مادر طعام خواستی، مادر گفتی، «از خدای خواه.» وی اندر محراب شدی و سجده‌ای کردی. مادر آن مراد اندر نهان او را پیدا کردی، بی آن که وی دانستی که آن مادر داده است. تا خو به درگاه حق کرد روزی از دبیرستان اندر آمد و مادر حاضر نبود. سر به سجده نهاد. خداوند تعالی آنچه بایست وی بود پدیدار آورد. مادرش در آمد بدید گفت: «ای پسر، این از کجاست؟» گفت: «از آنجا که هر بار.»

و چون زکریا صلوات الله علیه به نزدیک مریم اندر آمدی، به تابستان میوه زمستانی دید و به زمستان میوه تابستانی بر وجه تعجب پرسیدی: «أُنْتِ لَکَ هَذَا (۳۷/آل عمران)» وی گفتی: «مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.» پس باید که استعمال سنتی مر درویش را اندر طالب دنیای حرام و شغل دل نیفکند؛ که هلاک درویش اندر خرابی دل بود؛ چنانکه از آن توانگران اندر خرابی سرای و باغ و خانمان؛ که آنچه توانگر را خراب شود آن را عوض باشد و آنچه درویش را خراب شود آن را عوض نباشد. و اندر زمانه ما ممکن نگرده که کسی را زنی موافقه باشد، بی بایست زیادت و فضول و طلب محال و از آن بود که گروهی تجرید و تخفیف اختیار کردند و رعایت این خبر بر دست گرفته‌اند؛ لقلوله، علیه السلام: «خَيْرُ النَّاسِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ خَفِيفُ الْحَادِّ.» قيل: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، و ما خَفِيفُ الْحَادِّ؟» قال: «الَّذِي لَا أَهْلَ لَهُ وَلَا وَلَدَ لَهُ.» و نیز گفت: «سَيَرُوا سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ.» بروید که مفردان بر شما سبقت گرفتند.»

و مجتمع‌اند مشایخ این طریق رُضِيَّ عَنْهُمْ بر آن که بهترین و فاضل‌ترین، مجردان‌اند که دل ایشان از آفت خالی باشد و طبعشان از ارادت مُعرض.

و عوام ارتکاب خبر مروی را که پیغمبر علیه السلام گفت: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ ثَلَاثٌ: الطَّيِّبُ وَ النِّسَاءُ وَ جُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ.» گویند: «چون زنان محبوب وی باشند باید تا تزویج فاضل‌تر باشد.» گوئیم:

قال، علیه السّلام: «لی حرفتان: الفَقْرُ و الجِهَادُ.» پس چرا دست از حرفت می بردارید؟ اگر آن محبوب وی است، این حرفت وی است پس به حکم آن که هوایتان را میل بدان بیشتر است مر هوای خود را محبوب وی خواندن محال باشد. کسی پنجاه سال متابع هوای خود باشد پندارد که متابع سنت است.

و در جمله نخستین فتنه‌ای که به سر آدم مقدر بود اصل آن از زنی بود اندر بهشت و نخست فتنه‌ای که اندر دنیا پدیدار آمد یعنی فتنه‌های بیل و قابیل هم از زنی بود و چون خداوند تبارک و تعالی دو فریسته را خواست تا عذاب کند سبب آن زنی شد. و الی یومنا هذا، همه فتنه‌های دینی و دنیایی ایشان‌اند؛ قوله، علیه السّلام: «ما ترکْتُ بعدی فتنَةً أضْرَّ علی الرِّجالِ مِنَ النِّساءِ. هیچ فتنه نگذاشتم پس از خود زیانکارتر بر مردان از زنان.» پس فتنه ایشان بر ظاهر چندین است اندر باطن خود چگونه باشد؟

و مرا که علی بن عثمان الجلابی ام از پس آن که یازده سال از آفت تزویج نگاه داشته بود، تقدیر کرد تا به فتنه‌ای در افتادم و ظاهر و باطنم اسیر صفتی شد که با من کردند، بی از آن که رؤیت بوده بود و یک سال مستغرق آن بودم؛ چنانکه نزدیک بود که دین بر من تباہ شدی؛ تا حق تعالی به کمال فضل و تمام لطف خود عصمت خود به استقبال دل بیچاره من فرستاد و به رحمت، خلاصی ارزانی داشت. والحمد لله علی جزیل نعمائه.

و در جمله قاعده این طریق بر تجرید نهاده‌اند چون تزویج آمدگار دیگرسان شد و هیچ لشکر نیست از عساکر شهوت الا که آتش آن را به اجتهاد بتوان نشاند؛ از آنچه آفتی که از تو خیزد آلت دفع آن هم با تو باشد غیری نباید تا آن صفت از تو زایل شود و زوال شهوت به دو چیز باشد: یکی آن که اندر تحت تکلف درآید و یکی از دایره کسب و مجاهدت بیرون باشد آنچه اندر تکلف و مقدر آدمی است، گرسنگی باشد و آنچه از تکلف بیرون باشد یا خوفی مقلقل است، یا حیی صادق که تفاریق هم جمع شود و محبت، سلطان خود اندر اجزای جسد پراکند، و جمله حواس را از وصف همگان معزول کند و کل بنده را جد کند و هزل را از وی فانی گرداند.

و احمد حمادی سرخسی که به ماوراء النهر رفیق من بود مردی محتشم بود. ورا گفتند: «حاجت اید ترا به تزویج؟» وی گفت: «نه.» گفتند: «چرا؟» گفت: «من اندر روزگار خود، غایب باشم از خود، یا حاضر به خود. چون غایب باشم از کونین یادم ناید و اگر حاضر بوم نفس خود را چنان دارم که چون نانی بیاید چنان دانند که هزار حور یافته است. پس شغل دل عظیم باشد به هرچه خواهی گو باش.»

و گروهی گفتند: ما اختیار خود از هر دو منقطع کنیم تا از حکم تقدیر و پرده غیب چه بیرون آید اگر تجرید نصیب ما آید اندر آن به عفت کوشیم و اگر تزویج، متابع سنت باشیم و به فراغ دل کوشیم؛ که چون داشت وی با بنده باشد تجرید وی چون از آن یوسف بُود علیه السّلام که اندر حال قدرت روی از مراد خود بگردانید و به قهر هوی و رؤیت عیوب نفس مشغول شد، اندر آن وقت که زلیخا با وی خلوت کرد و تزویج وی چون از آن ابراهیم بُود علیه السّلام و به اعتمادی که وی را با حق تعالی بود شغل اهل، شغل نداشت چون ساره رشک پیدا کرد و تعلق به غیرت کرد، ابراهیم هاجر را برگرفت و به وادی غیرذی زرع برد و به خداوند سپرد و روی از ایشان بگردانید. حق تعالی بداشت و پیرورد ایشان را؛ چنانکه خواست. پس هلاک بنده نه اندر تزویج و تجرید است؛ که بلای وی اندر اثبات اختیار و متابعت هوای خود است.

و شرط آداب متأهل آن است که: اوراد وی فوت نشود و احوال ضایع و اوقات بشوئیده، و با اهل خود شفیق بُود و نفقه حلال سازدش و از برای وی رعایت ظلمه و سلاطین نکند تا اگر فرزندی باشد بشرط باشد.

که اندر حکایات معروف است که: احمد حرب نیسابوری رضی الله عنه روزی با جمعی از رؤسا و سادات نسابور، که به سلام وی آمده بودند، نشست بود که آن پسر شرابخوارش اندر آمد، مست و رود نواز، و بدیشان برگذشت و از کس نیندیشید. آن جمله متغیر شدند احمد آن تغیر اندر ایشان بدید گفت: «شما را چه بود که

تغیری پدیدار آمد؟» گفتند: «به برگزیدن این پسر بر این حال بر شما، ما متغیر شدیم و تشویر خوردیم که وی از تو نیندیشند.» احمدگفت: «وی معذور است؛ از آنچه شبی از خانه همسایه چیزی آوردند خوردنی و من و عیال از آن بخوردیم. آن شب ما را صحبت افتاد و این فرزند از آن بوده است. و خواب بر ما افتاد و ورد ما بشد. چون بامداد بود، تتبع کار خود بکردیم و بدان همسایه بازگشتیم تا آنچه فرستاده بود از کجاست. گفت: مرا از عروسی آورده بودند چون نگاه کردیم از خانه سلطانی بود.»

و شرط آداب مجرد آن است که چشم را از ناشایست بازداری و نادیدنی نبینی، و نااندیشیدنی نیندیشی و آتش شهوت را به گرسنگی بنشانی، و دل از مشغولی به احداث نگاه داری و مر هوای نفس را علم نگویی و مر بوالعجبی شیطان را تأویل نسازی؛ تا به نزدیک طریقت مقبول باشی. این است اختصار آداب صحبت و معاملت، چنانکه اندک بر بسیار دلیل باشد.

کشف الحجاب العاشر فی بیان منطقهم و حدود الفاظهم و حقائق معانیهم

بدان اسعدک الله که مر اهل هر صنعتی را و ارباب هر معاملتی را با یکدیگر اندر جریان اسرار خود عبارات است و کلمات که بجز ایشان معنی آن ندانند و مراد وضع عبارات دو چیز باشد: یکی حسن تفهیم و تسهیل غوامض را تا به فهم مرید نزدیک تر باشد و دیگر کتمان سر را از کسانی که اهل آن علم نباشند و دلایل آن واضح است. چنانکه اهل لغت مخصوص اند به عبارات موضوع خود، چون: فعل ماضی و مستقبل و صحیح و معتل و اجوف و لفیف و ناقص و مثلهم و اهل نحو مخصوص اند به عبارات موضوع خود، چون: رفع و ضم و نصب و فتح و خفض و جر و کسر و منصرف و لاینصرف و غیره و اهل عروض مخصوص اند به عبارات موضوع خود، چون: بحور و دوایر و وتد و فاصله و آنچه بدین ماند و محاسبان مخصوص اند به عبارات موضوع خود، چون: فرد و زوج و ضرب و جذر و اضافت و تضعیف و تنصیف و جمع و تفریق و آنچه بدین ماند، و فقها مخصوص اند به عبارات موضوع خود، چون: علت و معلول و قیاس و اجتهاد و دفع و الزام و آنچه بدین ماند و محدثان همچنان، چون: مسند و مرسل و آحاد و متواتر و جرح و تعدیل و آنچه بدین ماند و متکلمان نیز به عبارات موضوع خود مخصوص اند چون عرض و جوهر و کل و جزء و جسم و جنس و تحیز و تولی، و آنچه بدین ماند. پس این طایفه را نیز الفاظ موضوع است مرکمون و ظهور سخن خود را؛ تا اندر طریقت خود بدان تصرف کنند و آن را که خواهند باز نمایند و از آن که خواهند بپوشانند. پس من بعضی از آن کلمات را بیانی مشرح بیارم و فرق کنم میان هر دو کلمه که مرادشان از آن چه چیز است تا تو و خوانندگان این کتاب را فایده تمام شود، ان شاء الله.

فمن ذلك: الحال و الوقت، و الفرق بینهما

وقت اندر میان این طایفه معروف است و مشایخ را اندر این، سخن بسیار است، و مراد من اثبات تحقیق است نه تطویل بیان.

پس وقت آن بود که بنده بدان از ماضی و مستقبل فارغ شود؛ چنانکه واردی از حق به دل وی پیوندد و سر وی را در آن مجتمع گرداند؛ چنانکه اندر کشف آن نه از ماضی یاد آید نه از مستقبل. پس همه خلق را اندر این دست نرسد و ندانند که سابق بر چه رفت و عاقبت بر چه خواهد بود. خداوندان وقت گویند: «علم ما مر عاقبت و سابق را ادراک نتواند کرد. ما را اندر وقت با حق خوش است؛ که اگر به فردا مشغول گردیم و یا اندیشه دی به دل بگذاریم، از وقت محجوب شویم و حجاب پراکندگی باشد.»

پس هر چه دست بدان نرسد اندیشه آن محال باشد؛ چنانکه بوسعید خراز گوید، رحمة الله علیه: «وقت عزیز خود

را جز به عزیزترین چیزی مشغول مکنید.» و عزیزترین چیزهای بنده شغل وی باشد بین الماضي و المستقبل؛ لقله، علیه السلام: «لِي مَعَ اللَّهِ وَقْتُ لَا يَسْعُنِي فِيهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.» مرا با خدای عز و جل وقتی است که اندر آن وقت هژده هزار عالم را بر دل من گذر نباشد و در چشم من خطر نیارد و از آن بود که چون شب معراج زینت ملک زمین و آسمان را بر وی عرضه کردند، به هیچ چیز باز ننگریست؛ لقله، تعالی: «مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى (۱۷/النجم)»؛ از آنچه او عزیز بود و عزیز را جز به عزیز مشغول نکند.

پس اوقات موحد دو وقت باشد: یکی اندر حال فقد و دیگر اندر حال وجد. یکی در محل وصال و دیگر در محل فراق و اندر هر دو وقت او مقهور باشد؛ از آنچه در وصل و وصلش به حق بود و در فصل فصلش به حق اختیار و اکتساب وی اندر آن میانه ثبات نیابد تا ورا وصفی توان کرد و چون دست اختیار بنده از روزگار وی بریده گردد، آنچه کند و بیند حق باشد.

و از جنید رضی الله عنه می‌آید که: درویشی را دیدم اندر بادیه در زیر خار مگیلانی نشسته، اندر جایی صعب با مشقت تمام. گفتم: «ای برادر، ترا چه چیز اینجا نشانده است؟» گفت: «بدان که مرا وقتی بود، اینجا ضایع شده است. اکنون بدین جای نشسته‌ام و اندوه می‌گزارم.» گفتم: «چند سال است؟» گفت: «دوازده سال است. اکنون شیخ همتی در کار کند، باشد که به مراد خود رسم و وقت باز یابم.»

جنید رحمة الله علیه گفت: من برفتم و حج بکردم و وی را دعا کردم اجابت آمد و وی به مراد خود باز رسید. چون باز آمدم وی را یافتم، همانجا نشسته. گفتم: «ای جوانمرد، آن وقت بازیافتی، چرا از اینجا فراتر نشوی؟» گفت: «ایها الشیخ، جایگاهی را می ملازمت کردم که محل وحشت من بود و سرمایه اینجا گم کرده بودم؛ روا باشد که جایی را که سرمایه آنجا بازیافتم و محل انس من است، بگذارم؟ شیخ سلامت برود که من خاک خویش با خاک این موضع برخوادم آمیخت تا به قیامت سر از این خاک برآرم، که محل انس و سرور من است.»

متنبی گوید:

فَكُلُّ أَمْرٍ يُؤَلَّى الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبٌ

و وقت اندر تحت کسب بنده نیاید تا به تکلف حاصل کند و به بازار نیز نفروشد تا جان به عوض آن بدهد، و وی را اندر جلب و دفع آن ارادت نبود و هر دو طرف آن اندر رعایت وی متساوی بود و اختیار بنده از تحقیق آن باطل.

و مشایخ گفته‌اند: «الوقتُ سيفٌ قاطعٌ»؛ از آن که صفت شمشیر بریدن است و صفت وقت بریدن؛ که وقت ماحی مستقبل و ماضی بود و اندوه دی و فردا از دل محو کند. پس صحبت با شمشیر با خطر بود اما ملک و إما هُلک. یا مَلِکِ گرداند یا هلاک کند. اگر کسی هزار شمشیری را خدمت کند و کتف خود را حمال وی سازد، اندر حال بریدن تمییز نکند میان قطع صاحب خود و آن غیری، چرا؟ از آنچه صفت وی قهر است به اختیار صاحب وی قهر وی زایل نشود، والله اعلم.

و حال واردی بود بر وقت که ورا مزین کند؛ چنانکه روح مر جسد را. و لامحاله وقت به حال محتاج باشد که صفای وقت به حال باشد و قیامت بدان. پس چون صاحب وقت صاحب حال شود، تغیر از وی منقطع شود و اندر روزگار خود مستقیم گردد؛ که با وقت بی حال زوال روا بود، چون حال بدو پیوست جمله روزگارش وقت گردد و زوال بر آن روا نبود و آنچه آمد و شد نماید از کمون و ظهور بود و چنانکه پیش از این صاحب وقت نازل وقت بود و متمکن غفلت، کنون نازل حال باشد و متمکن وقت، از آنچه بر صاحب وقت غفلت روا بود و بر صاحب حال روا نباشد.

وگفته‌اند: «الحالُ سكوتُ اللسانِ في فنونِ البيان»، زبانش اندر بیان حالش ساکت و معاملتش به تحقیق حالش ناطق و از آن بود که آن پیرگفت، رضی الله عنه: «السؤالُ عنِ الحالِ محالٌ»، که عبارت از حال محال بود؛ از آنچه حال فنایِ مقال بود.

استاد ابوعلی دقاق گوید رحمة الله عليه که: «اندر دنیا یا عقبی، ثُبور یا سرور، وقت آن بود که اندر آنی.» و باز حال چنین نباشد که آن واردی است از حق به بنده، چون بیامد آن جمله را از دل نفی کند؛ چنانکه یعقوب علیه السلام صاحب وقت بود، گاه از فراق اندر فراق چشم سفید می کرد و گاه از وصال اندر وصال بینا می شد. گاه از مویه چون موی بود، و گاه از ناله چون نال. و گاه از رُوح چون رُوح بود و گاه از سرور چون سرو و ابراهیم علیه السلام صاحب حال بود نه فراق می دید تا محزون بدی و نه وصال تا مسرور شدی ستاره و ماه و آفتاب جمله مدد حال وی می کردند و وی از رؤیت جمله فارغ؛ تا به هر چه نگریستی حق دید و می گفتی: «لا أُحِبُّ الا فلینَ (۷۶/الانعام)». پس گاه عالم، جحیم صاحب وقت شود؛ که اندر مشاهدت غیبت بود. از فقد حبیب دلش محل وحشت بود و گاه به خرمی دلش چون جنان بود اندر نعیم مشاهدت؛ که هر زمان از حق به وقت بدو تحفه‌ای بود و بشارتی؛ و باز صاحب حال را اگر حجاب بلیت یا کشف نعمت بود، جمله بر وی یکسان بود؛ که وی پیوسته اندر محل حال بود. پس حال صفت مراد باشد، و وقت درجه مرید. یکی در راحت وقت با خود بود و یکی در فرح حال با حق؛ فشتان ما بین المتزلتین!

و من ذلك: المقام و التمکین، و الفرق بینهما

مقام عبارتی است از اقامت طالب بر ادای حقوق مطلوب به شدت اجتهاد و صحت نیت وی. و هر یکی را از مریدان حق مقامی است که اندر ابتدا درگاه طلبشان را سبب آن بوده است و هر چند که طالب از هر مقام بهره می یابد و بر هر یکی گذری می کند، قرارش بر یکی باشد از آن؛ از آنچه مقام ارادت از ترکیب جبلت باشد نه روش معاملت، چنانکه خداوند ما را خبر داد از قول مقدس؛ عَزَّ مِنْ قائلٍ: «وَمَا مِنَّا اِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ (۱۶۴/الصافات)». پس مقام آدم توبه بود و از آن نوح زهد و از آن ابراهیم تسلیم و از آن موسی انابت و از آن داود حزن و از آن عیسی رجا و از آن یحیی خوف و از آن محمد صلوات الله عليهم اجمعین ذکر و هر چند که هر یک را اندر هر محل شربی بود، آخر رجوعشان باز آن مقام اصلی خود بود. و من اندر مذهب حارثیان طرفی از مقامات بیان کرده‌ام و میان حال و مقام فرقی کرده اما اینجا از این چاره نیست.

بدان که راه خدای بر سه قسمت است: یکی مقام، و دیگر حال و سدیگر تمکین و خدای عز و جل همه انبیا را از برای بیان کردن راه خود فرستاده است تا حکم مقامات را بیان کنند و تمامت انبیا و رسل که آمدند با صد بیست و چهار مقام و به آمدن محمد علیه السلام اهل هر مقامی را حالی پدیدار آمد و بدان پیوست که کسب خلق از آن منقطع بود؛ تا دین تمام شد بر خلق و نعمت به غایت رسید؛ لقوله، تعالی: «الیومَ اَکْمَلْتُ لَکُمْ دینَکُمْ و اَتَمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتی (۳/المائده)». آنگاه تمکین متمکنان پدیدار آمد و اگر خواهیم که احوال جمله بر شمرم و مقامات شرح دهم از مراد باز مانم.

اما تمکین عبارتی است از اقامت محققان اندر محل کمال و درجت اعلی. پس اهل مقامات را از مقامات گذر ممکن بود، و از تمکین گذر محال؛ از آنچه این درجت مبتدیان است و آن قرارگاه منتهمان. از بدایت به نهایت گذر باشد از نهایت گذشن روی نباشد؛ از آنچه مقامات منازل راه باشد و تمکین قرار پیشگاه و دوستان حق اندر راه عاریت باشند و اندر منازل بیگانه سر ایشان از حضرت بود و در حضرت، آلت آفت بود، و ادوات غیبت و علت بود.

و اندر جاهلیت شعرا ممدوح خود رامدح به معاملت کردند و تا چندگاه برنیامدی شعر ادا نکردندی؛ چنانکه چون شاعری به حضرت ممدوحی رسیدی شمشیر بکشیدی و پای ستور بینداختی و شمشیر بشکستی و مراد از آن، آن بودی که مرا ستور از آن می‌بایست تا مسافت حضرت تو بدان بنوردم، و شمشیر بدان که تا حسودان خود را بدان از خدمت تو بازدارم. اکنون که رسیدم، آلت مسافت به چه کار آیدم؟ ستور بکشتم؛ که رجوع از تو روا ندارم و شمشیر بشکستم؛ که قطع از درگاه تو بر دل نگذرانم و چون چند روز برآمدی آنگاه شعر ادا کردند.

و حق تعالی موسی را صلوات الله علیه هم بدین فرمود که: چون به قطع منازل و گذاشتن مقامات به محل تمکین رسیدی، اسباب تلوین از تو ساقط شد «فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ (۱۲/طه)» و «أَلْقِ عَصَاكَ (۱۰/النمل)». نعلین بیرون کن و عصا بیفکن؛ که آن آلت مسافت است و اندر حضرت وصلت و حشت مسافت محال باشد.

پس ابتدای دوستی طلب کردن است و انتهای آن قرار گرفتن. آب تا اندر رود باشد روان بود، چون به دریا رسید قرارگیرد و چون قرارگرفت طعم بگرداند تا هرکه را آب باید به وی میل نکند، به صحبت وی کسی میل کند که ورا جواهر باید؛ تاترک جان بگوید و مثقله طلب بر پای بندد و سرنگونسار بدان دریا فرو شود یا جواهر عزیز مکنون به دست آرد یا جان در طلب آن به شست فنا دهد.

و یکی از مشایخ رُضی عنهم گوید: «التمکینُ رفعُ التلوین. تمکین رفع تلوین است.»

و تلوین هم از عبارات این طایفه است، چون حال و مقام، به معنی نزدیک است بدان و مراد از آن تغییر و گشتن از حال به حال خواهند و مراد از آن، آن است که متمکن متردد نباشد و رخت یکسره به حضرت برده باشد و اندیشه غیر از دل سترده نه معاملتی رود بر او که حکم ظاهرش بدل کند و نه حالی باشد که حکم باطنش متغیرگرداند؛ چنانکه موسی صلوات الله علیه متلون بود، حقتعالی یک نظر به طور تجلی کرد هوش از وی بشد؛ کما قال الله، تعالی: «وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا (۱۴۳/الأعراف)». و رسول صلی الله علیه متمکن بود از مکه تا به قاب قوسین در عین تجلی بود از حال بنگشت و تغیر نیارود و این درجت اعلی بود والله اعلم.

پس تمکین بر دوگونه باشد: یکی آن که نسبت آن به شاهد خود باشد و یکی آن که اضافه به شاهد حق. آن را که نسبت به شاهد خود باشد باقی الصفه باشد و آن را که حواله به شاهد حق بود فانی الصفه باشد و مرفانی الصفه را محو و صحو و لحق و محق و فنا و بقا و وجود و عدم درست نیاید؛ که اقامت این اوصاف را موصوف باید و چون موصوف مستغرق باشد حکم اقامت وصف از وی ساقط بود.

و اندر این معنی سخن بسیار آید و من بر این اختصار کردم ترک تطویل را. والله اعلم.

و من ذلك: المحاضرة و المكاشفة، و الفرق بینهما

بدان که محاضره بر حضور دل افتد اندر لطایف بیان، و مکاشفه بر حضور تحیر سر افتد اندر حظیره عیان. پس محاضره اندر شواهد آیات باشد، و مکاشفه اندر شواهد مشاهدات و علامت محاضره دوام تفکر باشد اندر رؤیت آیت و علامت مکاشفه دوام تحیر اندر کُنه عظمت. فرق میان آن که اندر افعال متفکر بود، و از آن آن که اندر جلال متحیر بود بسیار بود از این دو یکی ردیف خُلت بود و دیگری قرین محبت.

ندیدی که چون خلیل صلوات الله علیه اندر ملکوت آسمانها نگاه کرد و اندر حقیقت وجود آن تأمل و تفکر نمود، دلش بدان حاضر شد. به رؤیت فعل طالب فاعل گشت؛ تا حضور وی فعل را دلیل فاعل گردانید و اندر کمال معرفت گفت: «إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا (۷۹/الأنعام)»؛ و حیب را چون به ملکوت بردند، چشم از رؤیت کل فرا کرد فعل ندید و خلق ندید و خود را ندید تا به فاعل مکاشف شد اندر کشف، شوق بر شوقش بیفزود و قَلَقُ بر قلقش زیادت شد و طلب رؤیت کرد. رؤیت روی نبود رای قربت کرد قربت ممکن نگشت، قصد وصلت کرد و وصلت صورت نیست. هرچند که بر دل حکم تنزیه دوست ظاهرتر شد،

شوق دوست زیادت‌ترگشت. نه روی اعراض بود و نه امکان اقبال. متحیر شد. آنجا که خُلت بود حیرت کفر نمود و اینجا که محبت بود وصلت شرک آمد و حیرت سرمایه شد؛ از آنچه آنجا حیرت اندر هستی بود و آن شرک باشد و اینجا در چگونگی و این توحید باشد.

و از این بود که شبلی رحمة الله علیه گفت: «یا دلیلَ الْمُتَحِيرِينَ زِدْنِي تَحِيرًا»؛ از آنچه زیادت تحیر اندر مشاهدت، زیادت درجه باشد.

و اندر این معنی در حکایات مشهور است که چون بوسعید خراز رضی الله عنه با ابراهیم سعد علوی رضی الله عنه بر لب دریا، آن دوست خدای را بدیدند. پرسیدند از وی که: «راه حق چه چیز است؟» گفت: «راه به حق دو است: یکی راه عام و دیگر راه خاص.» گفتند: «شرح کن.» گفت: «راه عوام آن است که تو بر آئی به علتی قبول کن و به علتی رد و راه خواص آن که ایشان معلل علت بینند نه علت.»

و حقیقت این حکایت بشرح گذشته است و مراد جز این است. والله اعلم بالصواب و الیه المرجع و المآب. و من ذلك: القبض و البسط، و الفرق بینهما

بدان که قبض و بسط دو حالت‌اند از آن احوالی که تکلف بنده از آن ساقط است؛ چنانکه آمدنش به کسبی نباشد و رفتن به جهدی نه؛ قوله، تعالی: «و الله یقبضُ و یبسطُ (البقره/۲۴۵).» پس قبض عبارتی بود از قبض قلوب اندر حالت حجاب و بسط عبارتی است از بسط قلوب اندر حالت کشف و این هر دو از حق است بی تکلف بنده و قبض اندر روزگار عارفان، چون خوف باشد اندر روزگار مریدان و بسط اندر روزگار عارفان چون رجا باشد اندر روزگار مریدان به قول این گروه که قبض و بسط را بر این معنی حمل کنند.

و از مشایخ گروهی بر آنند که رتبت قبض رفیع‌تر است از رتبت بسط مر دو معنی را: یکی آن که ذکرش مقدم است اندر کتاب و دیگر آن که اندر قبض گدازش و قهر است و اندر بسط نوازش و لطف و لامحاله گدازش بشریت و قهر نفس فاضل‌تر باشد از پرورش آن؛ از جهت آن که آن حجاب اعظم است و گروهی بر آنند که رتبت بسط رفیع‌تر است از رتبت قبض؛ از آن که تقدیم ذکر آن اندر کتاب علامت تقدیم فضل مؤخر است بر آن؛ از آنچه اندر عرف عرب آن است که اندر ذکر مقدم دارند مر چیزی را که اندر فضل مؤخر بود؛ کما قال الله، تعالی: «فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُاذِنُ اللَّهُ (فاطر/۳۲)»، و نیز گفت: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (البقره/۲۲۲)، و قوله تعالی: «يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ (آل عمران/۴۳).» و نیز اندر بسط سرور است و اندر قبض ثبور و سرور عارفان جز در وصل معروف نباشد و ثبورشان جز در فصل مقصود نه. پس قرار اندر محل وصل بهتر از قرار اندر محل فراق.

و شیخ من گفتی رحمة الله علیه: که قبض و بسط هر دو یک معنی است که از حق به بنده پیوند. که چون آن بر دل نشان کند، یا سر بدان مسرور شود و نفس بدان مقهور یا سر مقهور شود و نفس مسرور و اندر قبض سر یکی بسط نفس وی باشد و اندر بسط سر دیگری قبض نفس وی؛ و آن که از آن جز این عبارت کند تضييع انفس باشد و از آن گفت بایزید، رحمة الله علیه: «قبضُ القلوبِ فی بسطِ النفوسِ و بسطُ القلوبِ فی قبضِ النفوسِ.» پس نفس مقبوض از خلل محفوظ باشد و سر مبسوط از زلل مضبوط؛ از آنچه اندر دوستی غیرت مذهب است و قبض علامت غیرت حق باشد و مر دوست را با دوست معاتبت شرط است و بسط علامت معاتبت باشد.

و اندر آثار معروف است که تا یحیی بود نخندیده بود و تا عیسی بود نگریست، صلوات الله علیهم؛ از آنچه یکی منقبض بود و آن دیگری منبسط. چون فرا یکدیگر رسیدند، یحیی گفت: «یا عیسی، ایمن شدی از قطیعت؟» عیسی گفت: «یا یحیی نومید شدی از رحمت؟» پس نه گریستن تو حکم ازلی را بگرداند و نه خنده من قضای

کرده را رد گرداند. پس «لاقبضَ ولا بسطَ ولاطمسَ ولاأنسَ ولا محوَ ولا محقَ ولاعجزَ ولا جهدَ.» جز آن نباشد که تقدیر بوده است و حکم رفته و الله اعلم.

و من ذلك: الأُنسُ و الهیبة و الفرق بینهما

بدان أَسْعَدَكَ اللهُ که انس و هیبت دو حالت است از احوال صعالیک طریق حق و آن آن است که چون حق تعالی به دل بنده تجلی کند به شاهد جلال نصیب وی اندر آن هیبت بود؛ باز چون به دل بنده تجلی کند به شاهد جمال، نصیب وی اندر آن انس باشد؛ تا اهل هیبت از جلالش بر تعب باشند و اهل انس از جمالش بر طرب. فرق است میان دلی که از جلالش اندر آتش دوستی سوزان بود و از آن دلی که اندر جمالش در نور مشاهدت فروزان.

پس گروهی از مشایخ گفته‌اند که هیبت درجه عارفان است و انس درجه مریدان؛ از آنچه هرکه را اندر حضرت حق و تنزیه اوصافش قدم تمام‌تر، هیبت را بر دلش سلطان بیشتر و طبعش از انس نفورتر؛ از آنچه انس با جنس باشد، و چون مجانست و مشاکلت بنده را با حق مستحیل باشد، انس با وی صورت نگیرد و از وی با خلق نیز انس محال باشد و اگر انس ممکن شود با ذکر وی ممکن شود و ذکر وی غیروی باشد؛ از آنچه آن صفت بنده باشد و آرام با غیر اندر محبت کذب و دعوی و پنداشت بود؛ و باز هیبت از مشاهدت عظمت باشد و عظمت صفت حق بود جلّ جلاله. و بسیار فرق باشد میان بنده‌ای که کارش از خود به خود بود و از آن بنده‌ای که کارش از فنای خود به بقای حق بود.

و از شبلی رحمة الله علیه حکایت آرند که گفت: «چندین گاه می‌پنداشتم که طرب اندر محبت حق می‌کنم و انس با مشاهدت وی می‌کنم. اکنون دانستم که انس را انس جز با جنس نباشد.» و باز گروهی گفتند که: هیبت قرینه عذاب و فراق و عقوبت بود و انس نتیجه وصل و رحمت؛ تا دوستان از اخوات هیبت محفوظ باشند و با انس قرین؛ که لامحاله محبت انس اقتضا کند. و چنانکه محبت را مجانست محال است مرانس را هم محال باشد.

و شیخ من گفتمی، رحمة الله علیه: عجب دارم از آن که گوید که انس با حق ممکن نشود از پس آن که گفته است: «و اذا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ (۱۸۶/البقره)»، «انَّ عِبَادِي (۴۲/الحجر)»، «قل لعبادِي (۳۱/ابراهیم)»، «یا عِبَادِ لاخوفٍ علیکم الیوم و لاأنتم تحزنون (۶۸/الزخرف)». و لامحاله بنده چون این فضل بیند، و را دوست گیرد و چون دوست گرفت انس گیرد؛ از آنچه از دوست هیبت بیگانگی بود و انس یگانگی و صفت آدمی این است که با مُنعم انس گیرد و از حق به ما چندین نعمت و ما را بدو معرفت، محال باشد که ما حدیث هیبت کنیم. و من که علی بن عثمان الجلابی‌ام، می‌گویم که هر دو گروه اندر این مُصیب‌اند با اختلافشان؛ از آنچه سلطان هیبت با نفس باشد و هوای آن و فنا گردانیدن بشریت و سلطان انس با سر بود و پروردن معرفت. پس حق تعالی به تجلی جلال نفس دوستان را فانی کند و به تجلی جمال، سر ایشان را باقی گرداند. پس آنان که اهل فنا بودند هیبت را مقدم گفتند و آنان که ارباب بقا بودند انس را تفضیل نهادند.

و پیش از این در باب «فنا و بقا» شرح این داده آمده است. والله اعلم.

و من ذلك: القهر و اللطف، و الفرق بینهما

بدانکه این دو عبارت است مراین طایفه را که از روزگار خود بیان کنند و مرادشان از قهر تأیید حق باشد به فنا کردن مرادها و بازداشتن نفس از آرزوها بی آن که ایشان را اندر آن مراد باشد. و مراد از لطف، تأیید حق باشد به بقای سر و دوام مشاهدت و قرار حال اندر درجت استقامت؛ تا حدی که گروهی گفته‌اند که: «کرامت از حق حصول مراد است» و این اهل لطف بوده‌اند و گروهی گفته‌اند: «کرامت آن است که حق تعالی بنده را به مراد

خود از مراد وی بازدارد و به بی مرادی مقهور گرداند؛ چنانکه اگر به دریا شود در حال تشنگی دریا خشک گردد.»

گویند در بغداد درویشی دو بودند از محتشمان فقرا یکی صاحب قهر بود و یکی صاحب لطف؛ و پیوسته با یکدیگر به نثار بودند، و هر یکی مر روزگار خود را مزیت می‌نهادندی. یکی می‌گفتی: «لطف از حق به بنده اشرف اشیاست؛ لقلوه، تعالی: «اللَّهُ لَطِيفٌ بَعَادَهُ (۱۹/الشوری)»، و دیگری می‌گفتی: «قهر از حق به بنده اکمل اشیاست؛ لقلوه، تعالی: «و هو القاهرُ فوقَ عِبَادِهِ (۱۸/الأَنعام)».

این سخن میان ایشان دراز شد تا وقتی این صاحب لطف قصد مکه کرد و به بادیه فرو شد و به مکه نرسید. سالها کس خبر وی نیافت. تا وقتی یکی از مکه به بغداد می‌آمد وی را دید بر سر راه، گفت: «ای اخی، به عراق شوی آن رفیق مرا بگوی اندر کرخ، اگر خواهی تا بادیه را با مشقت وی چون کرخ بغداد بینی با عجایب آن، بیا و بنگر اینک بادیه اندر حق من چون کرخ بغداد است.» چون آن درویش بیامد و مر آن رفیق وی را طلب کرد و پیغام بگزاردن، رفیق گفت: «چون بازگردی بگوی که اندر آن شرفی نباشد که بادیه با مشقت را اندر حق تو چون کرخ بغداد کرده‌اند تا از درگاه نگریزی. عجب این باشد که کرخ بغداد را با چندان انعام و عجویات اندر حق یکی بادیه گردانند با مشقت تا وی در آن خرم باشد.»

و از شبلی رضی الله عنه می‌آید که گفت اندر مناجات خود: «ای بارخدای، اگر آسمان را طوق من گردانی و زمین را پای بند من کنی و عالم را جمله به خون من تشنه کنی، من از تو برنگردم.»

و شیخ من گفت: سالی مر اولیا را اندر میان بادیه اجتماع بود و پیر من حُصری رضی الله عنه مرا با خود آنجا برد. گروهی را دیدم هر یک بر نجیبی می‌آمدند و گروهی را بر تختی می‌آوردند، و گروهی می‌پریدند، هر که می‌آمد از این جنس حُصری بدیشان التفات نکرد تا جوانی دیدم می‌آمد نعلین گسسته و عصا شکسته و پای ازکار بشده سر برهنه، اندام سوخته. حُصری بر جست و پیش وی باز رفت، وی وی را به درجت بلند بنشانند. من متعجب شدم. از بعد آن از شیخ پرسیدم گفت: «او ولی است مر خداوند را تعالی و تقدس که متابع ولایت نیست؛ که ولایت متابع وی است و به کرامات التفات نکند.»

و در جمله آنچه ما خود را اختیار کنیم بلای ماست و من جز آن نخواهم که حق در آن مرا از آفت نگاه دارد و از شرّ نفسم باز رهاند اگر اندر قهر دارد تمنای لطف نکنم و اگر اندر لطف دارد ارادت قهرم نباشد؛ که مرا بر اختیار وی اختیار نیست. و بِاللَّهِ التَّوْفِيقُ وَ حَسْبُنَا اللَّهُ وَ نِعْمَ الرَّفِيقُ.

و من ذلک: النَّفْی وَ الْاِثْبَات، وَ الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا

مشایخ این طریقت رضی الله عنهم محو صفت را به اثبات تأیید حق، نفی و اثبات خوانده‌اند. و به نفی، نفی صفت بشریت خواسته‌اند و به اثبات، اثبات سلطان حقیقت؛ از آنچه محو ذهاب کلی بود و نفی کل جز بر صفات نیفتد؛ از آنچه بر ذات در حال بقای بشریت فنا صورت نگیرد. پس باید که تا نفی صفات مذموم باشد به اثبات خصال محمود؛ یعنی نفی دعوی بود اندر دوستی حق تعالی به اثبات معنی؛ از آنچه دعوی از رعونات نفس بود و اندر جریان عبارات ایشان چون به حکم اوصاف مقهور سلطان حق گردند گویند که: «نفی صفات بشریت است به اثبات بقای حق.»

و اندر این معنی پیش از این اندر باب فقر و صفوت و فنا و بقا سخن رفته است و بر آن اختصار کردم. و نیز گویند که: مراد بدین، نفی اختیار بنده باشد به اثبات اختیار حق و از آن بود که آن موفق گفت: «إِخْتِيارُ الْحَقِّ لِعَبْدِهِ مَعَ عِلْمِهِ بَعْدَهُ خَيْرٌ مِنْ إِخْتِيارِ عِبْدِهِ لِنَفْسِهِ مَعَ جَهْلِهِ بِرَبِّهِ»؛ از آنچه دوستی نفی اختیار محب باشد به اثبات اختیار محبوب.

و اندر حکایات یافتم که: درویشی اندر دریا غرق می‌شد یکی گفت: «ای اخی، خواهی تا برهی؟» گفت: «نه.» گفت: «خواهی تا غرق شوی؟» گفت: «نه.» گفت: «عجب کاری! نه هلاک اختیار می‌کنی نه نجات می‌طلبی!؟» گفت: «مرا با اختیار چه کار، که اختیار کنم. اختیار من آن است که حق مرا اختیار کند.»

و مشایخ گفته‌اند: کمترین درجه اندر دوستی نفی اختیار بود. پس اختیار حق ازلی است نفی آن ممکن نگردد و اختیار بنده عرضی، نفی بر آن روا بود. پس باید که اختیار عرضی را زیر پای آرد تا با اختیار ازلی بقا یابد؛ چنانکه موسی صلوات الله علیه چون برکوه منبسط شد با حق تعالی تمنای رؤیت کرد و به اثبات اختیار خود بگفت. حق گفت: «لَنْ تَرَانِي (۱۴۳/الأعراف)». گفت: «بارخدا، دیدار، حق و من مستحق، منع چرا؟» فرمان آمد که: «دیدار حق است اما اندر دوستی اختیار باطل است.»

و اندر این معنی سخن بسیار آید، اما مراد من بیش از این نیست که بدانی که مقصود قوم از این عبارت چه چیز است.

و از این جمله ذکر تفرقه و جمع و فنا و بقا و غیبت و حضور گذشته است اندر مذاهب متصوفه، آنجا که ذکر صحو و سکر است. هر که را اشکال است این معانی را آنجا طلبد؛ از آنچه جای بیان این جمله اینجا بود. اما به حکم لابد این مقدار آنجا بیاوردم تا مذهب هر کسی شرح گردد.

و من ذلك: المسامرةُ و المحادثة، و الفرق بينهما

این دو عبارت است از دو حال از احوال کاملان طریق حق و حقیقت آن حدیث سری باشد مقرون به سکوت زبان؛ یعنی محادثه، و حقیقت مسامره دوام انبساط به کتمان سر و ظاهر معنی این آن بود که مسامره وقتی بود بنده را با حق به شب و محادثه وقتی بود به روز که اندر آن سؤال و جواب بود ظاهری و باطنی و از آن است که مناجات شب را مسامره خوانند و دعوات روز را محادثه. پس حال روز مبنی باشد برکشف، و از آن شب بر ستر. و اندر دوستی مسامره کامل‌تر بود از محادثه.

و تعلق مسامره به حال پیغمبر است، صلی الله علیه و سلم. چون حق تعالی خواست که وی را وقتی باشد با وی جبرئیل را با بُراق بفرستاد تا وی را به شب از مکه به قاب قوسین رسانید و با حق رازگفت و از وی سخن بشنید و چون به نهایت رسید زبان اندر کشف جلال لال شد و دل از کنه عظمت متحیرگشت علم از ادراک بازماند، زبان از عبارت عاجز شد، «لأُحْصِيَ ثَنَاءً عَلَيْكَ» گفتی.

و تعلق محادثه به حال موسی علیه السلام است که چون خواست که وی را با حق تعالی وقتی باشد، از پس چهل روز وعده و انتظار، به طور آمد و سخن خداوند تعالی بشنید تا منبسط شد و سؤال رؤیت کرد و از مراد بازماند و از هوش بشد. چون به هوش باز آمد، گفت: «تَبَّتْ إِلَيْكَ (۱۴۳/الأعراف)». تا فرق ظاهر شد میان آن که آورده باشند؛ قوله، تعالی: «سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا (۱/الإسراء)». و میان آن که آمده باشد؛ قوله تعالی: «وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا (۱۴۳/الأعراف)».

پس شب وقت خلوت دوستان بود و روز گاه خدمت بندگان و لامحاله چون بنده از حد محدود خود اندر گذرد و را زجر کنند؛ باز دوست را حد نباشد تا به از حد درگذشتن مستوجب ملامت شود؛ که هر چه دوست کند جز پسندیده دوست نباشد. واللّه اعلم بالصواب.

و من ذلك: علم اليقين و عين اليقين، و الفرق بينهما

بدان که به حکم اصول این جمله عبارت بود از علم و علم بی یقین بر صحت آن معلوم، خود علم نباشد و چون علم به حاصل آمد غیب اندر آن چون عین باشد؛ از آنچه مؤمنان فردا مر حق تعالی را ببینند هم بدین صفت بینند که امروز می‌دانند اگر بر خلاف این بینند یا رؤیت مصحح نباشد فردا و یا علم درست نیاید امروز و این

هر دو طرف خلاف توحید باشد؛ از آنچه امروز علم خلق بدو درست باشد و فردا رؤیتشان درست. پس علم یقین چون عین یقین بود و حق یقین چون علم یقین و آنان که به استغراق علم گفته‌اند اندر رؤیت، آن محال است؛ که رؤیت مر حصول علم را آلتی است چون سماع و مانند این. چون استغراق علم اندر سماع محال بود، اندر رؤیت نیز محال بود. پس مراد این طایفه بدین علم یقین علم معاملات دنیاست به احکام اوامر و از عین یقین علم به حال نزع و وقت بیرون رفتن از دنیا و از حق یقین علم به کشف رؤیت اندر بهشت و کیفیت اهل آن به معاینه. پس علم یقین درجه علماست به حکم استقامتشان بر احکام امور، و عین یقین مقام عارفان به حکم استعدادشان مر مرگ را و حق یقین فناگاه دوستان به حکم اعراضشان از کل موجودات. پس علم یقین به مجاهدت و عین یقین به مؤانست و حق یقین به مشاهدت بود و این یکی عام است و دیگر خاص و سدیگر خاص الخاص و الله اعلم بالصواب.

و من ذلك: العلم و المعرفة، و الفرق بينهما

علمای اصول فرق نکرده‌اند میان علم و معرفت و هر دو را یکی گفته‌اند، بجز آن که گفته‌اند: «شاید که حق تعالی را عالم خوانند و نشاید که عارف خوانند مر عدم توقیف را.» اما مشایخ این طریقت رضی الله عنهم علمی را که مقرون معاملت و حال باشد و عالم آن عبارت از احوال خود کند آن را معرفت خوانند و مر عالم آن را عارف و علمی را که از معنی مجرد بود و از معاملت خالی، آن را علم خوانند و مر عالم آن را عالم. پس آن که به عبارت مجرد و حفظ آن بی حفظ معنی عالم بود و آن را عالم خوانند و آن که به معنی و حقیقت آن چیز عالم بود و عارف خوانند و از آن است که چون این طایفه خواهند که بر اقران خود استخفاف کنند وی را دانشمند خوانند و مر عوام را این منکر آید و مرادشان نه نکوهش وی بود به حصول علم؛ که مرادشان نکوهش وی بود به ترک معاملت؛ «لأنَّ الْعَالِمَ قَائِمٌ بِنَفْسِهِ وَالْعَارِفَ قَائِمٌ بِرَبِّهِ.»

و اندر این معنی سخن رفته است اندر کشف حجاب المعرفة، و اینجا این مقدار کفایت باشد. والله اعلم.

و من ذلك: الشريعة و الحقيقة، و الفرق بينهما

این دو عبارت است مر این قوم را که یکی از صحت حال ظاهر کنند و یکی از اقامت حال باطن و دو گروه اندر این به غلط‌اند: یکی علمای ظاهر که گویند: «فرق نکنیم؛ که خود شریعت حقیقت است و حقیقت شریعت» و یکی گروهی از ملاحده که قیام هر یک از این با دیگر روا ندارند و گویند که: «چون حال حقیقت کشف گشت شریعت برخیزد.» و این سخن قرامطه است و مشیعه و موسوسان ایشان.

و دلیل بر آن که شریعت اندر حکم از حقیقت جداست آن است که تصدیق از قول جداست اندر ایمان؛ و دلیل بر آن که اندر اصل جدانیت آن که تصدیق بی قول ایمان نباشد و قول بی تصدیق گرویدن نی، و فرق ظاهر است میان قول و تصدیق.

پس حقیقت عبارتی است از معنی که نسخ بر آن روا نباشد و از عهد آدم تا فنای عالم حکم آن متساوی است، چون معرفت حق و صحت معاملت خود به خلوص نیت و شریعت عبارتی است از معنی که نسخ و تبدیل بر آن روا بود چون احکام اوامر. پس شریعت فعل بنده بود و حقیقت داشت خداوند و حفظ و عصمت وی، جلّ جلاله. پس اقامت شریعت بی وجود حقیقت محال بود و اقامت حقیقت بی حفظ شریعت محال و مثال این چون شخصی باشد زنده به جان چون جان از وی جدا شود، شخص مرداری شود و جان بادی. پس قیمتشان به مقارنه یکدیگر است، همچنان شریعت بی حقیقت ریایی بود و حقیقت بی شریعت نفاقی؛ قوله تعالی: «وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا (۶۹/العنكبوت)». مجاهدت شریعت و هدایت حقیقت آن یکی حفظ بنده مر احکام ظاهر را بر خود، و دیگر حفظ حق مر احوال باطن را بر بنده. پس شریعت از مکاسب بود و حقیقت از مواهب و

چون چنین مسلم بود فرق بسیار که میان هر دو باشد و الله اعلم.

نوع آخر این حدود عبارتی است که استعارت پذیرد اندر کلام ایشان و به تفصیل و شرح مشکل تر شود حکم آن و من بر سبیل اختصار بیان این نوع بکنم، ان شاء الله تعالی.

الحق: مرادشان از حق خداوند باشد؛ از آنچه این نامی است از اسماء الله؛ لقوله، تعالی: «ذلک بأنّ الله هو الحقّ المبین (۶/الحج)».

الحقیقه: مرادشان بدان اقامت بنده باشد اندر محل وصل خداوند و وقوف سر وی بر محل تنزیه.

الخطرات: آنچه بر دل گذرد از احکام طریقت.

الوطنات: آنچه اندر سرّ متوطن بود از معانی الهی.

الطمس: نفی عینی باشد که اثر آن بماند.

الرمس: نفی عینی باشد با اثر آن از دل.

العلايق: اسبابی که طالبان، تعلق بدان کنند و از مراد بازمانند.

الوسائط: اسبابی که به تعلق کردن آن به مراد رسند.

الزوائد: زیادت انوار باشد به دل.

الفوائد: ادراک سرّ مر لا بدّ خود را.

الملجأ: اعتماد دل به حصول مراداتو

المنجأ: خلاص یافتن دل از محل آفت.

الکلیه: استغراق اوصاف آدمیت بکلیت.

اللوایح: اثبات مراد با زودی نفی آن.

اللوامع: اظهار نور بر دل با بقای فواید آن.

الطوالع: طلوع انوار معارف بر دل.

الطوارق: واردی به دل به بشارت یا به زجر اندر مناجات شب.

اللطفه: اشارتی به دل از دقایق حال.

السّرّ: نهفتن حال دوستی.

النّجوى: نهفتن احوال از اطلاع غیر.

الاشاره: اخبار غیر از مراد بی عبارت لسان.

الایماء: تعریض خطاب بی اشارت و عبارت.

الوارد: حلول معانی به دل.

الانتباه: زوال غفلت از دل.

الاشتباه: اشکال حال اندر دو طرف حکم حق و باطل.

القرار: زوال تردد از حقیقت حال.

الإنزجاج: تحرک دل بود اندر حال وجد.

این است معنی بعضی از الفاظ ایشان بر سبیل اختصار و بالله العون و العصمة.

نوع آخر این حدود الفاضلی است که اندر توحید خداوند تعالی استعمال کنند و اندر بیان اعتقاد ایشان اندر

حقایق بی استعارت مستعمل دارند و از آن جمله یکی این است:
 العالم: عالم عبارتی است از مخلوقات خداوند. و گویند: «هژده هزار عالم و پنجاه هزار عالم.» و فلاسفه گویند:
 «دو عالم علوی و سفلی.» و علمای اصول گویند: «از عرش تا ثری هرچه هست عالم است.» و در جمله عالم
 اجتماع مختلفیات بود و اهل این طریقت نیز «عالم ارواح و نفوس» گویند. و مرادشان نه آن بود که فلاسفه را
 بود، که مرادشان اجتماع ارواح و نفوس باشد.
 المحدث: متأخر اندر وجود، یعنی نبوده و پس بیوده.
 القديم: سابق اندر وجود و همیشه بود آن که هستی وی سابق بود مر همه هستیها را و این بجز خداوند تعالی
 نیست.

الأزل: آنچه مر آن را اول نیست.

الأبد: آنچه مر آن را آخر نیست.

الذات: هستی چیز و حقیقت آن.

الصفة: آنچه نعت نپذیرد؛ از آنچه به خود قایم نیست.

الاسم: غیر مسما.

التسمية: خبر از مسما.

النفي: آن که عدم منفی اقتضا کند.

الاثبات: آن که وجود مثبت اقتضا کند.

الشيئان: آن که وجود یکی به دیگری روا بود.

الضدّان: آن که روا نبود وجود یکی را با بقای وجود دیگر اندر یک حال.

الغیران: آن که وجود هر یک بی دیگری روا بود.

الجوهر: اصل چیز، آن که به خود قایم بود.

العرض: آن که به جوهر قایم بود.

الجسم: آن که مؤلف بود از اجزای پراکنده.

السؤال: طلب کردن حقیقتی بود.

الجواب: خبر دادن از مضمون سؤال.

الحسن: آن که موافق امر بود.

القبیح: آن که مخالف امر بود.

السّف: ترک امر بود.

الظلم: نهادن چیزی به جایی که نه جای آن بود و درخور آن.

العدل: نهادن هر چیزی به جای خود.

الملک: آن که بر آن اعتراض نتوان کرد که او کند.

این است حدود الفاظ که طالبان را از این چاره نباشد؛ بر سیل اختصار و بالله العون و التوفیق و حسبنا الله و
 نعم الرفیق.

نوع آخر این عباراتی است که به شرح حاجتمند باشد و اندر میان متصوّفه متداول است و مقصودشان بدین
 عبارات نه آن باشد که اهل لسان را معلوم گردد از ظاهر لفظ:

الخاطر: به خاطر حصول معنی خواهند اندر دل با سرعت زوال آن به خاطری دیگر و قدرت صاحب خاطر بر دفع کردن آن از دل. و اهل خاطر متابع خاطر اول باشند اندر امور؛ که آن از حق باشد تعالی و تقدس به بنده بی علت.

وگویند: خیر النَّسَاج را خاطری پدیدار آمد که جنید بر در وی است، آن خاطر از خود دفع کرد. خاطری دیگر به مدد آن آمد هم به دفع آن مشغول شد سدیگر خاطر بیود. بیرون آمد، جنید را دید رضی الله عنهما بر در استاده. گفت: «یا خیر، اگر خاطر اول را متابع بودی و اگر سنت مشایخ را به جای آوردی مرا چندین بر در نایستی استاد.» تا مشایخ گفته اند که: «اگر آن خاطر بود که خیر را اشراف افتاد از آن جنید چه بود؟» گفته اند که: «جنید پیر خیر بود، و لا محاله پیر بر کل احوال مرید مشرف باشد.»

الواقع: به واقع معنی خواهند که اندر دل پدیدار آید و بقا یابد به خلاف خاطر و به هیچ حال مر طالب را آلت دفع کردن آن نباشد؛ چنانکه گویند: «خَطَرَ عَلَى قَلْبِي وَ وَقَعَ فِي قَلْبِي.» پس دلها جمله محل خواطرند، اما واقع جز بر دلی صورت نگیرد که حشو آن جمله حدیث حق باشد و از آن است که چون مرید را در راه حق بندی پیدا آید آن را قید گویند و گویند: «ورا واقعه ای افتاد.» و اهل لسان از واقعه اشکال خواهند اندر مسائل و چون کسی آن را جواب گوید و اشکال بردارد، گویند: «واقعه حل شد.» اما اهل تحقیق گویند که: «واقعه آن بود که حل بر آن روا نباشد و آنچه حل شود خاطری بود نه واقعی؛ که بند اهل تحقیق اندر چیزی حقیر نباشد که هر زمان حکم آن بدل شود و از حال بگردد.»

الاختیار: به اختیار آن خواهند که اختیار کند مر اختیار حق را بر اختیار خود؛ یعنی بدانچه حق تعالی مر ایشان را اختیار کرده است از خیر و شر، بسند کار باشند و اختیار کردن بنده مر اختیار حق را تعالی هم به اختیار حق بود؛ که اگر نه آن بود که حق تعالی ورا بی اختیار کردی وی اختیار خود فرو نگذاشتی. و از ابویزید رُضِيَّ عنه پرسیدند که: «امیر که باشد؟» گفت: «آن که ورا اختیار نمانده باشد و اختیار حق وی را اختیار گشته باشد.»

و از جنید رضی الله عنه می آید که وقتی وی راتب آمد گفت: «بار خدایا، مرا عافیت ده.» به سرش ندا آمد که: «تو کیستی که در ملک من سخن گویی و اختیار کنی؟ من تدبیر ملک خود بهتر از تو دانم. تو اختیار من اختیار کن نه خود را به اختیار خود پدیدار کن.»

الاختبار: به اختبار امتحان دل اولیا خواهند به گونه گونه بلاها از حق تعالی بدان آید از خوف و حزن و قبض و هیبت و مانند آن؛ لقوله تعالی: «اولئك الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِتَتَّقُوا لَهُمْ مَغْفِرَةً وَّ أَجْرٌ عَظِيمٌ (۳/الْحُجُرَات).» و اندر این درجتی عظیم باشد.

البلاء: به بلا امتحان تن دوستان خواهند به گونه گونه مشقتها و بیماریها و رنجها؛ که هر چند بلا بر بنده قوت بیشتر پیدا می کند قربت زیادت می شود ورا با حقتعالی که بلا لباس اولیاست و کدواده اصفیا و غذای انبیا، صلوات الله علیهم. ندیدی که پیغمبر صلی الله علیه و سلم گفت: «أشدُّ البلاءِ بالأنبياءِ ثُمَّ الأولياءِ، ثُمَّ الأمثلِ فالأمثل. نحنُ معاشِرُ الأنبياءِ أشدُّ النَّاسِ بلاءً.» و فی الجملة بلا نام رنجی باشد که بر دل و تن مؤمن پیدا شود که حقیقت آن نعمت بود و به حکم آن که سر آن بر بنده پوشیده باشد با احتمال کردن آلام آن وی را از آن ثواب باشد؛ و باز آنچه بر کافران باشد آن نه بلا بود که آن شقا بود، و هرگز مر کافر را از شقا شفا نبود پس مرتبت بلا بزرگتر از امتحان بود؛ که تأثیر آن بر دل بود و از آن این بر دل و تن والله اعلم.

التحلِّي: تحلی تشبه باشد به قوم ستوده به قول و عمل؛ قوله، علیه السلام: «لَيْسَ الْيَمَانُ بِالتَّحَلِّيِّ وَ التَّمَنِّيِّ، وَلَكِنْ مَا وُقِّرَ بِالْقُلُوبِ وَ صَدَّقَهُ الْعَمَلُ.»

پس مانده کردن خود را به گروهی بی حقیقت معاملت ایشان، تحلی بود و آنان که نمایند و نباشند زود فزیهت شوند و رازشان آشکارا گردد هر چندکه به نزدیک اهل تحقیق خود ایشان فزیهت باشند و رازشان آشکارا. التَّجَلِّي: تأثیر انوار حق باشد به حکم اقبال بر دل مقبلان که بدان شایسته آن شوند که به دل مر حق را ببینند و فرق میان این رؤیت و رؤیت عیان آن بود که متجلی اگر خواهد ببیند و اگر خواهد نبیند، یا وقتی ببیند و وقتی نبیند؛ باز اهل عیان اندر بهشت اگر خواهند که نبینند نتوانند؛ که بر تجلی ستر جایز بود و بر رؤیت حجاب روا نباشد.

التَّخَلِّي: اعراض باشد از اشغال مانعه مر بنده را از خداوند، به حکم تشریف عنایت؛ چنانکه دست از دنیا خالی کند و ارادت عقبی از دل قطع کند و متابعت هوی از سر خالی کند و از صحبت خلق اعراض کند و دل از اندیشه ایشان بپردازد.

الشُّرُود: معنی شُرُود طلب حق باشد به خلاص از آفات و حب و بی قراری اندر آن؛ که همه بلای طالب از حجاب افتد. پس حیل طالب را اندر کشف حجاب و اسفار ایشان را و تعلق ایشان را به هر چیزی شُرُود خوانند و هر که اندر ابتدای طلب بی قرارتر بود اندر انتها و اصل تر و ممکن تر.

القُّصُود: مرادشان از قصود صحت عزیمت باشد بر طلب حقیقت مقصود و قصد این طایفه اندر حرکت و سکون بسته نیست؛ از آنچه دوست اندر دوستی، اگر چه ساکن بود قاصد بود و این خلاف عادت است؛ از آنچه قصد قاصدان یا بر ظاهرشان از قصد تأثیری بود یا در باطنشان نشانی از آن که دوستان بی علت طلب و حرکات خود قاصد باشند و همه صفات ایشان قصد دوست بود.

الاصطناع: بدین آن خواهند که خداوند تعالی بنده را مهذب گرداند به فنای جمله نصیبها از وی و زوال جمله حظها، و اوصاف نفسانی وی را اندر وی مبدل گرداند تا به زوال نعوت و تبدیل اوصاف از خود بی خود شود، و مخصوص اند بدین درجت پیغمبران علیهم السلام بدون اولیا و گروهی از مشایخ بر اولیا هم روا دارند این صفت.

الاصطفاء: اصطفاء آن بود که حق تعالی دل بنده را مر معرفت خود را فارغ گرداند تا معرفت وی صفای خود اندر آن بگستراند و اندر این درجت خاص و عام مؤمنان همه یکی اند از عاصی و مطیع و ولی و نبی؛ لقوله، تعالی: «ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ (۳۲/ فاطر)»

الاصطلام: اصطلام غلبات حق بود که کلیت بنده را مقهور خود گرداند به امتحان لطف اندر نفی ارادتش و قلب ممتحن و قلب مصطلم هر دو به یک معنی باشد؛ چه آن است که اصطلام اخص و ارق امتحان است اندر جریان عبارات اهل این قصه.

الرَّيْنُ: رین حجابی بود بر دل که کشف آن جز به ایمان نبود و آن حجاب کفر و ضلالت است؛ لقوله، تعالی: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (۱۴/ المطففين)» و گروهی گفتند که: «رین آن بود که زوال آن خود ممکن نشود به هیچ صفت؛ که دل کافر اسلام پذیر نباشد و آنچه از ایشان اسلام آرند اندر علم خدای عز و جل مؤمن بوده باشند.»

الغَيْنُ: غین حجابی باشد بر دل که به استغفار برخیزد و آن بر دو گونه باشد: یکی خفیف و یکی غلیظ. غلیظ آن بود که مر اهل غفلت را باشد و کبایر را و خفیف مر همه خلق را از نبی و ولی؛ لقوله علیه السلام: «إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ» پس غین غلیظ را توبه ای بشرط باید و مر خفیف را رجوعی صادق به حق و توبه بازگشتن بود از معصیت به طاعت، و رجوع بازگشتن از خود به حق. پس توبه از جرم کنند

و جرم بندگان مخالفت امر بود و از آن دوستان مخالفت ارادت و جرم بندگان معصیت بود و از آن دوستان رؤیت وجود خود یکی از خطا به صواب بازگرددگویند: ثابت است و یکی از صواب به اصوب بازگرددگویند: آیب است و این جمله اندر باب توبه بتمامی گفته‌ام. والله اعلم.

التلبیس: نمودن چیزی را به خلاف تحقیق آن به خلق، تلبیس خوانند؛ لقوله تعالی: «وَلَكَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ (۹/الأنعام)». و جز حق را تعالی این صفت محال باشد؛ که کافر را به نعم مؤمن می‌نماید و مؤمن را به نعم کافر تا وقت اظهار حکم وی باشد اندر هر کسی و چون یکی از این طایفه خصال محمود را ببوشاند به صفاتی مذموم گویند: «تلبیس می‌کند.» و جز این معانی را این عبارت استعمال نکنند، نفاق و ریا را تلبیس نخوانند هر چند که در اصل تلبیس باشد؛ از آنچه تلبیس جز اندر اقامت حد مستعمل نباشد و الله اعلم.

الشُّرب: حلاوت طاعت و لذت کرامت و راحت انس را این طایفه شرب خوانند. و هیچ کس کار بی شرب نتواند کرد، و چنانکه شرب تن از آب باشد شرب دل از راحت و حلاوت دل باشد و شیخ من رضی الله عنه گفتی: «مرید و عارف باید که از شرب ارادت و معرفت بیگانه باشد.» و یکی گوید که: «مرید را باید که از کردار خود شربی بود تا حق طلب اندر ارادت به جای آرد و عارف را نباید که شرب باشد تا بدون حق با شرب و راحتی که به نفس باز می‌گردد بیارآمد.»

الدُّوق: ذوق مانند شرب باشد، اما شرب جز اندر راحت مستعمل نیست و ذوق مر رنج و راحت را نیکو آید؛ چنانکه کسی گوید: «ذُقْتُ الْخَلَّافَ وَ ذُقْتُ الْبَلَاءَ وَ ذُقْتُ الرَّاحَةَ» همه درست آید و باز شرب را گویند: «شَرِبْتُ بِكَاسِ الْوَصْلِ وَ بِكَاسِ الْوُدِّ». و مانند این بسیار است؛ قوله تعالی: «كُلُوا وَ اشْرَبُوا هَنِيئًا (۴۳/المرسلات)»، و چون از ذوق یاد کرد گفت: «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ (۴۹/الدخان)»، جای دیگر گفت: «ذُوقُوا مَسَّ سَفَرَ (۴۸/القمر)».

این است احکام حدود الفاظ متداول ایشان که یاد کردم و اگر بجمستگی ثبت کنم کتاب مطول گردد. والله اعلم بالصواب.

کشف الحجاب الحادی عشر فی السَّماع و بیان انواعه

بدان أَسْعَدَكَ اللهُ که سبب حصول علم حواس خمس است: یکی سمع، دویم بصر، سیم ذوق، چهارم شم، پنجم لمس و خداوند تبارک و تعالی مر دل را این پنج در بیافریده است و هر جنس علم را به یکی از این باز بسته؛ چون سمع را علم به اصوات و اخبار، و بصر را علم به الوان و اجناس و مر ذوق را علم به حُلُوْمُرٍّ و شم را علم به نَتْن و رایحه و لمس را علم به خشونت و لین و از این پنج حواس چهار را سمع گردانیده و چشم را بصروکام را ذوق و بینی را شم و لمس را اندر همه اندام مجال داده است؛ از آنچه جز چشم نبیند و جز گوش نشنود و جز بینی نبوید و جز کام مزه نیابد اما تن به بساوش اندام نرم از درشت و گرم از سرد، باز داند.

و از روی جواز جایز باشدی که این هر یک اندر همه اعضا شایع باشدی؛ چنانکه لمس و به نزدیک معتزله روا نباشد که هر یکی زاجر محلی مخصوص بود و باطل است قول ایشان به حاسه لمس؛ که آن را محلی مخصوص نیست و چون یکی بدین صفت روا بود دیگران را هم روا بود.

و مراد اینجا جز این است اما از این مقدار چاره ندیدم مر تحقیق بیان معنی را.

پس از این چهار حواس که ذکر ایشان گذشت، بی پنجم آن که سمع است یکی ببیند و یکی ببوید و یکی بچشد و یکی بیساود و روا باشد که اندر دیدن این عالم بدیع و بوییدن چیزهای خوش و چشیدن نعمتهای نیکو و

بسودن چیزهای نرم مر عقل را دلیل گردد به معرفت و به خداوندش راه نماید؛ از آن که بدانند که: عالم محدث است که محل تغییر است و آنچه از حادث خالی نباشد محدث بود و این را آفریدگاری است نه از جنس آن که مکون است و آفریدگار او مکون و آن مجسم است و آفریدگار او مجسم و آفریدگارش قدیم است و آن محدث و آفریدگارش نامتناهی و آن متناهی و قادر است به همه چیزها و بر همه کارها و عالم است به همه معلومات و تصرفش اندر ملک جایز است آنچه خواهد تواند از فرستادن رسولان با برهانهای صادق. اما این جمله بر وی واجب نباشد تا وجوب معرفت به سمع معلوم خود نگرداند و آنچه موجب سمع است و از این است که اهل سنت فضل نهند سمع را بر بصر اندر دار تکلیف.

و اگر مخطیبی گوید: «سمع محل خبر است و بصر موضع نظر و دیدار خداوند جل جلاله فاضل تر از شنیدن کلام وی باشد، باید تا بصر فاضل تر از سمع باشد.»

گوییم: ما به سمع می دانیم که رؤیت خواهد بود اندر بهشت که اندر جواز رؤیت به عقل حجاب از کشف اولی تر نباشد. به خبر دانستیم که مؤمنان را مکاشف گرداند و حجاب اسرار ایشان برگیرد تا خدای را عز و جل ببینند پس سمع فاضل تر آمد از بصر. و نیز جمله احکام شریعت بر سمع مبنی است؛ چه اگر سمع نبود ثبات آن محال بودی. و نیز انبیا صلوات الله علیهم که آمدند نخست بگفتند، تا آن که مستمع بودند پس بگرویدند. آنگاه معجزه بنمودند و اندر دید معجزه تاکید آن هم بر سمع بود و بدین دلایل هر که سماع را انکارکنند کلی شریعت را انکار کرده باشد و حکم آن بر خود بیوشیده.

و اکنون من احکام آن مستوفای ظاهرکنم، ان شاء الله وَحْدَهُ و صدق الله وَعْدَهُ.

بابُ سَمَاعِ الْقُرْآنِ وَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ

اولی تر مسموعات مر دل را به فواید و سر را به زواید و گوش را به لذات کلام ایزد عزاسمه است، و مأمورند همه مؤمنان و مکلف همه کافران از آدمی و پری به شنیدن کلام باری تعالی. و از معجزات قرآن یکی آن است که طبع از شنیدن و خواندن آن نفور نگردد؛ از آنچه اندر آن رقتی عظیم است؛ تا حدی که کفار قریش به شبها بیامدندی اندر نهان، و پیغمبر علیه السلام اندر نماز بودی ایشان می شنیدندی آنچه وی می خواندی و تعجب می نمودندی؛ چون نصر بن الحارث که افصح ایشان بود و عتبه بن ربیع که به بلاغت می سحر نمود و بوجهل هشام که به خطب می براهین نظم داد و مانند ایشان؛ تا حدی که پیغامبر صلی الله علیه و سلم شبی سورتی می خواند عتبه از هوش بشد با بوجهل گفت: «مرا معلوم گشت که این نه سخن مخلوقان است.»

و خداوند تعالی پریان را بفرستاد تا فوج فوج بیامدند و سخن خدای تعالی از پیغامبر علیه السلام می شنیدند؛ لقله تعالی: «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (۱/الجن)». آنگاه ما را خبر داد از قول پریان که این قرآن راهنمای است مر دل بیمار را به طریق صواب، عز من قائل: «يَهْدِي إِلَى الرِّشْدِ فَاَمَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (۲/الجن)».

پس پند آن نیکوتر است از همه پندها و لفظش موجزتر از همه لفظها و امرش لطیف تر از همه امرها و نهیش زاجرتر از همه نهیها و وعدش دلربای تر از همه وعدهها و وعیدش جانگدازتر از همه وعیدها و قصه هاش مشبع تر از همه قصهها و امثالش فصیح تر از همه مثلها. هزار دل را سماع آن صید کرده است و هزار جان را لطایف آن به غارت داده، عزیزان دنیا را ذلیل کند و ذلیلان دنیا عزیز کند.

عمر بن الخطاب رضی الله عنه بشنید که خواهر و دامادش مسلمان شدند. قصد ایشان کرد با شمشیر آخته، و مر

قتل ایشان را ساخته و دل از مهر ایشان برداشته؛ تا حق تعالی لشکری از لطف اندر زوایای سوره طه به کمین نشاند؛ تا به در سرای آمد و خواهرش می خواند: «طه، ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى إلا تذكرة لمن يخشى (۱، ۲، ۳/طه)». جانش صید دقیق آن شد و دلش بسته لطف آن گشت. طریق صلح جست و جامه جنگ برکشید و از مخالفت به موافقت آمد.

و معروف است که: چون پیش رسول علیه السلام برخواندند: «إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (۱۲ و ۱۳/المزمل)»، وی بیهوش بیفتاد.

وگویند: مردی پیش عمر برخواند، رضی الله عنه: «إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (۷/الطور)»، وی نعره ای بزد و بیهوش بیفتاد. برداشتند وی را و به خانه بردند تا یک ماه پیوسته بیمار بود، از وجل و ترس خداوند، عز و جل. وگویند: مردی پیش عبدالله بن حنظله برخواند: «لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ (۴۱/الأعراف)». گریستن بر وی افتاد تا جایی که گویند پنداشتند که جان از وی جدا شد. آنگاه بر پای خاست گفتند: «بنشین، ای استاد.» گفت: «هیبت این آیت از نشستن مرا می باز دارد.»

وگویند: پیش جنید رضی الله عنه برخواندند: «لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (۲/الصف)». وی گفت: «بارخدا، اِنْ قُلْنَا قُلْنَا بِكَ وَ اِنْ فَعَلْنَا فَعَلْنَا بِتَوْفِيقِكَ فَأَيُّ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ؟»

و از شبلی رضی الله عنه می آید که: پیش وی برخواندند: «و اذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ (۲۴/الكهف)». وی گفت: «شرط ذکر نسیان است و همه عالم اندر ذکر مانده.» نعره ای بزد و هوش از وی بشد. چون به هوش آمد گفت:

«عجب از آن دلی که کلام وی بشنود و برجای بماند و عجب از آن جانی که کلام وی بشنود و برنیاید.» یکی گوید از مشایخ که: وقتی کلام خدای تعالی می خواندم که: «وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ (۲۸/البقره)». هاتفی آواز داد که: «نرم تر خوان؛ که چهار تن از پریان از هیبت این آیت بمرده اند.»

و درویشی گفت: «من ده سال است تا قرآن بجز اندر نماز به قدر جواز نخوانده ام و نشنیده.» گفتند: «چرا؟» گفت: «ترس آن را که بر من حجت شود.»

روزی من پیش شیخ ابوالعباس شقانی رضی الله عنه اندر آمدم. وی را یافتم که می خواند: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ (۷۵/النحل)»، و می گریست و نعره می زد؛ تا پنداشتم که از دنیا برفت. گفتم: «ایها الشیخ، این چه حالت است؟» گفت: «یازده سال است تا وردم اینجا رسیده است از اینجای می توانم گذشت.»

و از ابوالعباس عطا رضی الله عنه پرسیدند که: «شیخ هر روز چند قرآن خواند؟» گفت: «پیش از این در شبانروزی دو ختم کردم، اما اکنون چهار سال است تا هنوز امروز به سوره انفال رسیده ام.»

گویند که: ابوالعباس قصاب قاری را گفت: «برخوان: لا تثریبَ علیکم الیومَ یغفرَ اللهُ لکم و هو أرحمُ الرَّاحمین (۹۲/یوسف)»، و بازگفت: «برخوان: یا ایها العزیزُ مَسْنَا و اهلنا الضُّرُّ و جئنا بیضاعه مَرْجَاةً (۸۸/یوسف)»، و باز گفت: «برخوان: قالوا اِنْ یَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَه مِنْ قَبْلُ (۷۷/یوسف)». آنگاه گفت: «بارخدا، من به جفا بیش از برادران یوسفم و تو به کرم بیش از یوسفی. با من آن کنی که او با برادران جافی کرد.»

و با این همه جمله مأمورند همه اهل اسلام از مطیع و عاصی به استماع قرآن؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: «وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا (۲۰۴/الأعراف)». استماع و سکوت فرمود خلق را اندر آن حال که کسی قرآن برخواند.

و نیز گفت: «فَبَشِّرْ عِبَادَ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ (۱۷، ۱۸/الزمر)»، بشارت داد آن را که اندر حال استماع متابع احسن آن باشد؛ یعنی به اوامر آن قیام کند و به تعظیم شنود.

و نیز گفت: «الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ (۲/الأنفال)»؛ یعنی دلهای مستمعان کلام حق پر وجل باشد.

و قوله، تعالی: «الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (۲۸/الرعد). آرامش و طمأنینت دلها اندر ذکر خداوند است، تعالی و تقدس.»

و مانند این بسیار است از آیات بر حکم تأکید این.

و باز بر عکس آن بنکوهید مر آن گروهی را که کلام حق تعالی را به حق نشنودند و از گوش به دل راه ندادند: قوله، تعالی: «خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَ عَلَى سَمْعِهِمْ وَ عَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً (۷/البقره)»، مواضع سمعشان مختوم است.

و قوله، تعالی: «لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (۱۰/الملک)، اگر بحق بشنیدیمی و یا به تحقیق بدانستیمی به دوزخ گرفتار نگشتیمی.»

و قوله، تعالی: «وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَ جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا (۲۵/الأنعام)، و گروهی که از تو بشنوند بر دلشان حجاب باشد یا برگوششان کری، تا چنان باشد که نشنیده باشند»، لقوله، تعالی: «وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ هُمْ لَا يَسْمَعُونَ (۲۱/الأنفال)»، بر وجه شکایت گفت: چنان مباشید که آن گروهی گفتند: شنیدیم و نشنیدند؛ یعنی نه به دل شنیدند.

و مانند این آیات بسیار است اندر کتاب خدای، تعالی.

و رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ: «أَنْتَ قَالَ لَابِنِ مَسْعُودٍ: إِقْرَأْ. فَقَالَ: أَنَا أَقْرَأُ وَ عَلَيْكَ أَنْزَلَ. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ: أَنَا أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَ مِنْ غَيْرِي.»

و این دلیلی واضح است بر آن که مستمع کامل حال تر از قاری بود، که گفت: «من آن دوستتر دارم که بشنوم از غیر خود»؛ از آنچه قاری یا از حال گوید یا از غیر حال و مستمع جز به حال نشنود؛ که اندر نطق نوعی از تکبر بود و اندر استماع نوعی از تواضع.

و نیز گفت، پیغمبر، علیه السلام: «شَبَّتَنِي سُوْرَةُ هُوْدٍ. شَنِدِن سُوْرَةُ هُوْدٍ مَرَا پَرِگَرْدَانِید.» و گویند این از آن بود که اندر آن سوره حاصل است «فَاسْتَقَمَ كَمَا أُمِرْتُ (۱۱۲/هُود)». و آدمی عاجز است از استقامت به امور حق؛ از آنچه بنده بی توفیق حق هیچ چیز نتواند کرد چون گفت: «فَاسْتَقَمَ كَمَا أُمِرْتُ» متحیر شد، که گفت: این چگونه خواهد بود که من به حکم این امر قیام توانم کرد؟ از رنج دل قوت ازوی بشد رنج بر رنج زیادت شد روزی اندر خانه خود برخاست و دستها بر زمین نهاد و قوت کرد؛ تا ابوبکر رضی الله عنه گفت: «این چه حالت است، یا رسول الله، و تو جوان و تندرست؟» گفت: «سُوْرَةُ هُوْدٍ مَرَا پَرِگَرْد؛ یعنی سماع این امر بر دلم چندان قوت کرد که قوتم ساقط شد.»

رَوَى أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ كُنْتُ فِي عِصَابَةٍ فِيهَا ضُعَفَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، وَ إِنْ بَعْضُهُمْ يَسْتُرُ بَعْضًا مِنَ الْعُرَى، وَ قَارِيٌّ يَقْرَأُ عَلَيْنَا. وَ نَحْنُ نَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ. فَقَالَ: فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا، فَلَمَّا رَأَى الْقَارِيَّ سَكَتَ. قَالَ: فَسَلَّمَ وَ قَالَ: «مَاذَا كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟» قُلْنَا: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَانَ قَارِيٌّ يَقْرَأُ عَلَيْنَا وَ نَحْنُ نَسْتَمِعُ لِقِرَاءَتِهِ.» فَقَالَ النَّبِيُّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي أُمَّتِي مَنْ أُمِرْتُ أَنْ أَصْبِرَ نَفْسِي مَعَهُمْ.» قَالَ: ثُمَّ جَلَسَ وَ سَطْنَا لِيَعْدَلَ نَفْسَهُ فِينَا، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ هَكَذَا فَتَحَلَّقَ الْقَوْمُ فَلَمْ يَعْرِفْ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ سَلَّمَ مِنْهُمْ أَحَدًا. قَالَ: وَ كَانُوا ضُعَفَاءَ الْمُهَاجِرِينَ. فَقَالَ النَّبِيُّ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: «أَبْشِرُوا صَعَالِيكَ الْمُهَاجِرِينَ بِالْفَوْزِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ أَغْنِيَاءِ كُمْ بِنِصْفِ يَوْمٍ كَانَ مَقْدَارُهُ خَمْسَمِائَةَ عَامٍ.»

: من با گروهی بودم از فقرای مهاجرین که ایشان بعضی از اندام خود بیوشیده بودند به بعض دیگران از برهنگی و قاری بر ما می خواند و ما سماع می کردیم یعنی استماع قرائت وی را. تا پیغمبر علیه السلام بیامد و بر سر ما بیتساد چون قاری وی را بدید خاموش شد. پیغمبر علیه السلام بر ما سلام گفت و گفت: «اندر چه کار

بودید؟» گفتیم: «یا رسول الله، قاری می خواند و ما سماع می کردیم خواندن او را.» آنگاه پیغامبر گفت، علیه السلام: «الحمد لله که اندر امت من گروهی آفرید که مرا بفرمود تا اندر صحبت ایشان صبر کنم.» آنگاه اندر میان ما بنشست چون یکی از ما تا خود را برابر ما کرد. پس حلقه کردند آن گروه، و کس اندر میان ما پیغمبر را علیه السلام از ایشان باز نمی شناخت. آنگاه مرا ایشان را گفت: «بشارت مر شما را، ای درویشان مهاجریان، به فیروزی تمام اندر روز قیامت که اندر آید به بهشت پیش از توانگران به نیم روز و آن پانصد ساله عمر بود.» و این خبر را به چند روایت مختلف بیارند، اما اختلاف اندر عبارت است. معنی همه درست است.

فصل

وزرارة بن ابی أوفی از کبار صحابه بود رضی الله عنهم مردمان را می امامی کرد؛ آیتی برخواند و زَعَقَه ای بزد و جان بداد.

و ابوجهیر از بزرگان تابعین بود، صالح مَرّی آیتی برخواند، شَهَقَه ای از وی جدا شد و از دنیا برفت. و ابراهیم النَّخَعی رحمة الله علیه روایت آرد که: اندر دیهی از دیه های کوفه می رفتیم. پیرزنی را دیدم که اندر نماز استاده بود، آثار خیری بر وی ظاهر بود تا از نماز فارغ شد، من به حکم تبرکی پیش وی رفتم و سلام گفتم. مرا گفت: «قرآن دانی؟» گفتم: «بلی.» گفت: «آیتی برخوان.» بانگی بکرد و جان به استقبال رؤیت حق فرستاد. و احمد بن ابی الحواری روایت آرد که: اندر بادیه جوانی دیدم اندر مرقعه ای خشن بر سر چاهی استاده. مرا گفت: «یا احمد، بوقت آمدی که مرا می سماع باید تا جان بدهم. آیتی برخوان.» حق تعالی به زبان من داد: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا (۱۳/الأحقاف).» گفت: «یا احمد، به خدای کعبه که همان که برخواندی اندر این ساعت فریشته ای بر من می خواند.» اگر حکایات متصل این باب بیارم از مقصود بمانم.

بابُ سَمَاعِ الشَّعْرِ وَ مَا يَتَعَلَّقُ بِهِ

در جمله شنیدن شعر مباح است، و پیغامبر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شنیده است و صحابه رضوان الله عليهم گفته اند و شنیده.

قال النَّبِيُّ، عليه السلام: «إِنَّ مِنَ الشَّعْرِ لِحِكْمَةً، وَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ مِنْ حَيْثُ وَجَدَهَا فَهُوَ أَحَقُّ بِهَا.» از شعر شعری است که بحق حکمت باشد و حکمت ضالّه مؤمن بود که از وی غایب است آن که بیابد بدان اولی تر باشد.»

و قوله، عليه السلام: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَتْهَا الْعَرَبُ، قَوْلُ لَبِيدٍ.» راست و موجزترین کلمه ای که عرب گفته اند قول لبید است که: هر چه جز خداوند است همه باطل است، قال القائل:

أَكَلْتُ شَيْئًا مَخَالَفَ اللَّهِ بَاطِلٌ وَ كَلُّ نَعِيمٍ لَامَحَالَةَ زَائِلٌ
و رَوَى عَمْرُو بْنُ الشَّرِيدِ عَنْ أَبِيهِ رَحِمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا أَنَّهُ قَالَ: «إِسْتَنْشَدَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هَلْ تَرَوِي مِنْ أُمِيَّةَ بِنِ أَبِي الصَّلْتِ شَيْئًا. فَأَنْشَدْتُهُ مِائَةَ قَافِيَةٍ؛ كُلَّمَا مَرَرْتُ عَلَى بَيْتِ عَلِيٍّ قَالَ: هَيْه. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَادَأَنَّ يَسْلِمَ فِي شَعْرِهِ.»

«هیچ روایت کنی از اشعار امیه بن ابی الصلت؟» گفت: بلی صدبیت روایت کردم و اندر آخر هر بیتی که گفتمی، می گفتی: «هیه؛ یعنی دیگر بگوی.» و مانند این روایات بسیار آمده است از وی و از صحابه و عمر گفت، رضی الله عنه.

و مردمان را اندر این غلطها افتاده است. گروهی گفته‌اند که: شنیدن جمله اشعار حرام است و روز و شب غیبت مسلمانان می‌گویند، و گروهی جمله آن را حلال دارند و روز و شب غزل و صفت زلف جانان بشنوند و اندر این بر یکدیگر حُجج آرند و مراد من اثبات آن نیست.

اما مشایخ متصوِّفه رضی الله عنهم را اندر این طریق حجت آن است که از پیغمبر علیه السلام پرسیدند از شعر. وی گفت، صلی الله علیه: «كَلَامٌ حَسَنٌ حَسَنٌ وَ قَبِيحٌ قَبِيحٌ.» سخنی است، نیکوی آن نیکو بود و زشت آن زشت؛ یعنی هرچه شنیدن آن حرام است، چون غیبت و بهتان و فواحش و ذم کسی و کلمه کفر به نظم و نثر همه حرام باشد، و هرچه شنیدن آن به نثر حلال است چون حکمت و مواعظ و استدلال اندر آیات خداوند و نظر اندر شواهد حق به نظم هم حلال باشد و در جمله همچنان که نظر اندر جمالی که محل آفت بود و بسودن آن محظور حرام، شنیدن صفت آن بدان وجه حرام بود و آن که این را مطلق حلال گوید، نظم و بسودن را حلال باید داشت، آنگاه آن زندقه باشد و آن که گوید: «من اندر چشم و رخ و خد و زلف و خال حق می‌شنوم و آن می‌طلبم؛ از آنچه چشم و گوش محل و منبع علم‌اند» واجب کند که این با دیگری می‌گوید: «من می‌بساوم مر آن شخص را که آن یکی شنیدن صفت آن می‌روا دارد» و گوید که: «اندر آن حق می‌طلبم.» که حاستی از حاستی اولی‌تر نباشد مر ادراک معنی را. آنگاه کلیت شریعت باطل شود؛ قوله، علیه السلام: «الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ»، حکم این برخیزد و ملامت از بسودن نامحرمان منقطع شود و حدود شرعی ساقط گردد و این ضلالت بود.

و چون جهله مستصوِّف مر مستغرقان مستمعان را دیدند که می‌سماع کردند به حال، پنداشتند که به نفس می‌کنند. چون ایشان را بدیدند گفتند: «حلال است و اگر نیستی ایشان نکنند.» بدان تقلید کردند، ظاهر برگرفتند و حقیقت بگذاشتند تا خود هلاک شدند و قومی جهال دیگر را هلاک کردند و این از آفات زمانه است و به جای خود شرح دهم بتمامی، ان شاء الله عزّ وجل.

بابُ سَمَاعِ الْاَصْوَاتِ وَالْاَلْحَانِ

قوله، علیه السلام: «زَيَّنُوا اَصْوَاتَكُمْ بِالْقُرْآنِ. بِيَارَائِدِ اَوَاظِهَا رَا بَه خَوَانِدِنِ قُرْآن.» و یک روایت دیگر: «زَيَّنُوا الْقُرْآنَ بِالْاَصْوَاتِ الْحَسَنِ. بِيَارَائِدِ قُرْآن رَا بَه صَوْتِهَايْ خَوْش نِيكُو.» قوله، تعالی: «يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ (۱/فاطر).» مفسران گفتند که این، صوت حَسَن باشد و هرکه خواهد که صوت داود بشنود گو صوت بوموسی اشعری بشنو.

و اندر اخبار مشهور است که: اندر بهشت مر اهل بهشت را سماع باشد و آن چنان بود که از هر درختی صوتی و لحنی مختلف می‌آید. چون مؤلف شوند آن اصوات طبایع را اندر آن لذتی عظیم باشد و این نوع سماع عام است اندر میان خلق از آدمی و غیر آن که زنده‌اند به حکم آن که روح، لطیف است و اندر اصوات لطافتی هست، چون بشنود جنس به جنس مایل شد و این قول گروهی است که گفتم.

و اطبا را و آنان که دعوی تحقیق کنند از اهل خبرت اندر این سخن بسیار است و اندر تألیف الحان، کتب ساخته‌اند و مر آن را عَطْم داده و امروز آثار صنعتشان ظاهر است اندر مزامیر که مر آن را مرتب گردانیده‌اند مر قوت هوی را و طلب لهو را به حکم موافقت شیطان؛ تا حدی که گویند: اسحاق موصلی اندر باغی می‌غنا کرد هزار دستان می‌سرایید، از لذت آن خاموش شد و سماع می‌کرد تا از درخت درافتاد مرده و از این جنس حکایتها شنیده‌ام اما مراد بجز این است.

و ایشان گویند که: «همه راحت طبایع از تألیف و ترکیب اصوات و الحان بود.» ابراهیم خواص رضی الله عنه

گوید که: من وقتی به حی از احیای عرب فراز رسیدم و به دار ضیف امیری از امرای حی نزول کردم سیاهی دیدم مغلول و مُسلسل، بر در خیمه افکنده اندر آفتاب. شفقتی بر دلم پدید آمد. قصد کردم تا او را به شفاعت بخواهم از امیر. چون طعام پیش آوردند مرا اکرام ضیف را امیر بیامد تا با من موافقت کند چون وی قصد طعام کرد من ابا کردم. و بر عرب هیچ چیز سخت تر از آن نیاید که کسی طعام ایشان نخورد. مرا گفت: «ای جوانمرد، چه چیز ترا از طعام من باز می‌دارد؟» گفتم: «امیدی که بر کرم تو دارم.» گفت: «همه املاک من ترا، تو طعام بخور.» گفتم: «مرا به ملک تو حاجتی نیست، این غلام را در کار من کن.» گفت: «نخست از جرمش بپرس، آنگاه بند از وی برگیر؛ که ترا بر همه چیزها حکم است تا در ضیافت مایی.» گفتم: «بگو تا جرمش چیست.» گفت: «بدان که این غلامی است که حادی است، و صوتی خوش دارد من این را به ضیاع خود فرستادم با اشتری صد تا برای من غله آرد وی برفت و دوبار شتر بر هر اشتری نهاد و اندر راه حُدی می‌کرد و اشتران می‌شتافتند تا به مدتی قریب اینجا آمدند، با دو چندان بار که من فرموده بودم. چون بار از اشتران فروگرفتند، اشتران همه یگان دوگان هلاک شدند.»

ابراهیم گفت: مرا سخت عجب آمد، گفتم: «ایها الامیر، شرف تو تو را جز به راست گفتن ندارد، اما مرا بر این قول برهانی باید.» تا ما در این سخن بودیم اشتری چند از بادیه به چاهسار آوردند تا آب دهند. امیر پرسید که: «چند روز است که این اشتران آب نخورده‌اند؟» گفتند: «سه روز.» این غلام را فرمود تا به حُدی صوت برگشاد. اشتران اندر صوت وی و شنیدن آن مشغول شدند و هیچ دهان به آب نکردند تا ناگاه یک یک در رسیدند و اندر بادیه پراکنده شدند. آن غلام را بگشاد و به من بخشید.

و ما بعضی از این اندر مشاهده می‌بینیم که چون اشتران و خربنده ترنمی کنند اندر آن اشتر و خر طربی پیدا آید. و اندر خراسان و عراق عادت است که صیادان به شب آهوگیرند طشتی بزنند تا آهوان آواز طشت بشنوند و بر جای بایستند. ایشان مر او را بگیرند.

و مشهور است که اندر هندوستان گروهی اند که به دشت بیرون روند و غنا می‌کنند و لحن می‌گردانند. آهوان چون آن بشنوند، قصد ایشان کنند. ایشان گرد آهو می‌گردند و غنا می‌کنند تا از لذت چشم فروگیرد و بخسبد. ایشان مر او را بگیرند.

و اندر کودکان خرد این حکم ظاهر است که چون بگیرند اندر گاواره، کسی نوایی بزند خاموش شوند و مر آن را بشنوند و اطبا گویند مر این کودک را که حس وی درست است و به بزرگی زیرک باشد و از آن بود که آن ملک عجم را وفات آمد از وی پسری ماند دو ساله. وزرا گفتند که: «اینی را بر تخت مملکت باید نشاند؟» با بزرجمهر تدبیر کردند. وی گفت: «صواب آید. اما نباید آزمود تا حسش درست هست و بدو امید توان داشت؟» گفتند: «تدبیر این چیست؟» بفرمود تا غنا می‌کردند وی اندر آن میان به طرب آمد و دست و پای زدن گرفت. بزرجمهر گفت: «این امیدوار است به ملک.»

و اصوات را تأثیر از آن ظاهرتر است به نزدیک عقلا که به اظهار برهان وی حاجت آید و هر که گوید: «مرا به الحان و اصوات و مزامیر خوش نیست»، یا دروغ گوید، یا نفاق کند، و یا حس ندارد و از جمله مردمان و ستوران بیرون باشد. منع گروهی از آن بدان است که رعایت امر خداوند کنند و فقها متفق‌اند که: چون ادوات ملامی نباشد و اندر دل فسقی پدیدار نیاید، شنیدن آن مباح است و بر این آثار و اخبار بسیار آرند. کما رُوی عن عایشة رضی الله عنها قالت: «عندی جاریة تُغنی، فاستأذنَ عمرٌ، فلمّا، سمعتُ حسّه فَرَّتْ فلمّا دخلَ عمرٌ تَبَسَّ رسولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عليه و سلم. فقالَ له عمر: ما أضحكك، يا رسولَ اللهِ؟ قال: كَانَتْ عِنْدَنَا جَارِيَةٌ تُغْنِي فلمّا سمعتُ حَسَكَ فَرَّتْ. فقالَ عمرٌ: لأبرحُ حَتَّى أَسْمَعَ ما كانَ سَمِعَ رسولُ اللهِ، صَلَّى اللهُ عليه و سلم. فدعا

رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم الجارية، فأخذتُ تُغَنِّي و رسولُ الله صَلَّى اللهُ عليه و سلم يستمعُ.»
و بسیاری از صحابه رضوان الله عليهم مانند این آورده‌اند و شیخ ابو عبدالرحمان سلمی آن جمله را جمع کرده است، اندر کتاب سماع و به اباحت آن قطع کرده و مراد مشایخ متصوفه از این بجز این است؛ از آنچه اندر اعمال فواید باید اباحت طلبیدن کار عوام باشد و محل مباح ستوران‌اند. بندگان مکلف را باید تا از کردار فایده طلبند.

وقتی من به مرو بودم. یکی از ائمه اهل حدیث آن که معروفترین بود مرا گفت: «من اندر اباحت سماع کتابی کرده‌ام.» گفتم: «بزرگ مصیبتی که اندر دین پدیدار آمد، که خواجه امام لهوی را که اصل همه فسقه‌است حلال کرد!» مرا گفتم: «تو اگر حلال نمی‌داری، چرا می‌کنی؟» گفتم: «حکم این بر وجوه است بر یک چیز قطع نتوان کرد اگر تأثیر اندر دل حلال بود سماع حلال بود؛ و اگر حرام حرام، و اگر مباح مباح. چیزی را که حکم ظاهرش فسق است و اندر باطن حالش بر وجوه است اطلاق آن به یک چیز محال بود.» والله اعلم بالصواب.

بابُ أَحْكَامِ السَّمَاعِ

بدان که سماع را اندر طبایع حکمهای مختلف است، همچنان که ارادت اندر دلها مختلف است، و ستم باشد که کسی مر آن را بر یک حکم قطع کند.

و جمله مستمعان بر دو گونه‌اند: یکی آن که معنی شنوند و دیگر آن که صوت و اندر این هر دو اصل فواید بسیار است و آفات بسیار؛ از آنچه شنیدن اصوات خوش غلیان معینی باشد که اندر مردم مرکب بود اگر حق بود حق و اگر باطل بود باطل کسی را که مایه به طبع فساد بود آنچه شنود همه فساد باشد.

و جملگی این اندر حکایت داود علیه السلام بیاید که چون حق تعالی وی را خلیفت گردانید وی را صوتی خوش داد و حلق او را مزامیر گردانید و کوهها را رسایل وی کرد؛ تا حدی که وحوش و طیور از کوه و دشت به سماع آمدندی و آب باستانی و مرغان از هوا درافتادی. و اندر آثار آمده است که یک ماه آن خلق اندر آن صحرا هیچ نخوردندی و اطفال نگریستندی و هیچ شیر نخوردندی و هرگاه که خلق از آنجا بازگشتندی بسیار مردم از لذت کلام و صوت و لحن وی مرده بودند؛ تا حدی که گویند یک بار هفتصد کنیزک عذرا به شمار برآمد.

و آنگاه چون حق تعالی خواست که مستمع صوت و متابع طبع را جدا کند از اهل حق و مستمع حقیقت، ابلیس را به درخواست وی و حيله و مکر وی بماند تا نای و طنبور بساخت و اندر برابر مجلس داود علیه السلام مجلسی فراگسترید تا آنان که می صوت داود شنیدند به دو گروه شدند: یکی آن که اهل شقاوت بودند و دیگر آن که اهل سعادت. آن گروه به مزامیر ابلیس مشغول شدند و این گروه به اصوات داود بماندند؛ و باز آن که اهل معنی بودند صوت داود و غیر وی اندر پیش دل ایشان نبود؛ از آنچه همه حق می‌دیدند، اگر مزامیر دیو شنیدندی اندر آن فتنه حق دیدندی و اگر صوت داود اندر آن هدایت حق، از کل بازماندند و از متعلقات اعراض کردند و هر دو را چنانکه بود بدیدند صواب را به صواب و خطا را به خطا. و آن را که سماع بدین نوع بود هرچه بشنود همه حلال باشدش.

و گروهی گویند از مدعیان که: «ما را سماع بر خلاف این می‌افتد که هست.» و این محال باشد؛ از آنچه کمال ولایت آن بود که هر چیزی چنان بینی که هست تا دیده درست باشد و اگر بر خلاف بینی درست نیاید ندیدی که پیغمبر علیه السلام چه گفت؛ قوله، علیه السلام: «اللَّهُمَّ ارِنَا الْأَشْيَاءَ كَمَا هِيَ.» بار خدایا بنمای ما را هر چیزی

چنان که آن است.» و چون دیدنِ درست مر چیزها را آن بود که ببینی بر آن صفت که هست، پس سماع درست نیز آن بود که بشنوی هر چیزی را چنان که هست آن چیز اندر نعت و حکم.

و آنان که اندر مزامیر مفتون شوند و به هوی و لهو مقرون شوند، از آن است که می به خلاف آن بشنوند که هست. اگر بر موافقت حکم آن سماع کنندی از همه آفات آن برهنندی. ندیدی که اهل ضلالت کلام خدای تعالی بشنیدند و ضلالتشان بر ضلالت زیادت شد؟ چنانکه نصر بن الحارث گفت: «هذا أساطيرُ الأولين» و عبدالله بن سعد بن ابی سرح که کاتب وحی بود گفت: «فتبارك الله أحسنُ الخالقينَ (۱۴/المؤمنون)»، و گروهی دیگر «ثم استوى على العرش (۵۴/الأعراف)» را اثبات مکان و جهت و گروهی «وجاء ربك وأملكك صفاءً صفاءً (۲۲/الفجر)» را دلیل مجیء! چون دلشان محل ضلالت بود شنیدن کلام رب العزه ایشان را هیچ سود نداشت.

و باز موحدان در شعر شاعر نظر کردند آفریننده طبع ورا دیدند و زداینده خاطرش را و اندر آن اعتبار فعل را بر فاعل دلیل کردند؛ تا آن گروه اندر حق گمراه شدند و این گروه اندر باطل، راه یافتند و انکار این مکابره‌ای عیان باشد.

فصل

و مشایخ را رضی الله عنهم اندر این معنی کلمات لطیف است بیش از آن که جملگی آن را این کتاب حمل تواند کرد، اما آنچه ممکن شود من اندر این فصل اثبات کنم تا فایده تمام تر باشد والله اعلم.

ذی النون گوید، رحمة الله عليه: «السَّمَاعُ وَارِدُ الْحَقِّ يُزَعِّجُ الْقُلُوبَ إِلَى الْحَقِّ، فَمَنْ أَصْغَى إِلَيْهِ بِحَقِّ تَحَقُّقٍ وَ مَنْ أَصْغَى إِلَيْهِ بِنَفْسٍ تَزْنِدُ.»

سماع وارد حق است که دلها بدو برانگیزد و بر طلب وی حریص کند هر که آن را به حق شنود به حق راه یابد، و هر که به نفس شنود اندر زندقه افتد مراد از این نه آن است که باید تا سماع علت وصل حق باشد؛ که مراد آن است که مستمع به حق معنی شنود نه صوت، و دل وی محل وارد حق باشد. پس چون این معنی به دل رسید دل را برانگیزد. آن که اندر آن متابع حق باشد محقق شود و آن که متابع نفس باشد محجوب باشد و تعلق به تأویل کند. آنگاه ثمره آن سماع، کشف باشد و از آن این سماع، ستر.

اما زندقه پارسی است معرب، و به زبان عجم زند تأویل باشد و بدان سبب ایشان مر آن تفسیر کتاب خود «زند و پازند» خوانند. چون خواستند اهل لغت که ابنای مجوس را، که با بابک و افشین نامی کنند زندیق نام کردندشان، به حکم آن که می گفتند که هر چیزی که این مسلمانان می گویند تأویل است که ظاهر حکم آن را نقض کند و تنزیل دخول باشد اندر دیانت و تأویل سلخ از آن. و امروز بقیت ایشان مشیعه مصر همان گویند.

پس مراد ذی النون رضی الله عنه از این آن بوده است که اهل تحقیق در سماع محقق شوند و اهل هوی مؤول؛ که آن را تأویل بعید کنند و بدان به فسق افتند.

شبللی گوید، رضی الله عنه: «السَّمَاعُ ظَاهِرَةٌ فَتْنَةٌ وَ بَاطِنَةٌ عِبْرَةٌ، فَمَنْ عَرَفَ الْإِشَارَةَ حَلَّ لَهُ اسْتِمَاعُ الْعِبْرَةِ وَ إِلَّا فَقَدْ اسْتَدْعَى الْفِتْنَةَ وَ تَعَرَّضَ لِلْبَلِيَّةِ.»

ظاهر سماع فتنه است و باطنش عبرت است آن که اهل اشارت است مر او را سماع عبرت حلال باشد و الا آن دیگر طلب فتنه است و تعلق به بلا؛ یعنی آن را که کلیت دلش مستغرق حدیث حق نیست سماع بلای وی است و آفتگاه وی.

و ابوعلی رودباری گوید رحمة الله عليه در جواب سؤال مردی که او را از سماع پرسید: «لَيْتَنَا تَخَلَّصْنَا مِنْهُ رَأْسًا

برأس.»

کاشکی ما از این سماع سر به سر برهیمی؛ از آن که آدمی در گزاردن حق همه چیزها عاجز است، و چون حق چیزی فوت شود بنده به تقصیر خود ببیند و چون تقصیر خود بدید کاشکی برهدی. و یکی گوید از مشایخ، رحمهم الله: «السَّمْعُ تَنْبِيَةُ الْأَسْرَارِ لَمَّا فِيهَا مِنَ الْمُغَيَّبَاتِ.» سماع پیدا کردن سرهاست از چیزهایی که غیبت واجب کند، تا بدان پیوسته حاضر باشد به حق؛ که غیبت اسرار مر مدعیان را نکوهیده‌ترین اوصاف باشد؛ از آنچه دوست به دوست اگرچه غایب بود حاضر بود؛ که چون غیبت آمد دوستی برخاست.

و شیخ من گوید، رضی الله عنه: «السَّمْعُ زَادُ الْمُضْطَّرِّينَ، فَمَنْ وَصَلَ اسْتَعْنَى عَنِ السَّمْعِ.» سماع توشه بازماندگان است، هر که رسید و را به سماع حاجت نیاید؛ از آنچه اندر محل وصل حکم معزول بود؛ که سمع مر خیر را باید و خیر از غایب کنند. چون معاینه شد سماع متلاشی شود. و حصری گوید، رحمة الله علیه: «أَيْشٍ أَعْمَلُ بِالسَّمْعِ يَنْقَطِعُ إِذَا قُطِعَ مِمَّنْ نَسَمَعُ مِنْهُ؟ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ سَمَاعُكَ مَتَّصِلًا غَيْرَ مُنْقَطِعٍ.»

چه کنم سماع را که چون قاری خاموش شود آن منقطع شود؟ چه کنم؟ که چنان باید که سماع به سماع متصل باشد پیوسته که هرگز بریده نگردد و این نشان از اجتماع همت داده است اندر روضه محبت که چون بنده بدان درجت برسد همه عالم سماع وی شود از حَجَر و مَدَر. و این درجت بزرگ است و الله اعلم بالصواب و الیه المرجعُ و المآبُ.

بابُ اخْتِلَافِهِمْ فِي السَّمْعِ

اختلاف است میان مشایخ و محققان اندر سماع.

گروهی گفتند که: «سماع آلت غیبت است» و دلیل آوردند که: «اندر مشاهدت، سماع محال باشد؛ که دوست اندر محل وصل دوست، اندر حال نظر بدو، مستغنی بود از سماع؛ از آنچه سماع خبر را بود و خبر اندر محل عیان دوری و حجاب و مشغولی باشد. پس آن آلت مبتدیان باشد تا از پراکندگیهای غفلت بدان مجتمع شوند پس لامحاله مجتمع بدان پراکنده شود.»

و گروهی گفتند: «سماع آلت حضور است؛ از آنچه محبت کلیت خواهد، تا کل محب به محبوب مستغرق نشود وی اندر محبت ناقص بود. پس چنانکه دل را اندر محل وصل نصیب محبت است و سر را مشاهدت و روح را وصلت و تن را خدمت، باید تا گوش را نیز نصیبی بود؛ چنانکه چشم را رؤیت.» سخت نیکوگفت شاعر در محل هزل:

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أُمَكَّنَ الْجَهْرُ

یعنی بده ای دوست مرا تا چشم ببیند و دست بیسواد و کام بچشد و بینی ببوید، آنک یک حاست را از آن نصیب نباشد، پس بگوی این خمر است تا گوش نیز نصیب یابد تا همه حواس من اندر بند آن شوند و از آن لذت یابند.

وگویند: سماع آلت حضور است؛ که غایب خود غایب است و غایب منکر بود و منکر اهل آن نباشد. پس سماع بر دو گونه باشد: یکی به واسطه و دیگری بی واسطه. آنچه از قاری شنود آلت غیبت باشد آنچه از باری شنود آلت حضور و از آن بود که آن پیرگفت.

مخلوق را در آن محل ننهیم که سخن ایشان شنوم، یا حدیث ایشان گویم.» والله اعلم.

باب مراتبهم فی السّماع

بدان که هریکی را از ایشان در سماع مرتبتی است و ذوق آن بر مقدار مرتبۀ ایشان باشد؛ چنانکه تائب را هرچه شنود ورامدد حسرت و ندامت شود و مشتاق را مایۀ شوق رؤیت و مؤمن را تأکید یقین، و مرید را تحقیق بیان و محب را باعث انقطاع علائق و فقیر را اساس نومیدی ازکل و مثال اصل سماع همچون آفتاب است که بر همه چیزها برافتد و هر چیزی را به مقدار مراتب آن چیز از آن ذوق و مشرب باشد: یکی را می‌سوزد و یکی را می‌فروزد و یکی را می‌نوازد و یکی را می‌گدازد.

و این جمله طوایف که گفتم اندر تحقیق آن بر سه مرتبت‌اند: یکی مبتدیان، دیگر متوسطان، سدیگر کاملان. و من اندر شرح حال هر یک اندر سماع فصلی بیارم تا به فهم تو قریب‌تر باشد.

فصل

بدان که سماع وارد حق است و تزکیت جد از هزل و لهو است؛ و به هیچ حال طبع مبتدی قابل حدیث حق نباشد و به ورود آن معنی ربانی مرطع را زیر و زبری باشد و حرقت و قهر؛ چنانکه گروهی اندر سماع بیهوش شوند و گروهی هلاک گردند و هیچ کس نباشد الا که طبع او از حد اعتدال بیرون شود و این را برهان ظاهر است.

و معروف است که اندر روم چیزی ساخته‌اند اندر بیمارستانی، سخت عجیب، که آن را «انگلیون» خوانند و اندر هر چیزی که عجایب باشد بسیار یونانیان بدین نام خوانند آن را؛ چنانکه صحف را انگلیون خوانند و آن وضع مانی را و مانند آن را و مراد از این نه اظهار حکم آن است و آن مثال رودی است از رودها و اندر هفته‌ای دو روز بیمارار را اندر آنجا برند و آن بفرمایند زدن و بر مقدار علت، آن بیمار را آواز آن بشنوانند آنگاه ورا از آنجا بیرون آرند. و چون خواهند که کسی را هلاک کنند زمانی بیشتر آنجا بدارند تا هلاک شود و بحقیقت آجال مکتوب است اما مرگ را اسباب باشد و آن اطبا پیوسته می‌شنوند و اندر ایشان هیچ اثر نکند؛ از آنچه آن موافق است با طبع ایشان و مخالف به طبع مبتدیان.

و اندر هندوستان دیدم که اندر زهر قاتل کرمی پدید آمده بود و زندگی وی بدان بود؛ از آنچه کلیت وی همه آن بود.

و اندر ترکستان دیدم به شهری به سرحد اسلام که آتش اندر کوهی افتاده بود و می‌سوخت و از سنگهای آن نوشادر بیرون می‌جوشید و اندر آن آتش موشی بود که چون از آتش بیرون آمدی هلاک شدی.

و مراد بجز این است از این جمله، که اضطراب مبتدی اندر حلول وارد حق تعالی بدو از آن می‌باشد که حس وی مر آن را مخالف است چون آن متواتر شود اندر آن ساکن شود. ندیدی که چون جبرئیل اندر ابتدا پیامد پیغمبر علیه السلام طاقت رؤیت وی نداشت، و چون به نهایت رسید اگر یک نفس دیرتر آمدی تنگدل شدی؟ و این را شواهد بسیار است و این حکایت هم دلیل اضطراب مبتدیان است و هم برهان سکون منتهیان اندر سماع.

و معروف است که جنید را مریدی بوده است که اندر سماع اضطراب بسیار کردی و درویشان بدان مشغول شدند پیش شیخ رضی الله عنہشکایت کردند. وی را گفت: «بعد از این اگر اندر سماع اضطراب کنی نیز من با تو صحبت نکنم.» بو محمد جریری گوید: «در سماعی من اندر وی نگاه می‌کردم. لب بر هم نهاده بود و

خاموش می بود تا از هر مویی از اندام وی چشمه‌ای بگشاد تا هوش از وی بشد و یک روز بیهوش بود. پس من ندانم تا وی اندر سماع درست‌تر بود، یا حرمت پیر بر دلش قوی‌تر.»
وگویند که مریدی اندر سماع نعره‌ای بزد. پیر ورا گفت: «خاموش.» وی سر بر زانو نهاد و چون نگاه کردند مرده بود.

و از شیخ بومسلم فارس بن غالب الفارسی رُضِيَ عَنْهُ شنیدم که گفت: «درویشی اندر سماع اضطرابی می کرد یکی دست بر سر وی نهاد که: بنشین. نشستن همان بود و رفتن از دنیا همان.

و جنید رضی الله عنه می گوید که: «دیدم درویشی را که اندر سماع جان بداد.»
و دقی روایت کند از دَرَّاج که او گفت: من با ابن الفُوطی بر لب دجله می رفتیم میان بصره و اُبَلَّه. به کوشکی فرا رسیدیم نیکو. مردی بر آن در نشسته بود و کنیزکی در پیش او نشسته که وی را می غنا کرد و می گفت:

فِی سَبِيلِ اللَّهِ وَدُّ كَأَنَّ مَنِّي لَكَ يُنْزَلُ
كُلُّ يَوْمٍ تَتَلَوْنَ غَيْرُهُذَا بَكَ أَجْمَلُ

و جوانی را دیدم اندر زیر دیوار کوشک استاده، با مرقعه‌ای و رکوه‌ای. گفت: «ای کنیزک، به خدای تو بر تو، که این بیت بازگویی؛ که از زندگانی من یک نفس بیش نمانده است؛ تا باری جان به استماع این بیت برآید.»
کنیزک دیگر باره بازگفت. آن جوان نعره‌ای بزد. جان از وی جدا شد خداونده کوشک مرکبیزک را گفت که: «تو آزادی.» و خود فرود آمد به جهاز وی مشغول شد، و همه اهل بصره بر وی نماز کردند. پس آن مرد بر پای خاست و گفت: «یا اهل بصره، من که فلان بن فلانم همه املاک خود سیل کردم و ممالیک آزاد کردم.» هم از آنجا برفت و کس خبر آن نیافت.

و فایده این حدیث و حکایت آن است که مرید را اندر غلبه سماع، حال چندین بیاید که سماع وی، فاسقان را از فسق باز دارد و اندر زمانه گروهی گمشدگان به سماع فاسقان حاضر شوند و گویند ما سماع از حق کنیم و فاسقان، بدانکه ایشان مرایشان را موافقت کنند بر سماع کردن و فسق و فجور حریص‌تر شوند تا خود را و ایشان را هلاک کنند.

و از جنید رضی الله عنه پرسیدند که: «اگر ما بر وجه اعتبار اندر کلیسیا شویم، روا بود و مراد ما از آن جز آن نبود تا دُلَّ کافران ببینیم و بر نعمت اسلام شکر کنیم؟» وی گفت: «اگر به کلیسیا توانید شد چنانکه چون شما بیرون آید تنی چند را از ایشان به درگاه توانید آورد، بروید، و اگر نه مروید.»
پس صومعه‌ای اگر به خرابات شود، خرابات صومعه وی شود و خراباتی اگر به صومعه رود، صومعه خرابات وی گردد.

و یکی از کبار مشایخ گوید: من با درویشی در بغداد آواز مغنایی شنیدم که می خواند:

مُنِيَّ إِنْ تَكُنْ حَقًّا تَكُنْ أَحْسَنَ الْمَنِيِّ وَإِلَّا فَقَدْ عَشْنَا بِهَا زَمَنًا رَغْدًا

آن درویش نعره‌ای بزد و از دنیا بیرون شد.

و مانند این، ابوعلی رودباری رضی الله عنه گوید: درویشی را دیدم که به آواز مغنایی مشغول گشته بود من نیز گوش بنهادم تا وی چه می گوید. آن کس به صوتی حزین می گفت:

أُمُّدُ كَفَنِي بِالْحُضُّوعِ إِلَيَّ الْبَدِيَّ جَادًا بِالصَّبْنِيعِ

آن درویش بانگی بکرد و بیفتاد چون بشدم ورا یافتم مرده.

و یکی گوید که: با ابراهیم خواص رحمة الله عليه به راهی می رفتم طربی اندر دلم پدید آمد، برخواندم:

صَحَّ عِنْدَ النَّاسِ أَنِّي عَاشِقٌ غَيْرَ أَنْ لَمْ يَعْلَمُوا عِشْقِي لِمَنْ
مَا فِي الْإِنْسَانِ شَيْءٌ حَسَنٌ إِلَّا وَأَحْسَنُ مِنْهُ صَوْتُ حَسَنٍ

مرا گفت: «بازگویی این بیت را.» بازگفتم. وی به حکم تواجد قدمی چند بر زمین زد. چون نگاه کردم، آن اقدام وی، چون به موم، به سنگ فرو می‌رفت آنگاه بیهوش بیفتاد چون به هوش آمد مرا گفت: «اندر روضه بهشت بودم تو ندیدی.»

و از این جنس حکایات بیش از این است که این کتاب آن را محتمل باشد.

و من اندر معاینه درویشی دیدم اندر جبال آذربایگان که می‌رفت و می‌گفت این بیتها بشتاب:

وَاللَّهِ مَا طَلَعَتْ شَمْسٌ وَمَا غَرَبَتْ إِلَّا وَأَنْتَ مُنَى قَلْبِي وَوَسْوَاسِي
وَلَا تَنَفَّسْتُ مَحْزُونًا وَلَا فَرِحًا إِلَّا وَذَكَرُكَ مَقْرُونًا بِأَنْفَاسِي
وَلَا جَلَسْتُ إِلَى قَوْمٍ أَحَدُهُمْ إِلَّا وَأَنْتَ حَدِيثِي بَيْنَ جُلَاسِي
وَلَا هَمَمْتُ بِشَرْبِ الْمَاءِ مِنْ عَطَشٍ إِلَّا رَأَيْتُ خِيَالًا مِنْكَ فِي الْكَاسِ

از سماع این متغیر شد. پشت به سنگی باز گذاشت و جان بداد.

فصل

گروهی از مشایخ خواندن قرآن به الحان و شنیدن قصاید و اشعار را؛ چنانکه حروف از حد آن تجاوز کرده است کراهیت داشته‌اند و خود پرهیز کرده و اندر آن غلُو نموده و ایشان چندگروه‌اند و هر یکی را اندر آن علتی دیگر است.

گروهی از آن آنان‌اند که اندر تحریم آن روایات یافته‌اند و اندر آن مُتَابِعِ سَلَفِ صَالِحِ شده و بدیشان تقلید کرده؛ چنانکه زجر کردن پیغمبر علیه السلام مر شیرین را، کنیزک حسان بن ثابت، از غنا کردن و دره زدن عمر رضی الله عنه مر آن صحابی را که می‌غنا کرد و انکار کردن علی بر معاویه که کنیزکان مغنیه داشت و منع کردن وی مر حسن را رضی الله عنه از نظاره آن زن حبشه که می‌غنا کرد و گفتی که او قرین شیطان است؛ و مانند این. و نیز گویند که دلیل بزرگترین ما بر کراهیت داشت غنا اجماع امت است اندر زمانه ما و پیش از ما بر آن که آن کراهیت است تا آن که گروهی حرام مطلق دارند.

و اندر این معنی از ابوالحارث روایت کنند که گفت: من اندر سماع کردن بجد بودم. شبی یکی به صومعه من آمد و گفت: «جمعی از طالبان درگاه خداوند تعالی مجتمع‌اند و حضور شما را منتظر، اگر فضل کنید و رنجه شوید.» گفت: بیرون آمدم و بر اثر وی می‌رفتم بسی بر نیامد که به گروهی رسیدم که حلقه زده بودند و پیری میان ایشان نشسته. مرا کرامتی کردند فوق الغایه، و آن پیر گفت: «اگر فرمایی تا بیتی برخوانند؟» من اجابت کردم. دو کس به الحان خوش ابیات خواندن گرفتند ابیاتی که شعرا در فراق گفته بودند و ایشان جمله برخاستند به تواجد و زعقه‌های خوش می‌زدند و اشارت‌های لطیف می‌کردند و من به تعجب حال ایشان مانده بودم و خوشی و قششان تا صبح نزدیک آمد. آنگاه آن پیر مرا گفت: «ایها الشیخ، هیچ نپرسی مرا که تو کیستی و این قوم کیان‌اند؟» گفتم: «حشمت تو مرا می‌از سؤال بازدارد.» وی گفت لعنة الله ابلیس است و آن جمله فرزندان وی و اندر این نشستن و غنا کردن مرا دو فایده باشد: یکی آن که مصیبت فراق و ایام دولت خود دارم و دیگر آن که پارسا مردان را از راه ببرم و اندر غلط افکنم.

ابوالحارث گوید: از آنگاه ارادت سماع از دلم نفی شد و من از آن غبن عظیم تشویر زده گشتم.

و من که علی بن عثمان الجلابی ام از شیخ ابوالعباس شقانی رحمه الله شنیدم که گفت: روزی در مجمعی بودم

که گروهی سماع می کردند دیوان دیدم برهنه اندر میان ایشان پای بازی می کردند و من به تعجب حال ایشان مانده بودم که در می‌دیدند و ایشان بدان گرم‌تر می شدند.

و گروهی دیگرند که از خوف و خطر مریدان که تا اندر بلا و بطالت نیفتند و بدیشان تقلید نکنند و از سر توبه با سر معصیت باز نیایند و هوی اندر ایشان قوت نگیرد و هوس مرعزمت صلاح ایشان را فسخ نکنند که معرض بلا و مایه فتنه است، سماع نکردند و اندر میان ایشان نشستند.

و از جنید رضی الله عنه می‌آید که: جریری را گفت، اندر حال ابتدای توبه وی که: «اگر سلامت دین خواهی و رعایت توبه کنی، اندر سماع صوفیان که کنند منگر و مشو و خود را اهل آن مدان تا جوانی و چون پیر شدی مردمان را بزهکار مکن.»

گروهی دیگر گفتند که: اهل سماع بر دو فرقت‌اند: یکی لاهی و دیگر الهی. لاهی در عین فتنه باشد و از آن نترسد و الهی به ریاضات و مجاهدات و به انقطاع دل از مخلوقات و اعراض سر از مکونات فتنه از خود دور کرده باشد و از آن ایمن شده چون ما نه از این گروه باشیم نه از آن، ترک آن ما را بهتر و مشغول شدن به چیزی که موافق وقت ماست اولی‌تر.

و گروهی دیگر گفتند: چون عوام را اندر سماع فتنه است و از شنیدن ما اعتقاد مردمان می‌مشوش شود و از درجت ما اندر محبوب‌اند و به ما می‌بزهکار شوند، پس بر عامه می‌شفقت کنیم و مرخاص را نصیحت کنیم و بر وقت غیرت، دست از آن بداریم و این طریقی پسندیده است.

و گروهی گفتند که: پیغمبر علیه السلام گفت: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنيهِ.» دست از چیزی بداریم که از آن گزیرد. آنچه به ما لایعنی مشغول شوند تضييع وقت باشد و وقت دوستان با دوستان عزیز باشد، ضایع نباید کرد.

و گروهی دیگر گفتند از خواص که: سماع خبر است و لذت آن یافت مراد و این کار کودکان باشد؛ که اندر عیان خبر را چه مقدار باشد؟ پس کار، مشاهدت دارد.

این است احکام سماع که یادکردم بر وجه اختصار. کنون اندر وجد و وجود و تواجد بایی بیارم و مرتب گردانم، ان شاء الله العزيز وحده.

باب الوجد و الوجود و التواجد و مراتبه

بدان که وجد و وجود مصدراند: یکی به معنی اندوه، و دیگری به معنی یافتن و فاعل هر دو چون یکی باشد و جز به مصدر فرق نتوان کرد میان آن؛ چنانکه گویند: «وَجَدَ يَجِدُ وَجُوداً وَوَجْدَاناً» چون بیافت، «وَجَدَ يَجِدُ وَجْداً» چون اندوهگین شد و نیز «وَجَدَ يَجِدُ جِدَةً» چون توانگر شد و «وَجَدَ يَجِدُ مَوْجِدَةً» چون در خشم شد و فرق این جمله به مصادر بود نه افعال.

و مراد این طایفه از وجد و وجود، اثبات دو حال باشد که مرایشان را پدیدار آید اندر سماع: یکی مقرون اندوه باشد، و دیگر موصول یافت مراد و حقیقت اندوه فقد محبوب و منع مراد باشد و حقیقت یافت حصول مراد و فرق میان حزن و وجد آن بود که حزن نام اندوهی بود که اندر نصیب خود باشد و وجد نام اندوهی باشد که اندر نصیب غیر بود بر وجه محبت و این تغیر جمله صفت طالب است و إلا «الْحَقُّ لَا يَتَغَيَّرُ.»

و کیفیت وجد اندر تحت عبارت نیاید، از آنچه آن الم است اندر مغایبه و الم را به قلم بیان نتوان کرد. پس وجد سری باشد میان طالب و مطلوب که بیان آن اندر کشف آن غیبت بود و به کیفیت وجود بیان اشارت درست

نیاید؛ از آنچه آن طرب است اندر مشاهدهت، و طرب را به طلب اندر نتوان یافت. پس وجود فضلی باشد از محبوب به محب، اشارت از حقیقت آن معزول بود.

و به نزدیک من وجد اصابت المی باشد مردل را یا از فَرَح یا از تَرَح، یا از طرب یا از تعب. و وجود ازاله غمی از دل و مصادفت مراد آن و صفت واجد اماً حرکت بود اندر غلیان شوق اندر حال حجاب، و اما سکون اندر حال مشاهدهت اندر حال کشف، اما زفیر و اما نفیر اما این و اما حنین، اما عیش و اما طیش اما کَرَب و اما طرب.

و مختلف اند مشایخ تا وجد تمام تر یا وجود.

گروهی گفتند که: وجود صفت مریدان است و وجد نعت عارفان چون درجت عارف از مرید بلندتر بود باید که صفت این از آن کامل تر بود؛ از آنچه هر چیزی که اندر تحت یافت درآمد مُدرک شد و آن صفت جنس است؛ از آنچه ادراک، حد اقتضا کند و خداوند تعالی بی حد است. پس آنچه یافت بنده شود بجز مشربی نبود و آنچه نیافت طالب و اندر آن منقطع شد و از طلب آن عاجز گشت واجد آن حقیقت حق باشد.

و گروهی گویند: وجد حُرقت مریدان باشد و وجود تحفه محبان. درجت محبان بلندتر از مریدان باشد باید تا آرام با تحفه تمام تر باشد از حُرقت اندر طلب و این معنی کشف نگردد جز اندر حکایتی و آن آن است که روزی شیخ ابابکر شبلی رحمة الله علیه اندر غلیان حال خود به نزدیک جنید رضی الله عنه آمد وی را یافت اندوهگین. گفت: «ایها الشیخ، چه بوده است؟» جنید گفت، رضی الله عنه: «مَنْ طَلَبَ وَجَدَ.» وی گفت: «لا، بَلْ مَنْ وَجَدَ طَلَبَ.»

آنگاه مشایخ اندر این سخن گفتند: از آن که یکی نشان از وجد داد و آن دیگر اشارت به وجود کرد و به نزدیک من معتبر قول جنید است رضی الله عنه از آنچه چون بنده بشناخت که معبود او از جنس او نیست اندوه وی دراز گردد و اندر این سخن رفته است در این کتاب.

و متفق اند مشایخ رضی الله عنهم که: سلطان علم قوی تر باید از سلطان وجد و از آنچه چون قوت مر سلطان وجد را باشد واجد بر محل خطر باشد و چون سلطان علم را بود در محل امن باشد و مراد از این جمله آن است که اندر همه احوال باید که طالب متابع علم و شرع باشد چون به وجد مغلوب باشد خطاب از وی برخیزد و چون خطاب برخاست ثواب و عقاب برخیزد و چون ثواب و عقاب برخاست کرامت و اهانت برخیزد. آنگاه حکم وی حکم مجانبین بود نه از آن اولیا و مقربان و چون سلطان علم غالب باشد بر سلطان حال، بنده اندر کَنف اوامر و نواهی بود و اندر سر پرده خود همیشه مشکور؛ و باز چون سلطان حال غالب بود بر سلطان علم، بنده از حدود خارج بود و از خطاب محروم اندر محل نقص خود، إما معذور و إما مغرور.

و بعین این معنی قول جنید است رضی الله عنه که گفت: «راه دو است: یا به علم یا به روش. روش که بی علم بود اگرچه نیکو بود جهل و نقص باشد، و علم اگرچه بی روش بود عَزَّ و شرف.» و از آن بود که بویزید رضی الله عنه گفت: «كُفِرَ أَهْلُ الْهَمَّةِ أَشْرَفُ مِنْ إِسْلَامِ أَهْلِ الْمُنِيَّةِ.» بر اهل همت کفران صورت نگیرد، اما اگر تقدیر کنند اهل همت با کفر کامل تر باشند از اهل منیت با ایمان.

و جنید مر شبلی را گفت، رحمة الله علیهما: «الشَّيْلِيُّ سَكَرَانٌ وَلَوْ أَفَاقَ مِنْ سُكْرِهِ لَجَاءَ مِنْهُ إِمَامٌ يُنْتَفَعُ بِهِ.» و اندر حکایات مشهور است که جنید و محمد بن مسروق و ابوالعباس بن عطارضی الله عنهم مجتمع بودند قوال بیتی برخواند، ایشان تواجد می کردند وی ساکن می بود. گفتند: «ایها الشیخ، ترا از این سماع هیچ نصیب نمی باشد؟» وی برخواند قوله، تعالی: «تَحَسَّبُهَا جَامِدَةٌ وَ هِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ (۸۸/النمل).»

اما تواجد تکلف بود اندر اتیان وجد و آن عرضه کردن انعام و شواهد حق بود بر دل و اندیشه اتصال و تمنای

روش مردان و گروهی اندر آن مترسم اند که تقلید کرده اند به حرکات ظاهر و ترتیب رقص و تزیین اشارات ایشان و این حرام محض باشد و گروهی محقق اند که مرادشان اندر آن، طلب احوال و درجت بزرگان متصوّفه است نه حرکات و رسوم؛ لقوله، علیه السّلام: «من تشبه بقوم فهو منهم.» و این خبر ناطق است بر اباحت تواجد و از آن بود که آن پیرگفت، رضی الله عنه: «هزار فرسنگ به دروغ بروم تا یک قدم از آن صدق باشد.» و سخن اندر این باب بیش از این اید اما من بر این اختصار کردم و السّلام.

باب الرّقص

بدان که اندر شریعت و طریقت مر رقص را هیچ اصلی نیست؛ از آنچه آن لهُو بود به اتفاق همه عقلا چون به جد باشد و چون به هزل بود لغوی و هیچ کس از مشایخ آن رانستوده است و اندر آن غلو نکرده. و هر اثر که اهل حشو اندر آن بیارند، آن همه باطل بود و چون حرکات وجدی و معاملات اهل تواجد بدان مانند بوده است، گروهی از اهل هزل بدان تقلید کرده اند و اندر آن غالی شده و از آن مذهبی ساخته و من دیدم از عوام گروهی می پنداشتند که مذهب تصوّف جز این نیست، آن بر دست گرفتند؛ و گروهی اصل آن را منکر شدند. و در جمله پای بازی شرعاً و عقلاً زشت باشد از اجهل مردمان و محال بود که افضل مردمان آن کنند. اما چون خفتی مر دل را پدیدار آید و خفقانی بر سر سلطان شود وقت قوت گیرد حال اضطراب خود پیدا کند ترتیب و رسوم برخیزد. آن اضطراب که پدیدار آید نه رقص باشد و نه پای بازی و نه طبع پروردن؛ که جان گداختن بود و سخت دور افتد آن کس از طریق صواب که آن را رقص خواند و دورتر آن کس که حالتی را که از حق بی اختیار وی نیاید وی به حرکت آن را به خود کشد و حالت حق نام کند آن حالت که وارد حق است چیزی است که به نطق بیان نتوان کرد. مَنْ لَمْ يَدُقْ لَا يَدْرِي.

النّظرُ في الاحداث

در جمله نظاره کردن اندر احداث و صحبت با ایشان محظور است و مجوز آن کافر و هر اثر که اندر این آرند بطالت و جهالت بود. و من دیدم از جهال گروهی به تهمت آن با اهل این طریقت منکر شدند و من دیدم که از آن مذهبی ساختند و مشایخ بجمله مر این را آفت دانسته اند و این اثر از حلولیان مانده است لعنهم الله اندر میان اولیای خدای و متصوّفه.

باب الخرق

بدان که خرقة کردن جامه اندر میان این طایفه معتاد است و اندر مجمعیهای بزرگ که مشایخ بزرگ رُضی عنهم حاضر بودند این کرده اند. و من از علما دیدم گروهی که بدان منکر بودند و گفتند که: «روا نباشد جامه درست پاره کردن و آن فساد بود.»

و این محال است. فسادی که مراد از آن صلاح باشد سهل بود و همه کسان نیز جامه درست بپزند و بدوزند؛ چنانکه معهود است و هیچ فرق نباشد میان آن که جامه ای به صد پاره کنند و بر هم دوزند و میان آن که به پنج پاره کنند و اندر هر پاره ای از آن خرقة راحت دل مؤمنی است و قضای حاجتی که از آن وی بر مرقعه دوزند. و هر چند که جامه خرقة کردن را اندر طریقت هیچ اصلی نیست و البته اندر سماع در حالت صحت نشاید کرد؛ که آن جز به اسراف نباشد اما اگر مستمع را غلبه ای پدیدار آید چنانکه خطاب از وی برخیزد و بی خبر گردد

معذور باشد؛ یا چون یکی را چنان افتد، اگر جماعتی بر موافقت وی خرقه کنند روا باشد و جمله خرق اهل این طریق بر سه گونه باشد: یکی آن که درویش خود خرقه کند و آن اندر حال سماع بود به حکم غلبه و آن دو گونه: یکی آن که جماعت و اصحاب به حکم پیری و مقتدایی جامه وی را خرقه کنند و یا اندر حال استغفار از جرمی و دیگر اندر حال سکر از وجدی.

و مشکل ترین این جمله خرقه سماعی باشد و آن بر دو گونه باشد:

یکی مجروح و دیگر درست و جامه مجروح را شرط دو چیز بود: یا بدوزند بدو باز دهند این جماعت یا به درویشی دیگر، و یا مرتبرک را پاره پاره کنند و قسمت کنند.

اما چون درست باشد بنگریم تا مراد آن درویش مستمع که جامه بیفکند چه بوده است. اگر مراد، قوال بوده است وی را باشد و اگر مراد، جماعت، ایشان را و اگر بی مراد افتاد، به حکم پیر باشد تا چه فرمان دهد پس اگر درویش را در آن مرادی بوده باشد به هر نوع که بود از راه موافقت جماعت شرط نباشد؛ از آنچه به هر حال که باشد یا به مرادی یا به اضطراری دیگران را اندر او هیچ موافقت نیست. فاما اگر مراد درویش جماعت بود یا بی مراد درویش جدا شده است، موافقت اصحاب با یکدیگر شرط باشد؛ بی موافقت جمله درست نیاید. و چون جماعت موافقتی کردند بر چیزی، پیر را نشاید که به قوال دهد جامه درویشان؛ اما روا بود اگر محبی از آن ایشان چیزی فدا کند و جامه به درویشان باز دهد و یا همه خرقه کنند و قسمت کنند.

و اگر جامه اندر حال غلبه افتاده بود مشایخ اندر این مختلف اند بیشتری گویند قوال را باشد، بر موافقت قول پیغمبر، علیه السلام: «مَنْ قَتَلَ قَتِيلًا فَلَهُ سَلْبُهُ. جَامَةٌ مَقْتُولٍ قَاتِلٌ رَا بُوْد.» و اگر به قوال ندهند از شرط طریقت بیرون آیند و گروهی گویند: فرمان پیر را باشد و اختیار این است؛ چنانکه آنجا به مذهب بعضی از فقها جز به اذن امام جامه مقتول قاتل را ندهند، اینجا جز به فرمان پیر جامه به قوال ندهند و اگر پیر خواهد که به قوال ندهد بر وی حرج نباشد. وَاللّٰهُ اَعْلَمُ بِالصَّوَابِ وَ اِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَ الْمَآبُ.

باب آداب السَّمَاعِ

بدان که شرط ادب سماع آن است که تانیاید نکنی و مر آن را عادت نسازی دیر به دیر کنی تا تعظیم آن ازدل بنشود و باید تا چون سماع کنی پیری آنجا حاضر باشد و جایی از عوام خالی و قوال بحرمت و دل از اشغال خالی و طبع از لهُو نفور و تکلف از میان برداشته. و تا قوت سماع پیدا نیاید شرط نباشد که اندر آن مبالغت کنی. چون قوت گرفت شرط نباشد که آن از خود دفع کنی مر وقت را متابع باشی بدانچه اقتضا کند. اگر بجنباند بجنبی و اگر ساکن دارد ساکن باشی و فرق دانی کرد میان قوت طبع و حُرقت وجد.

باید که مستمع را چندان دیدار باشد که وارد حق را قبول تواند کرد و داد آن بتواند داد و چون سلطان آن بر دل پیدا شود به تکلف آن از خود دفع نکند و چون قوت گرفت کم شود به تکلف جذب نکند.

و باید که اندر حال حرکت از کس مساعدت چشم ندارد و اگر کسی مساعدت نماید منع نکند و اندر سماع کس دخل نکند و وقت را نبشولد و اندر روزگار او تصرف نکند و مر او را بدان نیت او نسجد که اندر آن بی برکتی بسیار باشد.

و باید که قوال اگر خوش خواند نگوید که خوش می خوانی و اگر ناخوش و ناموزون گوید و طبع را خارج کند نگوید بهتر خوان و به دل بر وی خصومت نکند و وی را اندر میانه نبیند. حواله آن به حق کند و راست شنود.

و اگر گروهی را سماع گرفته باشد و وی را از آن نصیب نباشد که به صحو خود اندر سکر ایشان نگرد باید که به

وقت نیازمند باشد و مر سلطان وقت را تمکین کند تا برکات آن بدو رسد.
و من که علی بن عثمان الجلابی ام آن دوست تر دارم که مبتدیان را به سماعها نگذارند تا طبع ایشان بشولیده نشود؛ که اندر آن خطرهای عظیم است و آفت مهین آن، آن است که زنان از بامی یا از جایی به درویشان می نگرند اندر حال سماع ایشان و از این مر مستمعان را حجابهای صعب افتد و یای یکی از احداث در میان ایشان باشد؛ از بعد آن که جهال متصوفه این جمله را مذهب ساخته اند و صدق معنی از میان برداشته.
و من استغفارکنم از آنچه رفته است بر من از اجناس آفت و استهانت معاملات و استعانت خواهم از خداوند تبارک و تعالی تا ظاهر و باطن مرا از آفات پاک گرداند و وصیت کنم ترا و خوانندگان این کتاب را به رعایت احکام این کتاب. و بالله العون و التوفیق و الجمع و التفریق و حسبنا الله و نعم الرفیق. و صلی الله علی محمد و آله اجمعین و سلم تسلیماً کثیراً.